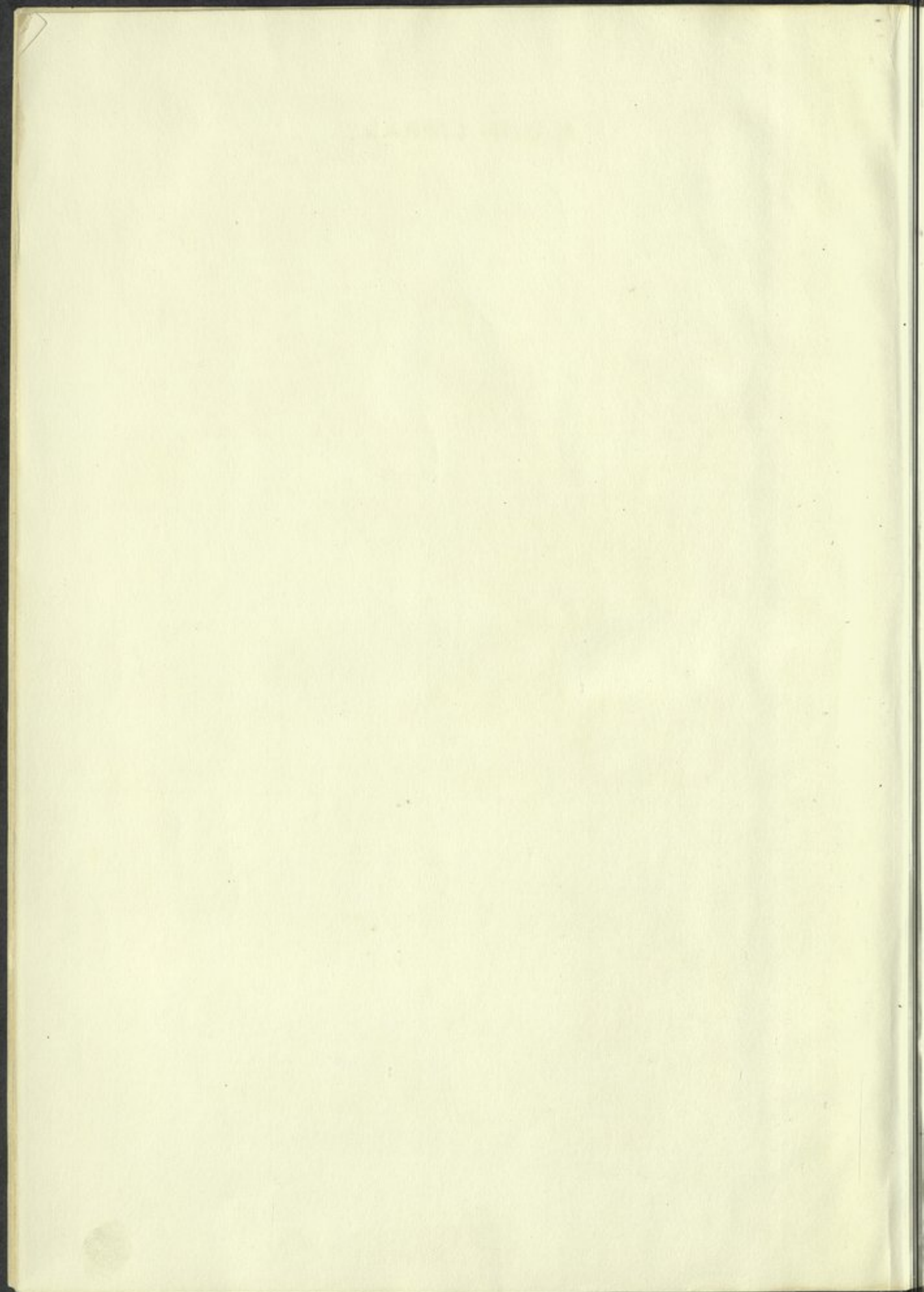
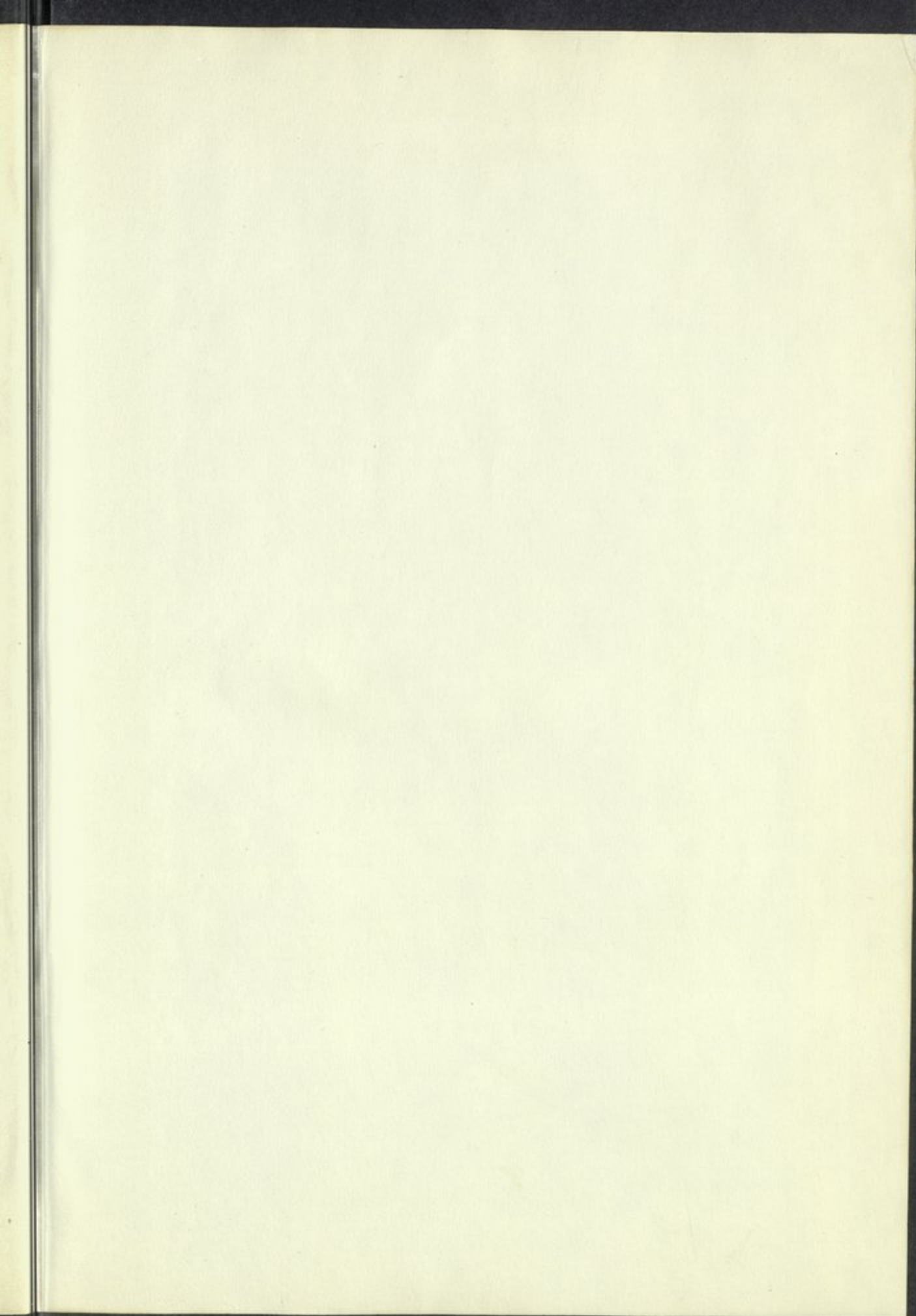
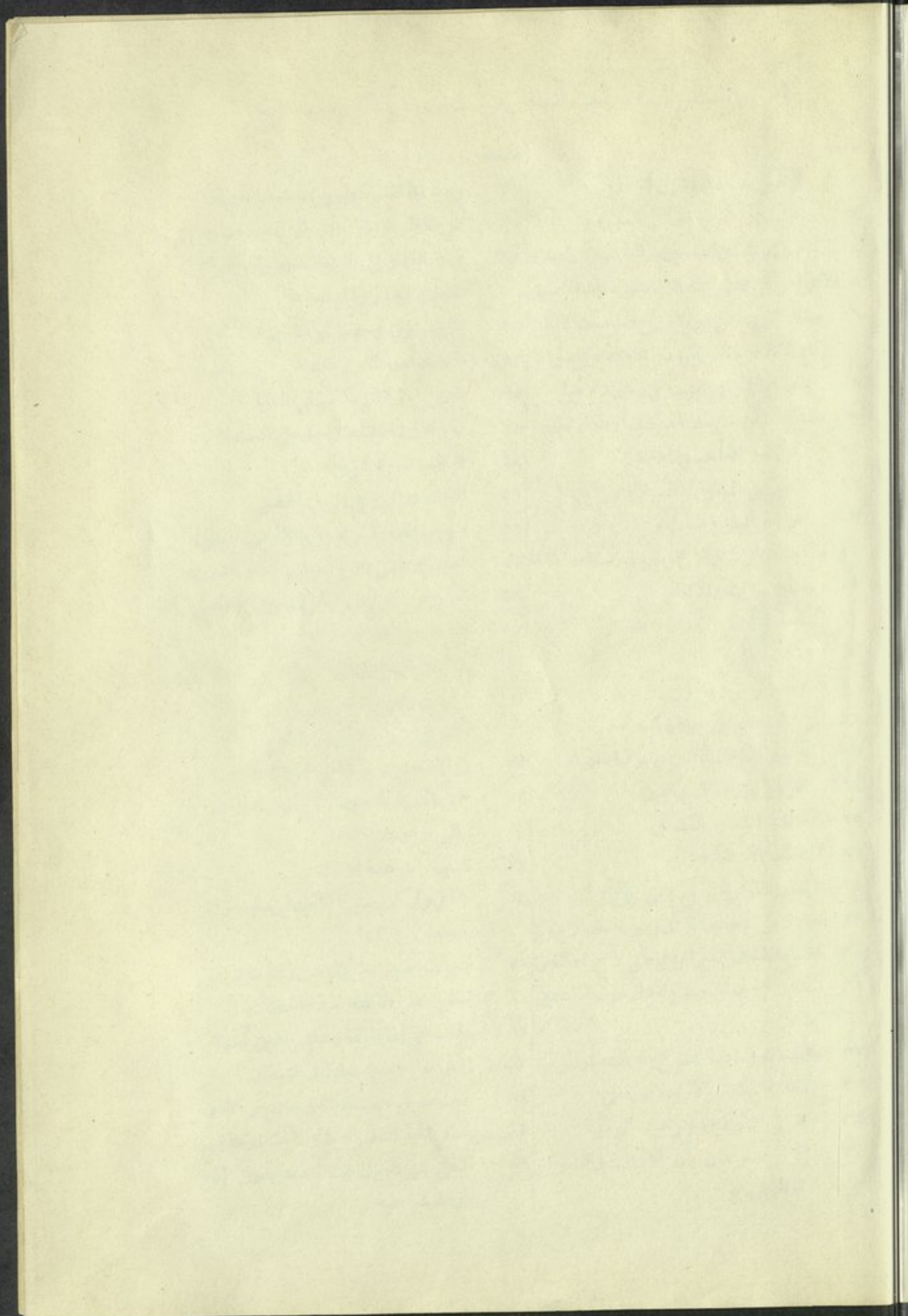
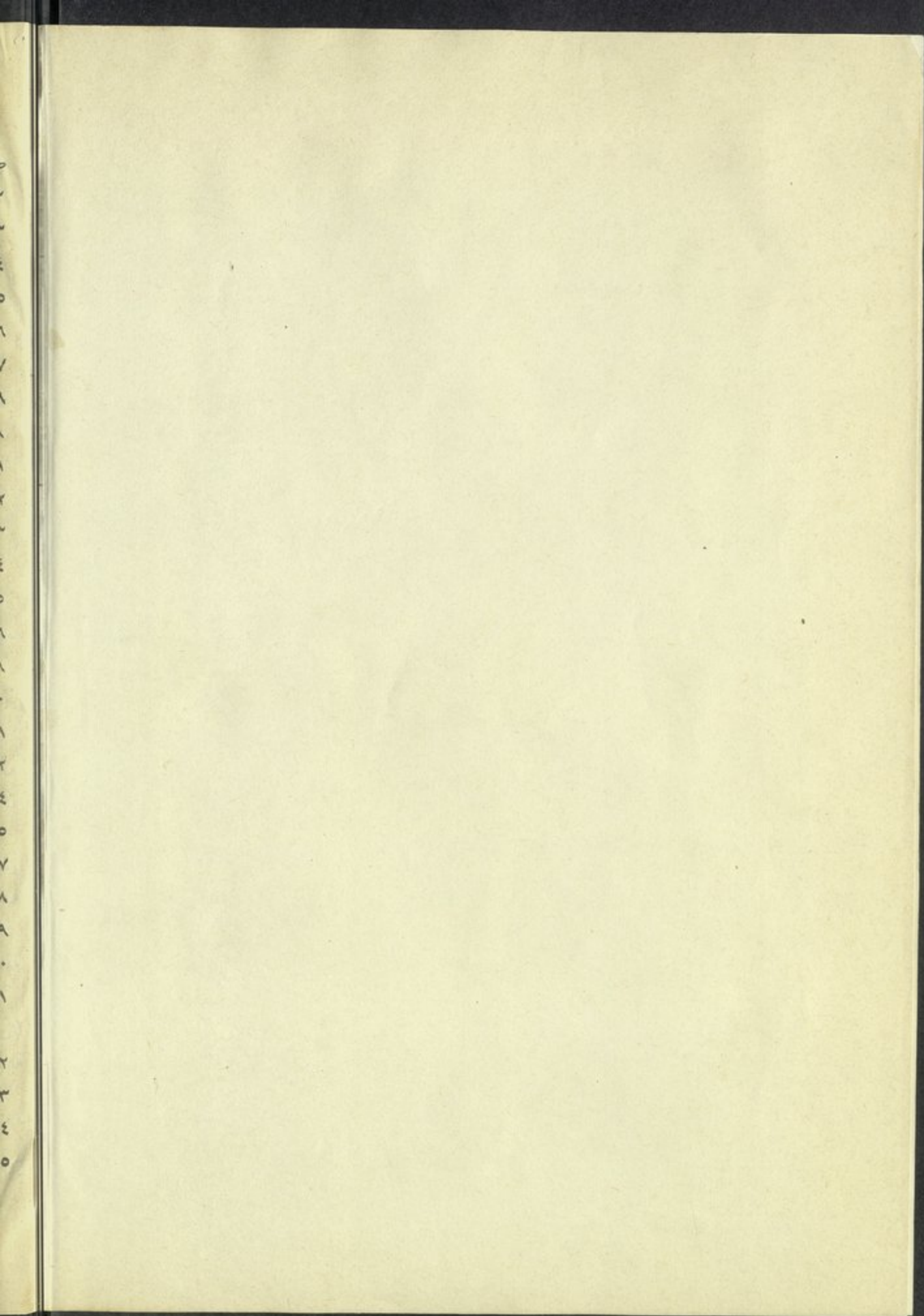


A. U. B. LIBRARY









﴿ فهرس المسائل المهمة في الجزء السادس من تفسير ابن كثير والبنغوي ﴾

صفحة		صفحة
٢	﴿ تفسير سورة المؤمنون ﴾	٣٧
٣	أحاديث وآثار في فضائل السورة	٣١
٤	صفات المؤمنين المتفلحين منها الخشوع في الصلاة	٣٠
٥	الاعراض عن الغفوة وإيتاء الزكاة من صفات المؤمنين	٤
٦	حفظ الفروج عن غير الأزواج وما ملكه الأيمان	٤٢
٧	رعاية الأمانة وحفظ العهود والمحافظة على الصلوات	٤٣
٨	ميراث المؤمنين للفر دوس وخلودهم فيها	٤٥
٩	خلق الإنسان من سلالة من طين أو طوار تكوينه	٤٦
١١	معنى كون الله أحسن الخالق	٤٩
١٢	التعبير عن السموات السبع بالطرائق	٥٠
١٣	نعم الله بالمطر والنبات والأيام	٥٢
١٤	نعمه الزيتون التي تخرج بطور سيناء وأمثالها	٥٥
١٥	منافع زيت والآنعام	٥٦
١٦	قصة عليه السلام مع قومه	٥٧
١٩	تكذيب لأمم للرسول	٥٩
٢٠	رسالة موسى وهارون إلى فرعون	٦٠
٢١	« عيسى بن مريم وكونه آية »	٦٤
٢٢	توحيد الله للآمم بالدين وتفرقها أحزابا	٧٣
٢٤	الغرور بكثرة المال والبنين	٧٦
٢٥	صفات المؤمنين الكاملين	
٢٧	عذاب الله للترفين	٧٧
٢٨	حال كفار قريش مع النبي ﷺ	٧٨
٢٩	الضلال من عدم تدبر القرآن ومعرفة حال الرسول	
٣٠	فساد العالم على تقدير اتباع الحق لأهواء الناس	٧٩
٣١	أحاديث في الحساب وعدم نفع الرسول للمبتدعين بعده	٨٠
٣٢	حال الكفار في عدم الخضوع لله في الشدة والرخاء	٨٣
٣٣	مطالبة الكفار بالاستدلال العقلي	٨٤
٣٤	تقرير المشركين بتوحيد الربوبية	٨٥
٣٥	إقرار المشركين بأن الأرض والسموات والعرش لله	٨٩
	والتسليم عليه	
	وعيد الله للمشركين وإراءة نبه (ص)	
	تمني الكفار الرجوع إلى الدنيا بعد الموت	
	لو رد الكفار إلى الدنيا لعادوا إلى كفرهم	
	التفخ في الصور وقيام الساعة	
	ثقل الموازين وحقها في الآخرة	
	ما يقول أهل النار ويقال لهم	
	تقدير أهل النار مكثهم في الدنيا	
	كونه تعالى لم يخلقنا عبثا دليل على البعث	
	﴿ تفسير سورة النور ﴾	
	الأحاديث في رجم الزاني المحصن	
	وجوب إقامة الحد بمشهد طائفة من المؤمنين	
	أحاديث فمن حرم الله عليهم الجنة كالديوث	
	الطعن في حديث المرأة التي لا ترد يد لامس	
	حد قذف المحصنات	
	سبب زول آيات الملاعة خبر عويمر العجلاني	
	أول ملاعة في الإسلام	
	التفريق بين المتلاعنين وأحكامه	
	روايات حديث عائشة في قصة الافك	
	حد عائشة لله وحده لانزال برأها دون النبي وأبويها	
	تفسير آيات قصة الافك	
	الذي نولى كبر حديث الافك ابن سلول وقيل حسان	
	وجوب تحسين الظن بالمؤمنين والمؤمنات	
	تعظيم خطر الافك وقذف المحصنات	
	عذاب محبي إذاعة الفاحشة في الذين آمنوا	
	النهى عن اتباع خطوات الشيطان	
	خبر الصديق مع مسطح الذي خاض في الافك	
	لعن قاذفي المحصنات في الدنيا والآخرة وتعذيبهم	
	النهى عن دخول بيت أحد بدون إذنه	

- ٩٠ السنة في الاستئذان تقديم السلام والاكتفاء به ١٤٣
 ٩١ آداب الاستئذان ١٤٤
 ٩٥ الامر بالغض من البصر وحفظ الفروج
 ٩٨ نهى النساء عن إبداء زينهن إلا ما ظهر منها ١٤٦
 ١٠٠ ما يجوز أن تراه المسلمة من بدن المسلمة وما يراه ١٤٨
 عبدها
 ١٠٤ نهى النساء عن الضرب بأرجلهن ليظهرن وسواس ١٤٩
 حليهن
 ١٠٥ تحديد عورات الرجال والنساء. الترغيب في النكاح ١٥٢
 ١٠٧ الامر بالاستغفار عن الحرام وبكتابة المملوك
 ١٠٩ « بمساعدة الرقيق على شراء نفسه ١٥٤
 ١١١ النهي عن إكراه الاماء على البغاء ١٥٥
 ١١٣ المغفرة للامة التي تسكره على الزنا ١٥٦
 ١١٥ ضرب المثل لنوره تعالى ونور المؤمنين ١٥٨
 ١٢٠ الاحاديث الواردة في أن الله يهدي لنوره من يشاء ١٥٩
 ١٢٢ حرمة المساجد وما نهى عنه فيها ١٦٠
 ١٢٤ فضل الصلاة في المسجد وما يقال عند دخوله ١٦٢
 ١٢٦ آداب صلاة النساء في المساجد وكونها في بيوتهن ١٦٣
 أفضل
 ١٢٧ فضل الصلاة في وقتها
 ١٢٨ ضرب المثل لأعمال الكفار في حبوطها
 ١٢٩ مثل آخر « في جهنم وتقليد هم فيها ١٦٦
 ١٣٠ تسبيح كل ما في السموات والارض لله ١٦٨
 ١٣١ تأليف الخالق للسحاب وإزاله المطر والبرد منه ١٧٠
 ١٣٢ خلق كل حيوان من ماء وأنواع مشيها ١٧١
 ١٣٣ هداية الله بالقرآن وصفات المنافقين ١٧٣
 ١٣٤ إعراض المنافقين عن حكم الله ورسوله ١٧٥
 ١٣٥ صفة المؤمنين في تلقي حكم الله بالسمع والطاعة ١٧٧
 ١٣٦ أمر الله بطاعته وطاعة رسوله
 ١٣٧ وعد الله لامة محمد بالاستخلاف في الارض ١٧٨
 بآمانهم وصلاتهم
 ١٤٢ رجاء الرحمة باقامة الصلاة والزكاة وطاعة الرسول
 ١٤٣ أمر العبيد والاماء ومن دون البلوغ بالاستئذان
 ١٤٤ الاستئذان في الاوقات الثلاث التي هي مظنة
 ظهور العورات
 ١٤٦ وجوب السر ومحرمة التبرج حتى على العجائز
 ١٤٨ إباحة الاكل من بيوت الاقارب والاصدقاء
 والامناء
 ١٤٩ الامر لداخل البيوت بالتسليم على من فيها
 ١٥١ أدب المؤمنين مع الرسول وعدم مفارقتها إلا بأذنه
 ١٥٢ التحذير عن مخالفة الرسول عن أمره خوف
 الفتنة والعذاب
 ١٥٤ رجوع العباد الى الله وإحاطة علمه بهم
 ١٥٥ « تفسير سورة الفرقان »
 ١٥٦ عجز آلهة المشركين وطعنهم في القرآن
 ١٥٨ طعنهم في الرسول بصفات البشر وبأنه مسحور
 ١٥٩ إبطال قول المشركين أنه ^{صلى الله عليه وسلم} مسحور ونجوه
 ١٦٠ إنذار المشركين جهنم ووصفها لهم
 ١٦٢ عذاب الكافرين في جهنم مقرنين ودعائهم بالبثور
 ١٦٣ حشر المشركين يوم القيامة مع معبوداتهم
 ١٦٤ اعتراف معبودات المشركين بالوحدانية لله تعالى
 ١٦٥ كون جميع المرسلين يأكلون الطعام ويمشون
 في الاسواق
 ١٦٦ استكبار المشركين وعتوهم بطاغية الله تعالى
 ١٦٨ عمل الكفار يكون هباء منثوراً يوم القيامة
 ١٧٠ استقرار المؤمنين ومقيلهم في الجنة
 ١٧١ تشقق السماء وزول الملائكة وأحوال القيامة
 ١٧٣ الملك الحق لله تعالى يوم القيامة
 ١٧٥ انزال القرآن منجاً لتثبيت فؤاد النبي (ص)
 ١٧٧ وعيد الله لمن كذب رسوله وتحذيرهم من عقابه
 وعذابه
 ١٧٨ أقوال العلماء في أحجاب الرس ومن هم
 ١٧٩ اهلاك الله لقرون كثيرة من بعد نوح
 بسبب كفرهم

٢١٢	وعيد فرعون لموسى بالسجن على عبادة غيره	١٨٠	وعيد الله للمستعزئين برسوله بالعذاب الالم
٢١٤	انتصار موسى على سحرة فرعون وإيمانهم بالله تعالى وحده	١٨١	الدليل على وجود الله وقدرته التامة على خلق الاشياء المختلفة
٢١٥	خروج موسى من مصر ليلا وخروج فرعون في أثره	١٨٢	قدرة الله في ارسال الرياح وانزال الماء من السماء
٢١٧	آية الله الكبرى في فلق البحر لبني اسرائيل	١٨٥	عموم بعثة النبي (ص)
٢٢٠	محاورة ابراهيم مع قومه في بطلان عبادة الاصنام	١٨٧	عبادة الكفار من دون الله مالا ينفع ولا يضر
٢٢٢	تضرع ابراهيم لربه ودعاؤه له وحده	١٨٨	خلق السموات والارض في ستة أيام
٢٢٥	تقريب الجنة من المتقين وبدو الجحيم للفاوتين	١٩١	صفات المؤمنين في مشيهم نهاراً وبيانهم ليلاً
٢٢٦	دعوة نوح لقومه وتكذيبهم له وجحودهم لنبوته	١٩٢	المؤمنون الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً
٢٢٧	امتناع قوم نوح من الايمان به استكباراً وغناداً	١٩٣	وصف جهنم وكونها ساءت مستقراً ومقاماً
٢٢٨	دعوة هود عليه السلام لقومه عاد وتكذيبهم له	١٩٤	أكبر الكبائر الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا
٢٣٠	امتناع عاد من الايمان بهود طغياناً وكفراً	١٩٦	مضاعفة العذاب لمرتكب الكبائر
٢٣١	دعوة صالح عليه السلام لقومه ثمود وتكذيبهم له	١٩٧	من تاب توبة نصوحاً يبدل الله سيئاته حسنات
٢٣٢	ما كانت فيه ثمود من النعم والجنات والعيون	٢٠٠	من أكبر الكبائر شهادة الزور
٢٣٤	ايمان صالح بالناقة آية على نبوته وعقر قومه لها	٢٠١	المؤمنون الذين اذا ذكروا بآيات ربهم زادهم إيماناً
٢٣٥	قصة لوط مع قومه وإهلاكم بالمطر	٢٠٢	دعاء المؤمن بان تكون زوجته وأولاده مطيعين لله
٢٣٦	تكذيب أصحاب الأيكة لشعيب عليه السلام	٢٠٤	كون الله تعالى لا يعاباً بمن لا يقصده بدعائه وعبادته
٢٣٨	ارسال عذاب الظلة على أصحاب الأيكة	٢٠٥	تفسير سورة الشعراء ﴿
٢٣٩	انزال القرآن الكريم بلسان عربي مبين	٢٠٦	لو شاء الله لأزل آية تضطر الناس الى الايمان به
٢٤٠	ذكر القرآن والتنويه به مذكور في كتب الاولين	٢٠٧	إنبات الله في الارض كل زوج كريم
٢٤١	كون الكفار لا يؤمنون إلا بعد معاناة العذاب	٢٠٨	ارسال الله موسى نبيه الى قوم فرعون الظالمين
٢٤٣	كتاب الله العزيز لا تنزل به الشياطين ولا ينبغي لهم ولا يستطيعون	٢١٠	سؤال فرعون لموسى عن رب العالمين وجوابه له
٢٤٤	الاحاديث الواردة في انذار النبي (ص) لعشيرته الاقربين		
٢٥٠	معنى قيام النبي (ص) وتقلبه في الساجدين		
٢٥٢	استراق الشياطين للسمع وكذبهم على الكهان		

٢٩	الذي يحجب المضطر ويكشف السوء هو الله وحده	٢٥٣	حكم قرص الشعر وبيان الحرام والمباح منه
٣٠٠	الله يبدأ الخلق ثم يعيده ويرزق الناس من السماء والارض	٢٥٧	وعيد الله للظالمين لسوء المنقلب
٣٠٢	انكار الكفار لتبعث وقولهم أساطير الاولين	٢٥٨	تفسير سورة النمل
٣٠٣	استعجال الكفار للعذاب وفضل الله في تأخيرهم عنهم	٢٥٩	رؤية موسى (ص) للنار جانب الطور الايمن
٣٠٥	خروج الدابة عند فساد الناس وغضب الله عليهم	٢٦٠	نداء الله لموسى وتكليمه له
٣٠٦	الا حاديث والآثار الواردة في خبر الدابة	٢٦١	أمر الله لموسى أن يلتقي عصاه ليظهر له قدرته على كل شيء
٣١٠	حشر المكذبين بآيات الله يوم القيامة وسؤالهم فزع من في السموات ومن في الارض يوم التفخ في الصور	٢٦٢	ادبار موسى وخوفه من عصاه
٣١١	اتيان جميع الخلائق صاغرين يوم القيامة	٢٦٣	قصة داود وسليمان عليهما السلام
٣١٥	جعل الله مكة حراماً شرعاً وقدرأ	٢٦٥	نعمة الله على داود وسليمان بتعليمهما منطق الطير
٣١٧	تفسير سورة القصص	٢٦٧	ورود سليمان وجنوده على وادي النمل
٣١٨	نعمة الله على بني اسرائيل الذين استذلهم فرعون ولادة موسى عليه السلام والقاؤه في اليم	٢٦٩	تفقد سليمان للطير وقصته مع الهدد
٣٢٢	حب امرأة فرعون لموسى ومدافعتها عنه	٢٧١	وعيد سليمان للهدد على غيابه بالعذاب والنزع
٣٢٣	فراغ فؤاد موسى وشدة وجدها وأسفها عليه	٢٧٢	قص الهدد على سليمان اخبار ملكة سبا
٣٢٥	إتياء موسى الحكم والعلم حين بلغ أشده واستوى	٢٧٥	اختبار سليمان عليه السلام لصديق خبر الهدد
٣٢٧	خوف موسى في المدينة وترقبه عاقبة عمله	٢٧٧	مشاورة ملكة سبا لقومها في كتاب سليمان
٣٢٩	توجه موسى لتقاء مدين ووروده ماءها	٢٧٩	ارسال ملكة سبا هدية الى سليمان عليه السلام
٣٣١	مجيء احدى المرأتين الى موسى لتدعوه الى أبيها	٢٨٠	ورود رسول بلقيس على سليمان بالهدية
٣٣٣	تزوج موسى باحدى المرأتين على عمل ثمان حجج	٢٨٢	الاتيان بعرش بلقيس الى سليمان عليه السلام
٣٣٤	الا حاديث والآثار في الاجل انى قضاء موسى	٢٧٤	شكر سليمان لله تعالى على فضله عليه
٣٣٩	سير موسى من مدين ورؤيته النار جانب الطور	٢٨٦	السبب في بناء سليمان للصرح
٣٤١	كلام الرب لموسى وأمره بالقاء العصا وادباره خوفا منها	٢٨٨	أقوال العلماء في خبر سليمان مع الهدد ومع بلقيس
٣٤٢	اتيان موسى لفرعون بالآيات وتكذيبه بها	٢٨٩	الاسرائيليات في خبر سليمان مع بلقيس
		٢٩١	رهب ثمود الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
		٢٩٣	تقاسم رهب ثمود على التبيت لصالح وأهله
		٢٩٤	إنبات الله بماء السماء حدائق ذات بهجة
		٢٩٦	اقرار الكفار بأن الله خلقهم وخلق السموات والارض

٣٤٤	انزال التوراة على موسى بصائر للناس وهدى	صفحة
٤٠١	ورحة	٤٠١
٣٤٥	كون النبي (ص) لم يشهد امر موسى وانما	٤٠٣
أوحى اليه	٤٠٥	٤٠٥
٣	قطع حجة الكافرين بارسال الرسل اليهم	٤٠
٣٥١	تضعيف جزاء المؤمنين بالنبي من أهل الكتاب	٤١٠
٣٥٣	كون النبي لا يهدي من أحب وان الله يهدي	٤١٠
من يشاء	٤٢	٤١٠
٣٥	اهلاك الله للكفار وعموم بعثة النبي (ص)	٤١٣
٣٥٥	حال الكفار وهوانهم واستكانتهم يوم القيامة	٤٢١
٣٥	قدرة الله على كل شيء واختياره ما يشاء	٤٢١
٣٦١	نبأ قارون الاسرائيلي وكنوزه الكثيرة	٤٢٣
٣٦٣	طغيان قارون وعدم قيامه بشكر الله على نعمه	٤٢٥
٣٦٥	إهلاك الله قارون وإبادة كنوزه وأمواله	٤٢
٣٦٩	نعم الدار الآخرة للذين لا يريدون علواً في	٤٢٩
الارض ولا فساداً	٤٢٩	٤٢٩
٣٧١	أقوال العلماء في معنى (لرادك إلى معاد)	٤٣١
٣٧٣	فناء كل شيء وبقاء وجه الله تعالى	٤٣٣
٣٧٤	تفسير سورة العنكبوت	٤٣٧
٣٧٥	تحقيق رجاء من يرجو ثواب الله ورحمته	٤٣٧
٣٧٧	التهني عن طاعة الوالدين في معصية الله تعالى	٤٣٨
٣٩	من سن سنة سيئة فعلية أثمها وأثم من عمل بها	٤٣٩
٣١	إنجاء نوح ومن معه من الطوفان	٤٤١
٣٣	الدليل على المعاد والبعث الذي ينكره الكافرون	٤٤٣
٣٥	فضل الهجرة إلى الله والجهاد في سبيله	٤٤٥
٣٩	إنكار لوط على قومه إتيان الفاحشة وقطع	٤٤٧
الطريق وإتيان المنكر	٤٤٧	٤٤٧
٣٩١	إهلاك قوم لوط برجز من السماء	٤٤٩
٣٩٣	الله للام المكذبة بسبب كفرهم	٤٤٩
٣٩٥	كون الصلاة الإسلامية تنهى عن الفحشاء والمنكر	٤٥٠
٣٩٩	مجادلة أهل الكتاب في شأن الدين بآتي هي أحسن	٤٥١
٣٩٩	وجوب الايمان بما أنزل على أهل الكتاب	٤٥١

٥٠٠	رد أنساب الادعياء الى آبائهم أقسط عند الله	٤٥٣	صحيحة خلق السموات بغير عمد والقاء الرواسي في الارض
٥٠٢	رفع الجناح عن الخطأ الواقع من هذه الامة	٤٥٥	خبر لقمان وحكمته وقول العلماء في نسبه ونبوه
٥٠٤	كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين	٤٥٧	وصية لقمان لابنه ويان أن الشرك بالله ظلم عظيم
٥٠٥	اتوارث بالقراية لا بالخلف ولا بالهجرة	٤٥٩	وصايا لقمان لابنه وما فيها من الحكمة والخير العميم
٥٠٧	نعمة الله على المؤمنين ونصرهم على الكفار	٤٦٢	الحمول وانتواضع وما ورد فيها عن السلف
عام الخندق		٤٦٥	الاحاديث والاثر في حسن الخلق
٥٠٨	تألب الاحزاب على المسلمين. حديث ابن اسحاق	٤٦٧	نعم الله على عباده الظاهرة والباطنة
٥١٠	انهزام المشركين يوم الاحزاب بريح الصبا	٤٦٩	كون كلمات الله لا تنفذ أبداً
٥١١	حديث ابن اسحاق في وقعة الخندق	٤٧١	آية الله في طول الليل والنهار وقصرهما وتسخير
٥١٦	أحاديث أصحاب السنن في وقعة الخندق	الشمس والقمر	
٥٢١	ذم المنافقين على حبهم للفنسة وخيانتهم الله تعالى	٤٧٣	مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها
٥٢٢	كون الفرار من الحرب لا ينجي من الموت	٤٧٤	الاحاديث الواردة في الخمس التي استأثر الله بعلمها
أو القتل			
٥٢٣	تمويق المنافقين للمؤمنين عن الجهاد		
٥٢٥	الثناء على المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا		
الله عليه			
٥٢٩	اجلاء الاحزاب عن المدينة وردهم بغيظهم	٤٧٩	﴿تفسير سورة السجدة﴾ خلق الله السموات والارض في ستة أيام
لم ينالوا خيراً		٤٨١	استبعاد الكافرين للمعاد وكفرهم ببقاء ربهم
٥٣٠	ذهاب النبي (ص) الى بني قريظة وحصاره لهم	٤٨٣	ما وورد عن الاحاديث في قبض ملك الموت
٥٣٢	تحكيم سعد بن معاذ (رض) في بني قريظة	٤٨٤	لأرواح العباد
٥٣٤	انزال بني قريظة من حياصهم وقتل الرجال		
وسبى النساء			
٥٣٦	تقسيم أموال بني قريظة على المسلمين	٤٨٧	جزاء الله للمؤمنين القوامين لا يعلمه غيره
٥٣٤	تخيير نساء النبي بين الحياة الدنيا وبين الله ورسوله	٤٨٩	جزاء أهل الجنة وما أخفى لهم من قرة عين
٥٤٠	الاحاديث الواردة في تخيير النبي ﷺ	٤٩١	عقاب الفاسقين بالعذاب الادنى سوى العذاب الأكبر
لازواجه (رض)			
٥٤٣	تخصيص نساء النبي (ص) بمضاعفة العذاب	٤٩٣	جعل الائمة من بني اسرائيل بسبب صبرهم
على الذنب			
٥٤٥	نهى نساء النبي (ص) عن التبرج وأقوال	٤٩٥	الآثار الواردة في نيل مصر وجريانه كل سنة بأمر الله تعالى
العلماء فيه			
٥٤٧	الاحاديث الواردة في أهل البيت المطهرين	٤٩٧	﴿تفسير سورة الاحزاب﴾
من الرجس		٤٩٨	كون الرجل الواحد لا يكون له قلبان في جوفه

صفحة	الموضوع
٥٨٩	السبب في زول آية الحجاب
٥٩١	ذكر نساء النبي (ص) لما يتلى في يومهن من
٥٩٣	آيات الله والحكمة
٥٩٤	فضيلة الصدق والصبر والصدقة والصوم
٥٩٦	الرضا بقضاء الله والتحذير من مخالفة أمره
٥٩٩	فضل زيد بن حارثة وزواجه زينب بنت جحش
٥٩١	خطبة النبي (ص) زينب بنت جحش وزواجه بها
٥٩٣	ثناء الله تعالى على رسله الذين يبلغون
٥٩٨	رسائله ويخشونه
٥٩٥	الاحاديث الواردة في أن النبي (ص)
٥٩٦	خاتم النبيين
٥٩٨	فضل ذكر الله تعالى وتسميته بكرة وأصيلا
٥٧٠	صلاة الله على المؤمنين واخراجهم من الظلمات
٥٧٣	الى النور
٥٧٥	المطلقة قبل الدخول بها لعدة عليها ولها المتعة
٥٨٠	ما أحل للنبي (ص) من النساء
٥٨٢	حكم هبة المرأة نفسها للنبي (ص)
٥٨٦	ارجاء النبي (ص) لبعض نسائه واياؤه لبعضهن
٥٨٧	تحريم النساء على النبي (ص) بعد أزواجه
٥٨٨	اللائي اخترهن
٥٨٩	آية الحجب وما فيها من الاحكام والآداب
٥٩٠	الشرعية
٥٩١	في ذلك
٥٩٢	خطر الامانة وكونها نزلت في جذر قلوب الرجال

(تم)



(تصحيح الخطأ المطبعي الواقع في الجزء السادس من تفسير ابن كثير والبغوي)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	٢٧	هـ	قال	٢٢٨		(١٣٥)	(١٢٥)
٣	٢٨	ووقا أبلغ	وهو أبلغ	٢٤٠		بشق	يشق
٤	١٢	بوق	بوق	٢٥٢	١٠	صفون	صفوان
٥	١٥	طالب	أبي طالب	٢٥٦	٢٠	أعطينهن	أعطينهن
٦	١٩	لأنعت	لأنعت	٢٥٨	١٥	وهجروا	وهجروا
٦	٢٣	لخشوع	لخشوع	٢٩٨	١	منبسك	منبسط
١٣	٧	لأنعد	لأنعد	٣٤٣		فأرقد	فأوقد
١٧	٢	لمبتلين	لمبتلين	»	١١	لا في	إلا في
»	١٩	زوج	زوجين	٣٥٢	١٨	هدي	هدي
١٨	٢٢	مخرجون	أنكم مخرجون	٣٥٧	٨	كنتم	ما كنتم
٢٤	٩	إنما	إنما	٣٦٦	٣	دين	بردين
٢٥	١٠	يؤنون	يؤنون	٣٦٧	٢٦	يا موسى أرض	يا موسى أرض
٣٦	١٢	لنساءهن	لنساءهن	٣٧٧	٢٠	يطعها	يطعها
٣٧	٢٤	أمي ما	أي ما	٣٨٣		من من	من
٤٠	١٤	لجؤلاء	لهؤلاء	٤٠٩	١٣	وما لك	وما ملك
٤٣	١	قوم	قوما	٤١٤	١٤	لأرض	الأرض
٤٥	٧	فأخذهم	فأخذهم	٤٦٦	٢١	أذقنا	أذقنا الناس
»	١٢	الفائزين	الفائزون	٤٤٠	٢١	يأتي	يأتي
٤٥	٧	يأتل	يأتل	٤٤٤	١٤	يشام	يشاه
٩٢	٢٥	زكي	أزكي	٤٥٠	١٦	وهي وثلاثون	وهي أربع وثلاثون
٩٨	٢٠	زبنهن	زبنهن	٤٥٥	٢٥	قالباحري	فالباحري
١٥٠	١٥	عليكم أن	عليكم جناح أن	٤٦٦	٢٢	لأرض	الأرض
١٦٧	٤	ولياؤكم	أولياؤكم	٤٩١	٢٤	إليه	إليها
١٨١	٢٥	سبانا	سبانا	٤٩١	٢٦	عذاب النار	عذاب النار
١٨٧	٢٤	لا	إلا	٤٩٤	١	لامامه	الأمامة
١٩٢	١	حضر وعذابه	وحضر عذابه	٤٩٥	٦	فأضينا الزيادة	الزيادة فأرضينا
٢٠٩	١٣	وقال	وقالوا	٤٩٩	٢	أبناءكم	أبناءكم
٢١١	٢٤	تسمعون	تسمعون	٥٠١	٧	خرجه	خروجه
٢١٤	١٧	أنا	لناربنا	٥١٦	١٥	نعتيكم	نعتيكم
٢١٥	٥	»	»	٥١٦	١٦	يلتمسون	فلتمسون
٢٢١	٤	واشهد أني بريء	واشهدوا أني بريء	٥٣٦	٦	كحلته	إكحلته

الجزء الثاني من

297.207

I34A
v.6
C.1

من تفسير الحافظ ابن كثير
وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفراء إسماعيل
ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البار ، فقيه متفهم
محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر
في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه
في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته
طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف
المصححة على نسخة المؤلف . وعلى نسخة مكتبة الجامع الازهر

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو
محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب « بحبي السنة » من مصنفاته شرح السنة والمصايح
والتفسير المسمى معالم التنزيل . . . كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً
بين العلم والعمل ، سالكاً سبيل السلف

طبع بامر وفقه صاحب الجلالة السعودية ومحبي السنة الحمديّة

الإمام عبد العزيز بن آل سعود
بملك النجيد تبارك وتعالى

38737

الطبعة الاولى في مطبعة المزار بمصر في سنة ١٣٤٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المجلد السادس من تفسير الحافظ ابن كثير)

﴿ تفسير سورة المؤمنون مكية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون (١) الذين هم في صلاتهم خاشعون (٢) والذين هم عن اللغو معرضون (٣) والذين هم للزكوة فاءلون (٤) والذين هم لفروجهم حافظون (٥) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين (٦) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٧) والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) أولئك هم الوارثون (١٠) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (١١)

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني يونس بن سليم قال ألى على يونس بن يزيد الأيلي عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المجلد السادس من تفسير ناصر السنة البغوي)

﴿ تفسير سورة المؤمنون ﴾

مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا ابو حامد احمد بن عبد السلام الصالحى أنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن احمد

ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب يقول كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمم عند وجهه كدوي النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا - ثم قال - لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة » ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر ، ورواه الترمذي في تفسيره والنسائي في الصلاة من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذي منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه ، وقال النسائي في تفسيره أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا جعفر عن أبي عمران عن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعائشة أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : كان خلق رسول الله ﷺ القرآن فقرأت (قد أفلح المؤمنون - حتى انتهت الى - والذين هم على صلواتهم يحافظون) قالت هكذا كان خلق رسول الله ﷺ وقد روي عن كعب الاحبار ومجاهد وأبي العالية وغيرهم لما خلق الله جنة عدن وغرسها بيده نظر اليها وقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) قال كعب الاحبار لما أعد لهم من الكرامة فيها وقال أبو العالية فأنزل الله ذلك في كتابه ، وقد روي ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً فقال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المنثني حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوكة . ثم قال وحدثنا بشر بن آدم وحدثنا يونس بن عبيد الله العمري حدثنا عدي بن الفضل حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك - قال البزار ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث - حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك فقال لها تكلمي فقالت (قد أفلح المؤمنون) فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوكة » ثم قال البزار لا نعلم أحداً رفعه الا عدي بن

الطوسي أنا محمد بن حماد أنا عبد الرزاق أنا يونس بن سليمان^(١) قال أمدلى علي يونس صاحب ايلة عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة ، وفي رواية فبزل عليه يوماً فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال « اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا - ثم قال - لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة » ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) إلى عشر آيات ورواه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وجماعة عن عبد الرزاق وقالوا واعطنا ولا تحرمنا وارضنا وارض عنا قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) قد حرف تأكيد ، هزل المحققون قد يقرب الماضي من الحال يدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال وكذا بلغ من تجريد ذكر الفعل ، والفلاح

(١) في ابن كثير

أنه ابن سليم كما ترى

في أعلى الصفحة

الفضل وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم الموت ، وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن علي حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لما تكلمي فقالت [قد أفلح المؤمنون] بقية عن الحجاز بن ضعيف

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا حماد بن عيسى العباسي عن إسماعيل السدي عن أبي صالح عن ابن عباس يرفعه « لما خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال (قد أفلح المؤمنون) قال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد الكلابي حدثنا يعقوب بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت (قد أفلح المؤمنون) فقال الله وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل » ثم تلا رسول الله ﷺ (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) أي قد فازوا وسعدوا وحصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (خاشعون) خائفون ساكنون، وكذا روي عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري. وعن علي بن طالب رضي الله عنه الخشوع خشوع القلب وكذا قال إبراهيم النخعي ، وقال الحسن البصري كان خشوعهم في قلوبهم ففضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح ، وقال محمد بن سيرين كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم ، قال محمد بن سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز

النجاة والبقاء . قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة (الذين هم في صلاتهم خاشعون) اختلفوا في معنى الخشوع فقال ابن عباس مخبتون أذلاء ، قال الحسن وقتادة خائفون وقال مقاتل متواضعون ، وقال مجاهد هو غض البصر وخفض الصوت والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت . قال الله عز وجل (وخشعت الاصوات للرحمن) وعن علي رضي الله عنه هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، وقال سعيد بن جبير هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثنا مسدد أنا أبو الاحوص أنا أشعث بن سليم عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا أبو علي

بصره مصلاه فان كان قد اعتاد النظر فليغمض . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضاً مراسلاً ان رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الآية ، والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الامام أحمد والنسائي عن أنس عن رسول الله ﷺ انه قال «حبب إلي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سهر عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم أن رسول الله ﷺ قال يا بلال «أرحنا بالصلاة» وقال الامام أحمد أيضاً ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا امرئيل عن عمار بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد أن محمد بن الحنفية قال دخلت مع أبي علي صهر لنا من الانصار فحضرت الصلاة فقال يا جارية ائتني بوضوء لعلي أصلي فأستريح ، فرأنا أنكرنا عليه ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة» وقوله (والذين هم عن اللغو معرضون) أي عن الباطل وهو يشتمل الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون ومالا فائدة فيه من الاقوال والافعال كما قال تعالى (واذا مروا باللغو مروا كراما) قال قتادة : أنام والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك . وقوله (والذين هم للزكاة فاعلون) الا كثرون على ان المراد بالزكاة ههنا زكاة الاموال مع ان هذه الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصاب والمقادير الخاصة وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة قال تعالى في سورة الانعام وهي مكية (وآتوا حقه يوم حصاده) وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وكقوله (وويل للمشركين الذين لا يؤنون الزكاة) على أحد القولين في تفسيرهما وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً وهو زكاة النفوس وزكاة الاموال فإنه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا والله أعلم .

زاهر بن أحمد أنا ابو الحسن القائم بن بكر الطياوسي ببغداد أنا ابو أمية محمد بن ابراهيم الطرسومي أنا عبد الغفار بن عبيد الله أنا صالح بن أبي الاخضر عن الزهري عن أبي الاحوص عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال «لا يزال الله مقبلاً على العبد وهو في صلته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه» وقال عمرو بن دينار هو السكون وحسن الهيئة ، وقال ابن سيرين وغيره هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك ، وقال ابو هريرة كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل (الذين هم في صلاتهم خاشعون) رموا بأبصارهم إلى مواضع السجود . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا يحيى بن سعيد أنا ابن أبي عروبة أنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال قال النبي ﷺ «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم» فاشتد قوله حتى قال - لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم » وقال عطاء هو أن

وقوله (والذين هم لفروجهم حافظون) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيانهم فانهم غير ملومين*
 فن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما
 نهام الله عنه من زنا ولواط، لا يقربون ذوي أزواجهم التي أحلها الله لهم أو ما ملكت أيانهم من
 السراري ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال (فانهم غير ملومين، فن ابتغى
 وراء ذلك) أي غير الأزواج والاماء (فأولئك هم العادون) أي المعتدون. وقال ابن جرير حدثنا
 محمد بن بشار حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد عن قتادة ان امرأة اتخذت مملوكها وقالت تأولت آية
 من كتاب الله (أو ما ملكت أيانهم) فأني بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له ناس من أصحاب
 النبي ﷺ تأولت آية من كتاب الله عز وجل على غير وجهها قال فضرب العبد وجز رأسه وقال
 أنت بعده حرام على كل مسلم. هذا أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير في تفسير أول سورة المائدة
 وهو ههنا أليق، وأما حرمةا على الرجال، عاملة لما ينقيض قصدها والله أعلم. وقد استدلل الامام
 الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة (والذين هم لفروجهم حافظون
 إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيانهم) قال فهذا الصنيع خارج عن «ذين القسمين» وقد قال الله تعالى
 (فن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد استأنسوا بحديث رواه الامام الحسن بن عرفة في
 جزئه المشهور حيث قال: حدثني علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن
 أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال «سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا يجمعهم مع
 العاملين ويدخلهم النار أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح بده، والفاعل
 والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلغوه، والناكح
 حليلة جاره» هذا حديث غريب واسناده فيه من لا يعرف لجهاته والله أعلم.

لأنعت بشيء من جسدك في الصلاة وروي أن النبي ﷺ أبصر رجلا يعيث ببلحيته في الصلاة فقال
 «لوخشم قلب هذا خشعت جوارحه» أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس
 المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا سعيد عن عبد الرحمن المخزومي أنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي
 الاحوص عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجبه»
 وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع الهمة والاعراض عما سواها والتدبر فيما يجري على لسانه من القراءة والذكر
 قوله تعالى ﴿والذين هم عن الغلو معرضون﴾ قال عطاء عن ابن عباس عن الشريك وقال الحسن
 عن المعاصي وقال الزجاج عن كل باطل ولهو ومالا يحمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار
 بالشتم والسب قال الله تعالى (واذا مروا بالغلو مروا كراما) أي إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا
 انفسهم عن الدخول فيه ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ أي للزكاة الواجبة مؤدون فعبير عن التأدية بالفعل
 لأنها فعل وقيل الزكاة ههنا هو العمل الصالح أي والذين هم للعمل الصالح فاعلون ﴿والذين هم لفروجهم

وقوله (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) أي اذا اؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ «آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا اؤتمن خان» وقوله (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أي يواظبون عليها في مواقيتها كما قال ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال «الصلاة على وقتها» قلت ثم أي؟ قال «بر الوالدین» قلت ثم أي؟ قال «الجهاد في سبيل الله» أخرجه في الصحيحين، وفي مستدرك الحاكم قال «الصلاة في أول وقتها» وقال ابن مسعود ومسروق في قوله (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يعني مواقيت الصلاة، وكذا قال أبو الضحى وعلقمة بن قيس وسعيد بن جبیر وعكرمة، وقال قتادة على مواقيتها وركوعها وسجودها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلوة فدل على أفضليتها كما قال رسول الله ﷺ «استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة»، ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن» ولما وصفهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والافعال الرشيدة قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «اذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي

حافظون ﴿الفرج اسم يجمع سواة الرجل والمرأة وحفظ الفرج التعفف عن الحرام﴾ (إلا على أزواجهم) أي من أزواجهم على بمعنى من ﴿أو مملكت إيمانهم﴾ ما في محل الخفض يعني أو مما ملكت إيمانهم والآية في الرجال خاصة بدليل قوله (أو مملكت إيمانهم) والمرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها ﴿فانهم غير ملومين﴾ يعني بحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته فانه لا يلام على ذلك وإنما لا يلام فيهما اذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الاثبات في غير المأثني وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور وهو على فعله ملوم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ أي التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة ﴿فأولئك هم العادون﴾ الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام وفيه دليل على أن الاستمنا باليد حرام وهو قول أكثر العلماء قال ابن جريج سألت عطاء عنه فقال مكروه سمعت أن قوماً يحشرون وايدبيهم حبالي فأظن انهم هؤلاء وعن سعيد بن جبیر قال: عذب الله أمة كانوا يعشون بمذاكيرهم ﴿والذين هم لاماناتهم﴾ قرأ ابن كثير لاماتهم على التوحيد ههنا وفي سورة المعارج كقوله تعالى (وعهدهم) والباقون بالجمع كقوله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (وعهدهم راعون) حافظون أي يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدها الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلوة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامنكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله » فذلك قوله (أولئك هم الوارثون) وقال ابن جريج عن الألبان عن مجاهد (أولئك هم الوارثون) قال مامن عبد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فأما المؤمن فيبنى بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار ، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ويبني بيته الذي في النار . وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك فالؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة وترك أولئك ما أمروا به مما خلفوا له أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل بل أبلغ من هذا أيضاً وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يحيى ناس يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » وفي لفظ له قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقال هذا فكاكك من النار فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ بذلك قال فخلف له ، قلت وهذه الآية كقولها تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) وكذا قوله (وتلك الجنة التي أورشعوها بما كنتم تعملون) وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة بالرومية هي الفردوس ، وقال بعض السلف لا يسمى البستان الفردوس إلا إذا كان فيه غناب قاله أعلم

وتكون من العبيد كالودائع والصنائع فعلى العبد الوفاء بجميعها (والذين هم على صلواتهم) قرأ حمزة والكسائي صلواتهم على التوحيد والآخرون صلواتهم على الجمع (يحافظون) أي يداومون على حفظها ويراعون أوقاتها كذكر الصلاة ليبين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الحشوع فيها واجب (أولئك) أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يرثون منازل أهل النار من الجنة . وروي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مامنكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله » وذلك قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبنى منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي في النار وقال بعضهم معنى الورثة هو أنه يؤل امرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤل امر الميراث إلى الوارث قوله تعالى (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف (هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون وجاء في الحديث « إن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ، ثم قال وعزني لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث »

ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين (١٢) ثم جعلناه نطفه في قرار مكين (١٣) ثم خلقنا

النطفه نطفه خلقنا العلقه مضغه خلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك

الله أحسن الخالقين (١٤) ثم إنكم بعد ذلك لميتون (١٥) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون (١٦)

يقول تعالى مخبراً عن ابتداء خلق الانسان من سلاله من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون وقال الاعشى عن المنهال بن عمرو عن أبي يحيى عن ابن عباس (من سلاله من طين) قال من صفوة الماء ، وقال مجاهد من سلاله أي من بني آدم ، وقال ابن جرير إنما سمي آدم طيناً لأنه مخلوق منه ، وقال قتادة استل آدم من الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب إلى السياق فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنقشرون)

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عوف حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك » وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الاعرابي به نحوه وقال الترمذي حسن صحيح (ثم جعلناه نطفه) هذا الضمير عائد على جنس الانسان كما قال في الآية الاخرى (وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين) أي ضعيف كما قال [ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين] يعني الرحم معد لذلك مهياً له (إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون) أي مدة معلومة وأجل معين حتى استحكم ونقل من حال إلى حال وصفة إلى صفة ولهذا قال ههنا (ثم خلقنا النطفه علقه) أي ثم صيرنا النطفه وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى التندوة فصارت علقه حمراء على شكل العلقه مستطيلة قال عكرمة وهي دم (خلقنا

وقوله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الانسان ﴾ يعني ولد آدم والانسان اسم الجنس يقع على الواحد والجمع ﴿ من سلاله ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال السلاله صفو الماء ، وقال مجاهد مني بني آدم وقال عكرمة هو ماء يسيل من الظهر والعرب تسمى النطفه سلاله والولد سليلاً و سلاله لأنهما مسلولان منه قوله ﴿ من طين ﴾ يعني طين آدم وال سلاله تولدت من طين خلق آدم منه قال السكلي من نطفه سات من طين والطين آدم عليه السلام وقيل المراد من الانسان هو آدم وقوله (من سلاله) أي سل من كل تربة ﴿ ثم جعلناه نطفه ﴾ يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفه ﴿ في قرار مكين ﴾ حرير وهو الرحم

العلاقة مضغة) وهي قطعة كالبضعة من اللحم لاشكل فيها ولا تخطيط (فخلقنا المضغة عظما) يعني شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبتها وعروقها ، وقرأ الآخرون (فخلقنا المضغة عظما) قال ابن عباس وهو عظم الصلب

وفي الصحيح من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل جسد ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » (فكسونا العظام لحما) أي جعلنا على ذلك ما يستمره ويشده ويقويه (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وأدراك وحركة واضطراب (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا النضر يعني ابن كثير مولى بني هاشم حدثنا زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إذا أتت على النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكا فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث فذلك قوله [ثم أنشأناه خلقا آخر] يعني نفخنا فيه الروح ، وروي عن أبي سعيد الخدري أنه نفخ الروح قال ابن عباس [ثم أنشأناه خلقا آخر] يعني فنفخنا فيه الروح ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير

وقال العوفي عن ابن عباس (ثم أنشأناه خلقا آخر) يعني نقله من حال إلى حال إلى أن خرج طفلا ثم نشأ صغيرا ثم احتلم ثم صار شابا ثم كمل ثم شيخا ثم هرما . وعن قتادة والضحاك نحوه ذلك ، ولا منافاة فانه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع في هذه التنقلات والأحوال والله أعلم

قال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله - هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « ان أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ^(١) ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي أو سعيد . فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها . وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها » أخرجاه من حديث سليمان بن مهران الأعمش

(١) زاد في بعض الروايات « نطفة »

مكن وهي . لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها (ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما) قرأ ابن عامر وأبو بكر عظاما (فكسونا العظام) بسكون الظاء . على التوحيد فيهما وقرأ الآخرون بالجمع لان الانسان ذو عظام كثيرة وقيل بين كل خلتين أربعون عاما فكسونا العظام لحما أي البسنا (ثم أنشأناه خلقا آخر) اختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية هو نفخ الروح فيه وقال قتادة نبات الاسنان والشعر وروى ابن جرير عن مجاهد أنه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي خيثمة قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - ان النطفة اذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتمكث أربعين يوما ثم تنحدر في الرحم فتكون علقة . وقال الامام أحمد أيضا حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو كدبنة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال : مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودي ان هذا يزعم انه نبي فقال لا سألناه عن شيء . لا يعلمه الا نبي قال فجاءه حتى جلس فقال يا محمد مم يخلق الانسان ؟ فقال « يا يهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غايضة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم » فقال هكذا كان يقول من قبلك .

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا شقي أو سعيد أذكر أم أنثى فيقول الله فيكتبان ويكتب علما وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد على ما فيها ولا ينقص » وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به نحوه ، ومن طريق أخرى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد عن أبي شريح الغفاري بنحوه والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حماد بن زيد حدثنا عبيد الله بن أبي بكر عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله وكل بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد فما الرزق والاجل قال فذلك يكتب في بطن أمه » أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به

وقوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) يعني حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الانسان السوي الكامل الخلق قال (فتبارك الله أحسن الخالقين) قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن أنس قال قال عمر يعني ابن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في أربع نزلات هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين) الآية قلت أنا فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شيبان عن جابر

استواء الشباب وعن الحسن قال ذكر أ أو أنثى وررى العوفي عن ابن عباس أن ذلك تصرف احواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارضاع إلى القعود إلى اتيام إلى المشي إلى الفطام إلى أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها (فتبارك الله) أي استحق التعظيم والثناء بانه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) المصورين والمقدرين والخالق في اللغة التقدير ، وقال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانين يقال رجل خالق أي صانع ، وقال ابن جريج إنما جمع الخالقين لان

الجعفي عن عامر الشعبي عن زيد بن ثابت الانصاري قال أُمي علي رسول الله ﷺ هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين — الى قوله — خلقتا آخر) فقال معاذ (فتبارك الله أحسن الخالقين) فضحك رسول الله ﷺ فقال له معاذ مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال « بها ختمت فتبارك الله أحسن الخالقين » وفي إسناد جابر بن زيد الجعفي ضعيف جداً وفي خبره هذا نكارة شديدة وذلك ان هذه السورة مكية وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة وكذلك اسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضاً فالله أعلم

وقوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون) يعني بعد هذه النشأة الاولى من العدم تصيرون إلى الموت (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) يعني النشأة الآخرة ثم الله ينشيء النشأة الآخرة يوم المعاد ، وقيام الارواح إلى الاجساد ، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله إن خير أخير وإن شر أفسر

ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (١٧)

لما ذكر تعالى خلق الانسان عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثيراً ما يذكر تعالى خلق السموات والارض مع خلق الانسان كما قال تعالى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وهكذا في أول الم السجدة التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بها صبيحة الجمعة في أولها خلق السموات والارض ثم بيان خلق الانسان من سلاله من طين وفيها أمر المعاد والجزاء وغير ذلك من المقاصد . وقوله (سبع طرائق) قال مجاهد يعني السموات السبع وهذه كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن — ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً — الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) وهكذا قال ههنا (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) أي ويعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أيما كنتم والله بما تعملون بصير ، وهو سبحانه لا يحبب عنه سماء سماء ولا أرض أرضاً ، ولا جبل إلا يعلم ما في وعده ،

عيسى كان يخلق كما قال إني أخلق لكم من الطين فأكبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين ﴿ ثم انكم بعد ذلك لميتون ﴾ والميت بالتشديد والمائت الذي لم يمّت بعد وسموت والميت بالتخفيف من مات ولذلك لم يجرّ التخفيف هنا كقوله (إنك ميت وانهم ميتون) ﴿ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق أي سبع سموات سميت طرائق لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض يقال طارقت النعل إذا جعلت بعضه فوق بعض وقبل سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة ﴿ وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بأذنه وقيل ما تر كناهم سدى بغير أمر ونهي وقيل (وما كنا عن الخلق

ولا بحر الا يعلم ما في قعره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال والبحار والقفار والاشجار (وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)

وأنزّلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّنه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون (١٨)

فأنشأنا لكم به جنّات من نخيل وأعنب لكم فيها أفواكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩) وشجرة

تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (٢٠) وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما

في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون (٢٢)

يذكر تعالى نعمه على عبده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القطر من السماء بقدر أي بحسب الحاجة لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران ولا قليلاً فلا يكفي الزرع والثمار بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيراً لزرعها ولا تحمل دمنها أنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر ويقال لها الأرض الجرز يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء يحمل طينا أحمر فيسقي أرض مصر وقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لأن أرضهم سبخا يقاب عليها الرمال فسيبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور ، وقوله (فأسكنّنه في الأرض) أي جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا في الأرض قابلية له وتثمر به ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى

وقوله (وإنا على ذهاب به لقادرون) أي لو شئنا أن لا نمطر لفعلنا ولو شئنا أذى لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري والقفار لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاجاً لا ينتفع به اشرب ولا اسقي لفعلنا ،

غافلين (أي بنينا فوقهم سما ، أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب) وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴿ يعلمه الله ﴾ قال مقاتل بقدر ما يكفيهم للعيشة ﴿ فأسكنّنه في الأرض ﴾ يريد ما بقي في القدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل [فأسكنّنه في الأرض] ثم أخرجنا منها ينابيع فماء الأرض كله من السماء . ﴿ وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ حتى تهلكوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم وفي الخبر : إن الله عز وجل أنزل أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان ودجلة والفرات وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار جيحون وسيحون ودجلة والفرات والنيل » أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الله الجبال وأجرها في الأرض

ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الارض بل ينجر على وجهها لعلنا ، ولو شئنا لجعلناه اذا نزل فيها يغور الى مدى لا يصلون اليه ولا تنتفعون به لعلنا ولكن باطنه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبا فراتا زلالا فيسكنه في الارض ويسلكه ينابيع في الارض فيفتح العيون والأنهار ويسقي به الزروع والثمار وتثربون منه ودوابكم وأنعامكم وتغسلون منه وتطهرون منه وتنظفون فله الحمد والمنة . وقوله (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب) يعني فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء جنات أي بساتين وحدائق (ذات بهجة) أي ذات منظر حسن . وقوله (من نخيل وأعناب) أي فيها نخيل وأعناب وهذا ما كان يأف أهل الحجاز ولا فرق بين الشيء وبين نظيره وكذلك في حق كل أهل اقليم عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره . وقوله (لكم فيها فواكه كثيرة) أي من جميع الثمار كما قال (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) وقوله (ومنها تأكلون) كأنه معطوف على شيء مقدر تقديره تنظرون الى حسنه ونضجه ومنه تأكلون . وقوله (وشجرة تخرج من طور سيناء) يعني الزيتون والطور هو الجبل وقال بعضهم انما يسمى طوراً اذا كان فيه شجر فان عربي عنها سمى جبلاً لا طوراً والله أعلم . وطور سيناء هو طور سينين وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون . وقوله

وجعل فيها منافم للناس فذلك قوله عز وجل (وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الارض) فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى (وإنا على ذهاب به نقادرون) فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث الامام الحسين بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد ابن سابق الاسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان

قوله تعالى (فأنشأنا لكم به) يعني بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) شتاء وصيفا وخص النخيل والأعناب بالذكر لانها أكثر فواكه العرب (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة (تخرج من طور سيناء) وهي الزيتون قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسيناء بكسر السين وقرأ الآخرون بفتحها واختلفوا في معناه وفي سينين في قوله تعالى (وطور سينين) قال مجاهد معناه البركة أي من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن أي من الجبل الحسن وقال الضحاك هو بالنبطية ومعناه الحسن وقال عكرمة هو بالحبيشية وقال السكبي معناه الشجر أي جبل ذو شجر وقيل هو بالسريانية الملتفة بالاشجار وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سيناء وسينين بلغة النبط وقيل هو فيعال من السناء وهو الارتفاع قال ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر وإيلة وقال مجاهد سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقال عكرمة هو اسم

(تنبت بالدهن) قال بعضهم الباء زائدة كما في قول العرب ألقى فلان بيده أي يده وأما على قول من يضمن الفعل فتقديره تخرج بالدهن أو تأني بالدهن ولهذا قال (وصبغ) أي أدم قاله قتادة (اللاكلين) أي فيها ما ينفع به من الدهن والاصطباغ كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن عيسى عن عطاء الشامي عن أبي أسيد واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الانصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وقال عبد بن حميد في مسنده وتفسيره حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رسول الله ﷺ قال «اندموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق . قال الترمذي ولا يعرف الا من حديثه وكان يضطرب فيه فرما ذكر فيه عمر وربما لم يذكره . قال أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة حدثني الصعب ابن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال ضفت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة عاشوراء فاطعمني من رأس بعير بارد وأطعمنا زيتنا وقال هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه ﷺ وقوله (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها على الفلك تحملون) يذكر تعالى ما جعل الخلق في الانعام من المنافع وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم ويأكلون من حملها ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها وبركبتين ظهورها ويحملونها الاحمال الثقال الى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى (وتحمل أنفالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق النفس ان ربكم لرؤوف رحيم) وقال تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذلقناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون)

الماكن الذي فيه هذا الجبل ﴿ تنبت بالدهن ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب تنبت بضم التاء وكسر الباء وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون وقيل تنبت ومعها الدهن ومن قرأ بضم التاء اختلفوا فيه فهم من قال الباء زائدة معناه تنبت الدهن كما يقال أخذت ثوبه وأخذت بثوبه ومنهم من قال نبت وأثبت لغتان بمعنى واحد كما قال زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل

أي نبت ﴿ وصبغ اللاكلين ﴾ الصبغ والصباغ الادام الذي يلون الخبز اذا غمس فيه وينصبغ والادام كل ما يؤكل مع الخبز سواء ينصبغ به الخبز أو لا يصبغ قال مقاتل جعل الله في هذه الشجرة أدما ودهنا فالادم الزيتون والدهن الزيت وقال خص الطور بالزيتون لان أول الزيتون نبت بها وبقال لان الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وان لكم في الانعام لعبرة ﴾ يعني آية تعتبرون بها ﴿ نسقيكم ﴾ قرأ العامة بالنون وقرأ ابو جعفر ههنا بالتاء وشعها ﴿ مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون؟ (٢٣)
فقال الملو الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء
الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين (٢٤) أن هو إلا رجل به جنة فتربصوا
به حتى حين (٢٥)

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه إلى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد وانتقامه
من أشرك به وخالف أمره وكذب رسله (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) أي
ألا تخافون من الله في إثمكم به فقال الملو وهم السادة والا كابر منهم (ما هذا إلا بشر مثلكم)
(يريد أن يتفضل عليكم) يعنون يترفع عليكم ويتعظم بدعوى النبوة وهو بشر مثلكم فكيف أوحى
إليه دونكم (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) أي لو أراد أن يبعث نبيا لبعث ملكا من عنده ولم يكن
بشرا ما سمعنا بهذا أي ببعثة البشر في آياتنا الأولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم في الدهور
الماضية وقوله (أن هو إلا رجل به جنة) أي مجنون فيما يزعمه من أن الله أرسله إليكم واختصه من
بينكم بالوحي (فتربصوا به حتى حين) أي انتظروا به ريب المنون واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه

قال رب انصرني بما كذبون (٢٦) فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء
أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا
نحسب طابقي في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٢٧) فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل

وعلى الفلك تحملون (يعني على الأبل في البر وعلى الفلك في البحر) ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله وحدوه (ما لكم من إله غيره) معبود سواه (أفلا تتقون) أفلا تخافون
عقوبته إذا عبدتم غيره (فقال الملو الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل
عليكم) يعني يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعا وأنتم له تبع (ولو شاء الله) أن لا يبد
سواه (لأنزل ملائكة) يعني بأبلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) الذي بدعونا إليه نوح (في آياتنا
الأوليين) وقيل ما سمعنا بهذا أي بأرسال بشر رسولا (أن هو إلا رجل به جنة) يعني جنون
(فتربصوا به حتى حين) يعني إلى أن يموت فتستريحوا منه (قال رب انصرني بما كذبون) يعني
أعني بأهلكهم لتكذيبهم إياي (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار

الحمد لله الذي نَجَّنا من القوم الظَّالِمِينَ (٢٨) وقل رب أنزلي مُنزلاً مباركاً وأنت خير المنزِلين

(٢٩) ان في ذلك لآيَاتٍ وان كنا لمبتليين (٣٠)

يخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه ليستنصره على قومه كما قال تعالى مخبراً عنه في الآية الأخرى (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) وقال ههنا (رب انصرني بما كذبون) فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة وإحكامها وإتقانها وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين أي ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وأن يحمل فيها أهله (إلا من سبق عليه القول منهم) أي من سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله كابنه وزوجته والله أعلم . وقوله (ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مفرقون) أي عند معاينة انزال المطر العظيم لاتأخذك رافة بقومك وشفقة عليهم وطعم في تأخيرهم لعلمهم يؤمنون فاني قد قضيت أنهم مفرقون على ما هم عليه من الكفر والظلم والظلمان وقد تقدمت القصة مبسوطه في سورة هود بما يغني عن إعادة ذلك ههنا وقوله (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجاننا من القوم الظالمين) كما قال (وجعل لكم من الفلك والآنعام ما تركبون لنستويوا على ظهوره ثم تذكروا نعمه ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وقد امتثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهاءه وقال تعالى [وقل رب أنزلي منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين] وقوله [إن في ذلك لآيات] أي ان في هذا الصنيع وهو انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين لآيات أي لحجج ودلالات واضحة على صدق الانبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى وأنه تعالى فاعل لما بشاء قادر على كل شيء عليم بكل شيء . وقوله [وان كنا لمبتليين] أي لمتحبرين للعباد بارسال المرسلين

التنوير فاسلك فيها) أدخل فيها يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه (من كل زوج اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) يعني من سبق عليه الحكم بالهلاك (ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مفرقون فاذا استويت) اعتدات (أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجاننا من القوم الظالمين) يعني الكافرين (وقل رب أنزلي منزلاً مباركاً) قرأ أبو بكر عن عاصم منزلاً بفتح الميم وكسر الزاي أي يريد موضع النزول قبل هذا هو السفينة بعد الركوب وقيل هو الأرض بعد النزول ويحتمل أنه أراد في السفينة ويحتمل بعد الخروج ، وقرأ الباقر منزلاً بضم الميم وفتح الزاي أي أنزلاً مباركاً فالبركة في السفينة النجاة وفي النزول بعد الخروج كثرة النسل من أولاده الثلاثة (وأنت خير المنزلين) إن في ذلك) يعني الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة واهلاك أعداء الله (لآيات)

(الجزء السادس)

(٣)

(تفسير ابن كثير والبغوي)

ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين (٣١) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون؟ (٣٢) وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفاهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (٣٣) ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخسرون (٣٤) أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وظلماً أنكم مخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) إن هي الاحيانا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (٣٧) إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين (٣٨) قال رب انصرني بما كذبون (٣٩) قال عما قليل ليصبحن نادمين (٤٠) فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعداً للقوم الظالمين (٤١)

يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرناً آخرين قبل المراد بهم عاد فانهم كانوا مستخلفين بعدهم. وقيل المراد بهؤلاء مُود لقوله (فأخذتهم الصيحة بالحق) وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه وأبوا عن اتباعه لكونه بشراً مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بلقاء الله في القيامة وأنكروا المعاد الجماني وقالوا (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون) أي بعد بعد ذلك (إن هو

لدلالات على قدرته (وان كنا لمبتلين) يعني وقد كنا وقيل وما كنا الا مبتلين أي مختبرين أيام بارسال نوح ووعظه وتذكيره لتنظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم (ثم أنشأنا من بعدهم) من بعد اهلاكهم (قرناً آخرين * فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعني هودا وقومه وقيل صالحا وقومه والاول أظهر (أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أي المصير الى الآخرة (وأترفاهم) نعمناهم ووسعنا عليهم (في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) يعني مما تشربون منه (ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون) لمغبونون (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون) من قبوركم أحياء وأعاد أنكم لما طال الكلام ومعنى الكلام أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون . وكذلك هو في قراءة عبدالله نظيره في القرآن (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها) (هيهات هيهات لما توعدون) قال ابن عباس هي كلمة بعد

إلا رجل اقترى على الله كذبا (أي فبا جاءكم به من الرسالة والندارة والاخبار بالمعاد) وما نحن له بمؤمنين (قال رب انصرني بما كذبون) أي استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فأجاب دعاءه (قال عما قليل ليصبحن نادمين) أي بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به (فأخذتهم الصيحة بالحق) أي وكانوا يستمعون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظلم انه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي الباردة (تدمر كل شيء بأمز ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) وقوله (فجعلناهم غناء) أي صرعى هلكى كغناء السيل وهو الشيء الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه (فبعداً للقوم الظالمين) كقوله (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أي بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله ، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم

ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (٤٢) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٤٣)

ثم أرسلنا رسالنا تترى كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحداث فبعداً لقوم لا يؤمنون (٤٤)

يقول تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) أي أمما وخلائق (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) يعني بل يؤخذون على حسب ما قدر لهم تعالى في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم أمة

أي بعيد بعيد ما تواعدون قرأ أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء وقرأ نصر بن عاصم بالضم وكلها لغات صحيحة فمن نصب جعله مثل أين وكيف ومن رفع جعله مثل منذ وقط وحيث ومن كسر جعله مثل أمس وهؤلاء مووقف عليها أكثر القراء بالتاء ويروي عن الكسائي الوقف عليها بالهاء (إن هي) يعنون الدنيا (إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) قبل فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت وقبل يموت الالباء وبجيا الالباء وقبل يموت قوم وبجيا قوم (وما نحن بمبعوثين) بمششرين بعد الموت (إن هو) يعنون الرسول (إلا رجل اقترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرني بما كذبون * قل عما قليل) أي عن قليل وما صلة (ليصبحن) ليصيرن (ناديين على كفرهم وتكذيبهم) فأخذتهم الصيحة (يعني صيحة العذاب) بالحق (قيل أراد بالصيحة الهلاك وقيل صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم) فجعلناهم غناء (وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر معناه صيرناهم هلكى فيبسوا ويس الغناء من نبات الارض) فبعداً للقوم الظالمين * ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (يعني أقواما آخرين) ما تسبق من أمة أجلها (يعني ما تسبق أمة أجلها ومن صلة أي وقت هلاكها) وما يستأخرون (

يُعد أمة وقرنا بعد قرن وحيلا بعد جيل وخلقا بعد سلف (ثم أرسلنا رسلنا تترى) قال ابن عباس يعني يتبع بعضهم بعضا وهذا كقوله تعالى [ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة] وقوله [كلما جاء أمة رسولا كذبوه] يعني جمهورهم وأكثرهم كقوله تعالى [يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون] وقوله (فأتبعنا بعضهم بعضا) أي أهلكتناهم كقوله [وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح] وقوله (وجعلناهم أحاديث) أي أخباراً وأحاديث للناس كقوله (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق)

ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآيتنا وسلطان مبين (٤٥) إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين (٤٦) فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٤٧) فكذبوها فكانوا من المهلكين (٤٨) ولقد آتينا موسى الكتب لهم بهتدون (٤٩)

يخبر تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعها والانقياد لأمرها لكونها بشرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون وملئه وأغرقهم في يوم واحد أجمعين وأنزل على موسى الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه وأوامره ونواهيها

وما يتأخرون عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) يعني مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لأن بين كل نبيين زمانا طويلا وهي فعلى من المواترة قال الاصمعي يقال وأترت الخبر إذا اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين مهلة واختلاف القراءة فيه فقرا أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو بالتثنية ويعقوب بالالف ولا يميله أبو عمرو في الوقف فيها كالألف في قولهم رأيت زيدا، وقرأ الباقون بلا تنوين والوقف عندهم يكون بالياء ويميله حمزة والكسائي وهو مثل قولهم غضب وسكرى وهو اسم جمع مثل شتى وعلى القراءة تين التاء الأولى بدل من الواو وأصله وترى من المواترة والتواتر فجعلت الواو تاء مثل التثنية والتكلاّن (كلما جاء أمة رسولا كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) بالهلاك أي أهلكتنا بعضهم في أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) يعني سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهي جمع أحداثثة وقيل جمع حديث قال الاخفش إنما هو في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثثة إنما يقال صار فلان حديثا (فبعدا لقوم لا يؤمنون) ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآيتنا وسلطان مبين (يعني بحجة بينة من أيدينا والعصا وغيرها) إلى فرعون وملئه فاستكبروا تعظموا عن الإيمان (وكانوا قوما عالين) متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعني فرعون وقومه (أنؤمن لبشرين مثلنا) يعني موسى وهارون (وقومهما لنا عابدون) مطيعون متذللون

رذلك بعد أن قسم الله فرعون والقيبط وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين كما قال تعالى [وأتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعالمهم يتذكرون]

وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام انه جعلهما آية للناس أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء فانه خلق آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى ، وقوله [وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال الضحاك عن ابن عباس : الربوة المكان المرتفع من الارض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة ، قل ابن عباس : وقوله [ذات قرار] يقول ذات خصب [ومعين] يعني ماء طاهراً وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة ، وقال مجاهد ربوة مستوية ، وقال سعيد بن جبيرة [ذات قرار ومعين] استوى الماء فيها وقال مجاهد وقتادة [ومعين] الماء الجاري . ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ليس الربى إلا بهر والماء حين يسيل يكون الربى عليها القرى ولولا الربى غرقت القرى وروى عن وهب بن منبه نحوه هذا وهو بعيد جداً . وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله [وآوينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال هي دمشق قال وروى عن عبدالله بن سلام والحسن وزيد بن أسلم وخالد بن معدان نحوه ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس ذات قرار ومعين قال أنهار دمشق وقال ايث بن أبي سليم عن مجاهد وآوينهما إلى ربوة قال عيسى بن مريم وأمه حين أويا إلى غوطة دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبدالله بن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول :

والعرب تسمي كل من دان للملك عابداً له ﴿ فكذبوها فكانوا من المهلكين ﴾ بالفرق ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ لعلمهم بهتدون ﴾ أي لكي يهتدي به قومه ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ دلالة على قدرتنا ولم يقل آيتين قيل معناه جعلنا شأنهما آية وقيل معناه جعلنا كل واحد منهما آية كقوله تعالى ﴿ كلنا الجنة آتت أكلها ﴾ ﴿ وآوينهما إلى ربوة ﴾ الربوة المكان المرتفع من الارض واختلفت الأقوال فيها فقال عبد الله بن سلام هي دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل وقال الضحاك غوطة دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال عطاء عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب وقال كعب هي أقرب الارض إلى السماء بنمانية عشر ميلاً وقال ابن زيد هي مصر وقال

في قول الله تعالى [إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال هي الربوة من فلسطين ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي حدثنا داود بن الجراح حدثنا عباد بن عباد الخواص أبو عتبة حدثنا الشيباني عن أبي وعلة عن كريب السحولي عن مرة البهذي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل « إنك تموت بالربوة » فمات بالربوة وهذا حديث غريب جداً وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله [وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين] قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى [قد جعل ربك نضجك مرياً] وكذا قال الضحاك وقتادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الاظهر لانه المذكور في الآية الاخرى والقرآن يفسر بعضه بعضاً وهذا أولى ما يفسر به ثم الاحاديث الصحيحة ثم الآثار

يأياها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم (٥١) وإن هذه أمتكم

أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (٥٢) فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣)

فذرهم في غمرتهم حتى حين (٥٤) أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في

الخيرات بل لا يشعرون (٥٦)

يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالاكل من الحلال والقيام بالصالح من الاعمال فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح فقام الانبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالة ونصيحة فجزاهم الله عن العباد خيراً . قال الحسن البصري في قوله (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قال أما والله ما أمركم بأصفركم ولا أهرمكم ولا حلومكم ولا حامضكم ولكن قال انتهوا إلى الحلال منه ، وقال سعيد بن جبير والضحاك (كلوا من الطيبات) يعني الحلال . وقال أبو إسحاق السبيعي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه ، وفي الصحيح « وما من نبي إلا رعى الغنم » قالوا أنت يا رسول الله ؟ - قال نعم وأنا كنت أراها على قراريط لاهل مكة » وفي الصحيح ان داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده ، وفي

السدي أرض فلسطين ﴿ ذات قرار ﴾ أي مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ﴿ ومعين ﴾ فالعين الظاهر الذي تراه العيون مفعول من عانه يعينه اذا أدركه البصر

قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسل ﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والسكبي وجماعة أراد به محمداً ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة وقال بعضهم أراد به عيسى وقيل أراد به جميع الرسل عليهم السلام ﴿ كلوا من الطيبات ﴾ أي اللذات ﴿ واعملوا صالحاً ﴾ الصالح هو

الصحيحين ان أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي صريم عن ضمرة بن حبيب ان أم عبد الله بنت شداد بن أوس قالت بعثت إلى النبي ﷺ بقدر لبن عند فطره وهو صائم وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد اليها رسولها أنا كانت لك الشاة ؟ فقالت اشتريتها من مالي فشرب منه ، فلما كان من الغد أتته أم عبد الله بنت شداد فقالت يا رسول الله بعثت إليك بلبن مرثية لك من طول النهار وشدة الحر فرددت إلى الرسول فيه . فقال لها « بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل إلا طيبا ولا تعمل إلا صالحا » وقد ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذي ومسنَد الامام أحمد واللفظ له من حديث فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل إلا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يمد يديه إلى السماء يارب يارب فأنى يستجيب لذلك » وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق . وقوله (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) أي دينكم بامعشر الانبياء . دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولهذا قال (وأنا ربكم فاتقون) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الانبياء وإن قوله (أمة واحدة) منصوب على الحال وقوله (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا) أي الامم الذين بعث إليهم الانبياء . (كل حزب بما لديهم فرحون)

الاستقامة على مانوحيه الشريعة (اني بما تعملون عليم * وإن هذه) قرأ أهل الكوفة وان بكسر الالف على الابتداء وقرأ الباقون بفتح الالف وخفف ابن عامر النون وجعل ان صلة مجازة وهذه (أمتكم) وقرأ الباقون بتشديد النون على معنى وبأن هذه تقديره بأن هذه أمتكم أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها (أمة واحدة) أي ملة واحدة وهي الاسلام (وأنا ربكم فاتقون) أي اتقوني لهذا وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد (وأنا ربكم فاتقون) فاحذرون وقيل هو نصب باضمار فعل أي اعملوا أن هذه أمتكم أي ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (فتقطعوا أمرهم) دينهم (بينهم) أي تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا (زبرا) أي فرقا وقطعا مختلفة واحدا زبور وهو الفرقة والطائفة ومثله الزبرة وجمعها زبر ومنه زبر الحديد أي صاروا فرقا كزبر الحديد وقرأ بعض أهل الشام زبرا بفتح الباء قال قتادة مجاهد زبرا أي كتبنا يعني دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخر وقيل جعلوا كتبهم قطعا مختلفة آمنوا بالبعث وكفروا بالبعث وحرفوا البعض (كل حزب بما لديهم) أي بما عندهم من الدين (فرحون) معجبون

بما هم فيه من الضلال لانهم يحسبون انهم مهتدون ولهذا قال متهددا لهم ومتوعدا (فذرهم في غمرتهم) أي في غيهم وضلالهم (حتى حين) أي الى حين حينهم وهلاكهم كما قال تعالى (فهل الكافرين أمهلهم رويدا) وقال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وبالمهم الامل فسوف يعلمون)

وقوله (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) يعني أيظن هؤلاء المفرورون انما نعطيهم من الاموال والاولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلا ليس الامر كما يزعمون في قولهم (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجائهم بل انما نفعل بهم ذلك استدراجا وانظارا واملاء ولهذا قال (بل لا يشعرون) كما قال تعالى (فلانعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) الآية . وقال تعالى (انما نلي لهم ليزدادوا إثما) وقال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملهم لهم) الآية وقال (ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - عنيدا) وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زاني إلا من آمن وعمل صالحا) الآية . والآيات في هذا كثيرة ، قال قتادة في قوله [أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون] قال مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم ، بالبن آدم فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبرهم بالآيمان والعمل الصالح وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد ثنا أبان بن اسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الحمداني حدثنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرواقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه وإيمانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه - قالوا وما بوائقه يا رسول الله ؟ قال - غشمة وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السبي بالسبي ، ولكن يمحو السبي بالحسن ، ان الخبيث لا يمحو الخبيث »

ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون (٥٧) والذين هم بآيات ربهم يؤمنون (٥٨)

ومسرورون (فذرهم في غمرتهم) قال ابن عباس في كفرهم وضلالهم وقيل عمايتهم وقيل غفلتهم (حتى حين) الى أن يموتوا (أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين) ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين في الدنيا (نساوع لهم في الخيرات) أي نعجل لهم في الخيرات ونقدمها ثوابا لآعمالهم لمَرْضَاتنا عنهم (بل لا يشعرون) أن ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين في الخيرات فقال (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي خائفون والاشفاق الخوف والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه قال الحسن البصري المؤمن من جمع احسانا وخشية ، والمنافق من جمع

والذين هم بربهم لا يشركون (٥٩) والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون (٦٠)

أولئك يسرون في الخيرات وهم لها سابقون (٦١)

يقول تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكرهم كما قال الحسن البصري: ان المؤمن جمع إحسانا وشفقة وان المنافق جمع إساءة وأمناء (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية كقوله تعالى اخباراً عن صميم عليها السلام (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي أيقنت ان ما كان انما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو ان كان أمراً فما يحبه ويرضاه، وان كان نهياً فهو مما يكرهه ويأباه، وان كان خيراً فهو حق كما قال الله [والذين هم بربهم لا يشركون] أي لا يعبدون معه غيره بل يوحده ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه لا نظير له ولا كف له: وقوله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون) أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لحوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشروط الاعطاء وهذا من باب الاشفاق والاحتياط كما قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة يا رسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال « لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به بنحوه وقال « لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يتقبل منهم » (أولئك يسارعون في الخيرات) وقال الترمذي وروى هذا الحديث من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه هذا وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الآية، وقد قرأ آخرون

إساءة وأمناء (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) والذين يؤتون ما آتوا أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وروى عن عائشة أنها كانت تقرأ (والذين يأتون ما أتوا) أي يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجة) ان ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم إلى ربهم راجعون) لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل قال الحسن عملوا لله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم اخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن يوسف أنا محمد بن حامد حدثنا محمد بن الجهم أنا عبد الله بن عمرو أنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة) أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق ؟ قال « لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه »

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(٤)

(الجزء الخامس)

هذه الآية (والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة) أي يفعلون ما يفعلون وهم خائفون، وروى هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قرأها كذلك. قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا صخر بن جويرية حدثنا إسماعيل المكي حدثنا أبو خلف مولى بني جمح أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقالت مرحبا بأبي عاصم ما بينك أن تزورنا أو تلم بنا؟ فقال أخشى أن أملل فقالت: ما كنت لتفعل؟ قال جئت لاسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله ﷺ يقرأها؟ قالت آية آية؟ قال الذين يوتون ما أتوا - والذين يأتون ما أتوا (فقالت أيتها أحب اليك؟ فقلت والذي نفسي بيده لاحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً أو الدنيا وما فيها قالت وما هي؟ فقلت (الذين يأتون ما أتوا) فقالت أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرأها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف. فيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف، والمعنى على القراءة الأولى وهي قراءة الجمهور السبعة وغيرهم أظهر، لأنه قال (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لا وشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدين أو المقصرين والله أعلم

ولا تكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتب ينطق بالحق وهم لا يظلمون (٦٢) بل قلوبهم

في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون (٦٣) حتى إذا أخذنا مترفيهم

بالعذاب إذا هم يجثرون (٦٤) لا تجثروا اليوم انكم منالان تصرون (٦٥) قد كانت آيتي تتلى

عليكم فكنتم على أعتابكم تنكصون (٦٦) مستكبرين به سمعاً ثم جثرون (٦٧)

يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا إنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي إلا

قوله عز وجل ﴿أو لئن يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون إلى الأعمال الصالحات ﴿وهم لها

سابقون﴾ أي إليها سابقون كقوله تعالى ﴿لما نهوا﴾ أي إلى ما نهوا ولما قالوا ونحوها وقال ابن عباس

في معنى هذه الآية سبقت لهم من الله السعادة وقال السكابي سبقوا إلى الامم إلى الخيرات

﴿ولا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع الصوم

فليفطر ﴿ولدينا كتاب ينطق بالحق﴾ وهو اللوح المحفوظ فهو ينطق بالحق يبين بالصدق ومعنى الآية

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) إلا ما أطاقت من العمل وقد اثبتنا عمله في اللوح المحفوظ فهو ينطق

به ويبينه وقيل هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقص من حسناتهم

ولا يزداد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ أي في غفلة وجهالة ﴿من هذا﴾

أي من القرآن ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ أي لا يكفار أعمال خيئة من المعاصي والخطايا بحكم بها

عليهم من دون ذلك يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله (إن الذين هم من

ما تطابق حمله والقيام به وانه يوم القيامة بحاسهم باعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء. ولهذا قال (ولدننا كتاب ينطق بالحق) يعني كتاب الاعمال (وهم لا يظلمون) أي لا يبخسون من الخير شيئاً ، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين ثم قال منكراً على الكفار والمشركين من قريش (بل قلوبهم في غمرة) أي في غفلة وضلالة من هذا أي القرآن الذي أنزل على رسوله ﷺ . وقوله (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) قال الحسك بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (ولهم أعمال) أي سيئة من دون ذلك يعني الشرك (هم لها عاملون) قال لا بد أن يعملوها وكذا روي عن مجاهد والحسن وغير واحد ، وقال آخرون (لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون) أي قد كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحقق عليهم كلمة العذاب ، وروي نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوي حسن ، وقد قدمنا في حديث ابن مسعود « فوالذي لا إله غيره أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »

وقوله (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون) يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم (إذا هم يجأرون) أي يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى (ذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً إن لدينا أنكلاً وجحماً) الآية وقال تعالى (وكم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ' وقوله (لا تنجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) أي لا يجيركم أحد مما حل بكم سواء جأرتكم أو سكتكم لا محيد ولا مناص ولا وزر لزم الأمر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) أي إذا دعيتهم أيتم وأن طلبتم (امتنعتم ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرركم به قومك أو بعضكم فاعلموا أن الله هو العزيز المتكبر) وقوله (مستكبرين به سامراً تهجرون) في تفسيره قولان [أحدهما] أن مستكبرين حال

خشية ربهم مشفقون (هم لها عاملون) لا بد لهم أن يعملوها فيدخلوها النار لما سبق لهم من الشقاوة هذا قول أكثر المفسرين ، وقال قتادة هذا ينصرف إلى المسلمين وإن لهم أعمالاً سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون والاول أظهر (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي أخذنا أغنياءهم ورؤسائهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقال الضحك يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال « اللهم اشد وطأك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف » فابتلاهم الله عز وجل بالقمح حتى أكلوا الكلاب والجيف (إذا هم يجأرون) يضجون ويجزعون ويستغيثون وأصل الجأر رفع الصوت بالضرع (لا تنجأروا اليوم) أي لا تنصجوا (إنكم منا لا تنصرون) لا تمنعون منا ولا ينفعكم نصركم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تنكصون) ترجعون القهقري تأخرون عن الإيمان (مستكبرين به) اختلفوا في هذه الكتابة فأظهر الاقوال أنها تعود

منهم حين نكوصهم عن الحق وابائهم إياه استكباراً عليه واحتقاراً له ولاهله فعلى هذا الضمير في به فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه الحرم أي مكة ذموا لأنهم كانوا يسمرون فيه بالهجر من الكلام . [والثاني] أنه ضمير للقرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام أنه سحر أنه شعر أنه كهانة إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة [والثالث] أنه محمد ﷺ كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة وبضربون له الأمثال الباطلة من أنه شاعر أو كاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون فكل ذلك باطل بل هو عبده ورسوله الذي أظهره الله عليهم ، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء وقيل المراد بقوله [مستكبرين به] أي بالبيت يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياؤه وليسوا به كقول النسائي في التفسير . أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا عبيد الله عن إسرائيل عن عبد الأعلى أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال : إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية (مستكبرين به سامراً تهجرون) فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامراً قال كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ولا يعمرونه ويهجرونه ، وقد أظن ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصله

أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين (٦٨) أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (٦٩) أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (٧٠) ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون (٧١) أم تسألهم خراجاً خراج ربك خير وهو خير الرازيين (٧٢) وإنك

إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحداً فيؤمنون فيه وسائر الناس في الخوف هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والاول أظهر أن المراد منه الحرم ﴿سامراً﴾ نصب على الحال أي إنهم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت ووحيد سامراً وهو يعني السمار لأن وضع موضع الوقت أراد تهجرون ليلاً وقيل وحيد سامراً ومعناه الجمع كقوله (ثم نخرجكم طفلاً) ﴿تهجرون﴾ قرأ نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم من الاهجار وهو الاخفاش في القول أي تفحشون وتقولون الخنا وذكر أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ وأصحابه وقرأ الآخرون تهجرون بفتح التاء وضم الجيم أي تعرضون عن النبي ﷺ وعن الإيمان والقرآن وترفضونها وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح يقال هجر يهجر هجراً إذا قال غير الحق وقيل نهزؤن وتقولون مالا تعلمون من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى ﴿أفلم يدبروا﴾ يعني يتدبروا ﴿القول﴾ يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد

لتدعوه إلى صراط مستقيم (٧٣) وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون

(٧٤) ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر لآثجوا في طغيانهم يعمهون (٧٥)

يقول تعالى منكرًا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له وإعراضهم عنه مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكل منه ولا أشرف لاسيما آباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا أناهم نذير، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها، والعمل بمقتضاها آنا، الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول ﷺ ورضي عنهم

وقال قتادة (أفلم يدبروا القول) إذا والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبره القوم وعقلوه ولكنهم أخذوا بما يشابه فهلكوا عند ذلك . ثم قال منكرًا على الكافرين من قريش (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) أي أنهم لا يعرفون محمداً وصدقه وأمانته وصيانيته التي نشأ بها فيهم أي أفيدرون على انكار ذلك والمباهلة فيه . ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة . أيها الملك إن الله بعث فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، وهكذا قال المغيرة ابن شعبه لنائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب ملك الروم هرقل حين سأله وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفار لم يسلموا ، ومم هذا لم يمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك . وقوله (أم يقولون به جنة) يحكي قول المشركين عن النبي ﷺ أنه تقول القرآن أي افتراء من عنده أو أن به جنونا لا يدري ما يقول . وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن فانه قد أناهم من كلام الله مالا يطاق ولا يدافع وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله أن استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين ولهذا قال (بل جاءهم بالحق وكنهم للحق كارهون) يحتمل أن تكون هذه جملة حالية أي في حالة كراهة أكنهم للحق ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة والله أعلم

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لقي رجلا « فقال له أسلم » فقال الرجل إنك لتدعوني

ﷺ (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) فانكروا يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلا إلى قومهم كذلك بعثنا محمداً ﷺ إليهم وقبل أم بمعنى بل يعني بل جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فلذلك انكروا (أم لم يعرفوا رسولهم) محمداً ﷺ (فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك (بل جاءهم بالحق) يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (واكنهم للحق كارهون)

إلى أمر أناله كاره فقال نبي الله ﷺ « وإن كنت كارها » وذكر لنا أنه لقي رجلا فقال له « أسلم » فصعد ذلك وكبر عليه فقال له نبي الله ﷺ « رأيت لو كنت في طريق وعروعث فلقيت رجلا تعرف وجهه وتعرف نسبه فدعاك إلى طريق واسم سهل أكنت تتبعه ؟ - قال نعم : قال - فوالذي نفس محمد بيده إنك إنني أوعر من ذلك الطريق لو قد كنت عليه وإني لادعوك لاسهل من ذلك لودعيت إليه » وذكر لنا أن نبي الله ﷺ لقي رجلا فقال له « أسلم » فصعده ذلك فقال له نبي الله ﷺ « رأيت لو كان لك فتيان أحدهما إذا حدثك صدقك ، وإذا ائتمنته أدى إليك أمر أحب إليك أم فذاك الذي إذا حدثك كذبك وإذا ائتمنته خانك ؟ » قال بل فتأي الذي إذا حدثني صدقي وإذا ائتمنته أدى إلي فقال نبي الله ﷺ « كذا كم أنتم عند ربكم »

وقوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) قال مجاهد وابو صالح والسدي الحق هو الله عز وجل والمراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السموات والأرض ومن فيهن أي لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ثم قال (أم يقسمون رحمة ربك) وقال تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي إذا لامسكم خشية الافتقار) الآية . وقال (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا) ففي هذا كله تبين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم . وأنه تعالى هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتدبيره خلقه تعالى وتقدس فلا إله غيره ولا رب سواه ، ولهذا قال (بل أنيناهم بذكرهم) أي القرآن فهم عن ذكرهم معرضون . وقوله (أم تسألهم خراجا) قال الحسن أجرا ، وقال قتادة جعلنا [خراج ربك خير] أي أنت لا تسألهم أجرة ولا جعلنا ولا شيئا على دعوتك إياهم إلى الهدى بل أنت في ذلك تتعصب عند الله جزيل ثوابه كما قال (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم أن أجري إلا على الله) وقال (قل ما سألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وقال [قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى] وقال [وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا] وقوله [وإنك لدعوههم إلى صراط مستقيم] وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا يكون [

قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتاه فبا برى النائم ملكن فقعد أحدهما عند

ولو اتبع الحق أهواءهم قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة الحق هو الله أي لو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو اتبع مرادهم فسمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون (لفسدت السموات والأرض) وقال الفراء والزجاج المراد بالحق القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقدونه لفسدت السموات والأرض (ومن فيهن) وهو كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله

رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال ان مثل هذا ومثل أمته كمثله قوم سفر انتهوا الى رأس مغارة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المغارة ولا ما يرجعون به فبينما هم كذلك اذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال أرأيتم ان أوردتكم رياضا معشبة وحياضا رواءا تتبعوني؟ فقالوا نعم، قال فانطلق بهم وأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواءا فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم أفكم على تلك الحال فجعلتم لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواءا ان تتبعوني؟ قالوا بلى، قال فان بين أيديكم رياضا أعشب من هذه وحياضا هي أروى من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله انتبهت وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا زهير حدثنا يونس بن محمد حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اني ممسك بحجزكم هلم عن النار هلم عن النار وتغلبوني تقاحون فيها تقاهم الفراش والجنادب فأوشك أن أرسل حجزكم وأنا فرطكم على الحوض فتردون علي معا وأشتاتنا أعرفكم بسيماكم وأسماكم كما يعرف الرجل الغرب من الأبل في أبله فيذهب بكم ذوات اليمين وذوات الشمال فأناشد فيكم رب العالمين أي رب قومي أي رب أمتي، فيقال يا محمد انك لا تدري ما أحدثوا بعدك انهم كانوا يشنون بعدك القهقري على أعقابهم، فلا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها نفا، ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بهيرا له رغاء، ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسا لها حمحة فينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقا، من آدم ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت» وقال علي بن المديني هذا حديث حسن الاسناد الا أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي [قلت] بل قد روى عنه أيضا أشعث بن إسحاق، وقال فيه يحيى بن معين: صالح ووثقه النسائي وابن حبان وقوله (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا يكون) أي له ادلون جائرون منحرفون،

لفسدنا (بل أتيناهم بذكرهم) بما يذكركم قال ابن عباس أي بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن فهو كقوله تعالى [لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم] أي شرفكم [وإنه لذكر لك ولقومك] أي شرف لك ولقومك (فهم عن ذكركم) يعني عن شرفهم (معرضون) أم تسألهم (على ما جئتم به) (خرجا) أجرا وجعلا (خراج ربك خير) يعني ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) قرأ حمزة والكسائي خراجا خراج كلاهما بالالف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف وقرأ الآخرون خرجا بغير ألف فخراج بالالف (وإنك لتدعونهم الى صراط مستقيم) وهو الاسلام (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لنا يكون) له ادلون مانلون

تقول العرب نكب فلان عن الطريق اذا زاغ عنها (ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أزاح عنهم الضر وأفهمهم القرآن لما اتقوا له ولا استمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم كما قال تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقال (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه - الى قوله - يبعوثين) فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون ، قال الضحاك عن ابن عباس : كل مافيه [لو] فهو مما لا يكون أبداً

ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الربهم وما يتضرعون (٧٦) حتى اذا فتحنا عليهم بابا اذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون (٧٧) وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون (٧٨) وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون (٧٩) وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تقولون ؟ (٨٠) بل قالوا مثل ما قال الاولون (٨١) قالوا اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما اءنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين (٨٣)

يقول تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب) أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد (فما استكانوا الربهم وما يتضرعون) أي فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والتحافة بل استمروا على غيهم وضلالهم ما استكانوا أي ما خضعوا [وما يتضرعون] أي مَادَعُوا كَمَا قَالَ تَعَالَى (فَلَوْلَا إِذَا جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) الآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن حمزة المروزي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبي عن زيد - يعني النحوي - عن عكرمة عن ابن عباس انه قال جاء

(ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضر) فحط وجدوبة (للجوا) تمادوا (في طغيانهم يعمهون) ولم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك أن النبي ﷺ دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبي ﷺ وقال أنشدك الله والرحم ألمست تزعم انك بهت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فانزل الله هذه الآية (فما استكانوا الربهم) أي ما خضعوا وما ذلوا لربهم وأصله طلب السكون (وما يتضرعون) أي لم يتضرعوا الى ربهم ل مضوا على تمردهم (حتى

أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز - يعني الوبر والدم - فأنزل الله (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا) الآية ، وهكذا رواه النسائي عن محمد ابن عقيل عن علي بن الحسين عن أبيه به ، وأصله في الصحيحين أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال « اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الله بن إبراهيم عن عمر ابن كيسان حدثني وهب بن عمر بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه فقال له رجل من الأبناء ألا أشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله والله يقول (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لهم وما يتضرعون) قال وصام وهب ثلاثا متواصلة فقبل له ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال أحدث لنا أحدثنا . يعني أحدث لنا الحبس فأحدثنا زيادة عبادة

وقوله (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون) أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله ما لم يكرنوا يحسبون فعند ذلك أبسوا من كل خير وأبسوا من كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم . ثم ذكر تعالى نعمه على عباده بأن جعل لهم السمع والبصير والافتدة وهي العقول والفهم التي يدركون بها الأشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله وأنه الفاعل المختار لما يشاء . وقوله (قليلا ما تشكرون) أي ما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم كقوله (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليفة وذريته لهم في سائر أنظار الأرض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم ، فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا ولا ذكرأ ولا أنثى ولا جليلا ولا حقيرا إلا أعاده كما بدأه ولهذا قال (وهو الذي يحيي ويميت) أي يحيي الرمم ويميت الأمم (وله اختلاف الليل والنهار) أي وعن أمره نسخير الليل والنهار كل منهما بطلب الآخر طلبا حثيثا يتعاقبان لا يفتران ولا يفترقان بزمان غيرهما كقوله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) الآية

وقوله (أفلا تعقلون) أي أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء . وعز كل

إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة إذا هم فيه مبلسون أي يسون من كل خير (وهو الذي أنشأ لكم السمع) أي أنشأ لكم الأسماع (والبصير والافتدة) لتسمعوا وتبصروا وتفتدوا (قليلا ما تشكرون) أي لم تشكروا هذه النعم (وهو الذي ذرأكم) خلقكم (في الأرض واليه تحشرون) تبعثون (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أي تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان قال الفراء جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والياض (أفلا تعقلون) ما ررون من صنعه فتعتبرون

شيء وخضع له كل شيء ، ثم قال مخبراً عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين [بل قالوا مثل ما قال الاولون * قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون ؟] يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيورتهم إلى البلى [لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا من قبل ، ان هذا الا أساطير الاولين] يعنون الاعادة محال انما يخبر بها من تلقاها عن كتب الاولين واختلافهم ، وهذا الانكار والتكذيب منهم كقولهم إخباراً عنهم [أنذا كنا عظاما ونخرة * قالوا تلك إذا كرة خاسرة * فأنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة] وقال تعالى [أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم] الايات

قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ (٨٥)

قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون ؟ (٨٧)

قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ (٨٨) سيقولون

لله ، قل فأنى تسحرون (٨٩) بل أتيناكم بالحق وإنهم لكانزون (٩٠)

يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد الى أنه الله الذي لا اله الا هو ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ولهذا قال لرسوله محمد ﷺ أن يقول للمشر كين العابدين معه غيره المعترفين له بالربوبية وانه لا شريك له فيها ومع هذا فقد اشر كوا معه في الالهية فعبدا غيره معه مع اعترافهم ان الذين عبدوهم لا يخلفون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقر بونهم اليه زلفى (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فقال [قل لمن الارض ومن فيها ؟] أي من مالكا الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف المخلوقات [ان كنتم تعلمون * سيقولون لله] أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك [قل أفلا تذكرون] انه لا تنبغي العبادة الا للخالق الرازق لا لغيره (قل من رب السموات السبع ورب

﴿ بل قالوا مثل ما قال الاولون ﴾ أي كذبوا كما كذب الاولون ﴿ قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون ﴾ لمحشورون قالوا ذلك على طريق الانكار والتعجب ﴿ لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا ﴾ الوعد ﴿ من قبل ﴾ أي وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل الله فلم تر له حقيقة ﴿ إن هذا الا أساطير الاولين ﴾ أكاذيب الاولين ﴿ قل ﴾ يا محمد بحجبا لهم يعني أهل مكة ﴿ لمن الارض ومن فيها ؟ ﴾ من الخلق ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ خالقها ومالكها ﴿ سيقولون لله ﴾ ولا بد لهم من ذلك لأنهم يقرون انها مخلوقة ﴿ قل ﴾ لهم اذا أقروا بذلك ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فتعلمون أن من قدر على خلق الارض ومن

العرش العظيم ؟) أي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات ، وللا لئكة الخاضعين له في سائر الاقطار منها والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم يعني الذي هو سقف المخلوقات كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن رسول الله ﷺ أنا قال « شأن الله أعظم من ذلك ، ان عرشه على سمواته هكذا » وأشار بيده مثل القبة ، وفي الحديث الاخر « ما السموات السبع والارضون السبع وما بينهن وما فيهن في الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وان الكرسي بما فيه بالنسبة الى العرش كذلك الحلقة في تلك الفلاة » ولهذا قال بعض السلف : ان مسافة ما بين قطري العرش من جانب الى جانب مسيرة خمسين الف سنة ، وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين الف سنة ، وقال الضحاك عن ابن عباس : انما سمي عرشا لارتفاعه . وقال الاعمش عن كعب الاحبار : ان السموات والارض في العرش كالتنديل للملاق بين السماء والارض ، وقال مجاهد : ما السموات والارض في العرش الا كحلقة في أرض فلاة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا العلاء بن سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن عمار الذهبي عن مسلم البطيين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : العرش لا يقدر قدره أحد : وفي رواية : الا الله عز وجل ، وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء ولهذا قال ههنا (ورب العرش العظيم) أي الكبير وقال في آخر السورة (رب العرش الكريم) أي الحسن البهي فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال انه من ياقوتة حمراء ، وقال ابن مسعود : ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه

وقوله (سيقولون لله قل أفلا تتقون) أي إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به . قال أبو بكر عبد الله ابن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتاب التفكير والاعتبار . حدثنا إسحاق بن ابراهيم أنا عبيد الله بن جعفر أخبرني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها رعى غنماً فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت لله قال فمن خلق أبي ؟ قالت الله قال فمن خلقتي ؟ قالت الله قال فمن خلق السموات ؟ قالت الله قال فمن

فيها ابتداء . يقدر على احيائهم بعد الموت ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ سيقولون لله ﴿ قرأ العامة لله ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل الرجل من مولاك فيقول لفلان أي أنا لفلان وهو مولاي ، وقرأ أهل البصرة فيها الله وكذلك هو في مصحف أهل البصرة وفي سائر المصاحف مكتوب بالالف كالاول ﴿ قل أفلا تتقون ﴾ تحذرون ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء ﴾ الملكوت الملك والتاء فيه للبالغة ﴿ وهو يحجر ﴾ أي يؤمن من يشاء ﴿ ولا يجار عليه ﴾ أي لا يؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من السوء من يشاء ولا يمنع منه من أراد به سوء ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾

خالق الارض ؟ قالت الله قال فمن خالق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت الله قال فاني أسمع لله شأننا ثم ألقى نفسه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر كان رسول الله كثيراً ما يحدثنا بهذا الحديث قال عبدالله بن دينار كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا الحديث قلت في إسناده عبيد الله بن جعفر المديني والد الامام علي بن المديني وقد تكلموا فيه فأنه أعلم

(قل من بيده ملكوت كل شيء) أي بيده الملك (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيته) أي متصرف فيها وكان رسول الله ﷺ يقول « لا والذي نفسي بيده » وكان إذا اجتهد في اليمين قال « لا ومقلب القلوب » فهو سبحانه الخالق الملك المتصرف وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدا لا يخفر في جواره وليس لمن دونه أن يجير عليه لثلاث يفتات عليه ولهذا قال الله وهو يجير ولا يجار عليه أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع ولا يخاف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقال الله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أي لا يسئل عما يفعل اعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يسئلون عن أعمالهم كما قال تعالى (فوريك لئلا أنهن أجمعين عما كانوا يعملون) وقوله (سيقولون لله) أي « يعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له قل فاني تسحرون أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك ثم قال تعالى (بل أتيناكم بالحق) وهو الاعلام بأنه لا إله الا الله وأقننا الادلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك وانهم لكاذبون أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك كما قال في آخر السورة (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) فالشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قادم إلى ما هم فيه من الاثك والضلال ، وانما يفعلون ذلك اتباعا لأبائهم وأسلافهم الخياري الجاهل كما قال الله عنهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون)

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً ذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على

بعض سبحانه الله عما يصفون (٩١) علم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون (٩٢) ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذ ذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) أي لو قدر تعدد

قليل معناه أجبوا ان كنتم تعلمون (سيقولون لله قل فاني تسحرون) أي تخدعون وتصرفون عن توحيده وطاعته والمعنى كيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناكم بالحق بالصدق) (وإنهم لكاذبون) فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) أي من شريك (إذاً ذهب كل إله بما خلق) أي تفرد بما خلقه فلم يرص أن يضاف خلقه وانعامه الي غيره ، ومنع الاله

الآله لا نفرد كل منهم بما خلق فما كان ينظم الوجود، والمشهد ان الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط ببعضه ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعملو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التماثل وهو انه لو فرض صانعان فصاعداً فأراد واحد تحريك جسم والآخر أراد سكنه فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزاً ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جا. هذا المحال إلا من فرض التعدد فيكون محالاً فاما ان حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكناً لانه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً، ولهذا قال تعالى (ولملا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علواً كبيراً (عالم الغيب والشهادة) أي بعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه (فتعالى عما يشركون) أي قدس ونزهة وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون

قل رب إماما ترابي ما يوعدون (٩٣) رب فلا تجمعاني في القوم الظالمين (٩٤) وإنا على أن

نريك ما نعدهم لقدرون (٩٥) ادفع بالي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون (٩٦) وقل

رب أعوذ بك من همزات الشياطين (٩٧) وأعوذ بك رب أن يحضرون (٩٨)

يقول تعالى آمراً نبيه محمد ﷺ أن يدعو بهذا الدعاء عند حلول النقم (رب إماما ترابي ما يوعدون) أي ان عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد والترمذي وصححه «واذا أردت بقوم فتنة فتوفي اليك خبر فتون»

وقوله تعالى (وانا على أن نريك ما نعدهم لقدرون) أي لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والحن. ثم قال تعالى مرشداً له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسيء اليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبفضه محبة فقال تعالى (ادفع بالي هي أحسن

الآخر عن الاستيلاء على ما خلق) (ولملا بعضهم على بعض) أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم ثم زه نفسه فقال (سبحان الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة) قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص عالم برفع الميم على الابتداء وقرأ الآخرون بجرها على نعت الله في سبحانه الله (فتعالى عما يشركون) أي تعظم عما يشركون ومعناه أنه اعظم من أن يوصف بهذا الوصف قوله تعالى (قل رب إماما ترابي) أي ان أربني (ما يوعدون) أي ما أوعدهم من العذاب (رب) أي يارب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي لا تهلكني بهلاكهم (وانا على أن نريك ما نعدهم) من العذاب لهم (لقدرون * ادفع بالي هي أحسن) أي ادفع بالحيلة التي هي أحسن وهي

السيئة) وهذا كما قال في الآية الأخرى (ادفع باني هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا) الآية أي وما يلهم هذه الوصية أو هذه الخصلة أو الصفة (إلا الذين صبروا) أي على أذى الناس فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم اليهم القبيح (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أي في الدنيا والآخرة

وقوله تعالى (وقل رب أعوذ بك من همزات الشيطان) أمره الله أن يستعين من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحبل ولا يتقادون بالمعروف، وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله ﷺ كان يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» وقوله تعالى (وأعوذ بك ربك أن يحضرون) أي في شيء من أمري ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور وذلك لطرد الشيطان عند الكل والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور، ولهذا روى أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يقول «اللهم اني أعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من الهمدم ومن الغرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت» وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الغزع «بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بالغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث محمد بن اسحاق. وقال الترمذي حسن غريب

حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون (٩٩) لعلني أعمل صالحاً فيما تركت كلا

لأنها كلمة هو قائمها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (١٠٠)

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا قال [رب ارجعون لعلني

الصفح والاعراض والصبر] يعني أذا هم أمره بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة نسختها آية السيف [نحن أعلم بما يصفون] يكذبون ويقولون من الشرك [وقل رب أعوذ بك] أي أمتنع وأعتصم بك [من همزات الشياطين] قال ابن عباس نزعانهم وقال الحسن وسأوسهم وقال مجاهد نفخهم ونفثهم وقال أهل المعاني دفعهم بالاغواء إلى المعاصي وأصل الهمز شدة الدفع [وأعوذ بك رب أن يحضرون] في شيء من أموري وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال [حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون] ولم يقل ارجعني وهو يسأل الله وحده الرجعة على

أعمل صالحا فيما تركت كلا [كما قال تعالى ١ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت — الى قوله — والله خبير بما تعملون) وقال تعالى [وأند الناس يوم يأتيهم العذاب — الى قوله — ما لكم من زوال] وقال تعالى [يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل] وقال تعالى [ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون] وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا — الى قوله — وأنهم لكاذبون [وقال تعالى [وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل] وقال تعالى [قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل] والآية بعدها . وقال تعالى [وهم يصطرون فيهم ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكرون فيه من تذكرة وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير] فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم . وقوله ههنا [كلا أنها كلمة هو قائلها] كلا حرف ردع وزجر أي لا نجيبه الى ما طلب ولا نقبل منه

وقوله تعالى (أنها كلمة هو قائلها) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم ، ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كلا أي لأنها كلمة أي سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولو رد لما عمل صالحا وكان يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى [ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون] قال قتادة : والله ما تمنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل ، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب الى النار

وقال محمد بن كعب القرظي [حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلني أعمل صالحا فيما تركت] قال فيقول الجبار [كلا أنها كلمة هو قائلها] وقال عمر بن عبد الله مولى عفرة : اذا قال الكافر رب ارجعون لعلني أعمل صالحا يقول الله تعالى كلا كذبت . وقال قتادة في قوله تعالى [حتى اذا جاء أحدهم الموت] قال كلن العلاء بن زياد يقول : لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه

عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ومثله كثير في القرآن وقيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولا ثم رجعوا الى مسئلة الملائكة الرجوع الى الدنيا قوله تعالى (لعلني أعمل صالحا فيما تركت) أي ضيعت أن أقول لا إله إلا الله وقيل بعمل بطاعة الله قال قتادة ما تمنى أن يرجع الى أهله وعشيرته ولا ليعجم الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر اذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع

فأقاله فاعمل بطاعة الله تعالى. وقال قتادة : والله ما مني الآن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة الا بالله وعن محمد بن كعب القرظي نحوه

وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل - يعني ابن عياض - عن ليث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : اذا وضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحا قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرا ، قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فوه كالنهبوش ينام ويفزع تهوي اليه هوام الارض وحياتها وعقاربها

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم حية عند رأسه وحية عند رجله يقصاه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى [ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون] . وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى [ومن ورائهم] يعني أمامهم . وقال مجاهد البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة . وقال محمد بن كعب البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم . وقال أبو صخر البرزخ المقابر لأهل الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون الى يوم يبعثون وفي قوله تعالى [ومن ورائهم برزخ] تهديد لجؤلا . المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى [من ورائهم جهنم] وقال تعالى [ومن ورائه عذاب غليظ] وقوله تعالى [الى يوم يبعثون] أي يستمر به العذاب الى يوم البعث كما جاء في الحديث « فلا يزال معذبا فيها أي في الارض

فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (١٠١) فمن ثقات موازينه

فأولئك هم المفلحون (١٠٢) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم

خالدون (١٠٣) تلاءم وجوههم النار وهم فيها كالحون (١٠٤)

يخبر تعالى انه إذا نفخ في الصور نفخة النشور ، وقام الناس من القبور ، فلا أنساب بينهم يومئذ

وزجر أي لا يرجع اليها [إنها] يعني سؤاله الرجعة كلمة هو قائلها ولا ينالها [ومن ورائهم برزخ] أي أمامهم وبين أيديهم حاجز [الى يوم يبعثون] والبرزخ الحاجز بين الشيئين واختلفوا في معناه ههنا فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو القبر وهم فيه الى يوم يبعثون [فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم] اختلفوا في هذه النفخة فروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انها النفخة الاولى (نفخ في الصور

ولا يتساولون أي لا تنفع الانساب يومئذ ولا يرثي والد لولد، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى (ولا يسأل حميم حميا يصرونهم) أي لا يسأل القريب قريبه وهو يصهره ولو كان عليه من الاوزار ما قد أثقل ظهره وهو كان أعز الناس عليه في الدنيا ما انفقت اليه ولا حمل عنه وزن جناح بهوضة قال الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) الآية وقال ابن مسعود : إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلة فليجي . فليأخذ حقه . قال - فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً ومصدق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) رواه ابن أبي حاتم

وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبيد الله بن أبي رافع عن المسور - هو ابن مخرمة - رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام « فاطمة بضعة مني ، يعطيني ما يعطيها وينشطني ما ينشطها ، وان الانساب تنقطع يوم القيامة إلا نسبي وسبي وصهري » وهذا الحديث له أصل في الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله عليه السلام قال « فاطمة بضعة مني بريتي ما يريها ويؤذيها ما آذاها » وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول على هذا المنبر « ما بال رجال يقولون ان رحم رسول الله عليه السلام لا تنفع قومه ؟ بلى والله ان رحمي ووصولة في الدنيا والآخرة واني أبها الناس فرط لكم اذا جئتم قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم أما النسب فقد عرفت ولكنكم أعددتم بعدي وارتددتم التهقري » وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عند رضي الله عنه أنه المزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها قال : أما والله ما بي إلا اني سمعت رسول الله عليه السلام يقول « كل سبب ونسب فانه منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسبي » رواه الطبراني والبخاري والبيهقي والحافظ الضياء في المختارة . وذكر أنه أصدقها أربعين ألفاً إعظاماً وإكراماً رضي الله عنه، فقد روى الحافظ

فصعق من في السموات ومن في الارض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) * وا قبل بعضهم على بعض يتساءلون) وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤوس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده وزوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وفي رواية عطاء عن ابن عباس أنها النفخة الثانية (فلا أنساب بينهم) أي لا يتفاضلون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاضلون في الدنيا (ولا يتساءلون) سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيل أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع، فان قيل أليس قد جاء في الحديث « كل سبب ونسب

ابن عساکر في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا سليمان بن عمر الأقطع حدثنا إبراهيم بن عبد السلام عن إبراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « كل نسب وصبر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري » وروى فيها من طريق عمار بن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً « سألت ربي عز وجل أن لا أتزوج إلى أحد من أمي ولا يتزوج إلى أحد منهم إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك : ومن حديث عمار بن سيف عن اسماعيل عن عبد الله بن عمرو

وقوله تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون) أي من رجحت حسنة على سيئته ولو بواحدة ، قاله ابن عباس (فأولئك هم المفلحون) أي الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة ، وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما هربوا (ومن خفت موازينه) أي ثقلت سيئته على حسنة [فأولئك الذين خسروا أنفسهم] أي خابوا وهلكوا وفازوا بالصفقة الخاسرة

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسماعيل بن أبي الحارث حدثنا داود بن المخبر حدثنا صالح المزي عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك يرفعه قال : أن الله ملكا موكلا بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلاق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلاق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا إسناده ضعيف فان داود بن المخبر ضعيف متروك ولهذا قال تعالى (في جهنم خالدون) أي ما كثون فيها دائنون مقيمون فلا يقطعون (تلفح وجوههم النار) كما قال تعالى (وتنفس وجوههم النار) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان الاصبهاني عن أبي سنان ضرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن جهنم لما سبق لها أهلها تلقاهم لمهاثم تلفحهم لفحة فلم يبق لهم لحم إلا سقط على العرقوب »

ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي » قيل معناه ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببه ونسبه وهو الإيمان والقرآن فان قيل قد قال ههنا (ولا يتساءلون) وقال في موضع آخر (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الجواب ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن القيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشق لهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفتقون أفاقا فيتساءلون قوله (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار) أي تسفح وقيل تحرق (وهم فيها كالخون) عابسون أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال أنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح

وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز حدثنا الحضر بن علي بن يونس القطان حدثنا عمرو بن أبي الحارث بن الحضر القطان حدثنا سعيد بن سعيد المقبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (تلفح وجوههم النار) قال تلفحهم لفحة تسيل لوجهم على أعقابهم

وقوله تعالى (وهم فيها كالخون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون ، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود (وهم فيها كالخون) قال ألم تر إلى الرأس المشيط الذي قد بدا أسنانه وقلصت شفتاه . وقال الامام احمد رحمه الله أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « وهم فيها كالخون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ ممرته » ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك وقال حسن غريب

ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون (١٠٥) قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا

وكننا قوما ضالين (١٠٦) ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون (١٠٧)

هذا تقريع من الله وتوبيخ لاهل النار على ما ارتكبوه من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التي أوقفهم في ذلك فقال تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) أي قد أرسلت اليكم الرسل وأنزلت اليكم الكتب وأرسلت شهبكم ولم يبق لكم حجة كما قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (كلما أقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير — إلى قوله — فسمعوا لأصحاب السعير) ولهذا قالوا (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكننا قوم ضالين) أي قد قامت علينا الحجة ولكن كنا أشقى من أن نقاد لها ونتبها فضلنا عنها ولم نرزقها . ثم قالوا (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أي ارددنا الى الدنيا فان عدنا الى ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال (فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل *)

عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال [وهم فيها كالخون] قال « تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب ممرته » وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم عن الاعرج عن أبي هريرة قال : يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال فيصبر ضرسه مثل أحد وشفاهم عند سرهم سود زرق مقبوحون

قوله تعالى (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن يخوفون بها (فكنتم بها تكذبون *) قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا (قرأ حمزة والكسائي شقوتنا بالالف وفتح الشين وهما لغتان أي غلبت علينا شقوتنا التي كذبت علينا فلم نهتد (وكننا قوما ضالين) عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) أي

— إلى قوله — فالحسبكم الله العلي الكبير (أي لا سبيل إلى الخروج لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون

قال اخسئوا فيها ولا تكلمون (١٠٨) انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنة

فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين (١٠٩) فاتخذتهم سخريا حتى أنسوا ذكرى وكنتم

منهم تضحكون (١١٠) إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون (١١١)

هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار . يقول (اخسئوا فيها) أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء . (ولا تكلمون) أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي . قال العوفي عن ابن عباس (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان المروزي حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد عن أبي عروبة عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالك فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم أنكم ما كنون قال هانت دعوتهم والله على مالك ورب مالك ، ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال فوالله ما ينس القوم بعدها بكلمة واحدة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم . قال فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن

من النار ﴿ فان عدنا ﴾ لما تكره ﴿ فانا ظالمون ﴾ قال اخسئوا ﴿ ابعثوا ﴾ فيها ﴿ كما يقال للكلب اذا طرد اخسأ ﴾ ﴿ ولا تكلمون ﴾ في رفع العذاب فاني لا أرفعه عنكم فعند ذلك أبس المساكين من الفرج قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير وبصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون . روى عبد الله بن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالك خازن النار أربعين عاما يا مالك ليقتض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول إنكم ما كنون ، ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فما ينس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق . وقال القرظي اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبس في وجه بعض وأطبقت عليهم ﴿ إنه ﴾ الهاء في انه عماد وتسمى أيضا المجهولة ﴿ كان فريق من عبادي ﴾ وهم المؤمنون ﴿ يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير

سلة بن كهيل حدثنا ابو الزعراء قال : قال عبد الله بن مسعود اذا اراد الله تعالى أن لا يخرج منهم أحداً يعني من جهنم غير وجوههم وألوانهم فيجزي الرجل من المؤمنين فيشفع فيقول يارب فيقول الله من عرف أحداً فليخرجه فيجزي الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحداً فيناديه الرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك قال فعند ذلك يقولون (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) فعند ذلك يقول الله تعالى (اخسئوا فيها ولا تكلمون) فاذا قال ذلك أطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم أحد، ثم قال تعالى ذكرأ لهم ذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه فقال تعالى [انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين] فاتخذتموهم سخرياً [أي فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إلي] حتى أنسوكم ذكري [أي جعلكم بفضهم على أن نسيتهم هاماني] وكنتم منهم تضحكون [أي من صنيعهم وعبادتهم كما قال تعالى (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون) أي يلذونهم استهزاء] ثم أخبر تعالى عما جازى به أوليائه وعباده الصالحين فقال تعالى (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي على أذاكم لهم واستهزائكم بهم (أنهم هم الفائزين) بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة من النار

قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ (١١٢) قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسئل العاذبين

(١١٣) قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون (١١٤) أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا

لا ترجعون؟ (١١٥) فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم (١١٦)

يقول تعالى منها لهم على ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده لو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المقنون (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين)

الراحمين * فاتخذتموهم سخرياً ﴿ قرا أهل المدينة وحمة والكسائي سخرياً بضم السين ههنا وفي سورة ص ، وقرأ الباقون بكسر ها وانفقوا على الضم في سورة الزخرف قال الخليل هما لغتان مثل قولهم بحر لحي بضم اللام وكسر ها . كوكب دري ودري قال الفراء والكسائي الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل وانفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير ﴿ حتى أنسوكم ﴾ أي أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم ﴿ ذكري وكنتم منهم تضحكون ﴾ نظيره (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) قال مقاتل نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والمقبراء من الصحابة كان كفار قريش يستهزئون بهم ﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا ﴾ على أذاكم واستهزائكم في الدنيا ﴿ أنهم هم الفائزون ﴾ قرا حمزة والكسائي إنهم بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بفتحها فيكون في موضع المفعول الثاني أي جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة ﴿ قال كم

أي كم كانت اقامتكم في الدنيا (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين [أي الحاسبين] قال ان لبثتم إلا قليلا) أي مدة يسيرة على كل تقدير (لو انكم كنتم تعلمون) أي لما آتاكم الغاني على الباقي ولما تصرفتم لانفسكم هذا التصرف العبي ولا استحققتهم من الله سخطة في تلك المدة اليسيرة فلو انكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أبيه عن عبد الله بن كلاب عن أبيه سمعه يخطب الناس فقال : قال رسول الله ﷺ « إن الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال نعم ما انجزتم في يوم أو بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي أمكنوا فيها خالدين مخلدين ، ثم قال يا أهل النار كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فيقول بئس ما انجزتم في يوم أو بعض يوم ناري وسخطي أمكنوا فيها خالدين مخلدين »

وقوله تعالى (أحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أي أظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كخلقتم البهائم لاثواب لها ولا عقاب وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل (وانكم اليها لاترجعون) أي لاتعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى (أحسب الانسان أن يترك سدى) يعني ههنا ، وقوله (فتعالى الله الملك الحق) أي تقدس أن يخلق شيئا عبثا فانه الملك الحق المنزه عن ذلك (لا إله الا هو رب العرش الكريم) فذكر العرش لانه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم أي حسن المنظر بهي الشكل كما قال تعالى [وأنبئنا فيها من كل زوج كريم]

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا اسحاق بن سليمان شيخ من أهل العراق أنبأنا شعيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر

لبثتم ﴿قرأ حمزة والكسائي قل كم وقل ان على الامر والنهي ومعنى الآية قولوا أيها الكافرون فأخرج الكلام مخرج الواحد والمراد منه الجماعة اذ كان معناه مفهوما ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم أي قل يا أيها الكافرون ، وقرأ ابن كثير قل كم على الامر وقال ان على الخبر لان الثانية جواب وقرأ الآخرون قال فيهما جميعا أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم لبثتم ﴿في الارض﴾ أي في الدنيا وفي القبور ﴿عدد سنين﴾ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴿نسوا مدة لبثهم في الدنيا اعظم مام بصدده من العذاب﴾ فاسأل العادين ﴿الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم وبحصونها عليهم﴾ قال ان لبثتم ﴿أي ما لبثتم في الدنيا﴾ ﴿إلا قليلا﴾ مائة قليلا لان الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة لان لبثه في الدنيا والقبر متناه ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ قدر لبثكم في الدنيا ﴿أحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ لعبا وباطلا لا لحكمة وهو نصب على الحال أي عابثين

خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس انكم لم تحلفوا عبثاً ، وإن تركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر وشقي عبد أخرجه الله من رحمته وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخافه وباع نافداً يباق قليل بكثير خوف بأمان ، ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين وسيكون من بعدكم الباقين حتى تردون الى خير الوارثين ؟ ثم انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله عز وجل قد قضى نحبه واقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير ممد ولا موسد قد فارق الاحباب ، وياشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتين بعمله غني عما ترك فقير الى ما قدم ، فانقوا الله قبل انقضاء مواعيقه ونزول الموت بكم ، ثم جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله

وقال ابن أبي حاتم ثنا يحيى بن نصير الخولاني ثنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي هبيرة عن حسن بن عبد الله أن رجلاً مصاباً مر به عبد الله بن مسعود فقرأ في أذنه هذه الآية [أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم اليينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق] حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله ﷺ « بماذا قرأت في أذنه ؟ » فأخبره فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » وروى أبو نعيم من طريق خالد بن نزار عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد ابن ابراهيم بن الحارث عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقول اذا نحن أمسينا وأصبحنا [أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم اليينا لا ترجعون] قال أقرأناها فغنمنا وسلمنا

وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي حدثنا أبو المصيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حبيش عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله ﷺ « أمان أمي من الفرق إذا ركبوا السفينة : بسم الله الملك الحق ، وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ، بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم »

وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وهو مثل قوله (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى (وأنكم اليينا لا ترجعون) أي أخسبتم أنكم اليينا لا ترجعون في الآخرة للجزاء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أخبرنا عبد الواحد المليحي أما أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا بشر بن عمر أنا عبد الله بن لهيعة أنا عبد الله بن هبيرة عن حنش أن رجلاً مصاباً مر به علي ابن مسعود فقرأ في أذنيه (أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً) حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله ﷺ « بماذا رقيت في أذنه » فأخبره فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال » ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون فقال

ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون

(١١٧) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (١١٨)

يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره وعبد معه سواه ونخبها ان من أشرك بالله لا برهان له أي لا دليل له على قوله فقال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) وهذه جملة معترضة وجواب الشرط في قوله (فانما حسابه عند ربه) أي الله بحسابه على ذلك ، ثم أخبر أنه لا يفلح الكافرون (أي لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجات) قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لرجل « ما تعبد ؟ » قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناما فقال رسول الله ﷺ « فأيهم اذا أصابك ضرر فدعوه كشفه عنك ؟ » قال : الله عز وجل . « قال فأيهم اذا كانت لك حاجة فدعوه اعطاها ؟ » قال الله عز وجل قال « فما يملك على أن تعبد هؤلاء معه أم حسبت أن تغلب عليه » قال :

أردت شكره بعبادة هؤلاء معه ، فقال رسول الله ﷺ « تعلمون ولا تعلمون » فقال

الرجل بعد ما أسلم : لقيت رجلا خصمني . هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى

أبو عيسى الترمذي في جامعه مسندا عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول

الله ﷺ نحو ذلك . وقوله تعالى (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير

الراحمين) هذا ارشاد من الله تعالى الى هذا الدعاء ، فالغفر اذا

أطلق معناه محو الذنوب وستره عن الناس ، والرحمة

معناها أن يسدده ويوقفه في الاقوال والافعال

﴿ آخر تفسير سورة المؤمنون ﴾

جل ذكره ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ يعني المبرمج الحسن وقيل

المرتفع ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ﴾ أي لا حجة له به ولا بينة لأنه

لا حجة في دعوى الشرك ﴿ فانما حسابه ﴾ جزاؤه ﴿ عند ربه ﴾ بجازيه بعمله

كما قال تعالى (ثم إن علينا حسابهم) ﴿ إنه لا يفلح الكافرون ﴾

لا يسعد من جحد وكذب ﴿ وقل رب اغفر وارحم

وأنت خير الراحمين ﴾

تفسير سورة النور وهي مدنية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينت لعلكم تذكرون (١) الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين (٢)

يقول تعالى هذه سورة أنزلناها ، فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفي ماعداها (وفرضناها) قال مجاهد وقتادة : أي ينال الحلال والحرام والامر والنهي والحدود . وقال البخاري : ومن قرأ فرضناها يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي مفسرات واضحات (لعلكم تذكرون) ثم قال تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) يعني هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد ، وللعلماء فيه تفصيل وزاع فإن الزاني لا يخلو إما أن يكون بكراً وهو الذي لم يزوج ، أو محصناً وهو الذي قد وطئ . في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل ، فأما إذا كان بكراً لم يزوج فإن حده مائة جلدة كفي الآية ويزاد على ذلك أن يغرب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء . خلافاً لابي حنيفة رحمه الله فإن عنده أن التغريب إلى رأي الامام إن شاء . غريب وإن شاء لم يغرب . وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الاعرابين اللذين أنيا رسول الله ﷺ فقال أحدهما : يا رسول الله إن ابني هذا كان عـ. يفا - يعني أجيراً - على هذا فرزنا بامرأته فانتدبت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسأت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وإن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لا قضين بينكما بكتاب الله تعالى ، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام . واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها »

﴿سورة النور مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة﴾ أي هذه سورة ﴿أنزلناها وفرضناها﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وفرضناها بتشديد الراء. وقرأ الآخرون بالتخفيف أي أوجبتنا ما فيها من الاحكام والزمنكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود. والفرض التقدير قال الله عز وجل (فنصف ما فرضتم) أي قدرتم ودليل التخفيف (تفسير ابن كثير والبغوي) (٧) (الجزء السادس)

فقد اعترفت فرجها . وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج
فأما إذا كان محصناً وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فإنه يرجم كما قال
الامام مالك حدثني ابن شهاب أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عمر
قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه
الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعينناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشي
أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها
الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحبل أو
الاعتراف . أخرجه في الصحيحين من حديث مالك مطولاً وهذه قطعة منه فيها مقصودنا هنا

وروى الامام احمد عن هشيم عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثني
عبد الرحمن بن عوف أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعه يقول: ألا وإن ناساً يقولون ما الرجم
في كتاب الله وإنما فيه الجلد وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ولولا أن يقول قائل أو
يتكلم متكلم أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت . وأخرجه النسائي من حديث
عبيد الله بن عبد الله به

وقد روى الامام أحمد أيضاً عن هشيم عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
قال خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر الرجم فقال أنا لا نجد من الرجم بدأ فإنه حد من
حدود الله تعالى، ألا وإن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون إن عمر زاد في
كتاب الله ما ليس فيه لكتبت في ناحية من المصحف ، وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف
وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده ، لا أنه سيكون قوم من بعدكم يكذبون
بالرجم وبالشفاعة وبعذاب القبر ويقوم يخرجون من النار بعد ما أعتشوا .

وروى أحمد أيضاً عن يحيى القطان عن يحيى الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن
الخطاب « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم » الحديث رواه الترمذي من حديث سعيد عن عمر وقال صحيح
وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا

قوله (إن الذي فرض عليك القرآن) وأما التشديد فمعناه وفصلناه وبينناه وقيل هو بمعنى الفرض
الذي هو بمعنى الإيجاب أيضاً، والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من الفرائض أي أوجبناها عليكم وعلى
من بعدكم إلى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) وأضحات (لعلكم تذكرون) تعظون
قوله عز وجل (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أراد إذا كانا حريين بالغين
عاقلين بكرين غير محصنين (فاجلدوا) فاضربوا (كل واحد منهما مائة جلدة) يقال جلده إذا ضرب
جلده كما يقال رأسه وبطنه إذا ضرب رأسه وبطنه وذ كر بلفظ الجلد لثلاثين لا يبرح ولا يضرب بحيث

ابو عون عن محمد هو ابن سيرين قال ابن عمر ثبت عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفيينا زيدا فقال زيد بن ثابت كنا نقرأ الشيخ والشيخه اذا زنيا فارجموهما البتة قال مروان ألا كتبها في المصحف قال ذكرنا ذلك وفيينا عمر بن الخطاب فقال انا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف قال جاء اليه رجل الى النبي ﷺ قال فذكر كذا وكذا وذكر الرجم فقال يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال لا استطيع الآن هذا أو نحو ذلك

وقد رواه النسائي من حديث محمد بن المثني عن غندر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير قال عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به ، وهذه طرق كلها متعاضدة ودالة على ان آية الرجم كانت مكتوبة فتنسخ نلأوتها وبقي حكمها معمولاً به والله أعلم وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الاجير لما زنت مع الاجير ، ورجم رسول الله ﷺ ماعزا والقامدية وكل هؤلاء ام ينقل عن رسول الله ﷺ انه جلداهم قبل الرجم وانما وردت الاحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والالفاظ بالاقتصار على قولهم وليس فيها ذكر الجلد ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء واليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور واليه ذهب الامام أحمد رحمه الله الى انه يجب ان يجمع على الزاني المحصن بين الجلد والآية فجلدهم بالرجم كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه لما أتى بمراجمه وكانت قد زنت وهي محصنة فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة فقال جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة

رسوله ﷺ وقد روى الامام أحمد وأهل السنن الاربعة ومسلم من حديث قتادة عن الحسن بن حطان بن الحسن بن عبد الله الرقاشي عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » وقوله تعالى لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أي في حكم الله أي لا ترفأوا بهما في شرع الله وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية على ترك الحد وانما هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد فلا يجوز ذلك قال مجاهد (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال اقامة الحدود اذا رفعت الى السلطان

يبان للحم وقد وردت السنة انه يجلد مائة ويغرب عاما وهو قول أكثر أهل العلم وان كان الزاني محصنا فعليه الرجم ذكرناه في سورة النساء (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة ورقة وقرأ ابن كثير رأفة بفتح الهمزة ولم يختلفوا في سورة الحديد انها ساكنة لمجاورة قوله (ورحمة) والرأفة معنى يكون في القلب لا ينهي عنه لانه لا يكون باختيار الانسان روي أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنته لا تأخذكم بها رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله عز وجل لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت واختلفوا في معنى الآية فقال قوم لا تأخذكم بهما رأفة فتمطوا الحدود

فتقام ولا تعطل وكذا روي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وقد جاء في الحديث « تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب » وفي الحديث الآخر « لحد يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمتطروا أربعين صباحاً » وقيل المراد (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم وليس المراد الضرب المبرح . قال عامر الشعبي (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال رحمه في شدة الضرب وقال عطاء ضرب ليس بالبرح وقال سعيد بن أبي غروبة عن حماد بن أبي سليمان يجلد القاذف وعليه ثيابه والزاني تخلم ثيابه ثم تلا (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) فقلت هذا في الحكم قال هذا في الحكم والجلد يعني إقامة الحد وفي شدة الضرب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأزدي حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر وعن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها . قال نافع أراه قال وظهرها قال قلت (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) قال يابني ورأيتني أخذتني بها رأفة إن الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجعل جلدًا في رأسها وقد أوجعت حيث ضربتها . وقوله تعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي فافعلوا ذلك وأقيموا الحدود على من زنى وشددوا عليه الضرب ولكن ليس مبرحاً ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك ، وقد جاء في المسند عن بعض الصحابة أنه قال : يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال « ولك في ذلك أجر »

وقوله تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدوا بحضرة الناس فإن ذلك يكون أبلغ في زجرهما وأنجم في ردعهما فإن في ذلك تقريباً وتوبيخاً وفضيحة إذا كان الناس حضوراً . قال الحسن البصري في قوله (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) يعني علانية ثم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) الطائفة الرجل فافوقه وقال مجاهد الطائفة الرجل الواحد إلى الالف ، وكذا قال عكرمة ولهذا قال أحمد إن الطائفة تصدق على واحد ، وقال عطاء بن أبي رباح اثنان ، وبه قال إسحاق بن راهويه وكذا قال سعيد بن جبير (طائفة من المؤمنين) قال يعنى رجلين فصاعداً ، وقال الزهري ثلاثة نفر فصاعداً ، وقال عبد الرزاق حدثني ابن وهب عن الإمام مالك في قوله (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) قال الطائفة أربعة نفر فصاعداً لأنه لا يكفي شهادة في الزنا إلا أربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعي وقال ربيعة خمسة ،

ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء . وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقال جماعة معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب ، وقال قتادة يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية (في دين الله) أي في حكم الله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه أن المؤمن لا تأخذ الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى (وليشهد) وليحضر (عذابهما) حدهما إذا أقيم

وقال الحسن البصري عشرة ، وقال قتادة أمر الله أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا بقية قال سمعت نصر بن عاقمة يقول في قوله تعالى (ولا يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) قال ليس ذلك للفضيحة إنما ذلك ليدعى الله تعالى لها بالتوبة والرحمة

الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك

على المؤمنين (٣)

هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يوطأ إلا زانية أو مشركة أي لا بطارعه على مراده من الزنا لا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك (الزانية لا ينكحها إلا زان) أي عاص بزناه (أو مشرك) لا يعتد بحرمه قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) قال ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك وهذا اسناد صحيح عنه ، وقد روي عنه من غير وجه أيضاً ، وقد روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك . وقوله تعالى (وحرّم ذلك على المؤمنين) أي تعاطيه والتزوج بالبغايا أو تزويج العفائف بالرجال الفجار

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا قيس عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وحرّم ذلك على المؤمنين) قال حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا وتقدم ذلك فقال (وحرّم ذلك على المؤمنين) وهذا الآية كقوله تعالى (محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان) وقوله (محصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان) الآية ومن

عليهما (طائفة) نفر (من المؤمنين) قال مجاهد والنخعي أقله رجل واحد فما فوقه وقال عكرمة وعطاء رجلان فصاعداً وقال الزهري وقاتلة ثلاثة فصاعداً وقال مالك وابن زيد أربعة بعدد شهود الزنا قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) وحرّم ذلك على المؤمنين () اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لآمال لهم ولا عشاير وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب أناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية وحرّم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقاتلة والزهري والشعبي ورواية العوفي عن ابن عباس ، وقال عكرمة نزلت في نساء بمكة والمدينة منهن تسع

ههنا ذهب الامام أحمد بن حنبل رحمه الله الى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تستتاب فان تاب صح العقد عليها والا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى (وحرم ذلك على المؤمنين)

وقال الامام احمد حدثنا عارم حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا الحضرمي عن القاسم ابن محمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا من المؤمنين استأذن رسول الله ﷺ في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه قال فاستأذن رسول الله ﷺ أو ذكر له أمرها قال فقرأ رسول الله ﷺ (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

وقال النسائي أخبرنا عمرو بن عدي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوجها فنزل الله عز وجل (الزاني لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

قال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عباد عن عبيد الله بن الاخفش أخبرني عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وأنه واعد رجلا من أسارى مكة بحمله قال فجئت حتى انتهيت الى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت الي عرفتني فقالت مرثد فقلت مرثد فقلت مرحبا وأهلا لم فبت عندنا الليلة . قال فقلت يا عناق حرم الله زنا قالت يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسرا كم قال فتبعتني ثمانية ودخلت الحديقة فأنتهيت الى غار أو كهف فدخلت فيه فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماههم الله عني قال ثم رجعوا فرجعوا الى صاحبي فحملته

لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المحزومي فكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحن على تلك الجهة فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله ﷺ في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دفعته عناق الى نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله ﷺ قال فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله أنكح عناقا ؟ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد شيئا فنزلت (والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) فدعاني رسول الله ﷺ

وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهت إلى الأذخر ففككت عنه أحبله فجعلت أحمله وبعينني حتى أتيت به المدينة فأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أنكح عناقاً أنكح عناقاً مرتين فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فقال رسول الله ﷺ «يا مرء الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سننهما من حديث عبيد الله بن الأخنس به، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسدد أبو الحسن حدثنا عبد الوارث عن حبيب المعلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله» وهكذا أخرجه أبو داود في سننه عن مسدد وأبي معمر عن عبد الله بن عمرو كلاهما عن عبد الوارث به وقال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد عن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى بن عمر قال أشهد سمعت سالماً يقول: قال عبد الله قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة المشبهة بالرجال والكذوب». وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمندان بما أعطى» ورواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمرجي عن عبد الله بن يسار به

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويمر بن الأجدع عن حماد بن عمار عن سالم بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر أن رسول الله قال «ثلاثة حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والذي يقر في أهله الخبث» وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن حنيف عن محمد بن عمار عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة ديوث» يستشهد به لما قبله من الأحاديث

فقرأها علي وقال لي «لا تنكحها» فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصاً في حق أولئك دون سائر الناس، وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعناه أن الزاني لا يزني إلا زانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزناً أو مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ورواه الوالي عن ابن عباس قال يزيد بن هارون: أن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان. وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان أبداً، وقال الحسن الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود. قال سعيد بن المسيب وجماعة أن حكم الآية منسوخ فكان نكاح الزانية حراماً بهذه الآية فنسخها قوله (وأنكحوا الإيامي منكم) فدخلت الزانية في أيامي المسلمين، واحتج من جوز نكاح الزانية بما أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل

وقال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلام بن سوار حدثنا كثير بن سليم عن الضحاك بن مزاحم سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن يلقى الله وهو طاهر متطهر فليتزوج الحرائر » في اسناده ضعف

وقال الامام أبو النصر اسمعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة الديوث القنزع وهو الذي لا غيرة له ، فاما الحديث الذي رواه الامام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب النكاح من سننه أخبرنا محمد بن اسمعيل بن علي عن يزيد بن هارون عن حماد بن مسلمة وغيره عن هارون بن رثاب عن عبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الكريم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس عبد الكريم رفعه الى ابن عباس وهارون لم يرفعه قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال ان عندي امرأة من أحب الناس الي وهي لا تمنع يد لامس قال « طامها قال لاصبر لي عنها قال « استمتع بها » ثم قال النسائي هذا الحديث غير ثابت وعبد الكريم ليس بالقوي وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة وحديثه أولى بالصواب من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي المخارق البصري المؤدب تابعي ضيف الحديث وقد خالفه هارون بن رثاب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي لكن قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن اسحاق بن راهويه عن النضر بن اسماعيل عن حماد بن سلمة عن هارون بن رثاب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسنداً فذكر بهذا الاسناد رجلاً له على شرط مسلم الا ان النسائي بعد روايته له قال هذا خطأ والصواب مرسل. ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي أيضاً وأبو داود عن الحسين بن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ فذكره وهذا الاسناد جيد. وقد اختلف الناصر في هذا الحديث ما بين ضعفه لكما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الامام أحمد هو حديث منكر

وقال ابن قتيبة انما أراد أنها سخية لا تمنع سائلاً وحكاها النسائي في سننه عن بعضهم فقال وقيل سخية عطية ، ورد هذا بأنه لو كان المراد لقال لا ترد يد ملتمس ، وقيل المراد أن سجيبتها لا ترد يد لامس لأن المراد أن هذا واقع، منها وانها لا تعمل الفاحشة فان رسول الله ﷺ لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها فان زوجها والحالة هذه يكون ديوثاً وقد تقدم الوعيد على ذلك ، ولكن لما كانت سجيبتها

التيممي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو احمد عبد الله بن عدي الحافظ أنا الحسن بن الفرج أنا عمرو بن خالد الحراني أنا عبد الله عن عبد الكريم الجزدي عن أبي الزبير عن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ان امرأتني لا تمنع يد لامس ؟ « قال طلقها » قال فاني أحبها وهي جميلة قال « استمتع بها » وفي رواية غيره « فامسكها إذا » وروي أن عمر بن الخطاب ضرب رجلاً وامرأة في زنا وحرص أن يجمع بينهما فأبى الغلام

هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد أمره رسول الله ﷺ بفراقها فلما ذكر أنه يحبسها أباح له البقاء معها لأن محبته لها محقة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصر إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل والله سبحانه وتعالى أعلم

قالوا فأما إذا حصلت توبة فانه يحل التزويج كما قال الامام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال إني كنت ألم بامرأة آتت منها ما حرم الله عز وجل علي فرزق الله عز وجل من ذلك توبة فأردت أن أتزوجها فقال أناس إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة . فقال ابن عباس ليس هذا في هذا ، انكحها فما كان من أم فعلي . وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء ان هذه الآية منسوخة ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ذكر عنده (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) قال كان يقال نسختها التي بعدها (وانكحوا الأيامى منكم) قال كان يقال الأيامى من المسلمين ، وهكذا رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ له عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك أيضا الامام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم

شهادة أبداً وأولئك هم المفسقون (٤) الا الذين تابوا وأصلحوا فان الله غفور رحيم (٥)

عنه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة فإذا كانت المقذوف رجلاً فكذلك يجلد قاذفه أيضاً وليس فيه نزاع بين العلماء فان أقام القاذف بيته على صحة

قوله ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا فقال له زني أو يازاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان حراً وان كان عبداً فيجلد أربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير بشرائط الاحصان خمسة : الاسلام ، والعقل ، والبلوغ ، والحرية ، والعفة من الزنى ، حتى إن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حاله وامتد عمره فقفذه قاذف فلا حد عليه فان أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لأن الحد الذي وجب عليه حد الغربة وقد ثبت صدقه وقوله (والذين يرمون المحصنات) أي يقدفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحرائر العنائف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) يشهدون على زناها (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أي اضربوهم ثمانين جلدة ﴿ ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم المفسقون ﴾ الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴿ اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم الى ان

ماقاله درأ عنه الحد ولهذا قال تعالى (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة على صحة ماقال ثلاثة أحكام [أحدها] أن يجلد ثمانين جلدة [الثاني] أنه ترد شهادته أبدا [الثالث] أن يكون فاسقا ليس يعدل لا عند الله ولا عند الناس، ثم قال تعالى (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) الآية. واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط فيرفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائما وإن تاب أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة؟ وأما الجلد فقد ذهب واقضى سواء تاب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الامام مالك وأحمد والشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضا، وقال الامام أبو حنيفة إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط فيرفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبدا وعن ذهب إليه من السلف القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن ابن زيد بن جابر. وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعرف على نفسه أنه قد قال بهتان، فحينئذ تقبل شهادته والله أعلم

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين (٦) والخمسة أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين (٧) ويدروا عنها العذاب

القاذف ترد شهادته بنفس القذف، وإذا تاب وندم على ماقال وحسنت حاله قبلت شهادته سواء تاب بعد اقامة الحد عليه أو قبلها لقوله تعالى (إلا الذين تابوا) وقالوا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويؤزل عنه اسم الفسق يروى ذلك عن ابن عباس وعمر وهذا هو قول سعيد ابن جبير ومجاهد وعطاء وطارس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرري وبه قال مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله (وأولئك هم الفاسقون) وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي وقالوا بنفس القذف لا ترد شهادته مالم يحد، قال الشافعي وهو قبل أن يحد شر منه حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف يردونها في أحسن حاله وقبلونها في شر حاله. وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالتقصاص يسقط بالعفو عنه ولا يسقط بالتوبة، فإن قيل إذا قبلتم شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا؟ قيل معناه لا تقبل شهادته أبدا مادام هو مصرا على قذفه لأن أبدا كل انسان مدته على مايليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر أبدا يراد مادام كافرا

قوله (والذين يرمون أزواجهم) يقذفون نسائهم (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون على صحة

أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين (٨) والخمسة أن غضب الله عليها ان كان من الصّٰدقين (٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠)

هذه الآية الكريمة فيها فرج للازواج وزيادة مخرج اذا قذف أحدهم زوجته وتسعر عليه اقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل وهو أن يحضرها الى الامام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء انه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا (والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فاذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبداً ويعطى مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ، ولا يدرأ عنها العذاب الا أن تلاعن فتشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين أي فيما رماها به (والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولهذا قال (ويدراً عنها العذاب) يعني الحد ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فخصها بالفضب كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا الا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يجحد عنه، ثم ذكر تعالى رأفته بخلفه واطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى

ما قالوا (الا أنفسهم) غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب أربع شهادات ، برفع العين على خبر الابتداء أي فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع شهادات وقرأ الآخرون بالنصب أي فشهادة أحدهم التي تدرأ عنه الحد أربع شهادات أي فشهادة أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين (والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) قرأ نافع ويعقوب أن خفيفة وكذلك الثانية (لعنة الله) رفع ثم قرأ يعقوب غضب بالرفع على الاسم (الله) جر ، وقرأ نافع غضب بكسر الصاد وفتح الباء على الفعل الماضي (الله) رفع وقرأ الآخرون أن بالتحديد فيهما لعنة نصب وغضب بفتح الصاد على الاسم الله جر ، وقرأ حفص عن عاصم والخامسة الثانية نصب أي ويشهد الشهادة الخامسة ، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وخبره في أن كلاً ولي ، وسبب نزول هذه الآية ما أخبرنا أبو الحسن المرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب أن سهل بن سعد الساعدي أخبره أن عويمر العجلاني جاء الى عاصم بن عدي الانصاري فقال له يا عاصم أرايت لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقضه فقتلوه أم كيف يفعل ؟ سل لي عن ذلك يا عاصم رسول الله ﷺ قال فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ فلما رجم عاصم الى أهله جاء عويمر فقال له يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقال عاصم لعويمر لم تأتني بخير قد كره رسول الله

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أي لخرجتم ولشق عليكم كثير من أموركم (وان الله تواب) أي على عباده ، وان كان ذلك بعد الحلف والايان المغلظة (حكيم) فيما بشره وبأسر به وفيما ينهى عنه ، وقد وردت الاحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذ كر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة . قال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً)

قال سعد بن عباد وهو سيد الانصار رضي الله عنه أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ «يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟» فقالوا يا رسول الله لا نله فانه رجل غيور والله ماتزوج امرأة قط إلا بكر او مطلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرة . فقال سعد والله يا رسول الله إني لأعلم أنها لحق وانها من الله ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيج به ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله اني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته . — قال فالبشوا إلا يسيرا — حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع باذنيه فلم يهيج به حتى أصبح ففدا على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله اني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد واجتمعت عليه الانصار وقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عباد الآن

المسئلة التي سأته عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله ﷺ وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ «قد انزل فيك وفي صاحبك فاذهب فائت بها» فقال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ فلما فرغا من تلاعنها قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين وقال محمد بن اسماعيل أنا اسحاق أنا محمد بن يوسف أنا الازاعي أنا الزهري بهذا الاسناد بمثل معناه وزاد ثم قال رسول الله ﷺ «انظروا فان جاءت به أسحيم أدعج العينين ، عظيم الايتين ، خدلج الساقين فلا أحسب عويمر إلا قد صدق عليها ، وان جاءت به أحيمر كأنه وجرة فلا أحسب عويمر إلا قد كذب عليها» فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من نصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن بشار أنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان أنا عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله ﷺ بشريك بن سحاء فقال النبي ﷺ «البينة أوحد في ظهرك» فقال يا رسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول «البينة وإلا حد في ظهرك» فقال هلال والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزان الله ما يعريه

بضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس فقال هلال والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً . وقال هلال يارسول الله فاني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم إني لصادق . فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه اذ أنزل الله على رسوله ﷺ الوحي وكان اذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تريب وجهه يعني فاسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله) الآية فسرني عن رسول الله ﷺ فقال « أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً » فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله ﷺ أرسلوا اليها فأرسلوا اليها فجات فتلاها رسول الله ﷺ عليهما فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يارسول الله لقد صدقت عليها فقلت كذب فقال رسول الله ﷺ « لا عنوا بينهما » فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له: يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من الآخرة وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب . فقال والله لا بعدني الله عليها كما لم يجلدني عليها فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل للمرأة اشهدي أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين وقيل لها عند الخامسة اتقي الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم

ظهرني من الحد فنزل جبريل وانزل عليه (والذين يرمون أزواجهم) فقرأ حتى بلغ (ان كان من الصادقين) فانصرف النبي ﷺ فأرسل اليها فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول « إن الله يعلم أن أحداً كاذب فهل منكنا نائب » ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي ﷺ « ابصروها فان جاءت به أكحل العينين ، سايع الاليتين ، خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء » فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ « لولا مامضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » وقال عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (والذين يرمون المحصنات) الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيبه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لأتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت مارأيت إن في ظهري لثمانين جلدة فقال رسول الله ﷺ « يا معشر الانصار ألا تسمعون ما قال سيدكم » قالوا لانه فانه رجل غيور ماتزوج امرأة قط إلا بكراً ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد يارسول الله بأبي أنت وأمي والله اني لأعرف انها من الله وانها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرك الله فقال النبي ﷺ « فان الله يأبي إلا ذلك » فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا الا يسيراً حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلاً مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على

قالت والله لا أفصح قومي فشهدت في الخامسة ان غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقضى: أن لا يدعى ولدها لآب ولا برمي ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد، وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها وقال «ان جاءت به أصيب أرشح حش الساقين فهو لهلل، وان جاءت به أوردق جعد اجمالاً خدلج الساقين ساخ الايتين فهو للذي رميت به» فجاءت به أوردق جعد اجمالاً خدلج الساقين ساخ الايتين فقال رسول الله ﷺ «لولا الايمان لكان لي ولها شأن» قال عكرمة فكان بعد ذلك أميراً على مصر وكان يدعى لأمه ولا يدعى لآب، ورواه ابو داود عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون به نحوه مختصراً، ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة، فمنها ما قال البخاري حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحاء فقال النبي ﷺ «الينة أو حد في ظهرك» فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس الينة فجعل النبي ﷺ يقول «الينة وإلا حد في ظهرك» فقال هلال والذي بعثك بالحق أني لصديق وليزان الله ما يبري ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه (والذين يرمون أزواجهم - فقرأ حتى بلغ - إن كان من الصادقين) فانصرف النبي ﷺ فأرسل اليهما فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول «ان

رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله أني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلاً مع امرأتي رأيت بهمني وسمعت باذني فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله أني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به والله يعلم أني لصديق وما قلت إلا حقاً وإني لأرجو أن يجعل الله لي فرجاً فهم رسول الله ﷺ بضربه قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته وانهم كذلك ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه اذ نزل عليه الوحي فامسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل عليه حتى فرغ رسول الله ﷺ فامسكوا فانزل الله عز وجل (والذين يرمون أزواجهم) الى آخر الآيات فقال رسول الله ﷺ ابشر يا هلال فان الله قد جعل لك فرجاً فقال لقد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله ﷺ «ارسلوا اليها» فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل لها فكذبت فقال رسول الله ﷺ «إن الله يعلم أن أحداً كاذب فهل منك تائب» فقال هلال يا رسول الله بأبي أنت وأمي قد صدقت وما قلت إلا حقاً فقال رسول الله ﷺ «لاعنوا بينهما» فقيل لهلل اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة «يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب» فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله ﷺ فشهد

الله يعلم ان أحداً كاذب فهل منكنا نائب » ثم قامت فشهدت ، فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن عباس فتلك كانت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضمت فقال النبي ﷺ « أبصروها فان جاءت به أكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو لشريك بن سحماء » فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ « لولا ماضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » انفرد به البخاري من هذا الوجه ، وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزبدي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعني ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول الله ﷺ فلم يزل يردده حتى أنزل الله تعالى (والذين يرمون أزواجهم) فقرأ حتى فرغ من الآيتين فأرسل اليهما فدعاها فقال « إن الله تعالى قد أنزل فيكما » فدعا الرجل فقرا عليه (فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه فقال له كل شيء أهون عليك من لعنة الله ثم أرسله فقال لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم دعاها فقرا عليها فشهدت أربع شهادات بالله انه من الكاذبين ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظها وقال : وبحك كل شيء أهون من غضب الله ثم أرسلها فقالت : غضب الله عليها إن كان من الصادقين . فقال رسول الله ﷺ « أما والله لا قضين بينكما قضاء فصلا قال فولدت فما رأيت مولودا بالمدينة أكثر منه فقال » ان جاءت به لكذا

الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ثم قال للمرأة « اشهدي » فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها « اتقي الله فان الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس » فتلك كانت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفصح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله ﷺ « إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه » فجاءت به غلاما كأنه جل أورق على الشبه المكروه وكان بعد أميراً على مصر لا يدري من أبوه وقال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل لما نزلت (والذين يرمون المحصنات) الآية فقرأها رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فاخبر بما رأى جلد ثمانين جلدة وسماه المسلمون فاسقا ولا تقبل شهادته أبداً فكيف لنا بالشهداء ونحن اذا التمسنا الشهداء كان الرجل فرغ من حاجته ومرا ، وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محضن فأتى عويمر عاصم وقال لقد رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما أمرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي فاخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم عاصم فدعا رسول الله ﷺ

وكذا فهو كذا ، وإن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا » فجاءت به يشبه الذي قذفت به
وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال : سمعت سعيد بن
جبير قال سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما في إماراة ابن الزبير فما دريت ما أقول فقامت من مكاني
إلى منزل ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما؟ فقال سبحانه الله أن أول من سأل
عن ذلك فلان بن فلان فقال يا رسول الله أرأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر
عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال الذي سألتك عنه
قد ابتليت به فأنزل الله تعالى هذه الآيات في سورة النور (والذين يرمون أزواجهم) حتى بلغ (أن
غضب الله عليها إن كان من الصادقين) فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون
من عذاب الآخرة فقال والذي بعثك بالحق ما كذبت ، ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن
عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة والذي بعثك بالحق أنه لكاذب . قال فبدأ
بالرجل فشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين
ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من
الصادقين ، ثم فرق بينهما رواه النسائي في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به وأخرجه في
الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس

بهم جميعاً وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تمذفها بالبهتان فقال يا رسول الله أقسم
بالله أني رأيت شريكاً على بطنها وأنني ما قربتها منذ أربعة أشهر وأنها حبلى من غيري فقال رسول الله
ﷺ للمرأة « اتقي الله ولا تخبري إلا بما صنعت » فقالت يا رسول الله ان عويمراً رجل غيور وانه
رأى شريكاً نطيل السمر وتحدث فحملته الغيرة على ما قال . فقال رسول الله ﷺ لشريك « ما تقول »
فقال ما تقوله للمرأة كذب فانزل الله عز وجل (والذين يرمون أزواجهم) الآية فأمر رسول الله ﷺ
حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر « قم » فقام فقال أشهد بالله أن خولت زانية وأنني
لمن الصادقين ، ثم قال في الثانية أشهد بالله أني رأيت شريكاً على بطنها وأنني لمن الصادقين ، ثم قال
في الثالثة أشهد بالله أنها حبلى من غيري وأنني لمن الصادقين ، ثم قال في الرابعة أشهد بالله
أنني ما قربتها منذ أربعة أشهر وأنني لمن الصادقين ، ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه
ان كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالعودة وقال لخولة « قومي » فقامت فقالت أشهد بالله
مأنا بزانية وان عويمراً لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله أنه مارأى شريكاً على بطني وانه
لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله أني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد
بالله أنه مارأى قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعني نفسها
ان كان من الصادقين ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال لولا هذه الأيمان لكان لي في أمرهما رأى

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل بن الانصار أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلناه وإن تكلم جلدناه ، وإن سككت على غيظ ، والله إن أصبحت صحيحاً لساأن رسول الله ﷺ قال فـأله فقال بارسول الله ان أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا ان قتله قتلناه وإن تكلم جلدناه . وإن سككت سككت على غيظ اللهم احكم ، قال فنزات آية اللعان فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به . انفرد باخراجه مسلم فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الاعمش به

وقال الامام احمد أيضاً حدثنا ابو كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال جاء عويمر الى عاصم بن عدي فقال له سل رسول الله ﷺ أرأيت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله أقتل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ فعاب رسول الله ﷺ المسائل قال فلقية عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال ما صنعت إنك لم تأتي بخير ، سألت رسول الله ﷺ فعاب المسائل فقال عويمر والله لا آتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سأله ، فأناه فوجده قد أنزل عليه فيها . قال : فدعاهما ولاعن بينهما . قل عويمر ان انطلقت بها يارسول الله لقد

ثم قال « تحينوا بها الولادة فان جاءت به أصيب أثيبج يضرب الى السواد فهو لهو يمر ، وان جاءت به أورك جمدا جاليا خدلج الساقين فهو للذي رميت به » قال ابن عباس فجاءت بأشبه خلق الله بشريك . والكلام في حكم الآية ان الرجل اذا قذف امرأته فموجب له موجب قذف الاجنبي في رجوب الحد عليه ان كانت محصنة أو التعزير ان لم تكن محصنة غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبيا يقام الحد عليه الا أن يقيم أربعة من الشهود على زناها أو يقربه المفذوف فيسقط عنه حد القذف ، وفي الزوجة اذا وجد أحد هذين أولا عن يسقط عنه الحد ، فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه إقامة البينة عليه ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين) واذا أقام الزوج البينة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحد واللعان الا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لنفيه واذا أراد الامام ان يلاعن بينهما فيبدأ فيقيم الرجل ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا وان كان قد رماها برجل بعينه سماء بعينه باللعان وان رماها بجماعة ساهم ويقول الزوج كما يلقنه الامام ، وان كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وان هذا الوالد أو الحمل لمن الزنا ما هو مني ، ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة واذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لا تكون محسوبة ، فاذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرق بينه وبين زوجته وحرمت عليه على التأيد وانفى عنه النسب وسقط عنه حد القذف ووجب على المرأة حد الزنا ان كانت محصنة ترجم وان كانت غير محصنة تجلد وتغرب فهذه

كذبت عليها. قال ففارقها قبل أن يأمره رسول الله ﷺ فصارت سنة المتلاعنين، وقال رسول الله ﷺ « ابصروها فإن جاءت به أسحهم أدعج العينين عظيم الاليتين فلا أراه إلا قد صدق، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحره فلا أراه إلا كاذبا » فجاءت به على النعت المكروه. أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا الترمذي، ورواه البخاري أيضا من طرق عن الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت رجلا رأى مع امرأته رجلا أيقنله فقتلونه أم كيف يفعل؟ فأمر الله تعالى فيها ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول الله ﷺ « قد قضى فيك وفي امرأتك » قال فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله ﷺ ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين، وكانت حاملا فأنكر حملها وكان ابنها يدعى اليها. ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن زيد بن بقيق عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا يكر » لو رأيت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلا؟ قال كنت والله فاعلا به شرأ، قال « فأنت يا عمر؟ » قال كنت والله فاعلا كنت أقول لعن الله الأعجز فانه خبيث. قال فنزلت (والذين يرمون أزواجهم ولم

خمس أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج، قوله « ويدراً » يدفع « عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه من الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين » وأراد بالعذاب الحد كما قال في أول الدورة (ويشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أي حددهما ومعنى الآية أن الزوج إذا لاعن وجب على المرأة حد الزنا وإذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فارادت إسقاطه عن نفسها فإنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله أنه من الكاذبين فيما رمانى به ونقول في الخامسة على غضب الله أن كان زوجي من الصادقين فيما رمانى به، ولا يتعلق بلعانها إلا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها ولو أقام الزوج بينة على زناها فلا يسقط الحد عنها باللعان، وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجه اللعان فإن لم يلاعن يحبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن، وعند الآخرين اللعان حجة على صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كفاذف الأجنبية إذا قعد عن إقامة البينة، وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي، وفرقة اللعان فرقة فسخ عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعي، وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ماله فيأزمه الحد ويلحقه الولد ولكن لا يرتفع تأييد التحريم، وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا أكذب الزوج نفسه جازله أن ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم، وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان

يكن لهم شهداء (إلا أنفسهم) ثم قال لا نعلم أحداً أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس بن إسحاق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن بتيع مرسلاً قاله أعلم

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا محمد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لا أول لعان كان في الاسلام أن شريك بن سعداء قد فقه هلال بن أمية بأمراته فرفعه إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «أربعة شهود وإلا فخذ في ظهرك» فقال يا رسول الله إن الله يعلم أني صادق وايزان الله عليك ما يبري ظهري من الجلد فأزل الله آية اللعان (والذين يرمون أزواجهن) إلى آخر الآية قال فدعاه النبي ﷺ فقال «أشهد بالله أنك من الصادقين فيما رويتها به من الزنا» فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له في الخامسة «ولعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رويتها به من الزنا» ففعل ثم دعاها رسول الله ﷺ فقال «قومي فاشهدي بالله أنه إن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها في الخامسة «وغضب الله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا» قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكنت سكنته حتى ظنوا أنها ستعترف ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضمت علي القول ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال «انظروا فإن جاءت به جعداً خمش الساقين فهو لشريك بن سعداء وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية» فجاءت به جعداً خمش الساقين فقال رسول الله ﷺ «لولا ما نزل فيها من كتاب الله لكان لي ولها شأن»

قام مقام الكل في تعاق الحكم به، فكل من صح بمنه صح لعانه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً وهو قول شعيب بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي واكثر أهل العلم، وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي لا يجري اللعان إلا بين مسلمين حرين غير محدودين، فإن كان الزوجان أو أحدهما رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان بينهما لأن الله تعالى قال (والذين يرمون أزواجهن) ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره كما قال (والذين يظاهرون منكم من نسائهم) ثم يستوي الحر والعبد في الظاهر ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو خليفته، وبغاط اللعان أربعة أشياء بعدد الألفاظ والمكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من الناس، أما الألفاظ المستحقة فلا يجوز الإخلال بها. وأما المكان فهو أن يلاعن في أشرف الأماكن أن كان بمكة فبين الركن والمقام، وإن كان بالمدينة فعند المنبر وفي سائر البلاد ففي المسجد الجامع عند المنبر. والزمان هو أن يكون بعد صلاة العصر. وأما الجمع فأقلهم أربعة والتقليظ بالجمع مستحب حتى لولا عن الحاكم بينهما وحده جاز، وهل التقليظ بالمكان واجب أو مستحب؟ فيه قولان

قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف يعني لعانكم

إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم، لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، لكل امرئ

منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١)

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الافك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والغربة التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله تعالى برأيتها صيانة لعرض الرسول ﷺ فقال تعالى (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللفظة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فحكموا به وجوزوه آخرون منهم وبقي الامر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن، وبيان ذلك في الاحاديث الصحيحة

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قل لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله تعالى، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً: ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أفرع بين نسائه فأيتن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة رضي الله عنها فأفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعد ما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجني وأنزل فيه فمرنا حتى إذا فرغ رسول

(١) كذا في
النسخة الاميرية وفي
البغوي عن عائشة

بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان (وأن الله تواب) يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة (حكيم) فيما فرض من الحدود

قوله (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) الآيات سبب نزول هذه الآية ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة ابن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى له من بعض قالوا: قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرع بين أزواجه وأيتن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة فأفرع

الله ﷺ من غروته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمت عقدي فخبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرملوني فاحتملوا هودحي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه، قالت وكان النساء إذ ذك خفافا لم يثقلن ولم يغشنهن اللعنة إنما يأكلن العلف من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فحنت منازلهم وليس بها داع ولا محجيب فتيمنت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فذمت، كان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادخل فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته وقد كان قد رأي قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاءه حين عرفني فخمرت وجهي بحجابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاءه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى بكبره عبد الله بن أبي بن سلول، تقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمناها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ويربيني في وجهي اني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول «كيف تيمم؟» فذلك الذي يربيني ولا أشعر بالشئ حتى خرجت بعد ما قمته وخرجت وهي أم مسطح قبل المناصع وهو متهربنا ولا نخرج الا ليلا الى ابل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في النزف في البرية وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي

بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما انزل الحجاب، فكنت أحمل في هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقامت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمت عقدي فخبسني ابتغاؤه، قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرملونني فاحتملوا هودحي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أنني فيه وكان النساء إذ ذك خفافا لم يثقلن ولم يغشنهن اللعنة إنما يأكلن العلف من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فحنت منازلهم وليس بها منهم داع ولا محجيب فتيمنت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فذمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى

(١) في البغوي
ابن المطلب

رهم بن المطلب بن عبيد مناف وأمه ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب (١) فاقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل يتي حين فرغنا من شأننا ففهرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح. فقلت لها بأسماء قلت تسبين رجلاً شهيد بدر؟ فقالت أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قالت وماذا قال؟ قالت فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضاً الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال «كيف تيمك؟» فقلت له أناذن لي ان آتي أبوي، قالت وأنا حينئذ أريد ان أتقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فجلست فقلت لأخي يا أمناه ماذا يتحدث الناس به؟ فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقد كانت امرأة قطوذية عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرهن عليها. قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهما فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي، قالت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله والذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال أسامة يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان نسأل الجارية تصدقك الخبر. قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال «أي بريرة هل رأيت من شيء يريك من عائشة؟» فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ان رأيت منها أمراً قط اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجبين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله ابن أبي بن سلول، قالت فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر «يا معشر المسلمين من يعذرنني من رجل قد بلغني أذاه في أملي، فوالله ما علمت على أهلي الا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه

سواد انسان نائم ففرقتي حين رأيته وكان رأي قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخرمت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطي، على يدها فقامت اليها فركبتها فانطلق يقودني الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول. قالت فهلك من هلك في شأنني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي بن سلول، قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمع به ويستوشيه. وقال عروة أيضاً لم يسم من أهل الافك ايضاً إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وهمنة بنت جحش في ناس آخرين ولا علم لي بهم غير أنهم عصابة كما قال الله تعالى، والذي تولى كبر ذلك عبد الله بن أبي بن سلول قال عروة كانت عائشة تذكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاه

قالت عائشة فقد منا المدينة فاشتكت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الافك

الاخيراً وما كان يدخل على أهلي الا معي « فقام سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه فقال أنا أعزك منه يا رسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد ابن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحبيت ان يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لا تقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين ، فتشاور الحيات الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتلوا رسول الله ﷺ على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكوتوا وسكت رسول الله ﷺ قالت وبكيت يوحى ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبو اي بظنان ان البكا . قال كبدني قالت فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فيينا نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله ﷺ فلم يزل يجلس ، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد ابث شهراً لا يوحى اليه في شأني شي . ، قالت فشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه « قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقامه قاص دحي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأبي أجيبني رسول الله ﷺ فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني بريئة لانصدقوني ولئن اعترفت بأمر والله يعلم

لا أشعر بشي . من ذلك وهو بريئني في وجهي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول « كيف تيمك ؟ » ثم ينصرف فذلك الذي بريئني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نهت فخرجت معي أم مسطح قبل المصامع وكان متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا امر العرب الاول في التنزه قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف وأما بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب . فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقاتلته مسطح . فقلت لها بنس ما قلت أتسيين رجلاً شهد بدرآ ؟ فقالت أي هتاه أولم تستمعني ما قال ؟ قالت فقلت ما قال ؟ فأخبرتني بقول اهل الافك قالت فازددت مرضاً على مرضي ، فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ ثم قال « كيف تيمك ؟ » فقلت له أنأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت وأنا أريد أن استيقن الخبر من قبلها قالت فأذن لي رسول الله ﷺ

أني من برية لتصدقني فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) قالت ثم نحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا والله أعلم حينئذ أني برية وإن الله تعالى مبرئي بيراقي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحى ينلي ، ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر ينلي ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه يأخذه ما كان يأخذه من البرحاح عند الوحي حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت فسمري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال « أبشري يا عائشة أما الله عز وجل فند براك » قالت فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل بيراقي وأنزل الله عز وجل (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في بيراقي قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وفقره والله لأنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى) — إلى قوله — ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه . وقال والله لا أنزعها منه أبداً . قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري فقال « يازينب ماذا علمت أو رأيت؟ » فقالت يا رسول الله أحبي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تسامني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع ، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك . قال ابن شهاب فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط أخرجهم البخاري ومسلم في صحيحهم ما

فقلت لأمي بأمتاه ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هو في عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها لما ضرائر إلا أكثرن عليها قالت فقالت سبحان الله أو قد تحدث الناس بهذا؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا برقا لي دم ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت ابكي، قالت ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين انتهت الوحي يسألها وبستهيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار علي رسول الله ﷺ والذي يعلم من براءة أهله والذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة اهلك ولا نعلم إلا خيراً . وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق^(١) عليك والذبا . سواها كثير ورسول الجارية تصدقك الخبر قالت فدعا رسول الله ﷺ بريدة فقال « أي بريدة هل رأيت من شيء يريك » قالت له بريدة : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله . قالت فقام رسول الله ﷺ من بومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال « يا معشر المسلمين من يهزني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت

(١) في ابن كثير

زيادة الله

من حديث الزهري وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهري كذلك قال : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري عن عمرة أخبرني أبي عن عائشة بنحو ما تقدم والله أعلم

ثم قال البخاري وقال أبو اسامة عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به . قام رسول الله ﷺ في خطيبا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال أما بعد أشيروا علي في أناس أبناوا أهلي وأيم الله ما علمت على أهلي إلا خيرا وما علمت على أهلي من سوء وأبنوهم من الله ما علمت عليه من سوء . قط ولا يدخل بيئي قط إلا وأنا حاضرة ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال : يا رسول الله ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أموال الله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم . حتى كاد أن يكون بين الاوس والخزرج شر في المسجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت لها أي أم تسعين ابنك ؟ فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت لها أي أم تسعين ابنك ؟ ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فأنتهرتها فقالت والله ما أسبه إلا فيك فقلت في أي شأني قالت فبقرت لي الحديث فقلت وقد كان هذا ؟ قالت نعم والله فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلا ولا كثيرا ووعت وقلت لرسول الله ﷺ أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي القلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفلى وأبا بكر فوق البيت يقرأ فقالت أم رومان ماجا بك يابنية فأخبرتها وذكرت لها الحديث وإذا هو لم يبلغ منها مثل الذي بلغني مني فقالت يابنية خفي عليك الشأن فانه والله لقل ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدها ، وقيل

على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي » قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الاوس ضربت عنقه وإن كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من نخذه وهو سعد بن عباد وهو سيد الخزرج ، قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل . فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد بن معاذ فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين . قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفصهم حتى سكثوا وسكت . قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم . قالت وأصبح أبو أي عندني وقد بكيت ليلتين ويومالا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى أتني لاظن أن البكاء فائق كبدي فبينما أبو أي جالسان

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(١٠)

(الجزء السادس)

فيها فقلت وقد علم به أبي؟ قالت نعم قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فزّل فقال لامي ماشأها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه رضي الله عنه فقال أقسمت عليك يا بنية ألا رجعت إلى بيتك فرجعت، ولقد جاء رسول الله ﷺ يتي فسألني خادمتي فقالت يا رسول الله لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينةا، وانتهرها بعض أصحابه فقال أصد في رسول الله ﷺ حتى أسقطوا لها به فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما علم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط. قالت عائشة رضي الله عنها فقتل شهيداً في سبيل الله قالت وأصبح أبوأي عندي فلم يزألا حتى دخل علي رسول الله ﷺ وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنفتني أبوأي عن يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال «أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءاً أو ظلمت فتوبني إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده» قالت وقد جاءت امرأة من الانصار فهي جالسة بالباب فقلت ألا نستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئاً فوعظ رسول الله ﷺ فالتفت إلى أبي فقالت له أجب رسول الله ﷺ قال فماذا أقول؟ قالت فقلت أجيبني رسول الله ﷺ قالت ماذا أقول؟ فلما لم يجيبها شهدت فحمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله ثم قالت أما بعد فوالله إن قلت لكم إنني لم أفعل والله عز وجل يشهد أنني لصادقة ماذا كن بنافعي عنكم لقد تكلمتم به وأثرت به قلوبكم، وإن قلت لكم إنني قد فعلت والله يعلم أنني لم أفعل لتقولن قد باتت به على نفسها وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً والنسب اسم يعقوب فلم أقدر عليه إلا أبا يوسف حين قال (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) وأنزل الله على رسوله ﷺ من ساعته فسكتنا فرفع عنه وإني لا تبين السرور في وجهه وهو يمسح

عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، قالت فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم علينا ثم جلس، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأن بشيء، قالت فقشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال «أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه» قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لابي أجب رسول الله ﷺ فيما قال فقال أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لامي أجيبني رسول الله ﷺ قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إنني بريئة لاتصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني بريئة لاتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال (فصبر جميل

جيبته ويقول « ابشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك » قالت وكنت أشد ما كنت غضباً فقال لي أبو اي قومي اليه فقات لا والله لا أقوم اليه ولا أحده ولا أحداً ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فعصمها الله بدنيها فلم تقل إلا خيراً ، وأما اختها حمزة بنت جحش فهلكت فيمن هلك ، وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبدالله بن أبي بن سلول وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمزة ، قالت فخلف أبو بكر أن لا ينغم مسطحاً بنافعة أبداً فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم) يعني أبا بكر (والسعة أن يؤثوا أولي القربى والمساكين) يعني مسطحاً إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر بلى والله ياربنا إنا لنحب أن تغفر لنا ، وعادله بما كان يصنع . هكذا رواه البخاري من هذا الوجه معلقاً بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة أحد الائمة الثقات . وقدرناه ابن جرير في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبي أسامة مطولاً به مثله أو نحوه ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة ببعضه . وقال الامام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما نزل عذري من السماء جاءني النبي ﷺ فأخبرني بذلك فقالت بحمد الله لا يحمذك وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن عمرة

والله المستعان على ما تصفون) ثم نحوأت واضطجعت على فراشي والله يعلم اني حينئذ بريئة وان الله مبرئي براءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شائي وحيا يلى ، لئلا في نفسي كان احقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى انزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتعذر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي انزل عليه قالت فسرني عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال « ابشري يا عائشة أما الله فقد برك » قالت فقالت لي أمة قومي اليه فقات والله لا أقوم اليه فاني لا أحد إلا الله قالت وانزل الله تعالى (إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم) العشر الآيات ثم انزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرايته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فانزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة - الى قوله - غفور رحيم) قال أبو بكر الصديق بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجم الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه أبداً قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن امري فقال لزينب « ماذا علمت أو رأيت ؟ » فقالت يا رسول الله أحبي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من ازواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع

أيضاً عن عائشة قالت لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ فذكر ذلك ونلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم ورواه أهل السنن الاربعة . وقال الترمذي هذا حديث حسن ووقع عند أبي داود تسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحننة بنت جحش .

فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها ، وقدروي من حديث أمها أم رومان رضي الله عنها فقال الامام احمد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة إذ دخلت عليها امرأة من الانصار فقالت: فعل الله بابنها وفعل فقالت عائشة ولم؟ قالت انه كان فيمن حدث الحديث قالت وأي الحديث قالت؟ كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله ﷺ؟ قالت نعم قالت وبلغ ابا بكر؟ قالت نعم فخرت عائشة رضي الله عنها بمشيتها عليها فما أفقت الا وعليها حتى بنافض قالت فقامت فدفرتها قالت فجاء النبي ﷺ قال « فما شأن هذه؟ » فقلت يا رسول الله أخذتها حتى بنافض قال « فلعلة في حديث تحدث به » قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت والله لئن حلفت لكم لا تصدقوني ولئن اعتذرت اليكم لا تعذروني فمئلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال (فصر جليل والله المستعان على ما تصفون) قالت فخرج رسول الله ﷺ وأنزل الله عذرها فرجع رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر فدخل فقال يا عائشة « ان الله تعالى قد أنزل عذرك » فقالت بحمد الله لا بحمدك فقال لها أبو بكر تقولين هذا لرسول الله

قالت وطلعت اختها حنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك . قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهطاء قالت عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحانه الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف انثى قط ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله ورواه محمد بن اسماعيل عن يحيى بن بكير أنا الليث عن يونس عن ابن شهاب باسناد مثله وقال « وان كنت أئمت بذنب فاستغفري الله وتوبني اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه » الى قوله فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقالت ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي فقالت لا والله ما علمت عليها عيباً إلا انها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينةا فانتهرها بعض اصحابه فقال اصدي رسول الله حتى اسقطوا لها به فقالت سبحانه الله والله ما علمت عليها إلا كما يعلم الصانع على تبر الذهب الاحمر . وفيه قالت وانزل على رسول الله ﷺ فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول « ابشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك » فقال لي أبو أي قومي اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا احمده ولا احمد احداً ولكن احمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما انكرتموه ولا غيرتموه . أما تفسير قوله تعالى (إن الذين جاءوا بالا فك) بالكذب وهو أسوأ الكذب سمي افسكاً لكونه مصروقاً عن الحق من قولهم أفسك الشيء اذا قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة والشرف

ﷺ قالت نعم قالت وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر فحلف أن لا يوصله فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) إلى آخر الآية فقال أبو بكر إلى فوصله . تفرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين ، وقد زواه البخاري عن موسى بن اسمعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين به وفي لفظ أبي عوانة حدثني أم رومان وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي ﷺ قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سئلت أم رومان وبسوقه فاعلم بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي أنها سألت فظنه متصلاً قال الخطيب وقد رواه البخاري كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم . ورواه بعضهم عن مسروق عن عبد الله بن مسعود عن أم رومان قاله أعلم ، قوله تعالى (إن الذين جاءوا بالافك) أي الكذب والبهتان والافتراء (عصبة) أي جماعة منكم (لا تحسبوه شراً لكم) أي يا آل أبي بكر (بل هو خير لكم) أي في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعته منازل في الآخرة واطهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله برائتها في القرآن العظيم (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وعنها وهي في سياق الموت قال لها أبشري فانك زوجة رسول الله ﷺ وكان يحبك ولم يزوج بكراً غيرك ونزات براءتك من السماء . وقال ابن جرير في تفسيره حدثني محمد بن عثمان الواسطي حدثنا

فن رماها بالسوء قلب الامر عن وجهه (عصبة منكم) أي جماعة منهم عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنينة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله وغيرهم لا تحسبوه شراً لكم يا عائشة ويا صفوان وقيل هو خطاب لعائشة ولأبويها وللنبي ﷺ والصفوان يعني لا تحسبوا الافك شراً لكم بل هو خير لكم لان الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم ، وسمي الافك افكاً لكونه مصرّفاً عن الحق من قولهم أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف فن رماها بالسوء قلب الامر عن وجهه قوله تعالى (لعل امرئ منهم) يعني من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الإنم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وقرأ العامة بالكسر قال الكسائي هما لقتان قال الضحاك قام باشاعة الحديث وهو عبد الله بن أبي بن سلول وروى الزهري عن عروة عن عائشة (الذي تولى كبره منهم) قالت عبد الله بن أبي بن سلول والعذاب الإليم هو النار في الآخرة وقد روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة في حديث الافك قالت ثم ركبنا وأخذ صفوان بالزمام فرددنا بلاءاً من المناققين وكانت عادتهم أن ينزلوا متبذين من الناس فقال عبد الله بن أبي رئيسهم من هذه قالوا عائشة قال والله ما نجت منه وما نجا منها وقال امرأة نبيكم بانت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ، وشرع

جعفر بن عون عن المعلى بن عرقان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاخرت عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب أنا التي نزل توحي من السماء وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملتي صفوان ابن المهطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتيها ؟ قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين . وقوله تعالى (لكل امري . منهم ما اكتسب من الاثم) أي لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشي . من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب والذي تولى كبره منهم (قيل ابتداء به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشبه ويندبه ويشيعه) له عذاب عظيم) أي على ذلك ، ثم الاكثرون على ان المراد بذلك انما هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد ، وقيل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لا يراده كبير فائدة فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره وهو الذي قال له رسول الله ﷺ « هاجهم وجبريل معك » وقال الأعشى عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا ؟ يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها تأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) ؟ قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان يتأنفح عن رسول الله ﷺ وفي رواية انه أنشدها عند ما دخل عليها شعرا يمتدحها به فقال

حصان رزان ماترن بريية وتصبح غرنى من لحوم الغوافل

فقال أما أنت فلست كذلك ، وفي رواية : لكنك لست كذلك ، وقال ابن جرير حدثنا الحسن ابن قزعة حدثنا سلمة بن علقمة حدثنا داود عن عامر عن عائشة أنها قالت ما سمعت بشعراً أحسن من شعر حسان ولا تمتلئ به إلا رجوت له الجنة قوله لابن سفيان بن الحارث بن عبد المطلب

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء

فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاه

في ذلك أيضاً حسان بن ثابت ومسطح وحنسة فهو الذي تولى كبره ، وقال قوم هو حسان بن ثابت أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا بشر بن خالد أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشد شعراً يشبب بآيات له وقال

حصان رزان ماترن بريية وتصبح غرنى من لحوم الغوافل

فقال له عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق قلت لها لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد

أنشتمه واست له بكف ؟ فشر كما لخير كما النداء

لساني صارم لا عيب فيه وبجري لا تكدره الدلاء

ف قيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا ؟ قالت لا إنما اللغو ما قيل عند النساء ، قيل أليس الله يقول (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) قالت أليس قد ذهب بصره وكنتم بالسيف ؟ تعني الضربة التي ضرب بها ياها صفوان بن المعطل السلمي حين بلغه عنه أنه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين (١٢)

لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (١٣)

هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء وما ذكر من شأن الإفك فقال تعالى (لولا) يعني هلا (إذ سمعتموه) أي ذلك الكلام الذي رميت به أم المؤمنين رضي الله عنها (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) أي قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والآخرى . وقد قيل أنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الانصاري وأمر أنه رضي الله عنهما كما قال الامام محمد بن اسحاق ابن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار ان أبا أيوب خالد بن زيد الانصاري قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها ؟ قل نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك ، قال فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك (ان الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ، ثم قال تعالى (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون) الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبه

وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن الحصين عن أبي سفيان عن أفلح مولى أبي أيوب ان أم أيوب قالت لأبي أيوب : ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال بلى وذلك الكذب افكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك ؟ قالت لا والله قال فعائشة والله خير منك ، فلما نزل القرآن وذكر أهل الإفك قال الله عز وجل (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين) يعني أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما قال ويقال إنما قالها أبي بن كعب

قال الله تعالى والذي تولى كبره (منهم له عذاب عظيم) قالت وأي عذاب أشد من العمی وقالت إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ ويروى أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين

قوله (لولا) هلا (إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم (خيراً) قال

وقوله تعالى (ظن المؤمنون) الخ أي هلا ظنوا الخير فإن أم المؤمنين أهله وأولى به ، هذا ما يتعلق بالباطن ، وقوله (وقالوا) أي بالسنتهم (هذا إفك مبين) أي كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها فإن الذي وقع لم يكن ريبة وذلك أن محبي أم المؤمنين راكية جبهة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكاله بشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ، ولو كان هذا الامر فيه ريبة لم يكن هكذا جبهة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الاشهاد بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستورا فتعين أن ماجاء به أهل الافك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة ، والصفقة الخاسرة ، قال الله تعالى (لولا) أي هلا (جاءوا عليه) أي على ما قالوه (بأربعة شهداء) يشهدون على صحة ماجاءوا به (فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أي في حكم الله كاذبون فاجرون

ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم (١٤)

اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم (١٥)
يقول تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) أي الخائفون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنا بكم اليه في الدنيا وعفا عنكم لايمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة (لمسكم فيما أفضتم فيه) من قضية الافك (عذاب عظيم) وهذا فيمن عنده ايمان يقبل الله بسببه التوبة كسطح وحسان وحنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش ، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه فليس أولئك مرادين في هذه الآية لانا ليس عندهم من الايمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه ، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم

الحسن بأهل دينهم لان المؤمنين كنفس واحدة نفيهم قوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم - فسلموا على انفسكم) (وقالوا هذا افك مبين) أي كذب بين (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) أي على ما زعموا (فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فان قيل كيف يعسر ن عند الله كاذبين اذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟ قيل عند الله أي في حكم الله وقيل معناه كذبهم بأمر الله ، وقيل هذا في حق عائشة ومعناه أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلني (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم) خضتم (فيه) من الافك (عذاب عظيم) قال ابن عباس أي عذاب لا انقطاع له يعني في الآخرة لانه ذكر عذاب الدنيا من قبل فقال تعالى (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) وقد أصابهم فانه قد جلد وحد وقد روت عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية حد أربعة نفر عبد الله بن أبي وحسان بن ثابت ومسطح بن اثانة وحنة بنت جحش

التوبة أو ما يقابلها من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه ، ثم قال تعالى (إذ تلقونه بألسنتكم) قال مجاهد وسعيد بن جبير أي يرويه بعضهم عن بعض يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وذكر بعضهم كذا ، وقرأ آخرون (إذ تلقونه بألسنتكم) وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها كانت تقرأها كذلك وتقول هو من ولق اللسان يعني الكذب الذي يستمر صاحبه عليه ، تقول العرب : ولق فلان في السير إذا استمر فيه . والقراءة الاولى أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن نافع عن ابن عمر عن عائشة أنها كانت تقرأ (إذ تلقونه) وتقول هو ولق القول قال ابن أبي مليكة : هي أعلم به من غيرها . وقوله تعالى (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي تقولون ما لا تعلمون ، ثم قال تعالى (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيرا سهلا ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينا فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الانبياء وسيد المرسلين فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل ، فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبيه من الانبياء ذلك حاشا وكلا ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الانبياء وزوجة سيد ولد آدم على الاطلاق في الدنيا والاخرة ولهذا قال تعالى (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وفي الصحيحين « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى ما تبلي به يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والارض » وفي رواية « لا يلقى لها بالا »

ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتن عظيم (١٦)
يعظكم الله أن تمودوا لمشله أبدا ان كنتم مؤمنين (١٧) ويبين الله لكم الآيات والله

عليهم حكيم (١٨)

هذا تأديب آخر بعد الاول الأمر بظن الخير أي إذا ذكر مالا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيرا ، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك ثم ان علق بنفسه شيئا من ذلك وسوسة أو خيالا فلا ينبغي أن يتكلم به فان رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به

قوله تعالى (إذ تلقونه) تقولونه (بألسنتكم) قال مجاهد وقتادة يرويه بعضهم عن بعض وقال السكبي وذلك أن الرجل منهم يلقي الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا وكذا قرأه أبي ابن كعب وقال الزجاج يلقيه بعضهم الى بعض وقرأت عائشة تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف من الولى وهو الكذب (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا) تظنون أنه سهل لا أتم فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه)

(الجزء السادس)

(١١)

(تفسير ابن كثير والبغوي)

أنفسها ما لم تقل أو تعمل أخرجه في الصحيحين ، وقال الله تعالى (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لاحد (سبحانك هذا بهتان عظيم) أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله . ثم قال تعالى (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً) أي ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً أي فيما يستقبل ولهذا قال (إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله ﷺ فاما من كان متصفاً بالكفر فله حكم آخر . ثم قال تعالى (ويبين الله لكم الآيات) أي يوضح لكم الاحكام الشرعية والحكم القدرية (والله عليم حكيم) أي عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره

ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة

والله يعلم وأنتم لا تعلمون (١٩)

هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ . فقام بذمته شيء منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذمعه فقد قال تعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم) أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح (لهم عذاب أليم في الدنيا) أي بالحد ، وفي الآخرة بالعذاب (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي فردوا الامور اليه ترشدوا

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون بن موسى المرثي حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان عن النبي ﷺ قال « لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته »

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم (٢٠) يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا

خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله

هذا اللفظ مهمنا بمعنى التعجب « هذا بهتان عظيم » يعني كذب عظيم بهتان عظيم وفي بعض الاخبار أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري أما بلغك ما يقول الناس في عائشة ؟ فقال أبو أيوب (سبحانك هذا بهتان عظيم) فنزلت الآية على وفق قوله « يعظكم الله » قال ابن عباس رضي الله عنهما يحرم الله عليكم وقال مجاهد ينهاكم الله « أن تعودوا لمثله أبداً » إن كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات « بالامر والنهي » (والله عليم) بأمر عائشة وصفوان بن المعطل « حكيم » حكم ببراءتهما قوله تعالى « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة » يعني يظهر ويذيع الزنا « في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » يعني عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين والعذاب في الدنيا الحد وفي الآخرة النار « والله يعلم » كذبهم وبراءة عائشة وما خاضوا فيه من سخط الله « وأنتم لا تعلمون » ولولا فضل

عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم (٢١)

يقول الله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم) أي لولا هذا لكان أمر آخر ولسكنه تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم فتاب على من تاب اليه من هذه القضية وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقبح عليهم ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) هذا تنبيه وتحذير من ذلك بإفصح عبارة وأبلغها وأرجزها وأحسنها . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (خطوات الشيطان) عمله . وقال عكرمة نزغاته وقال قتادة كل معصية فهي من خطوات الشيطان

وقال أبو مجلز النذور في المعاصي من خطوات الشيطان . وقال مسروق سأل رجل ابن مسعود فقال : إني حرمت أن آكل طعاماً وسماه فقال هذا من نزغات الشيطان كفر عن يمينك وكل ، وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده هذا من نزغات الشيطان وأفتاه أن يذبح كبشاً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصري حدثنا السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال : غضبت علي امرأتي فقالت هي يوم يهودية ويوم نصرانية وكل يملوك لها حيران لم تطلق امرأتك ، فأتيت عبد الله بن عمر فقال : إنما هذه من نزغات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفضه امرأة بالمدينة وأتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك ، ثم قال تعالى [ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً] أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع اليه ويزكي النفوس من شرها وفجورها ودينسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيراً [ولكن الله يزكي من يشاء] أي من خلقه ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغى . وقوله [والله سميع] أي سميع لأقوال عباده عليم بمن يستحق منهم الهدى والضلال

الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم) جواب لولا محذوف يعني لعاجلكم بالعقوبة . قال ابن عباس يريد مسطحاً وحسان بن ثابت وحمزة قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء . يعني بالقبائح من الأفعال (والمنكر) كل ما يكرهه الله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا) قال مقاتل ما صلح وقال ابن قتبية ما طهر (منكم من أحد) والآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح . نكم أحد ، وقال قوم هذا الخطاب للذين خاضوا في الأفك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء . قال ما قبل توبة أحد منكم (أبداً ولكن الله يزكي) بطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع عليم)

ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في

سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢)
يقول تعالى (ولا يأتل) من الآية وهي الحلف أي لا يحلف (أولو الفضل منكم) أي الطول
والصدقة والاحسان (والسعة) أي الجدة (أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله)
أي لا تحلفوا أن لا تصلوا قرابانكم المساكين والمهاجرين ، وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الارحام
ولهذا قال تعالى (وليعفوا وليصفحوا) أي عما تقدم منهم من الاساءة والاذى ، وهذا من حلمه تعالى
وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لا نفسهم ، وهذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح
ابن ائانة بنافعة ابداً بعد ما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث ، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين
عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وثاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد
على من أقيم عليه - شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح
ابن ائانة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ،
وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد زاق زلفة تاب الله عليه منها ، وضرب الحد عليها ، وكان الصديق
رضي الله عنه معروفاً بالمعروف ، له الفضل والايادي على الاقارب والاجانب فلما نزلت هذه الآية
إلى قوله (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) الآية فإن الجزاء من جنس العمل فكما تنفرد بذنوب من أذنبت اليك
يغفر الله لك وكما تصفح يصفح عنك ، فعند ذلك قال الصديق : بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا
ثم رجع إلى مسطح ما كان يوصله من النفقة وقال والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال : والله لا أنفعه
بنافعة أبداً. فهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته

إن الذين يرمون المحصنات الغفلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب

قوله تعالى ﴿ ولا يأتل ﴾ يعني ولا يحلف وهو يتفعل من الالية وهي القسم وقرأ أبو جعفر
يتأل بتقديم التاء وتأخير الهمزة وهو يتفعل من الالية وهي القسم ﴿ أولو الفضل منكم والسعة ﴾
يعني أولو الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق ﴿ أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل
الله ﴾ يعني مسطحاً وكان مسكيناً مهاجراً بدر يا ابن خالة أبي بكر حلف أبو بكر أن لا ينفق عليه
﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ عنهم خووضهم في أمر عائشة ﴿ ألا تحبون ﴾ يخاطب أبا بكر ﴿ أن يغفر الله لكم
والله غفور رحيم ﴾ فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع
إلى مسطح نفقته التي كان ينفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبداً. وقال ابن عباس والضحاك أقسم
ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا ينفعوهم فأنزل
الله هذه الآية ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف ﴿ الغفلات ﴾ عن الفواحش ﴿ المؤمنات ﴾

عظيم (٢٣) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (٢٤) يومئذ يوفيه

الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين (٢٥)

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات خرج مخرج الغالب المؤمنات فأهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما . وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن ، وفي بقية أهيات المؤمنين قولان : أحدهما أنهم كهي والله أعلم . وقوله تعالى (لعنوا في الدنيا والآخرة) الآية كقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) الآية . وقد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رضي الله عنها فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية (أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات) قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان

وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك ، قالت فبينما رسول الله ﷺ جالس عندي إذ أوحى إليه قالت وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات وأنه أوحى إليه وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يسبح على وجهه وقال « يا عائشة ابشري » قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ [أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات - حتى بلغ - أولئك مبرءون مما يقولون ، لهم مغفرة ورزق كريم] هكذا أورده وليس فيه أن الحكم خاص بها وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها وإن كان الحكم بعمها كغيرها ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله أعلم وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيب : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء ، وقال العوفي عن ابن عباس في الآية [أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات] الآية يعني أزواج النبي ﷺ رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي ﷺ ثم نزل بعد ذلك [والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكانت عائشة كذلك ، قوله تعالى ﴿ لعنوا ﴾ عذبوا ﴿ في الدنيا ﴾ بالحد ﴿ والآخرة ﴾ بالنار ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن أبي المنافق ، وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة ؟ فقال ذلك لعائشة خاصة ، وقال قوم هي لعائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات ، وروى عن العوام بن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة ليس فيها توبة ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ

- إلى قوله - فإن الله غفور رحيم [فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد . وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية [ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات] الآية قال في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ [والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا] الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أو لئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور ، فقوله وهي مبهمة أي عامة في تحريم قذف كل محصنة ولعنته في الدنيا والاخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا ابضا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت امام ذلك

وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح وبعضه العموم مارواه ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن اخي وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «اجتنبوا السبع الموبقات - قيل وما هن بارسول الله؟ قال - الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به ، وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمر أبو خالد الطائي الحربي حدثني أبي ح وحدثنا ابو شعيب الخرازي حدثنا جدي احمد بن أبي شعيب حدثني موسى بن أعين عن ليث عن أبي اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي ﷺ قال «قذف المحصنة بهدم عمل مائة سنة»

وقوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن معارف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انهم يعني المشركين اذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نحمد فيجحدون فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتُمون الله حديثا وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضا حدثنا يونس ابن عبد الأعلى حدثنا بن وهب أخبرني عمرو بن

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - إلا الذين تابوا) فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة . وقال الآخرون نزلت هذه الآية في أزواج النبي ﷺ وكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التي في أول السورة (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء - إلى قوله - فإن الله غفور رحيم) فأنزل الجلد والتوبة ﴿يوم تشهد عليهم﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء لتقديم الفعل وقرأ الآخرون بالياء ﴿ألسنتهم﴾ وهذا قبل أن يختم على أفواههم ﴿وأيديهم وأرجلهم﴾ يروى أنه يختم على الأفواه فتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا وقيل معناه تشهد السنة بعضهم على بعض وأيديهم وأرجلهم

الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احملوا فيحلفون ثم يصمهم الله فتشهد عليهم أيديهم وأستهم ثم يدخلهم النار »
وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبو شيبه إبراهيم بن عبد الله بن أبي شيبه الكوفي حدثنا من جباب ابن الحارث التيمي حدثنا أبو عامر الاسدي حدثنا سفیان بن عبيد المكتب عن فضيل بن عمر والفقيمي عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال « أنظرون ثم أضحك؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال « من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول يارب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجيز على شاهد إلا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام عليك شهودا فيختم على فيه ويقال لا ركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنك كنت أنا ضل » وقد رواه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الأشجعي عن سفیان الثوري به ثم قال النسائي لا أعلم أحدا روى هذا الحديث عن سفیان الثوري غير الأشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال

وقال قتادة بن آدم : والله ان عليك لشهودا غير متهمه من بدنك فراقبهم واتق الله في شرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة إلا بالله . وقوله تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) قال ابن عباس [دينهم] أي حسابهم وكل ما في القرآن دينهم أي حسابهم وكذا قال غير واحد ، ثم ان قراءة الجمهور بنصب الحق على أنه صفة لدينهم ، وقرأ مجاهد بالرفع على أنه نعت للجلالة ، وقرأها بعض السلف في مصحف أبي بن كعب (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق دينهم) وقوله (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) أي وعده ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك

مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم (٢٦)

قال ابن عباس : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول . والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول - قال - ونزلت

﴿ بما كانوا يعملون ﴾ يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ﴿ جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ﴾ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴿ يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا . قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين ، قوله سبحانه وتعالى ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ قال أكثر المفسرين الخبيثات من القول والكلام للخبيثين من الناس

في عائشة وأهل الافك وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس فما نسبته أهل النفاق إلى عائشة من كلامهم أولى به وهي أولى بالبراءة والزهادة منهم ولهذا قال تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون) وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم : الحديثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للحديثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضا يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم أي ما كان الله ليحمل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له لا شرعا ولا قدراً ولهذا قال تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون) أي هم بعداء عما يقوله أهل الافك والعدوان (لهم مغفرة) أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب (ورزق كريم) أي عند الله في جنات النعيم ، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد ابن عبد الرحمن عن الحكم بأسناده إلى يحيى بن الجزار قال : جاء أسير بن جابر إلى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد بن عقبة تسكلم اليوم بكلام أعجبني فقال عبد الله ان الرجل المؤمن يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجامل في صدره ما يستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل عنده يتلها فيضمرها اليه ، وان الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجامل في صدره ما تستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الذي عنده

﴿ والخبيثون ﴾ من الناس ﴿ للحديثات ﴾ من القول ﴿ والطيبات ﴾ من القول ﴿ للطيبين ﴾ من الناس ﴿ والطيبون ﴾ من الناس ﴿ للطيبات ﴾ من القول والمعنى أن الحديث من القول لا يليق إلا بالحديث من الناس والطيب لا يليق إلا بالطيب فعائشة لا تليق بها الحديثات من القول لأنها طيبة فتضاف إليها طيبات الكلام من المدح والثناء الحسن وما يليق بها، قال الزجاج معناه لا يتكلم بالحديثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات إلا الطيب من الرجال والنساء وهذا ذم للذين قذفوا عائشة ومدح للذين برءوها بالطهارة . وقال ابن زيد معناه الحديثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للحديثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والشاكين في الدين والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء يريد عائشة طيبها الله لرسوله الطيب ﷺ ﴿ أولئك مبرءون ﴾ يعني عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى (فان كان له اخوة) أي اخوان وقيل (أولئك مبرءون) يعني الطيبين والطيبات منزهون ﴿ مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ فالغفرة هي العفو عن الذنوب والرزق الكريم الجنة وروي أن عائشة كانت تقتخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل أتى بصورتها في سرقة من حرير وقال هذه زوجتك وروي انه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم ينزوح بكرة غيرها وقبض رسول الله ﷺ

يتلها فيضمها إليها ثم قرأ عبد الله (الحبيثات للحبيثين والحبيثون للحبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) الآية ويشبه هذا ما رواه الامام احمد في المسند مرفوعاً « مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحدث الا بشر ما سمع كمثل رجل جاء الى صاحب غنم فقال اجز لي شاة فقال اذهب فخذ بأذن ايها شئت فذهب فاخذ بأذن كلب الغنم » وفي الحديث الآخر « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها اخذها »

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٧) فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم (٢٨) ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتنا غير مسكونة فيها متلعم لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩)

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان امرهم ان لا يدخلوا بيوتنا غير بيوتهم حتى يستأنسوا اي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده ، وينبغي ان يستأذن ثلاث مرات فان اذن له وإلا انصرف كما ثبت في الصحيح ان ابا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ائذنوا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جاء ، بعد ذلك قال ما رجعت ؟ قال اني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي واني سمعت النبي ﷺ يقول « إذا استأذن احدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف » فقال عمر لتأنيدي على هذا بيينة والا اوجعتك ضرباً ، فذهب الى ملا من الانصار فذكر لهم ما قال عمر فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فاخبر عمر بذلك فقال أهاني عنه الصنف بالاسواق

ورأسه في حجرها ودفن في بينها وكان ينزل عايه الوحي وهو معها في لحافه ونزلت براءتها من السماء وانها ابنة خليفة رسول الله ﷺ وصديقه وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريماً . وكان مسروق اذا روى عن عائشة قال حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ المبرأة من السماء قوله « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » قيل معنى قوله (حتى تستأنسوا) أي حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأنسوا خطأ من الكاتب وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب والقراءة المعروفة تستأنسوا وهو بمعنى الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الانس وهو أن ينظر هل في البيت ناس فيؤذنه اني داخل وقال الخليل الاستئناس الاستبصار من قوله (آنت ناراً) أي ابصرناها وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحج يؤذن أهل البيت ، ووجه حكم الآية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد السلام والاستئذان واختلفوا في انه يقدم الاستئذان أم السلام فقال قوم يقدم الاستئذان (تفسير ابن كثير والبقوي) (١٢) (الجزء السادس)

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عمر عن ثابت عن أنس أو غيره أن النبي ﷺ استأذن على سعد بن عباد فقال « السلام عليك ورحمة الله » فقال سعد : عليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي ﷺ حتى سلم ثلاثاً ورد عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعه فرجع النبي ﷺ فأتبعه سعد فقال : يا رسول الله بأبي وأمي ما سلمت تسليمة إلا وهي باذني ، ولقد رددت عليك ولم أسمعك وأردت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ثم أدخله البيت فقرب اليه زيباً فأكل نبي الله فلما فرغ قال « أكل طعامكم الا برار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون » وقد روى ابو داود والنسائي من حديث أبي عمرو الاوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد ابن زرارمة عن قيس بن سعد هو ابن عباد قال : زارنا رسول الله ﷺ في منزلنا فقال « السلام عليكم ورحمة الله » فرد سعد رداً خفياً قال قيس فقلت ألا تأذن لرسول الله ﷺ ؟ فقال دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمة الله » فرد سعد رداً خفياً ثم قال رسول الله ﷺ « السلام عليكم ورحمة الله » ثم رجع رسول الله ﷺ وأتبعه سعد فقال يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمتك وأرد عليك رداً خفياً لتكثر علينا من السلام . قال فانصرف معه رسول الله ﷺ وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله خبيصة مصبوعة بزعفران أوورس فاشتمل بها ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عباد » قال ثم أصاب رسول الله ﷺ من الطعام فلما أراد الانصراف قرب اليه سعد حملاً قد وطئ عليه بقطيفة فركب رسول الله ﷺ فقال سعد يا قيس اصحب رسول الله ﷺ قال قيس فقال رسول الله ﷺ « اركب » فأبيت فقال « إما أن تركب وإما أن تنصرف » قال فانصرفت وقد روي هذا من وجوه أخر فهو حديث جيد قوي والله أعلم . ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لما رواه ابو داود . حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني في آخره

فيقول أأدخل ؟ سلام عليكم لقوله تعالى (حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) والا كثرون على أنه يقدم السلام فيقول سلام عليكم أأدخل وفي الآية تقديم وتأخير تقديرها حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي ﷺ ولم اسلم ولم أستأذن فقال النبي ﷺ « ارجع فقل السلام عليكم أأدخل » وروي عن ابن عمر أن رجلاً استأذن عليه فقال أأدخل فقال ابن عمر لا فأمر بعضهم الرجل أن يسلم فسلم فأذن له . وقال بعضهم ان وقع بصره على انسان قدم السلام وإلا قدم الاستئذان ثم سلم وقال أبو موسى الاشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم ومثله عن الحسن فان كانوا في دار واحدة ينحج ويتحرك أدنى حركة . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصاخي أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسماعيل ابن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن سعيد الحريري عن أبي نصر

قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن بشر قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن أو الايسر ويقول «السلام عليكم السلام عليكم» وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ متور افرد به ابو داود

وقال أبو داود أيضاً حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير حينئذ قال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا حفص عن الاعمش عن طلحة عن هزيل قال جاء رجل قال عثمان سعد فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن فقام على الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال له النبي ﷺ «هكذا عنك» أو هكذا - فأما الاستئذان من النظر «وقد رواه أبو داود الطيالسي عن سفیان الثوري عن الاعمش عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي ﷺ رواه أبو داود من حديثه ، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنا قال «لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فخذته بمحصة ففقت عينه ما كان عليك من جناح» وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدقت الباب فقال «من ذا؟» فقلت أنا قال «أنا أنا» كأنه كرهه وإنما كره ذلك لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها والا فكل أحديهم عن نفسه بأننا فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس بالمأمر به في الآية وقال العوفي عن ابن عباس الاستئناس الاستئذان ، وكذا قال غير واحد

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا) قال إنما هي خطأ من الكتاب حتى تستأذنوا وتسألوا وهكذا رواه (١) هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن اياس (٢) عن سعيد عن ابن عباس بمثله ، وزاد وكان ابن عباس يقرأ (حتى تستأذنوا وتسألوا) وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه. وهذا غريب جداً عن ابن عباس (٣) وقال هشيم أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسألوا على أهلها وتستأذنوا ، وهذا أيضاً رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير

وقد قال الامام احمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني عمرو بن أبي سفيان ان عمرو بن أبي

(١) هشيم كثير التدليس والارسال الخفي (٢) أبو بشر ضعفه شعبة نفسه عن مجاهد وقال إنه لم يرو عنه شيئاً وكذا عن حبيب ابن سالم وقال بن عدي إن له غرائب ولكنهم مع ذلك وثقوه وقال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به (٣) قال أبو حيان : من روى عن ابن عباس انه قال ذلك فهو طاعن في الاسلام ملحد في الدين . وابن عباس بريء من ذلك القول اه وقال ابن اشته في المصاحف مراد ابن عباس الخطأ في الاختيار وترك ما هو أولى القراءتين بحسب ظنه وكتبه رشيد رضا

عن أبي سعيد الخدري قال سلم عبد الله بن قيس على عمر بن الخطاب ثلاث مرات فلم يأذن له فرجم فارسل عمر في أثره فقال لم رجعت ؟ قال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا سلم أحدكم ثلاثاً لم يجب فليرجع» قال عمر لتأتين على ما تقول بينة والا لا نعلن بك كذا وكذا غير أنا قد اوعده قال فجاء أبو موسى الاشعري ممتعاً لونه وأنا في حلقة جالس فقلنا ما شأنك ؟ فقال سلمت على عمر فاخبرنا خبره فهل سمع أحد منكم من رسول الله ﷺ ؟ قالوا نعم كلنا قد سمعنا قال فارسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فاخبره بذلك ورواه بشر بن سعيد عن أبي سعيد الخدري وفيه قال أبو موسى الاشعري قال رسول

صفوان أخبره أن كعدة بن الحنبل أخبره أن صفوان بن أمية بعث في الفتح بلباً وجداية وضفايس
والنبي ﷺ باعلى الوادي قال فدخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن . فقال ﷺ « ارجع
فقل السلام عليكم أدخل » وذلك بعد ما أسلم صفوان ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من
حديث ابن جريج به ، وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه ، وروى أبو داود حدثنا
أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو الاحوص عن منصور عن ربعي قال أتى رجل من بني عامر استأذن
على رسول الله ﷺ وهو في بيته فقال ألبج ، فقال النبي ﷺ لحادمه « اخرج إلى هذا فعلمه
الاستئذان قل له قل السلام عليكم أدخل » فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أدخل فأذن له النبي
صلى الله عليه وسلم فدخل

وقال هشيم أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي
أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال ألبج أو أنلج ؟ فقال النبي ﷺ لامة له يقال لها روضة « قومي
إلى هذا فعلمه فانه لا يحسن يستأذن فقولي له يقول السلام عليكم أدخل » فسمعه الرجل فقال: السلام
عليكم أدخل فقال « ادخل » وقال الترمذي حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا سعيد بن زكريا عن عنبسة
ابن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ
« السلام قبل الكلام » ثم قال الترمذي عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ومحمد بن زاذان في إسناده
نكارة وضعف ، وقال هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد أذاه الرضاء فأتى
فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أدخل ؟ قالت ادخل بسلام فأعاد فأعادت وهو يراوح
بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل . ولابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم
الاحول حدثني خالد بن اياس حدثني جدتي أم اياس قالت : كنت في أربع نسوة نستأذن على
عائشة فقلن ندخل فقلت لا ، قلن لصاحبتكن تستأذن فقلت السلام عليكم أندخل قالت ادخلوا ثم
قالت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) الآية

الله ﷺ « اذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع » قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة
والثالث استئذان بالرجوع

قوله « فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها » أي ان لم تجدوا في البيوت أحداً يأذن لكم في
دخولها فلا تدخلوها « حتى يؤذن لكم » وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا « يعني اذا كان في البيت قوم
فقالوا ارجع فليرجع ولا يقعد على الباب ملازماً » زكى لكم « يعني الرجوع أطهر وأصلح لكم
قال قتادة اذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب فان للناس حاجات واذا حضر ولم يستأذن وقعد على
الباب منتظراً جاز ، وكان ابن عباس يأتي باب الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب حتى يخرج
ولا يستأذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو أخبرني فيقول هكذا امرنا أن نطلب العلم

وقال هشيم أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ، وقال أشعث عن عدي بن ثابت أن امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والد ولا ولد وأنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال . قال فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا) الآية وقال ابن جريج سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ثلاث آيات جمعهن الناس . قال الله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال ويقولون إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتا قال والادب كله قد جمعه الناس قال قلت استأذن على أخواني أيتام في حجرتي معي في بيت واحد قال نعم فرددت عليه ليرخص لي فأبى فقال فحب ان تراها عريانة؟ قلت لا قال فاستأذن قال فراجعته أيضاً فقال : أحب ان تطيع الله ؟ قال قلت نعم قال فاستأذن . قال ابن جريج وأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال : ما من امرأة أكره إلي ان أرى عورتها من ذات محرم قال : وكان يشدد في ذلك ، وقال ابن جريج عن الزهري سمعت هزبل بن شرحبيل الاودي الاعمى انه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على امهاتكم ، وقال ابن جريج قلت لعطاء استأذن الرجل على امرأته قال لا وهذا محمول على عدم الوجوب وإلا فالأولى ان يعلمها بدخوله ولا يفاجئها به لاحتمال ان تكون على هيئة لا تحب ان يراها عليها . وقال ابو جعفر ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن اخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود عن زينب رضي الله عنها قالت كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح ويزق كراهة ان يهجم مناعلى امر يكرهه . إسناده صحيح

وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابني عبيدة قل كان عبدالله اذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته ، وقال مجاهد حتى تستأنسوا قال تنحنحوا او تنخموا وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه قال : إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحنح او

واذا وقف فلا ينظر من شق الباب اذا كان الباب مردوداً أخبرنا احمد بن عبدالله الصالحى أنا أبو الحسين بشران أنا اسماعيل بن محمد الصغار أنا احمد بن منصور أنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهري عن سهل ابن سعد الساعدي أن رجلاً اطعم على النبي ﷺ من ستر الحجر وفي يد النبي ﷺ مدرى فقال «لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتبه لطعنت بالمدرى في عينيه وهل جعل الاستئذان الا من اجل البصر؟» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن احمد الحلال أنا ابو العباس الاصم أنا الزبيع أنا الشافعي أنا سفيان عن ابني الزناد عن الاعرج عن ابني هريرة ان رسول الله ﷺ قال «لو ان امرأ اطعم عليك بغير اذن فخذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك جناح»

يحرك نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يطرُق الرجل أهله طروقاً، وفي رواية ليلاً يتخونهم، وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ قدم المدينة نهراً فأناخ بظاهرها وقال «انتظروا حتى ندخل عشاء» يعني آخر النهار — حتى تمشط الشعثة وتستحد المغيبة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن ساجان عن واصل بن السائب حدثني أبو ثورة ابن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئذان؟ قال «يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحج فيؤذن أهل البيت» هذا حديث غريب، وقال قتادة في قوله (حتى تستأنسوا) هو الاستئذان ثلاثاً فمن لم يؤذن له منهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحى، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم. وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر. وقال مقاتل بن حيان في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها) كان الرجل في الجاهلية إذا بقي صاحبه لا يعلم عليه ويقول حيايت صباحا وحيايت مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل وأهله يكون مع أهله فخير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله تقياً زهاماً الدنس والقذر والدرن فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا على أهلها) الآية وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى (ذلكم خير لكم) يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت (أهلكم تذكرون) وقوله تعالى (فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه فإن شاء أذن وإن شاء لم يأذن (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم) أي إذا ردوك من الباب قبل الأذن أو بعده (فارجعوا هو أذكى لكم) أي رجوعكم أذكى لكم وأطهر (والله بما تعملون عليم) وقال قتادة قال بعض المهاجرين قد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها أن أستاذن على بعض أخواني فيقول لي ارجع فأرجع وأنا مقبض^(١) (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم والله بما تعملون عليم) وقال سعيد بن جبير في الآية أي لا تقفوا على أبواب الناس

(١) في النسخة

المكية متغيط

قوله تعالى ﴿والله بما تعملون عليم﴾ من الدخول بالأذن وغير الأذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فانزل الله عز وجل ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة﴾ أي بغير استئذان ﴿فيها مناع لكم﴾ يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت فقال قتادة هي الخانات والبيوت والمنازل المبنية للسابلة ليأووا إليها ويؤووا امتعتهم إليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والالتقاء من الحر والبرد، وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحواليهم التي بالسواق يدخلونها للبيع والشراء وهي المنفعة

وقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) الآية هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد إذا كان له متاع فيها بغير إذن كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفي

قال ابن جريج قال ابن عباس (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) ثم نسخ واستثنى فقال تعالى (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) وكذا روي عن عكرمة والحسن البصري وقال آخرون هي بيوت التجار كالحانات ومنازل الاسفار وبيوت مكة وغير ذلك واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة والاول أظهر والله أعلم ، وقال مالك عن زيد بن أسلم هي بيوت الشعر

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خير

بما يصنعون (٣٠)

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا الا إلى ما أباح لهم النظر اليه وان يغضوا ابصارهم عن المحارم ، فان اتفق ان وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا كما رواه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن جده جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فامرني ان اصرف بصري . وكذا رواه الامام احمد عن هشيم عن يونس بن عبيد به ، ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديثه ايضا وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال « اطرق بصرك » يعني انظر إلى الارض ، والصرف اعم فانه قد يكون إلى الارض وإلى جهة اخرى والله أعلم

وقال ابو داود حدثنا ادماعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن ابي ربيعة الايادي عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ « يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الاخرة » ورواه الترمذي من حديث شريك وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه ، وفي الصحيح عن ابي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « اياكم والجلوس على الطرقات - قالوا يا رسول الله

وقال ابراهيم النخعي ليس على حوانيت السوق اذن وكان ابن سيرين اذا جاء الى حانوت السوق يقول السلام عليكم أدخل ثم يلبس ، وقال عطاء هي البيوت الخربة والمتاع هو قضا الحاجة فيها من البول والغائط وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لان الاستئذان انما جاء لئلا يطلع على عورة فان لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) أي عن النظر إلى ما لا يحل النظر اليه وقبل من صلة يعني يغضوا ابصارهم وقبل هو ثابت لان المؤمنين غير مأمورين بغض البصر اصلا لانه لا يجب

لا بد لنا من مجالسننا نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ - ان ايتم فاعطوا الطريق حقه - قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال - غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وقال ابو القاسم البغوي حدثنا طلوت بن عباد حدثنا فضيل بن حسين سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « اكفلوا لي بست اكفل لكم بالجنة ، اذا حدث احدكم فلا يكذب وإذا اؤمن فلا يخن وإذا وعد فلا يخلف وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم » وفي صحيح البخاري « من يكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أكفل له الجنة » وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال كل ما عصي الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب كما قال بعض السلف: النظر سهام إلى القلب . ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الابصار التي هي بواعث إلى ذلك فقال تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) وحفظ الفرج تارة يكون بمنه من الزنا كما قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) الآية وتارة يكون بحفظه من النظر اليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » ذلك أزكى لهم) أي أظهر لقلوبهم وأنتى لدينهم كما قبل من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته ، ويروى في قلبه . وروى الامام احمد حدثنا عتاب حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد . عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم بغض بصره الا أخلف الله له عبادة يجدها حلالونها » وروى هذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم ولكن في أسانيدنا ضعف الا انها فيها التريغ ومثله يتسامح فيه ، وفي الطبراني من طريق عبد الله بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعا « تغضن أبصاركم وتحفظن فروجكم وتقيمن وجوهكم أو تنكفن وجوهكم »

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن زهير التستري قال: قرأنا على محمد بن حفص بن عمر الضرير المقرئ حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا هريم بن سفيان عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان النظر سهم من سهام

الغض عما يحل النظر اليه وإنما امروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر اليه » ويحفظوا فروجهم » عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه (ذلك) يعني غض البصر وحفظ الفرج (أزكى لهم) يعني خير لهم وأظهر (ان الله خير بما يصنعون) يعني عليهم بما يفعلون روي عن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ لعلي « يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الاولى وليست لك الآخرة » وروي عن جرير ابن عبد الله قال سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة فقال « امرف بصرك » أخبرنا امعايل بن

ابليس مسموم من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاله في قلبه « وقوله تعالى (إن الله خبير بما يصنعون) كما قال تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الاذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » رواه البخاري تعليقا ومسلم مسنداً من وجه آخر بنحو ما ذكر وقد قال كثير من السلف أنهم كانوا يهتفون أن يجد الرجل نظره إلى الامرد وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك وحرمة طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان وشدد آخرون في ذلك كثيراً جداً وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو سعيد المقبري حدثنا عمر بن سهل المازني حدثني عمر بن محمد بن صهبان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كل عين زانية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا خرج منها مثل رأس القباب من خشية الله »

وقل للمؤمنات يفضضن من أبصرهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التبعية غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (٣١)

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لأزواجهن عباده المؤمنين وتمييزهن عن صفة عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد حدثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا زيد بن الحباب عن الضحاك بن عثمان قال أخبرني زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد »

قوله عز وجل «وقل للمؤمنات يفضضن من أبصارهن» عمالاجل «ويحفظن فروجهن» عن لا يجل وقيل أيضاً «يحفظن فروجهن» يعني بسننها حتى لا يراها أحد وروي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال (فسيرا ابن كثير والبغوي) (١٣)

نساء الجاهلية وفعال المشركات . وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حبان قال : بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الانصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في محل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليهما غير متزوات فيبدو ما في أرجلهن من الخلخل وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء ما أقبح هذا فانزل الله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) الآية فقوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) أي عما حرم الله عليهن من النظر الى غير أزواجهن ، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر الى الرجال الا جانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً ، واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ « احتجبا منه » فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله ﷺ « أو عياوان أنتما ألسما تبصرانه ؟ » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الا جانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ جعل ينظر الى الحبشة وهم يلبعون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر اليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ماتت ورجعت ، وقوله (وبمحفظن فروجهن) قال سعيد بن جبيرة : عن الفواحش وقال قتادة وسفيان عما لا يحل لهن وقال مقاتل عن الزنا ، وقال أبو العالية كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا الا هذه الآية (وبمحفظن فروجهن) أن لا يراها أحد وقوله تعالى (ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها) أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للاجانب الا ما لا يمكن اخفاؤه . قال ابن مسعود كالرداء والثياب يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المغنعة التي تجلب ثيابها

رسول الله ﷺ « احتجبا منه » فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال رسول الله ﷺ « أفعمياوان أنتما ألسما تبصرانه ؟ » قوله تعالى (ولا يبدن زينتهن) يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتتان خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخل والحضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد فلا يجوز لها اظهارها ولا للأجنبي النظر اليها والمراد من الزينة موضع الزينة ، قوله تعالى (إلا ما ظهر منها) أراد به الزينة الظاهرة واختلف اهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناهما الله تعالى قال سعيد بن جبيرة والضحاك والاوزاعي هو الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب بدليل قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) وأراد بها الثياب ، وقال الحسن الوجه والثياب وقال ابن عباس الكحل والخاتم والحضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الاجنبي النظر إليه إذ لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئاً منها غرض البصر ، وأما رخص في هذا القدر ان تبديه المرأة من بدنها لانه ليس بعورة يلزمها سترة

وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لان هذا لا يمكنها اخفاؤه ونظيره في زي النساء ما يظهر من ازارها وما لا يمكن اخفاؤه ، وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وابراهيم النخعي وغيرهم وقال الاعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها) قال وجهها وكفيها والخاتم ، وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء والضحاك وابراهيم النخعي وغيرهم نحوه ذلك ، وهذا يحتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهين عن ابدائها كما قال ابو إسحاق السبيعي عن أبي الاحوص عن عبد الله قال في قوله (ولا يبدن زينتهن) الزينة القروط والدملوج والخلخال والقلادة ، وفي رواية عنه بهذا الاسناد قال : الزينة زينتان فزينة لا يراها إلا الزوج الخاتم والسوار وزينة يراها الا جانب وهي الظاهر من الثياب

وقال الزهري لا يبدو لهؤلاء الذين سمى الله ممن لا تحل له إلا الاسورة والاخرة والاقرطة من غير حسر وأما عالة الناس فلا يبدو منها إلا الخواتم ، وقال مالك عن الزهري (الا ما ظهر منها) الخاتم والخلخال ، ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه ابو داود في سننه حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالا : حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال «يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا» وأشار الى وجهه وكفيه لكن قال ابو داود وابو حاتم الرازي هو مرسل . خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضي الله عنها والله علم

وقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) يعني المقامع يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتوارى ما تحتها من صدرها وتراثبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهم لم يكن يفعلن

قوله عز وجل (وليضربن بخمرهن) يعني ليلقين بمقامعهن (على جيوبهن) وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وصدورهن واعناقهن واقراطهن قالت عائشة رحم الله نساء المهاجرات الاول لما أنزل الله عز وجل (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطن فاختمن بهن (ولا يبدن زينتهن) يعني الزينة الخفية التي لم يباح لمن كشفها في الصلاة ولا للاجانب وهو ما عدا الوجه والكفين (الا لبعولتهن) قال ابن عباس ومقاتل يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار الا لبعولتهن اي الا لازواجهن (أو آبائهن أو أبناءهن أو إبنائهن أو إبناتهن أو أخواتهن أو بني أخواتهن أو بني أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظروا الى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدنها غير أنه يكره له النظر الى فرجها

قوله تعالى (أو نساءهن) أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر الى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة

ذلك بل كانت المرأة منهم تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواربها شيء. وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطه آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيثانهن وأحوالهن كما قال تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) وقال في هذه الآية الكريمة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أي يغطي به الرأس وهي التي تسميها الناس المقامع. قال سعيد بن جبير وليضربن وليشدن بخمرهن (على جيوبهن) يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء.

وقال البخاري حدثنا أحمد بن شبيب حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: برحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن مروطين فاختمن بها. وقال أيضاً حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاختمن بها.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثني الزنجي بن خالد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة قالت فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها إن لنساء قريش فضلاً وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الانصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معجرات كأن على رؤوسهن الغربان. ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة به.

كالرجل المحرم هذا إذا كانت المرأة مسلمة فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها؟ اختلف أهل العلم فيه فقال بعضهم يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء. وقال بعضهم لا يجوز لأن الله تعالى قال (أو نسائهن) والكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين وكانت أبعد من الرجل الأجنبي، كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات.

قوله تعالى (أو مملكتن إيمانهن) اختلفوا فيها فقال قوم عبد المرأة محرم لها فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة كالحارم وهو ظاهر القرآن وروى ذلك عن عائشة وأم سلمة، وروى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه أتى فاطمة بعدد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب إذا قعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما

وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أن قرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله (وليضر بن بخمرهن على جيوبهن) شققن أكثف مروطن فاختمرن بها . ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به . وقوله تعالى (ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن) أي أزواجهن (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخواتهن أو بني أخواتهن) كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزينةها ولكن من غير تبرج

وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى يعني ابن هارون حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية (ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن) حتى فرغ منها وقال لم يذكر العم ولا الخال لانهما يتبعان لأبائهما ولا تضع خمارها عند العم والخال ، فأما الزوج فأما ذلك كله من أجله فتتصم له بما لا يكون بحضرة غيره . وقوله (أو نسائهن) يعني تظهر بزينةها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فانهن لا يمنعن من ذلك مانع فأما المسلمة فانهن تعلم أن ذلك حرام فتزجر عنه ، وقد قال رسول الله ﷺ « لا تبأشر المرأة المرأة تنعتها زوجها كأنه ينظر اليها » أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود

وروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا اسماعيل بن عياش عن هشام بن القاز عن عباد بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة : أما بعد فانه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخان الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها . وقال مجاهد في قوله (أو نسائهن) قال نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة ، وروى عبد الله في

رأى رسول الله ﷺ ما تلقى قال « انه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلأمك » وقال قوم : هو كلاجني معها وهو قول سعيد بن المسيب ، وقال المراد من الآية الاماء دون العبيد ، وعن ابن جريج أنه قال (أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) انه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المرأة المشركة أمة لها

قوله « أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال » قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر (غير) بنصب الرأ على القطع لان التابعين معرفة وغير نكرة ، وقيل بمعنى إلا فهو استثناء معناه يبدن زينتهن للتابعين إلا إذا الاربة منهم فانهن لا يبدن زينتهن لمن كان منهم ذا اربة . وقرأ الآخرون بالجر على نعت التابعين والاربة والارب الحاجة ، والمراد بالتابعين غير أولي الاربة هم الذين يتبعون القوم ليصيروا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي ،

تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أو نساين قال هن المسلمات لا تبدن ليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم ، وروى سعيد حدثنا جرير عن إيث عن مجاهد قال لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة لأن الله تعالى يقول (أو نساين) فليست من نساين وعن مكحول وعبادة بن نسي أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة ، فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمير حدثنا ضمرة قال : قال ابن عطاء عن أبيه قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ بيت المقدس كان قوايل نساين اليهوديات والنصرانيات فهذا إن صح فمحمول على حال الضرورة أو أن ذلك من باب الامتنان ثم إنه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله أعلم

وقوله تعالى (أو ماملكت أيمانهن) قال ابن جرير يعني من نساء المشركين فيجوز لها أن تظهر زينتها لها ، وإن كانت مشركة لأنها أمتها واليه ذهب سعيد بن المسيب ، وقال الاكثرون بل يجوز أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود ثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو جميع سالم بن دينار عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال « انه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلارك »

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية أن عبد الله بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الادمة وأنه قد كان النبي ﷺ وهبه لابنته فاطمة فربته ثم اعتقه ثم قد كان بعد ذلك كله مع معاوية أيام صفين وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وروى الامام احمد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن نيهان عن أم سلمة ذكرت أن رسول الله ﷺ قال « إذا كان لاحدا كن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه » ورواه أبو داود عن مسدد عن سفيان به

وعن ابن عباس أنه الاحق العنين . وقال الحسن هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء . ولا يشتهن ، وقال سعيد بن جبير هو المعتوه ، وقال عكرمة المجهوب ، وقيل هو الخنث ، وقال مقاتل الشيخ الهرم والعنين والخصي والمجهوب ونحوه أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أحمد ابن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل بن محمد الميداني أنا محمد بن يحيى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الاربة فدخل النبي ﷺ يوما وهو عند أحد نساؤه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بثمان . فقال النبي ﷺ « ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا » فحجبهوه (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الاطفال

وقوله تعالى (أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال) يعني كالاجراء والاتباع الذين ليسوا بكفا، وهم مع ذلك في عقولهم وله وحب، ولا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن. قال ابن عباس هو المغفل الذي لاشهوة له. وقال مجاهد هو الابله، وقال عكرمة هو الخنث الذي لا يقوم ذكره، وكذلك قال غير واحد من السلف، وفي الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن مخنثا كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل النبي ﷺ وهو ينعت امرأة يقول أنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال رسول الله ﷺ «ألا أرى هذا يعلم ما بهننا لا يدخلن عليكم» فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة ليستطعم

وروى الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة أنها قالت: دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها مخنث وعندها عبدالله بن أبي أمية يعني اخاها والمخنث يقول: يا عبدالله ان فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان قال فسمعه رسول الله ﷺ فقال لام سلمة «لا يدخلن هذا عليك» أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة. وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل النبي ﷺ وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال أنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي ﷺ «ألا أرى هذا يعلم ما بهننا لا يدخلن عليكم هذا» فحجبوه ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به عن أم سلمة

وقوله تعالى (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعاطهن في المشية وحر كانهن وسكنانهن فاذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فاما ان كان مراهما أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدربه ويفرق

يكون واحداً وجهاً أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها، وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وهو قول مجاهد، وقيل لم يطبقوا أمر النساء، وقيل لم يبلغوا حد الشهوة ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهيت عن ذلك ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ من التقصير الواقع في أمره ونهيه وقيل راجعوا طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة ﴿أيها المؤمنون اعلمكم تفلحون﴾ قرأ ابن عامر أبيه المؤمنون ويأباه الساحر وأبه الثقلان بضم الهاء فيهن ويقف بلا ألف على الخط، وقرأ الآخرون بفتح الهاءات على الاصل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد ابن السمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا وهب بن جرير أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي بردة أنه سمع الاغر يحدث عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ

بين الشوها والحسنا فلا يمكن من الدخول على النساء ، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال « اياكم والدخول على النساء » قيل يا رسول الله أفرايت الجمو؟ قال « الجمو الموت » وقوله تعالى (ولا يضربن بأرجلهن) الآية كانت المرأة في الجاهلية اذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الارض فيسمع الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ، وكذلك اذا كان شيء من زيتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى (ولا يضربن بأرجلهن) الى آخره ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها فقد قال ابو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا » يعني زانية وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح رواه ابو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به

وقال ابو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن عاصم عن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقيته امرأة ثم منها ريح الطيب ولذيلها اعصار فقال يا أمية الجبار جئت من المسجد ؟ قالت نعم . قال تطيبت ؟ قالت نعم . قال اني سمعت حبي أبا القاسم ﷺ يقول « لا يقبل الله صلاة امرأة تطيب لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به

وروى الترمذي أيضا من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول الله ﷺ قال « الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها » ومن ذلك أيضا أنهم ينهاون عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج . قال ابو داود حدثنا الثعلبي حدثنا عبدالعزيز يعني ابن محمد بن أبي اليمان عن شداد بن أبي عمرو بن حسان عن أبيه عن حمزة بن أبي أسيد

يقول « يا أيها الناس توبوا إلى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة » أخبرنا أبو الحسن عن عبد الرحمن ابن محمد الداودي أنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن حمويه السرخسي أنا أبو اسحاق ابراهيم بن حريم الشاشي أنا أبو محمد عبد الله بن حميد اللبني حدثني ابن أبي شيبة أنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر قال : إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول « رب اغفر لي وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم » مائة مرة

وجهة الكلام في بيان العوارت أنه لا يجوز للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل ، وعورته ما بين السرة إلى الركبة ، وكذلك المرأة مع المرأة ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنه . وقال مالك وابن أبي ذئب : الفخذ ليس بعورة لما روي عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال : أجرى نبي الله ﷺ فرسا في زقاق خبير وان ركبتني لمس فخذ نبي الله ﷺ ثم حسر الازار عن فخذ حتى

الانصاري عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء « استأخرن فانه ليس لكن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق » فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى ان ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به

وقوله تعالى [ونوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون] أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة وانركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه والله تعالى هو المستعان

وأنكحوا الأيمنى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (٣٢) وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله

والذين يبتغون الكتب مما ملكت أيمنكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرر هو فتيلتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد اكرههن غفور رحيم (٣٣) ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات

ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين (٣٤)

اني لا نظل إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ . وأكثر أهل العلم على ان الفخذ عورة لما أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد، الفضل الحرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميهني انا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن أبي كثير عن محمد بن جعش قال : مر رسول الله ﷺ على معمر وفخذه مكشوفتان قال « يا معمر غط فخذيك فان الفخذين عورة » وروي عن ابن عباس وجده بن خويلد - كان من أصحاب الصفة - ان النبي ﷺ قال « أما علمت ان الفخذ عورة » قال محمد بن اسماعيل : حديث أنس أسند وحديث جرهد أحوط . أما المرأة مع الرجل فان كانت أجنبية حرة فجميع بدنهما في حق الاجنبي عورة ، ولا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين ، وإن كانت أمة فعورتها مثل عورة الرجل ما بين السرة الى الركبة ، وكذلك المحارم بعضهم مع بعض والمرأة في النظر الى الرجل الاجنبي كهي معها . ويجوز للزوج أن ينظر الى جميع بدن امرأته وأمتها التي تحل له وكذلك هي منه إلا نفس الفرج فانه يكره النظر اليه وإذا زوج الرجل أخته حرم عليه النظر إلى عورتها كالأمة الأجنبية . وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله ﷺ قال « إذا زوج أحدكم عبده أخته فلا ينظرن الى ما دون السرة وفوق الركبة »

قوله تعالى ﴿ وأنكحوا الايماى منكم ﴾ الايماى جمع الايم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة

اشتملت هذه الآيات الكريمات المبينة على جمل من الاحكام المحكمة والارامر المبرمة بقوله تعالى (وأنكحوا الايامى منكم) الى آخره هذا امر بالتزويج . وقد ذهب طائفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود، وقد جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباه بكم الائم يوم القيامة » وفي رواية « حتى بالسقط » والايامى جمع أيم ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها والرجل الذي لا زوجة له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما حكمه الجوهري عن أهل اللغة، يقال رجل أيم وامرأة أيم . وقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رغبتهم الله في التزويج وأمر به الاحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال (إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الأزرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد — يعني ابن عبد العزيز — قال بلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى (ان يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله) رواه ابن جرير وذكر البغوي عن عمر نحوه

وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغازي في سبيل الله » رواه الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقد زوج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد عليه

يقال رجل أيم وامرأة أيمة وأيم، ومعنى الآية زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم وامائكم) وهذا الامر أمر ندب واستحباب يستحب لمن تاقته نفسه إلى النكاح ووجد أهبة النكاح أن يتزوج وان لم يجد أهبة النكاح يكسر شهوته بالصوم لما أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسين الطوسي أنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايني أنا أبو بكر محمد بن مرواد بن مسعود أنا ابو عبد الله محمد بن أيوب البجلي أنا محمد بن كثير أنا سفيان عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » وقال رسول الله ﷺ « تناكحوا تكثرُوا فاني أباهي بكم الائم حتى بالسقط » وقال ﷺ « من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح » أما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل من النكاح عند الشافعي رحمه الله وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل، قال الشافعي وقد ذكر الله تعالى عبداً أكرمه فقال (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) والحصور الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليه ، وذكر القواعد من النساء ولم

إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فزوجه بتلك المرأة وجعل صداقها عليه أن يعدها مائة القرآن . والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله .

وأما ما ورد . كثير من الناس على أنه حديث « تزوجوا فقراء يغنيكم الله » فلا أصل له ولم أره باسناد قوي ولا ضعيف إلى الآن وفي القرآن غنية عنه وكذا هذه الأحاديث التي أوردناها والله الحد والمنة . وقوله تعالى (وليستغف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا بالاستعفاف عن الحرام كما قال ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » الحديث ، وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات - إلى قوله - وإن تصبروا خير لكم) أي صبركم عن تزوج الاماء خير لكم لأن الولد يجيء رقيقا (والله غفور رحيم) قال عكرمة في قوله (وليستغف الذين لا يجدون نكاحا) قال هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتريها فإن كانت له امرأة فليذهب اليها وليقض حاجته منها ، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والارض حتى يغنيه الله .

وقوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب ما ملكت أيمانكم فكتبوهم إن علمتم فيهم خيرا) هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب عبيدهم منهم الكتابة أن يكتبوهم بشرط أن يكون للعبيد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه ، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الامر

يندبهم إلى النكاح ، وفي الآية دليل على أن تزويج النساء الأيامى إلى الاولياء لأن الله تعالى خاطبهم به كما أن تزويج العبيد والاماء إلى السادات لقوله تعالى (والصالحين من عبادكم وامائكم) وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم روي ذلك عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة ، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشريح وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق ، وجوز أصحاب الرأي للمرأة الحرة تزويج نفسها ، وقال مالك : أن كانت المرأة دينية جاز لها تزويج نفسها ، وإن كانت شريفة فلا ، والدليل على أن الولي شرط من جهة الاخبار ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن الحسن بن أحمد الخلدني أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو عوانة عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « لا نكاح إلا بولي » أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الحلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال « إنما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها

أمر ارشاد واستحباب لا أمر تحتم وإيجاب بل السيد مخير إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكتبه ، قال الثوري عن جابر عن الشعبي إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكتبه ، وكذا روى ابن وهب عن اسماعيل بن عياش عن رجل عن عطاء بن أبي رباح إن بشأ كاتبه وإن بشأ لم يكتبه وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري ، وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلى ما طلب أخذاً بظاهر هذا الامر

وقال البخاري وقال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أوجب علي إذا علمت له مالا أن أكتبه ؟ قال ما أراه إلا واجباً ، وقال عمرو بن دينار قلت لعطاء أثاره عن أحد ؟ قال لا ثم أخبرني أن موسى ابن أنس أخبره أن سيرين سأل أنساً المكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق إلى عمر رضي الله عنه فقال كاتبه فأبى فضربه بالدره وتلو عمر رضي الله عنه (فكتبوه إن علمتم فيهم خيراً) فكتبه . هكذا ذكره البخاري معلقاً ، ورواه عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء : أوجب علي إذا علمت له مالا أن أكتبه ؟ قال ما أراه إلا واجباً

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكتبه فتركه عليه فقال له عمر لتكاتبته اسناد صحيح ، وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جويهر عن الضحاك قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من قولي الشافعي وذهب في الجديد إلى أنه لا يجب لقوله عليه السلام « لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه » وقال ابن وهب قال مالك الامر عندنا أنه ليس على سيد العبد أن يكتبه إذا سأله ذلك ولم أسمع أحداً

باطل - ثلاثاً - فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها ، فإن اشتجروا قال المطان ولي من لا ولي له « قوله تعالى ﴿ إن يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ قيل الغنى ههنا القناعة ، وقيل اجتماع الرزقين رزق الزوج ورزق الزوجة ، وقال عمر : عجبت لمن ابتغى الغنى بغير النكاح والله عز وجل يقول (ان يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله) وروي عن بعضهم ان الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالفرق فقال تعالى (ان يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله) وقال تعالى (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً » أي ليطالب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون مالا يتكحون به للصدقات والنفقة (حتى يغنيهم الله من فضله) أي يوسع عليهم من رزقه قوله تعالى ﴿ والذين ينفقون الكتاب ﴾ أي يطلبون المكاتبه « مما ملكت أيمانكم فكتبوهم » سبب نزول هذه الآية ما روي ان غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه . فأنزل الله هذه الآية فكتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب . والكتابة أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوماً تؤدي ذلك في نجمين أو نجوم معلومة في كل نجم كذا فإذا أدبت فأنت حر . والعبد يقبل ذلك فإذا

من الائمة أكره أحداً على أن يكتب عبده ، قال مالك وأما ذلك أمر من الله تعالى وأذن منه للناس وليس بإيجاب ، وكذا قال الثوري وأبو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية

وقول تعالى (إن علمتم فيهم خيراً) قال بعضهم أمانة وقال بعضهم صدقا ، وقال بعضهم مالا ، وقال بعضهم حيلة وكسبا ، وروى أبو داود في المراسيل عن يحيى بن أبي كثير قال : قال رسول الله ﷺ (فكتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) قال « إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلابا على الناس »

وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) اختلف المفسرون فيه فقال بعضهم معناه أطروا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم مقدار الربع وقيل الثلث ، وقيل النصف ، وقيل جزء من الكتابة من غير حد ، وقال آخرون بل المراد من قوله (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) هو النصيب الذي فرض الله لهم من أموال الزكاة وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه ومقاتل بن حيان واختاره ابن جرير ، وقال إبراهيم النخعي في قوله (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال حدث الناس عليه مولاه وغيره ، وكذا قال بريدة بن الحصيب الأسلمي وقتادة ، وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب ، وقد تقدم في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال « ثلاثة حق على الله عونهم فذكر منهم المكاتب يريد الاداء » والقول الاول أشهر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر أنه كاتب عبداً له يكنى أبا أمية فجاءه بنجمه حين حل فقال يا أبا أمية اذهب فاستعن به في مكاتبك فقال يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون من آخر نجم ؟ قال أخاف أن لا أدرك ذلك

أدى المال عتق ، وبصير العبد أحق بمكاسبه بعد أداء المال ، وإذا عتق بعد أداء المال فما فضل في يده من المال يكون له ، ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق ، وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده الى الرق وما في يده من المال يكون لمولاه لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع أن عبد الله ابن عمر كان يقول : المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته شيء . . ورواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً : المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم » وذهب بعض أهل العلم الى أن قوله تعالى (فكتبوهم) أمر بإيجاب يجب على المولى أن يكتب عبده الذي علم فيه خيراً إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو أكثر ، وإن سأل على أقل من قيمته فلا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار ، لما روي أن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكتبه فتلكأ عنه فشكا إلى عمر فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة فكتبه . وذهب أكثر أهل العلم الى أنه أمر ندب واستحب ، ولا تجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جوز ارفاقا بالعبد ومن تنمة الارفاق أن يكون ذلك المال عليه إلى

ثم قرأ (فكتبهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال عكرمة فكان أول نجم أدى الاسلام

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عمر اذا كاتب مكاتباً لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجم اليه صدقته ، واكنه اذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قال وضعوا عنهم من مكاتبهم ، وكذا قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي بزة وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي ، وقال محمد بن سيرين في الآية كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته ، وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان المقرئ أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرني عطاء بن السائب أن عبد الله بن جندب أخبره عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ربع الكتابة » وهذا حديث غريب ورفعه منكر والاشبه أنه موقوف على علي رضي الله عنه كما رواه عنه أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله

أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود كالدية في قتل الخطأ وجبت على العاقلة على سبيل الموائمة فكانت عليهم مؤجلة منجمة ، وجوز أبو حنيفة الكتابة على نجم واحد وحالة

قوله تعالى ﴿ إن علمتم فيهم خيراً ﴾ اختلفوا في معنى الخير فقال ابن عمر قوة على الكسب وهو قول مالك والثوري ، وقال الحسن ومجاهد والضحاك مالا كقوله تعالى (ان ترك خيراً) أي مالا . وروي ان عبداً لسلطان الفارسي قال له كاتبني قال : ألك مال ؟ قال لا قال تريد أن تطعمني من أوساخ الناس ولم يكتبه . قال الزجاج : لو أراد به المال لقال : إن علمتم لهم خيراً . وقال ابراهيم وابن زيد وعبيدة صدقا وأمانة . وقال طاوس وعمر بن دينار مالا وأمانة ، وقال الشافعي : وأظهر معاني الخير في العبد الاكتساب مع الامانة فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا . أخبرنا ابو الحسن علي ابن يوسف الجويني انا ابو محمد الحسن بن علي بن شريك الشافعي انا عبد الله بن محمد بن مسلم انا أبو بكر الجورمندي انا يونس بن عبد الاعلى انا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن مجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ثلاثة حق على الله عونهم : المكاتب الذي يريد الاداء ، والناكح يريد العفاف ، والمجاهد في سبيل الله »

وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة (ان علمتم فيهم خيراً) أي أقاموا الصلاة ، وقيل هو أن يكون العبد بالغاً عاقلاً ، فاما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لان الابتغاء منها لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ اختلفوا فيه فقال بعضهم : هذا خطاب

وقوله تعالى (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) الآية كان أهل الجاهلية إذا كان لاحد من أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله ابن أبي بن سلول فإنه كان له اماء فكان يكرهن على البغاء طلبا لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

قال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الحاق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا احمد بن داود الواسطي حدثنا ابو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها معاذة يكرها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) الآية

وقال الاعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في أمة لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة كان يكرها على الفجور وكانت لا بأس بها فتأبى فأنزل الله هذه الآية (ولا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء) — إلى قوله — ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم (وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه ، وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا عمرو ابن علي حدثنا علي بن سعيد حدثنا الاعمش حدثني ابو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن أبي بن

للموالي يجب على المولى أن يحيط عن مكاتبه من مال كتابته شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماة وبه قال الشافعي ، ثم اختلفوا في قدره فقال قوم يحيط عنه ربع مال الكتابة وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحيط عنه الثلث ، وقال الآخرون : ليس له حد بل عليه أن يحيط عنه ما شاء وهو قول الشافعي . قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم ، وقال سعيد بن جبیر : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع اليه صدقته ويضم من آخر كتابته ما أحب ، وقال بعضهم : هو أمر استحباب والوجوب أظهر . وقال قوم أراد بقوله (وأنتم من مال الله) أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضة بقوله تعالى (وفي الرقاب) وهو قول الحسن وزيد بن أسلم ، وقال إبراهيم : هو حث لجميع الناس على معوتهم ، ولومات المكاتب قبل أداء النجوم اختلف أهل العلم فيه فذهب كثير منهم الى أنه يموت رقيقا وترفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقادة ، واليه ذهب الشافعي وأحمد ، وقال قوم : إن ترك وفاء

سلول جارية يقال لها مسيكة وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء — إلى قوله — ومن يكرهن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم) صرح الامشع بالجماع من أبي سفيان طلحة بن نافع فدل على بطلان قول من قال لم يسمع منه إنما هو صحيفة حكاه البزار ، وروى ابو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس أن جارية لعبد الله بن أبي كانت تزني في الجاهلية فولدت أولادا من الزنا فقال لها مالك لا تزنين قالت والله لا أزني فضربها فأنزل الله عز وجل (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء)

وروى البزار أيضاً حدثنا احمد بن داود الواسطي حدثنا ابو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا — إلى — ومن يكرهن فإن الله من بعدا كراههن غفور رحيم)

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أن رجلاً من قريش أسرى يوم بدر وكان عند عبد الله بن أبي أسيراً وكانت لعبد الله بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الأسير يريد بها على نفسها وكانت مسلمة وكانت تمتنع منه لاسلامها ، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده فقال تبارك وتعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) وقال السدي أنزلت هذه الآية السكرمة في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وكانت له جارية تدعى معاذة وكان إذا نزل به ضيف أرسلها اليه ليواقعها ارادة الثواب منه والكرامة له فأقبلت الجارية إلى أبي بكر رضي الله عنه فشكت اليه ذلك فذكره ابو بكر للنبي ﷺ فأمره بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من بعدنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا فأنزل الله فيهم هذا ، وقال مقاتل بن حيان بلغني والله أعلم أن

بما بقي عليه من الكتابة كان حراً ، وإن كان فيه فضل فالزيادة لاولاده الاحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن ، وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي : ولو كاتب عبده كتابة فاسدة بعق باداء المال لان عتقه معلق بالاداء وقد وجد وتبعه الاولاد والاكتساب كما في الكتابة الصحيحة . ويفترقان في بعض الاحكام وهي ان الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم ولا تبطل بموت المولى ، ويعتق بالابراء عن النجوم ، والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال ، حتى لو أدى المال بعد الفسخ لا يعتق ، ويبطل بموت المولى ولا يعتق بالابراء عن النجوم ، وإذا عتق المكاتب باداء المال لا يثبت التراجع في الكتابة الصحيحة ويثبت في الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته وهو يرجع على المولى بما دفع اليه ان كان مالا

قوله تعالى ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا ﴾ الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق كانت له جارتان معاذة ومسيكة وكان يكرههما على الزنا بالضربة يأخذها منها ،

هذه الآية نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما إحداهما اسمها مسيكة وكانت للانصار ، وكانت أمة أم مسيكة لعبد الله بن أبي وكانت معاذة وأروى بتلك المنزلة فأنت مسيكة وأما النبي ﷺ فذكرنا ذلك له فأنزل الله في ذلك (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) يعني الزنا ، وقوله تعالى (ان أردن تحصنا) هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له

وقوله تعالى (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي من خراجهم ومهورهن وأولادهن وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام ومهر البغي وحلوان الكاهن ، وفي رواية « مهر البغي خيث وكسب الحجام خيث ، ومن الكلب خيث » وقوله تعالى [ومن يكرهن فان الله من بعد ! كراهن غفور رحيم] أي لمن كما تقدم في الحديث عن جابر ، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان فعلم فان الله لمن غفور رحيم وأمن على من أكرهن ، وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والاعمش وقتادة . وقال ابو عبيد حدثني إسحاق الأزرق عن عون عن الحسن في هذه الآية [فان الله من بعد اكراهن غفور رحيم] قال لمن والله لمن والله . وعن الزهري قال غفور لمن ما أكرهن عليه وعن زيد ابن أسلم قال غفور رحيم للمكرهات حكاه ابن المنذر في تفسيره بأسانيد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قال في قراءة عبد الله بن مسعود [فان الله من بعد اكراهن غفور رحيم] لمن وأمن على من أكرهن ، وفي الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ أنه قال « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيراً فقد استكثرنا منه ، وان يك شراً فقد آن لنا أن ندعه فأنزل الله هذه الآية . وروي أنه جاءت إحدى الجاريتين يوماً ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا قالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا ، فاتيا رسول الله ﷺ وشكنا اليه فأنزل الله هذه الآية (ولا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) أي الزنا (ان أردن تحصنا) أي اذا أردن وليس معناه الشرط لانه لا يجوز اكراهن على الزنا وان لم يردن تحصنا كقوله تعالى (وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) أي اذا كنتم مؤمنين وقيل إنما شرط ارادة التحصن لان الاكراه إنما يكون عند ارادة التحصن ، فاذا لم ترد التحصن بغت طوعاً والتحصن التعمف . وقال الحسن بن الفضل : في الآية تقديم وتأخير تقديرها : وأنكحوا الايامي منكم ان أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتطلبوا من أموال الدنيا يريد من كسهن وييم أولادهن (ومن يكرهن فان الله من بعد اكراهن غفور رحيم) يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال : لمن والله لمن والله

ولما فصل تبارك وتعالى هذه الاحكام وبينها قال تعالى [ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات] يعني القرآن فيه آيات واضحات مفسرات [ومثلا من الذين خلوا من قبلكم] أي خبراً عن الامم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى كما قال تعالى [فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين] أي زاجراً عن ارتكاب المآثم والمحارم (وموعظة للمتقين) أي لمن اتقى الله وخافه . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن : فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوت فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم (٣٥)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [الله نور السموات والارض] يقول هادي أهل السموات والارض . قال ابن جريج قال مجاهد وابن عباس في قوله [الله نور السموات والارض] يدبر الامر فيهما نجومهما وشمسهما وقرهما

وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي حدثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس ابن مالك قال : إن الله يقول نوري هدى واختار هذا القول ابن جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى (الله نور

قوله تعالى ﴿ ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ﴾ من الحلال والحرام ﴿ ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أي شبيها من حالكم بحالهم أيها المكذبون فهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من قبلهم من المكذبين ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ للمؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر

قوله تعالى ﴿ الله نور السموات والارض ﴾ قال ابن عباس هادي أهل السموات والارض فهم بنوره إلى الحق يهتدون ويهداه من حيرة الضلالة ينجون ، وقال الضحاك منور السموات والارض يقال نور السماء بالملائكة ونور الارض بالانبياء ، وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار ، وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة أي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل

إذا سار عبد الله عن مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها

السموات والارض ، مثل نوره) قال هو المؤمن الذي جعل الله الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال (الله نور السموات والارض) فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به ، قال فكان أبي بن كعب يقرؤها (مثل نور من آمن به) فهو المؤمن جعل الايمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبيرة وقيس بن سعد عن ابن عباس انه قرأها كذلك (مثل نور من آمن بالله) وقرأ بعضهم (الله نور السموات والارض) وعن الضحاك (الله نور السموات والارض) وقال السدي في قوله (الله نور السموات والارض) فبنوره أضاءت السموات والارض

وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة عن رسول الله ﷺ انه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتيبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله » وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن » الحديث. وعن ابن مسعود قال ازربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه

وقوله تعالى (مثل نوره) في هذا الضمير قولان [أحدهما] انه عائد إلى الله عز وجل أي مثل هداه في قلب المؤمن قاله ابن عباس (كمشكاة) [والثاني] ان الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة ، فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى

قوله تعالى ﴿ مثل نوره ﴾ أي مثل نور الله تعالى في قلب المؤمن وهو النور الذي بهتدي به كما قال [فهو على نور من ربه] وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن ، وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن ، وقال بعضهم الكناية عائدة إلى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وكان أبي يقرأ مثل نور من آمن به وهو عبد جعل الايمان والقرآن في صدره ، وقال الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن ، وقال سعيد بن جبيرة والضحاك هو محمد ﷺ وقيل أراد بالنور الطاعة سعى طاعة الله نوراً وأضاف هذه الانوار إلى نفسه تفضيلاً ﴿ كمشكاة ﴾ وهي الكوة التي لا منفذ لها فان كان لها منفذ فهي كوة ، وقيل المشكاة حبشية قال مجاهد هي القنديل ﴿ فيها مصباح ﴾ أي سراج أصله من الضوء ومنه الصبح ومعناه كصباح في مشكاة ﴿ المصباح في زجاجة ﴾ يعني القنديل قال الزجاج انما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوؤه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجة فقال ﴿ الزجاجة كأنها كوكب دري ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي دري بكسر الدال والهمزة وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمز فن كسر الدال فهو فعيل من الدر ، وهو الدفع لان الكوكب يدفع الشياطين من السماء وشبهه بحالة الدفع لانه يكون في تلك الحالة أضواً وأنور ، ويقال هو من درأ الكوكب اذا اندفع منقضا فتضاءف ضوءه في ذلك الوقت ، وقيل دري مكرر أي طالع يقال درأ النجم

وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفعول عليه كما قاله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) فشبّه قلب المؤمن في صفاته في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستهدي به من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف ف قوله (كمشكاة) قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد هو موضع الفتيلة من القنديل هذا هو المشهور ولهذا قال بعده (فيها مصباح) وهو الزبالة التي تضيء .

وقال العوفي عن ابن عباس قوله (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد ﷺ كيف يخلص نور الله من دون السماء ؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى [الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة] والمشكاة كوة في البيت قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نوراً ثم سماها أنواعاً شتى ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا منفذ لها وعن مجاهد المشكاة المدائد التي يعلق بها القنديل والقول الاول أولى وهو ان المشكاة هو موضع الفتيلة من القنديل ولهذا قال [فيها مصباح] وهو النور الذي في الزبالة ، قال أبي بن كعب المصباح النور وهو القرآن والايمان الذي في صدره وقال السدي هو السراج [المصباح في زجاجة] أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية ، وقال أبي بن كعب وغير واحد وهي نظير قلب المؤمن (الزجاجة كأنها كوكب دري) قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدر أي كأنها كوكب من در . وقرأ آخرون دري ، ودري . بكسر الدال وضمها مع الهمزة من الدر وهو الدرع ، وذلك

إذا طلع وارفع ويقال درأ علينا فلان أي طلع وظهر ، فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة هو لحن لانه ليس في كلام العرب فاعيل بضم الفاء وكسر العين ، قال أبو عبيدة وأنا أرى لها وجها وذلك أنها دروه على وزن فعول مثل سبوح وقُدوس ثم استقلوا كثرة الضمات فردوا بعضها إلى الكسر كما قالوا عتبي وهو فعول من عتوب ، وقرأ الآخرون (دري) بضم الدال وتشديد الياء بلا همز أي شديد الانارة نسبت إلى الدر في صفاته وحسنه وإن كان الكوكب أكثر ضوءاً من الدر لكنه يفضل الكواكب بضياؤه كما يفضل الدر سائر الحب ، وقيل الكوكب الدرّي واحد من الكواكب الخمسة العظام وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد ، وقيل شبيهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لان الشمس والقمر يلحقهما الخسوف والكواكب لا يلحقها الخسوف ﴿ يوقد ﴾ قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب توقد بالتاء وفتحها وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي يعني المصباح أي اتقد يقال توقدت النار إذا اتقدت ، وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالتاء وضمها وفتح القاف خفيفا يعني الزجاجة أي نار الزجاجة لان الزجاجة لا توقد ، وقرأ الآخرون بالياء وضمها خفيفا يعني المصباح ﴿ من شجرة مباركة زيتونة ﴾ أي من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل قوله تعالى [يكاد زيتها يضيء] أراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة

ان النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة من سائر الاحوال ، والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري ، قال أبي بن كعب كوكب مضي ، وقال قتادة مضي ، مبین ضخم [بوقد من شجرة مباركة] أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة [زيتونة] بدل أو عطف بيان [لاشرقية ولا غربية] أي ليست في شرقي بقعتها فلا تصل اليها الشمس من أول النهار ولا في غربيها فيخلص عنها الغي . قبل الغروب بل هي في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار الى آخره فيجبي . زيتها صافياً معتدلاً مشرقاً

وروى ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد أخبرنا عمرو بن أبي قيس عن ممالك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله [زيتونة لاشرقية ولا غربية] قال هي شجرة بالصحراء لا يظلمها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يواربها شيء . وهو أجود لزيتها ، وقال يحيى بن سعيد القطان عن عمران بن جرير عن عكرمة في قوله تعالى [لاشرقية ولا غربية] قال هي بصحراء ، وذلك أصفى لزيتها ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة وسأله رجل عن قوله تعالى [زيتونة لاشرقية ولا غربية] قال تلك زيتونة بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها فإذا غربت غربت عليها فذلك أصفى ما يكون من الزيت . وقال مجاهد في قوله تعالى [لاشرقية ولا غربية] قال ليست بشرقية لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طلعت وإذا غربت

وعن سعيد بن جبير في قوله [زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها بضي] قال هو أجود الزيت

لان الزيت يسرج به وهو أضوأ وأصفى الاذهان وهو ادام وفاكة ولا يحتاج في استخراجها إلى اعصار ، بل كل أحد يستخرجها . وجاء في الحديث أنه مصححة من الباسور وهي شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي أنا أبو أمية الطوسي أنا قبيصة بن عقبة أنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عطاء — الذي كان بالشام وليس بابن أبي رباح — عن أسيد بن ثابت وأبي أسلم الانصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة »

قوله تعالى [لاشرقية ولا غربية] أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالقدرة اذا طلعت بل هي ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامر من فيكون زيتها أضوأ ، وهذا كما يقال فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص ، بل اجتمع فيه كل واحد منهما ، وهذا الزمان ليس بحلو ولا حامض أي اجتمعت فيه الحلاوة والحوضة . هذا قول ابن عباس في رواية عكرمة والسكبي والاكثرين ، وقال السدي وجماعة ، عناء أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل

قال إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس، فالشمس تصيبها بالغداة والعشي فتلك لا تعد شرقية ولا غربية . وقال السدي قوله (زيتونة لا شرقية ولا غربية) يقول ليست بشرقية يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها على رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله . وقيل المراد بقوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) أنها في وسط الشجر ليست بأدبية للمشرق ولا للمغرب

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قول الله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) قال هي خضراء . ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت قال فكذلك هذا المؤمن قد أجبر من أن يصيبه شيء من الفتن وقد يتلى بها فيثبت الله فيها فهو بين أربع خلال، إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر، فهو في سائر الناس كالرجل الحي بمشي في قبور الاموات

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله [زيتونة لا شرقية ولا غربية] قال هي وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا . وقال عطية العوفي [لا شرقية ولا غربية] قال هي شجرة في موضع من الشجر يرى ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطعم عليها الشمس ولا تقرب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس

فهي لا تضرها شمس ولا ظل ، وقيل معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي ، وقال الحسن ليست هذه من أشجار الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها) دهنها (بضيء) من صفائه (ولو لم تمسه نار) أي قبل أن تصيبه النار (نور على نور) يعني نور المصباح على نور الزجاجة ، واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور محمد ﷺ قال ابن عباس لكعب الأحبار أخبرني عن قوله تعالى (مثل نوره كمشكاة) فقال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة (توقد من شجرة مباركة) هي شجرة النبوة يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ، ولو لم يتكلم انه نبي كما يكاد ذلك الزيت بضيء ولو لم تمسه نار ، وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال : المشكاة جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه (لا شرقية ولا غربية) لا يهودي ولا نصراني (توقد من شجرة مباركة) إبراهيم (نور على نور) نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد ﷺ : وقال محمد بن كعب القرظي : المشكاة إبراهيم ، والزجاجة اسماعيل ، والمصباح محمد صلوات الله عليهم أجمعين سماء الله مصباحا كما سماء سراجا فقال تعالى (وسراجا منيرا) توقد من شجرة مباركة وهي إبراهيم

عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى [لا شرقية ولا غربية] ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية ، وقال محمد بن كعب القرظي [لا شرقية ولا غربية] قال هي القبلية . وقال زيد بن أسلم [لا شرقية ولا غربية] قال الشام وقال الحسن البصري لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره ، وقال الضحاك عن ابن عباس [توقد من شجرة مباركة] قال رجل صالح [زيتونة لا شرقية ولا غربية] قال لا يهودي ولا نصراني ، وأولى هذه الأقوال القول الأول هو وأنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تفرعه من أول النهار إلى آخره ليكون ذلك أصفى زيتها وألطف كما قال غير واحد من تقدم ولهذا قال تعالى [يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار] قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني كضوء اشراق الزيت ، وقوله تعالى (نور على نور) قال العوفي عن ابن عباس يعني بذلك إيمان العبد وعمله ، وقال مجاهد والسدي يعني نور النار ونور الزيت ، وقال أبي بن كعب (نور على نور) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة

وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال حدثني عن قول الله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) قال يكاد محمد ﷺ يبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن يضيء ، وقال السدي في قوله تعالى (نور على نور) قال نور النار ونور الزيت حين اجتماعا أضواء ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه

مساء مباركة لأن أكثر الأنبياء من صلبه (لا شرقية ولا غربية) يعني إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لأن اليهود نصلي قبل المغرب والنصارى نصلي قبل المشرق (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) تكاد محاسن محمد ﷺ تظهر للناس قبل أن يوحى إليه (نور على نور) نبي من نسل نبي (نور) محمد (على نور) إبراهيم ، وقال بعضهم : وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن . روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال : هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان والقرآن في قلبه (يوقد من شجرة مباركة) وهي الاخلاص لله وحده فمثل كمثل الشجرة التي التف بها الشجر خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت ، فكذلك المؤمن قد أحترم من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر ، وإن ابتلي صبر ، وإن حكم عدل ، وإن قال صدق (يكاد زيتها يضيء) أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه (نور على نور) قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار : قوله نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة . قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار ، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً

وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يرشد الله الى هدايته من يختاره كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأ ضل . فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل »

(طريق أخرى عنه) قال البزار حدثنا أيوب عن سويد عن مجي بن أبي عمرو السيباني عن أبيه عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم نوراً من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » ورواه البزار عن عبد الله بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفيه . وقوله تعالى (ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) ما ذكر تعالى هذا مثلاً لنور هداه في قلب المؤمن ختم الآية بقوله (ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال .

قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهو ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح . فأما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراج به نوره ، وأما القلب الاغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الايمان فيه كمثل البقلة بمد الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بمدها الدم والقيح ، فأما المدين غلبت على الاخرى غلبت عليه » إسناد جيد ولم يخرجوه

على ضوئه ، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور ، قال الكلبي قوله (نور على نور) يعني إيمان المؤمن وعمله ، وقال السدي نور الايمان ونور القرآن ، وقال الحسن وابن زيد هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن ، والزجاجة قلب المؤمن ، والمشكاة فيه ولسانه ، والشجرة المباركة شجرة الوحي (يكاد زيتها يضيء) تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم تقرأ (نور على نور) يعني القرآن نور من الله لخلق مع ما أقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور

قوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس رضي الله عنهما لدين الاسلام وهو نور البصيرة وقيل القرآن (ويضرب الله الامثال للناس) يبين الله الاشياء للناس تقريباً للفهم وتسهيلاً لسبيل الادراك (والله بكل شيء عليم)

في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والآبصار (٣٧) ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٨)

لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلاً ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحّد فقال تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع) أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والاقوال والأفعال التي لا تليق فيها، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة (في بيوت أذن الله أن ترفع) قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونامع بن جبير وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين . وقال قتادة هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارها ورفعها وتطهيرها . وقد ذكر لنا أن كعباً كان يقول: مكتوب في التوراة أن بيوتي في الأرض المساجد وأنه من توضع فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمه وحق على المزور كرامة الزائر . رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره . وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وتبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كتبت في ذلك جزءاً على حدة والله الحمد والمنة ونحن بعون الله تعالى نذكر ههنا طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان

فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » أخرجه في الصحيحين

وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة » وللنسائي عن عمرو بن عبسة مثله والأحاديث في هذا كثيرة جداً

قوله تعالى ﴿ في بيوت أذن الله ﴾ أي ذلك المصباح في بيوت وقيل يوقد في بيوت والبيوت هي المساجد . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الأرض ، وروى صالح بن حيّان عن أبي بريدة في قوله تعالى (في بيوت أذن الله) قال إنما هي أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي : الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبلته ، وبيت المقدس بناه داود وسليمان ، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ قوله ﴿ أن ترفع ﴾ قال مجاهد أن تبنى نظيره

وعن عائشة رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب. رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي، ولاحمد وأبي داود عن سمرة بن جندب نحوه وقال البخاري قال عمر: إن للناس ما يكرههم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس.

وروى ابن ماجه قال قال رسول الله ﷺ «ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم» وفي إسناده ضعف. وروى أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «ما أمرت بتشيد المساجد» قال ابن عباس أزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى. وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي. وعن بريدة أن رجلا أنشد في المسجد فقال من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي ﷺ «لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له» رواه مسلم.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: نهى رسول الله ﷺ عن البيع والابتاع وعن تناشد الاشعار في المساجد. رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذي حسن. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أبيع الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردّها الله عليك» رواه الترمذي وقال حسن غريب. وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعا قال: خصال لا تنبغي في المسجد: لا يتخذ طريقا ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل ولا يمر فيه بلحم فيه ولا يضرب فيه حد ولا يقتص فيه أحد ولا يتخذ سوقا.

وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال «جنبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوصاتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيفوكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع» ورواه ابن ماجه أيضا وفي إسناده ضعف، أما أنه لا يتخذ طريقا فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا الحاجة إذا وجد مندوحة عنه، وفي الأثر أن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد لا يصلي فيه، وأما أنه لا يشهر فيه السلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل فلما يخشى من إصابة

قوله تعالى [وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت] قال الحسن أي تعظم أي لا يذكر فيها الخنا من القول ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يتلى فيها كتابه ﴿يسبح﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بفتح الباء على غير تسمية الفاعل والوقف على هذه القراءة عند قوله (والآصال) وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال (يسبح له) أي يصلي له فيها بالغدو والآصال أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلوات المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الصبح، والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاء. لأن اسم الاصيل بجمعها، وقيل أراد به صلاة الصبح والعصر.

بعض النامس به لكثرة المصلين فيه ، ولهذا أمر رسول الله ﷺ إذا مر رجل بسهام أن يقبض على نصالها لئلا يؤدي أحداً كما ثبت ذلك في الصحيح . وأما النهي عن المرور باللحم التي فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذ أخافت التلويث ، وأما أنه لا يضرب فيه حد ولا يقتص منه فلما يخشى من إيجاد النجاسة فيه من المضروب أو المقطوع ، وأما أنه لا يتخذ سوقاً فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه فإنه إنما بني لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي ﷺ لذلك الاعرابي الذي بال في طائفة المسجد « ان المساجد لم تبني لهذا إنما بنيت لذكر الله والصلاة فيها » ثم أمر بسجل من ماء فأهريق على بوله

وفي الحديث الثاني « جنبوا مساجدكم صبيانكم » وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم . وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد ضربهم بالخففة وهي الدرة وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحداً « ومجانينكم » يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدي إلى اللعب فيها ، ولما يخشى من تقديرهم المسجد ونحو ذلك « ويبيعكم وشراءكم » كما تقدم « وخصوصاً منكم » يعني التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء على أن الحاكم لا ينتصب لفصل الأفضية في المسجد بل يكون في موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والالفاظ التي لا تناسبه ، ولهذا قال بعده « ورفع أصواتكم »

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا الجعد بن عبد الرحمن قال : حدثني يزيد بن حفصة عن السائب بن يزيد الكندي قال : كنت قائماً في المسجد فخصمني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فائتني بهذين فجئت بهما فقال من أنما ؟ قالا من أهل الطائف . قال : لو كننا من أهل البلد لا وجعناكم أروافنا في مسجد رسول الله ﷺ

وقال النسائي : حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال : أندري أين أنت ؟ وهذا أيضاً صحيح . وقوله « وإقامة حدودكم وسل سيوفكم » تقدماً وقوله « واتخذوا على أبوابها المطاهر » يعني المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريباً من

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحبري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مقل الميداني ثنا محمد بن يحيى أنا عبد الله بن رجاء أنا همام بن أبي حمزة أن أبا بكر ابن عبد الله بن قيس حدثه عن أبيه عن النبي ﷺ قال « من صلى البردين دخل الجنة » وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : التسبيح بالغدو صلاة الضحى

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن السمعان أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد ابن زنجويه أنا عبد الله بن يوسف أنا الهيثم بن حميد أخبرني يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن

مسجد رسول الله ﷺ آبار^(١) يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضؤون وغير ذلك. وقوله «وجروها في الجعم» يعني بجروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ، وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان يحجر مسجد رسول الله ﷺ كل جمعة. اسناده حسن لا بأس به والله أعلم

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا» وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة. وعند الدارقطني مرفوعا «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد» وفي السنن «بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة» ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمنى وأن يقول كما ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد يقول «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم» قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم

وروى مسلم بسنده عن أبي حميد أو أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج فليقل: اللهم أسألك من فضلك» ورواه النسائي عنهما عن النبي ﷺ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» ورواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما

وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا ليث بن أبي سليم عن عبدالله بن حسين عن أمه فاطمة بنت حسين عن جدتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن مشى إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»

قوله «رجال» قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد «لا تلهيهم» لا تشغلهم «تجارة» قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات، وأراد بالتجارة الشراء، وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا

خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن واسناده ليس بم متصل لان فاطمة بنت الحسين الصغرى لم نذكر فاطمة الكبرى

فهذا الذي ذكرناه مع ما تركناه من الاحاديث الواردة في ذلك كله محاذرة الطول داخل في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع) وقوله (ويذكر فيها اسمه) أي اسم الله كقوله (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وقوله (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقوله (وأن المساجد لله) الآية . وقوله (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يعني يتلى كتابه ، وقوله تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أي في البكرات والعشيات . والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما اقترض الله من الصلاة فاحب أن يذكرهما وأن يذكر بهما عبادته . وكذا قال الحسن والضحاك (يسبح له فيها بالغدو والآصال) يعني الصلاة ، ومن قرأ من القراء (يسبح له فيها بالغدو والآصال) بفتح الباء . من (يسبح) على أنه مبني لما لم يسم فاعله وقف على قوله (والآصال) وقفنا تاما وابتدأ بقوله (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وكأنه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائف

كانه قال : من يبكيه ؟ قال هذا يبكيه ، وكأنه قيل من يسبح له فيها ؟ قال رجال . وأما على قراءة من قرأ [يسبح] بكسر الباء فجعله فعلا وفاعله [رجال] فلا يحسن الوقف الا على الفاعل لانه تمام الكلام فقوله تعالى [رجال] فيه اشعار بهمهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عمارا للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه كما قال تعالى [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه] الآية . وأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لمن لا يرواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها »

لانه ذكر البيع بعد هذا كقوله (واذا رأوا تجارة) يعني الشراء ، وقال الفراء التجارة لاهل الجلب والبيع ماباعه الرجل على يديه ، قوله (ولا بيع عن ذكر الله) عن حضور المساجد لأقامة الصلاة (واقام) أي لأقامة (الصلوة) حذف الهاء وأراد اداها في وقتها لان من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقامي الصلاة وأعاد ذكر اقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لانه أراد باقام الصلاة حفظ المواقيت . روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلغوا حوائيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثني عمرو عن أبي السمع عن السائب مولى أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال « خير مساجد النساء قعر بيوتهن » وقال أحمد أيضا : حدثنا هارون أخبرني عبد الله بن وهب حدثنا داود بن قيس عن عبد الله بن سويد الانصاري عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله اني أحب الصلاة معك . قال « قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي » قال فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلي فيه حتى لقيت الله تعالى . لم يخرجوه هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط أن لا تؤذي أحداً من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب كما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » رواه البخاري ومسلم ، ولأحمد وأبي داود « وبيوتهن خير لهن » وفي رواية « وليخرجن وهن ثقلات » أي لا ريح لهن

وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت قال لنا رسول الله ﷺ « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا » وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت : لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل

وقوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) الآية وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) الآية يقول تعالى لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملذذاتها وبيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لان ما عندهم ينفد وما عند الله باق ، ولهذا قال تعالى (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن

الصلاة) (وإيتاء الزكاة) المفروضة . قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يجسوها وقيل هي الاعمال الصالحة (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) قيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتفتح الابصار من الاغطية ، وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة ، وتتقلب الابصار من هوله أي ناحية يؤخذ بهم أذات البمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الايمان أم من قبل الشك والذل ذلك يوم القيامة ، وقيل تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج وتقلب البصر

ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) أي يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم ، قال هشيم عن شيان قال حدثت عن ابن مسعود انه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي للصلاة المكتوبة تركوا بياعتهم ونهضوا إلى الصلاة فقال عبدالله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان في السوق فاقبعت الصلاة فاعلقوا حوائثهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبدالله بن بكير الصنعاني حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عبدالله بن بحير حدثنا أبو عبد ربه قال قال أبو الدرداء رضي الله عنه اني قتت على هذا الدرج أباع عليه أربع كل يوم ثلثائة دينار أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد اما اني لا أقول إن ذلك ليس بحلال ولكني أحب أن أكون من الذين قال الله فيهم (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) . وقال عمرو بن دينار الا عور كنت مع سالم بن عبدالله ونحن نريد المسجد فمرنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ثم قال هم هؤلاء ، وكذا قال سعيد بن أبي الحسن والضحاك لا تلهيهم التجارة والبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها . وقال مطر الوراق كانوا يبيعون ويشتررون ولكن كان أحدهم اذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) يقول عن الصلاة المكتوبة ، وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس . وقال السدي عن الصلاة في جماعة . وقال مقاتل بن حيان لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها وقوله تعالى [يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار] أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب

والابصار أي من شدة الغزع وعظمة الاهوال كقوله [وأنذرهم يوم الآزفة] الآية وقوله (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) وقال تعالى [ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا] * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * [إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا وقاطرا] * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة ومسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا [وقوله تعالى ههنا [ليجزيهم الله أحسن ماعملوا] أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله

شخصه من هول الامر وشدة [ليجزيهم الله أحسن ماعملوا] يريد أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة (ليجزيهم الله أحسن ماعملوا) أي بأحسن ماعملوا يريد بجزئهم بحسناتهم وما كان من مساوي أعمالهم لا يجزيهم بها [ويزيدهم من فضله] مالم يستحقوه بأعمالهم [والله يرزق من

[ويزيدهم من فضله] أي يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم كما قال تعالى [إن الله لا يظلم مثقال ذرة] الآية وقال تعالى [من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها] الآية وقال [من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً] الآية وقال [والله يضاعف لمن يشاء] وقال ههنا [والله يرزق من يشاء بغير حساب] وعن ابن مسعود أنه جلي. بلبن فعرضه على جلسائه واحداً واحداً فكلهم لم يشربه لانه كان صائماً فتناوله ابن مسعود فشربه لانه كان مفطراً ثم تلا قوله [يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب والابصار] رواه النسائي وابن أبي حاتم من حديث الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عنه

وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادي بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الخلائق » وروى الطبراني من حديث بقية عن اسماعيل بن عبد الله الكندي عن الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله [ليوفيهن أجورهم ويزيدهم من فضله] قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا

والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمثان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب (٣٩) أو كظلمت في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمت بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور (٤٠)

هذان مثالان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين نارياً ومائياً وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائياً ونارياً، وقد تكلمنا على كل منهما في موضعه بما أغنى عن أعادته والله الحمد والمنة. فأما الأول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الامر على

بشء بغير حساب ثم ضرب لأعمال الكفار مثلاً فقال تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ السراب الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يشبه الماء الجاري على الأرض يظنه من رآه ماءً فإذا قرب منه انفض فلم ير شيئاً، والآل ما ارتفع من الأرض وهو شعاع يرى بين السماء والأرض بالغدوات شبه الملاء يرفع فيه الشخص يرى فيه الصغير كبيراً والقصير طويلاً، والرقراق يكون بالعشايا وهو مائتر قرق من السراب أي جا، وذذهب، والقيعة جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض وفيه يكون السراب ﴿ يحسبه

شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض من بعد كانه بحر طام ، والقيعة جمع قاع كجار وجيرة ، والقاع أيضا واحد القيعان كما يقال جار وجيران وهي الأرض المستوية المنبسطة المنبسطة وفيه يكون السراب ، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار وأما الآل فأنما يكون أول النهار يرى كانه ماء بين السماء والأرض فإذا رأى السراب من هو محتاج الى الماء يحسبه ماء قصد له يشرب منه فلما انتهى اليه [لم يجد شيئا] فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية قد قبل اما لعدم الاخلاص أو لعدم سلوك الشرع كما قال تعالى [وقدمننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا] وقال ههنا [ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب] وهكذا روي عن أبي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد

وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد عزيز بن الله . فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون ؟ فيقولون يارب عطشنا فاسقنا فيقال ألا ترون ؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضها فينطلقون فيتهاقون فيها ، وهذا المثال مثال لذوي الجبل المركب فاما أصحاب الجبل البسيط وهم الطامطم الاغشام المقلدون لأنمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى [أو كظلمات في بحر لجي] قال قتادة [لجي] هو العميق [يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها] أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب ؟ قال معهم قيل فإلى أين يذهبون ؟ قال لا أدري .

الظآن) أي يتوهم العطشان (ماء حتى اذا جاءه) أي جاء ما قدر انه ماء وقيل جاء موضع السراب (لم يجد شيئا) على ما قدره وحسبه ، كذلك الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي عند عمله أي وجد الله بالمرصاد ، وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) أو كظلمات وهذا مثل آخر ضرب به الله لأعمال الكفار ، يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهاتهم فيها كظلمات (في بحر لجي) وهو العميق الكثير الماء ولجة البحر معظمه (يغشاه) يهلوه (موج من فوقه موج) متراكم (من فوقه سحاب) قرأ ابن كثير برواية القواس سحاب بالرفع والتنوين (ظلمات) بالجبر على البدل من قوله (أو كظلمات) وروى أبو الحسن البرقي عنه سحاب ظلمات بالاضافة ، وقرأ الآخرون سحاب ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين فيكون تمام الكلام عند قوله سحاب ثم ابتداء فقال ظلمات (بعضها فوق بعض) ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر (بعضها فوق بعض) أي ظلمة

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما [يغشاها موج] الآية يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم] الآية وكقوله [أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة] الآية وقال أبي بن كعب في قوله تعالى [ظلمات بعضها فوق بعض] فهو يتقلب في خمسة من الظلم فكلامة ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار، وقال السدي والريعي بن أنس نحو ذلك أيضاً

وقوله تعالى (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر كقوله [من يضل الله فلا هادي له] وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين (يهدي الله لنوره من يشاء) فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً وعن إيماننا نوراً وعن شمالكنا نوراً وأن يعظم لنا نورا ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته

وتسبيحه والله عليم بما يفعلون (٤١) والله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير (٤٢) يخبر تعالى أنه يسبح له من في السموات والارض أي من الملائكة والانس والجان والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) الآية : وقوله تعالى (والطير صافات) أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبد به بتسبيح ألهما وأرشداه اليه وهو يعلم ما هي فاعلة

الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج وظلمة السحاب على ظلمة الموج، وأراد بالظلمات أعمال الكافرة وبالبهر اللجج قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والخيرة، وبالسحاب الختم والطبع على قلبه، قال أبي بن كعب في هذه الآية الكافر يتقلب في خمسة من الظلم : فكلامة ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار ﴿ اذا أخرج ﴾ يعني الناظر ﴿ يده لم يكذب برأها ﴾ يعني لم يقرب من أن يراها من شدة الظلمة، وقال الفراء يكذب صلة أي لم يرها، قال المبرد يعني لم يرها إلا بعد الجهد كما يقول القائل ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد بأس وشدة وقيل معناه قرب من رؤيتها ولم يرها كما يقال كاد النعام يطير ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ قال ابن عباس من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له، وقيل من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد، وقال مقاتل زلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلتمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلم يأت الإسلام ككفر ولا كثرون على أنه عام في جميع الكفار

قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات ﴾ باسقاط أجنحتهم بالهواء، قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والارض فتكون خارجة عن

ولهذا قال تعالى (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي كل قد أرشده الى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل . ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء . ولهذا قال تعالى (والله عليهم بما يفعلون) ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والارض فيو الحاكم المتصرف الاله المعبود الذي لا تنبغي العبادة الا له ولا معقب لحكمه (والى الله المصير) أي يوم القيامة فيحكم فيه بما يشاء . (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا) الآية فهو الخالق المالك الاله الحكيم في الدنيا والاخرى وله الحمد في الاولى والاخرة

ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله
وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا
برقه يذهب بالأبصار (٤٣) يُقَاب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لا ولي الا بصـ (٤٤)
يذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الاجزاء (ثم يؤلف بينه)
أي يجمعه بعد تفرقه (ثم يجعله ركاماً) أي متراكماً أي يركب بعضه بعضاً (فترى الودق) أي المطر
(يخرج من خلاله) أي من خلاله وكذا قرأها ابن عباس والضحاك ، قال عبيد بن عمير الليثي
يبعث الله المثيرة فتقوم الارض قائم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه
ثم يبعث الله الواح فتفتح السحاب . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله
وقوله (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قال بعض النحاة [من] الاولى لا ابتداء الغاية والثانية
للتبعية والثالثة لبيان الجنس ، وهذا انما يحكي على قول من ذهب من المفسرين الى أن قوله (من)

حكم من في السماء والارض (كل قد علم صلاته وتسبيحه) قال مجاهد الصلاة لبني آدم والتسبيح
لسائر الخلق ، وقيل ان ضرب الاجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه قوله (كل قد علم) أي كل مصل
ومسبح علم الله صلاته وتسبيحه ، وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله
عليهم بما يفعلون) * والله ملك السموات والارض وإلى الله المصير * ألم تر أن الله يزجي (يعني يسوق
بأمره) سحاباً إلى حيث يريد (ثم يؤلف بينه) يعني يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى
بعض (ثم يجعله ركاماً) متراكماً بعضه فوق بعض (فترى الودق) يعني المطر (يخرج من خلاله)
وسطه وهو جمع الخلل كالجبال جمع الجبل (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) يعني ينزل البرد
ومن صلة ، وقيل معناه (وينزل من السماء من جبال) أي مقدار جبال في الكثرة من البرد ، ومن في
قوله (من جبال) صلة أي وينزل من السماء جبلاً من برد ، وقيل معناه وينزل من جبال في السماء
تلك الجبال من برد ، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله تعالى عز وجل أن في السماء
جبلاً من برد ، ومفعول الانزال محذوف تقديره وينزل من السماء من جبال فيها برداً فاستغني عن ذكر

جبال فيها من برد) معناه ان في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد ، وأما من جعل الجبال ههنا كناية عن السحاب فان من الثانية عند هذا لا ابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الاولى والله أعلم وقوله تعالى (فيصيب بامن يشاء وبصرفه عن يشاء) يحتمل أن يكون المراد بقوله (فيصيب به) أي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله [فيصيب به من يشاء] رحمة لهم (وبصرفه عن يشاء) أي يؤخر عنهم الغيث ، وبمحتمل أن يكون المراد بقوله [فيصيب به] أي بالبرد قمة على من يشاء لما فيه من نثر ثمارهم واتلاف زروعهم وأشجارهم وبصرفه عن يشاء رحمة بهم . وقوله [يكاد سنا برقه يذهب بالابصار] أي يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الابصار اذا اتبعته وتراءته وقوله تعالى [يقلب الله الليل والنهار] أي يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيرا ويقصر الذي كان طويلا والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه [ان في ذلك لعلبرة لأولي الابصار] أي لدليلا على عظمته تعالى كما قال تعالى [ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب] وما بعدها من الآيات الكريمات

والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء از الله على كل شيء قدير (٤٥)

المفعول للدلالة عليه ، قال أهل النحو ذكر الله تعالى (من) ثلاث مرات في هذه الآية فقوله من السماء لا ابتداء . الغاية لان ابتداء الانزال من السماء وقوله تعالى (من جبال) للتبعيض لان ما ينزله الله تعالى بعض تلك الجبال التي في السماء ، وقوله تعالى (من برد) للتجنيس لان تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) يعني بالبرد (من يشاء) فيهلك زروعه وأمواله (وبصرفه عن يشاء) فلا يضره (يكاد سنا برقه) يعني ضوء برق السحاب (يذهب بالابصار) من شدة ضوئه وبريقه ، وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء (يقلب الله الليل والنهار) بصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا الحليدي أنا سفيان أنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى يؤذني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار » قوله تعالى (إن في ذلك) يعني في ذلك الذي ذكرت من هذه الاشياء (لعلبرة لأولي الابصار) يعني دلالة لأهل العقول والبصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده قوله تعالى (والله خلق كل دابة) قرأ حمزة والكسائي خالق كل بالاضافة ، وقرأ الآخرون خلق

يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحر كائنها وسكناتها من ماء واحد (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيه وما شاكلها (ومنهم من يمشي على رجلين) كالإنسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالأنعام وسائر الحيوانات ولهذا قال (يخلق الله ما يشاء) أي بقدرته لانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال [ان الله على كل شيء قدير]

لقد أنزلنا آية مبينه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (٤٦)

يقرر تعالى انه أنزل في هذا القرآن من الحكم والحكم والامثال البينه المحكمه كثير جداً وانه يرشد الى تفهمها وتعليلها أولى الاسباب والبصائر وانهى ولهذا قال [والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم]

ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك

بالمؤمنين (٤٧) وإذا دُعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون (٤٨) وإن يكن

لهم الحق يأتوا اليه مذنبين (٤٩) أي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله

عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون (٥٠) إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا الى الله ورسوله

ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (٥١) ومن يطع الله ورسوله

ويخش الله ويقتضه فأولئك هم الفائزون (٥٢)

يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يعطون يقولون قولاً بألسنتهم [آمنا بالله

كل على الفعل (من ماء) يعني من نطفه وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة

ولا الجن لانا لا نشاهدهم ، وقيل أصل جميع الخلق من الماء وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه

ريحا فخلق منها الملائكة وبعضه ناراً فخلق منها الجن وبعضه طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشي على

بطنه) كالحيات والحيتان والديدان (ومنهم من يمشي على رجلين) مثل بني آدم والطير (ومنهم من

يمشي على أربع) كالبهائم والسباع ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الارض لانهما

في الصورة كائني على الأربع واما قال من يمشي (ومن) أيما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل

من الحيات والبهائم لانه ذكر كل دابة فدخل فيه الناس وغيرهم ، وإذا جمع اللفظ بعقل ومن لا يعقل

تجمل الغلبة لمن يعقل (يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير * لقد أنزلنا إليك آيات مبينات

والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم * ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا) يعني المنافقين

وبالرسول وأطمانا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك [أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال تعالى] وما أولئك بالمؤمنين [وقوله تعالى] وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم الآية أي إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنه هم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى [ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك - إلى قوله - رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً] وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء عن أبي يعمونة عن أبيه الحسن عن سمرة مرفوعاً « من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحق له »

وقوله تعالى [وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين] أي وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين وهو معنى قوله (مذعنين) وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلى غير الحق وأحب أن يتحاكم إلى غير النبي ﷺ ليروج باطله ثم ، فاذعانه أولاً لم يكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق بل لأنه موافق لهواه ولهذا لما خاف الحق قصده عدل عنه إلى غيره ولهذا قال تعالى [أفى قلوبهم مرض] الآية يعني لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم ، وأبداً كان فهو كفر محض والله عليهم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات

وقوله تعالى (بل أولئك هم الظالمون) أي بل هم الظالمون الفاجرون ، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا مبارك حدثنا الحسن قال : كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق ، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض وقال انطلق إلى فلان فأنزل الله هذه الآية فقال النبي ﷺ « من كان بينه وبين أخيه شيء فدعي إلى حكم من حکام المسلمين فأبى أن يجيب فهو ظالم لاحق له » وهذا حديث غريب

يقولونه « ثم يتولى » يعرض عن طاعة الله ورسوله « فريق منهم من بعد ذلك » أي من بعد قولهم آمنا ويدعو إلى غير حكم الله قال الله تعالى « وما أولئك بالمؤمنين » نزلت هذه الآية في بشر المناق كانت بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض فقال اليهودي تتحاكم إلى محمد وقال المناق تتحاكم إلى كعب بن الأشرف فان محمداً يحيف علينا فأنزل الله هذه الآية

قوله « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم » الرسول بحكم الله « إذا فريق منهم معرضون » يعني عن الحكم وقيل عن الإجابة « وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين » مطيعين متقابين لحكمه يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضاً بالحق « أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا » يعني شكوا هذا استفهام ذم وتوبيخ يعني هم كذلك « أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله » يعني يظلم « بل أولئك هم الظالمون » لأنفسهم بأعراضهم عن

وهو مرسل ، ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ورسوله الذين لا يبعون ديننا سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي سمعنا وطاعة ، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب فقال تعالى (وأولئك هم المفلحون) وقال قتادة في هذه الآية (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقيبا بدريا أحد ثقياء الانصار انه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وبماذا لك ؟ قال بلى قال فان عليك السمع والطاعة في عسرك وبسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل ، وأن لا تنازع الامر أهله إلا ان يأمروك بمعصية الله بإحاحا فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله . وقال قتادة : ذكر لنا ان أبا الدرداء قال : لا اسلام إلا بطاعة الله ، ولا خير إلا في جماعة والنصيحة لله ورسوله والخليفة وللمؤمنين عامة . قال وقد ذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : عروة الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاء الله أمر المسلمين . رواه ابن أبي حاتم ، والاحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله وللاخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله أكثر من أن نحصر في هذا المكان

وقوله (ومن بطم الله ورسوله) قال قتادة : يطيع الله ورسوله فيما أمر به وترك ما نهى به عنه ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل . وقوله (فأولئك هم الفائزون) يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة. ان الله

خبير بما تعملون (٥٣) قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم

الحق (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله) إلى كتاب الله ورسوله (ليحكم بينهم) هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي سمعنا الدعاء وأطعنا بالاجابة (وأولئك هم المفلحون) ومن بطم الله ورسوله ويخش الله (قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما ساءه وصره ويخش الله على ما عمل من الذنوب) ويتقه (فيما بعده) فأولئك هم الفائزون (الناجون) قرأ أبو عمرو وأبو بكر (يتقه) ساكنة الهاء ويخافها أبو جعفر ويعقوب وقالون كما في نظائرها ، ويشعبها الباقون كسراً ، وقرأ حفص يتقه بسكون القاف واختلاس الهاء وهذه اللفظة اذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتر طعاما بسكون الراء

قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد اليمين أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله

ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (٥٤)

يقول تعالى مخبراً عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول ﷺ لئن أمرهم بالخروج في الغزو ليخرجن ، قال الله تعالى (قل لا تقسموا) أي لا تحلفوا ، وقوله (طاعة معروفة) قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة أي قد علم طاعتكم إنما هي قول لا فعل معه وكلما حلفتهم كذبتم كما قال تعالى (يحلفون لكم لترضوا عنهم) الآية . وقال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة) الآية ، فهم من سجيبتهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى [ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معهم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد انهم الكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون] وقيل المعنى في قوله [طاعة معروفة] أي ليكن أمركم طاعة معروفة أي بالمعروف من غير حلف ولا أقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكروا أنتم مثلهم (إن الله خير بما تعملون) أي هو خير بكم وعن بطيع ممن يعصي ، فالخلف وإظهار الطاعة والباطن بخلافه وإن راج على المخلوق فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى لا بروج عليه شيء من التدليس بل هو خير بضائر عباده وإن أظهروا خلافتها

ثم قال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله . وقوله تعالى (فإن تولوا) أي تتولوا عنه وتركوا ما جاءكم به (فأنما عليه ما حمل) أي إبلاغ الرسالة وأداء الامانة (وعليكم ما حملتم) أي بقبول ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه (وإن تطيعوه تهتدوا) وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم [صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض] الآية . وقوله تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) كقوله تعالى [فأنما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وقوله [فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر] قال وهب بن منبه : أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعيا ، أن قم في بني إسرائيل فاني سأطلق لسانك بوحي فقام فقال : يا شعيا اسمعي يا أرض انصتي فإن الله يريد أن يقضي شأننا ويدبر أمراً هو منفذه انه يريد أن يحول الرب إلى الغلاة

﴿ لئن أمرتهم ليخرجن ﴾ وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمتنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال تعالى ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لا تقسموا ﴾ لا تحلفوا وقد تم الكلام ثم قال ﴿ طاعة معروفة ﴾ يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد وهي معروفة يعني أمر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون ، هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه ، وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل من يمين باللسان لا بواقفها الفعل ، وقال مقاتل بن سليمان لكن منكم طاعة معروفة ﴿ إن الله خير بما تعملون ﴾ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

والآجام في الغيطان والانهار في الصحارى والنعمة في الفقراء والملك في الرعاة ويريد أن يبعث أميا من الاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق لو يمر على السراج لم يطعمه من سكينته ، ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبغض بشيرا ونذيرا لا يقول الخناء أفصح به أعينا عيبا وأذانا صما وقلوبا غلفاء وأسوده بكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقته ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى امامه ، والاسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخالة ، واعرف به بعد النكرة ، وأكثر به القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أئم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، واستنقذ به فثاما من الناس عظيما من الهداية ، وأجعل أئمة خير أمة أخرجت للناس يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدون مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت به الرسل . رواه ابن أبي حاتم

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين

من قبلهم وليمكنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني

لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفسقون (٥٥)

هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أئمة خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاية عليهم ، وبهم تصالح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا وحكما فيهم وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة ، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس ، ومولوك عمان والنجاشي ملك

فان تولوا) يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله (فانما علي ما حمل) يعني على الرسول ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) من الاجابة والطاعة (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي التبليغ المبين

قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) قال أبو العالية في هذه الآية مكث النبي ﷺ بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمرؤا بالصبر على أذى الكفار وكانوا يصيبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمرؤا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه . فقال رجل منهم أما يأتني علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ؟ فأزل الله هذه الآية (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة

(تفسير ابن كثير والبغوي) (١٨) (الجزء السادس)

الحبشة الذي تملك بعد احمته رحمه الله وأكرمه ، ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى بعد موته ﷺ وأخذ جزيرة العرب ومهدا وبعث جيوش الاسلام الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها ، وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الامراء الى أرض الشام ، وثالثا صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفها من بلاد حوران وما والاها ، وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ، ومن على أهل الاسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قياما تاما لم يدر الملك بعد الانبياء على مثله في قوة سيرته وكمل عدله ، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر الى آخرها وأكثر اقليم فارس ، وكسر كسرى وأهان غايه الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وأنفق أموالها في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ، ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت للممالك الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب الى أقصى ما هنالك الاندلس وقبرص ، وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ، ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكليّة ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا ، وخذل الله ملكهم الاعظم خاقان ، وجبي الخراج من المشارق والمغارب الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الامة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » فها نحن نتقلب فيها وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فنسأل الله الايمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير

يعني والله يستخلفهم أي ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكا وساستها وسكانها ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم (كما استخلف) بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله ، وقرأ الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى (وعد الله) قال قتادة كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبياء ، وقيل (كما استخلف الذين من قبلهم) أي بني اسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿ ولينزلن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ أي اختار قال ابن عباس يوسع لهم في البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان ﴿ وليبدلنهم ﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر ويعقوب بالتخفيف من الابدال ، وقرأ الآخرون بالانشديد من التبديل وهما لغتان وقال بعضهم التبديل تغير حال إلى حال والابدال رفع الشيء وجعل غيره مكانه ﴿ من بعد خوفهم أمنا ﴾

عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً » ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عني فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ فقال قال « كلهم من قريش » ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عير به ، وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم ماعز بن مالك وذكر معه أحاديث أخر

وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر فان كثيراً من أوائلهم لم يكن لهم من الامر شيء ، فأما هؤلاء فانهم يكونون من قريش يلون فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم في الامة متتابعاً ومتفرقاً ، وقد وجد منهم أربعة على الولاة وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ثم كانت بعدهم فترة ثم وجد منهم من شاء الله ، ثم قد يوجد منهم من بقي في الوقت الذي بعلمه الله تعالى ، ومنهم المهدي الذي اسمه بطابق اسم رسول الله ﷺ وكنيته كنيته بطلاً الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً

وقد روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عرضاً » وقال الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خرفهم أمناً] الآية قال كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشرين سنة يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له مسلماً ، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال ، فكأنوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبغون في السلاح فصبروا على ذلك ، ما شاء الله ثم ان رجلاً من الصحابة قال يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ « ان تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظام

يعبدونني » آمين « لا بشركون بي شيئاً » فأنجز الله وعده وأظهر دينه ، ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمناً وبسطاً في الارض

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن الحكم أنا النضر أنا امراة أنا سعيد الطاهري أنا محمد بن خليفة عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكى اليه قطع السبيل فقال « يا عدي هل رأيت الخيرة ؟ » قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال « فان طالبت بك حياة فلتربن الظعينة ترشمل من الخيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله — قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيبي الذين قد سعروا البلاد — ولئن طالبت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى — قلت كسرى بن هرمز ؟ قال — كسرى

محتبيا ليست فيه حديدة » وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فامنوا ووضعوا السلاح . ثم ان الله تعالى قبض نبيه ﷺ فكانوا كذلك آمنين في اماره أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجة والشرط وغبروا بغيرهم وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية ، وقال البراء بن عازب نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد ، وهذه الآية السريفة كقوله تعالى [واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض - الى قوله - لعلمكم تشكرون]

وقوله تعالى [كما استخلف الذين من قبلهم] كما قال تعالى عن موسى عليه السلام انه قال لقومه [عسى ربكم أن يهلك عدركم ويستخلفكم في الارض] الآية وقال تعالى [ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض] الآية . وقوله (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) الآية كما قال رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم حين وفد عليه « أنعرف الحيرة ؟ » قال لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال « فوالذي نفسي بيده ليعمن الله هذا الامر حتى نخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، وانفتح كنوز كسرى بن هرمز » قلت كسرى بن هرمز ؟ قال « نعم كسرى بن هرمز ، وليبدن المال حتى لا يقبله أحد » قال عدي بن حاتم فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذي نفسي بيده لـ تكون الثالثة لان رسول الله ﷺ قد قالها

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبي سلمة عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الارض ، فمن عمل منهم عمل الاخرة الدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب » وقوله تعالى (يعبدوني)

ابن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج مل . كفه من ذهب وفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم فليقولن له : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول بلى ، فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » قال عدي فرأيت الظعينة ترنحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله . وكنت ممن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « يخرج مل . كفه » وفي الآية دلالة على خلافة الصديق وامامة الخلفاء الراشدين

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرني حماد هو ابن سلمة بن دينار عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال : سمعت النبي

لا بشر كون بي شيئاً) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس ان معاذ بن جبل حدثه قال: بينا أنا رديف النبي ﷺ على حمار ليس بيني وبينه الا آخرة الرجل قال «يامعاذ» قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال: ثم سار ساعة ثم قال «يامعاذ بن جبل» قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال «يامعاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال «هل تدري ما حق الله على العباد؟» قلت الله ورسوله أعلم، قال «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» قال ثم سار ساعة ثم قال «يامعاذ بن جبل» قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قال قلت الله ورسوله أعلم قال «فان حق العباد على الله أن لا يعذبهم» أخرجه في الصحيحين من حديث قتادة

وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) أي فنخرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنباً عظيماً، فالصحة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب وأيدهم تأييداً عظيماً وحكموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الاوامر نقص ظهورهم بحسبهم، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة» وفي رواية - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك - وفي رواية - حتى يقاتلوا الدجال - وفي رواية - حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون» وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها

يقول ﷺ «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً» ثم قال أمسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرأ وثمان اثنتي عشرة؟ وعلي ستة قلت لحدا: سفينة مقاتل لسهيد أمسك؟ قال نعم. قوله تعالى ﴿ومن كفر بعد ذلك﴾ أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفر بالله ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ المعاصون لله، قال أهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخوانا أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعماني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم المعروف بابن نصر أنا أبو الحسن خيشمة بن سليمان بن حيدرة المعروف بالطرابلسي أنا اسحاق بن ابراهيم بن عباد عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن حميد بن هلال قال: قال عبد الله بن سلام في عثمان إن الملائكة لم تزل محيطة بمدبنتكم هذه منذ قدمها رسول الله ﷺ حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه ليدهبون ثم لا يعودون أبداً فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي الله أجزم لا يد له وان سيف الله لم يزل مغموداً عنكم والله لئن قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم اما قال أبداً زاما قال إلى يوم القيامة فسا قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً، ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً

وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون (٥٦) لا تحسبن الذين

كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير (٥٧)

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين باقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الاحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين للرسول ﷺ أي سالكين وراة فيما به أمرهم ، وترك ما عنه زجرهم ، لعل الله يرحمهم بذلك ، ولا شك أن من فعل هذا ان الله سيرحمه كما قال تعالى في الآية الاخرى [أولئك سيرحمهم الله]

وقوله تعالى [لا تحسبن] أي لا تظن يا محمد [ان الذين كفروا] أي خالفوك وكذبوك [معجزين في الارض] أي لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب ولهذا قال تعالى [ومأواهم] أي في الدار الاخرة [النار] ولبئس المصير [أي لبئس المآل مآل الكافرين ، وبئس القرار وبئس المهاد]

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث

مرات ، من قبل صلوة النجس وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث

عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك

يبين الله لكم الآية والله عليم حكيم (٥٨) واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما

استأذن الذين من قباهم كذلك يبين الله لكم آيسته والله عليم حكيم (٥٩) والقواعد من

النساء التي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجلت بزينة

وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم (٦٠)

هذه الايات الكريمة اشتملت على استئذان الاقارب بعضهم على بعض ، وما تقدم في أول السورة

قوله تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ أي افعلوها على رجاء

الرحمة ﴿ لا تحسبن الذين كفروا ﴾ قرأ ابن عامر وحزرة (لا يحسبن) بالياء أي لا يحسبن الذين كفروا

أنفسهم ﴿ معجزين في الارض ﴾ وقرأ الآخرون بالناء يقول لا تحسبن يا محمد الذين كفروا معجزين

فأثبتن عنا ﴿ ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾

قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ﴾ الآية . قال ابن عباس رضي

فهو استئذان الاجانب بعضهم على بعض ، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيماهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال [الاول] من قبل صلاة الغداة لان الناس إذا ذاك يكونون نياما في فرشهم [وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة] أي في وقت القيلولة لان الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله [ومن بعد صلاة العشاء] لانه وقت النوم ، فيؤمر الخدم والاطفال ان لا يجمعوا على أهل البيت في هذه الاحوال لما يخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الاعمال ولهذا قال [ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن] أي إذا دخلوا في حال غير هذه الاحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم ولا عليهم ان رأوا شيئا في غير تلك الاحوال لانه قد أذن لهم في الهجوم ولاهم طوافون عليكم أي في الخدمة وغير ذلك. ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم ولهذا روى الامام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن النبي ﷺ قال في الهرة « اها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات »

ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء ، وكان عمل الناس بها قليلا جداً أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن [بأيتها الذين آمنوا يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم] إلى آخر الآية ، والآية التي في سورة النساء (وإذا حضر القسمة أولو القربى) الآية ، والآية التي في الحجرات (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) وفي لفظ له أيضا من حديث اسمعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن (بأيتها الذين آمنوا يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخر الآية

الله عنهما : وجه رسول الله ﷺ غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أسماء بنت مرثد وكان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله ﷺ فقالت : ان خدمننا وغلما ننا يدخلون علينا في حال نكرها فأنزل الله تعالى (بأيتها الذين آمنوا يستأذنكم) اللام لام الاصر (الذين ملكت أيمانكم) يعني العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الاحرار ليس المراد منهم الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ، بل الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات (من قبل صلاة النحر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) يريد المقيب (ومن بعد صلاة العشاء) وإنما خص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب فرمما يبدو من الانسان مالا يحب أن يراه أحد ، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الاوقات ، وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الاوقات (ثلاث عورات لكم) قرأهزة والكسائي ثلاث

وروي أبو داود حدثنا ابن الصباح وابن سفيان وابن عتبة وهذا حديثه أخبرنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول : لم يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن واني لأمر جاريتي هذه تستأذن علي . قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس بأمر به ، وقال الثوري عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال : لم تنسخ قلت فان الناس لا يعملون بها فقال : الله المستعان

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس : إن الله ستيّر بحجب السترة كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمة في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله ، ثم جاء الله بعد الستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجاب ، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ورواه أبو داود عن القعنب عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به

وقال السدي كان أناس من الصحابة رضي الله عنهم يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمرؤا المملوكين والعلمان ان لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا باذن ، وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم أن رجلا من الانصار وامراته أسماء بنت مرثد صنعا للنبي ﷺ طعاما فجعل الناس يدخلون بغير إذن . فقالت أسماء يا رسول الله ما أقيح هذا انه لا يدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) إلى آخرها ، وبما يدل على أنها محكمة لم تنسخ قوله (كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) ثم قال تعالى (وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما

بنصب الثاء بدلا من قوله (ثلاث مرات) وقرأ الآخرون بالرفع أي هذه الاوقات (ثلاث عورات لكم) سميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته (ليس عليكم جناح) (ولا عليهم) على العبيد والخدم والصبيان (جناح) في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الاوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي العبيد والخدم بطوافون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالهم بغير إذن بعضكم على بعض أي بطوف (بعضكم على بعض) كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم منسوخ ، قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن لقوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرون منهم مالا يحبون فأمرؤا بالاستئذان ، وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة . روى سفيان عن موسى بن عائشة قال سألت الشعبي عن هذه

استأذن الذين من قبلهم (يعني إذا بلغ الاطفال الذين انما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعني بالنسبة إلى أجانهم وإلى الاحوال التي يكون الرجل على امرأته ، وان لم يكن في الاحوال الثلاث

قال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رباعيا فانه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه ، فإذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال ، وهكذا قال سعيد بن جبيرة . وقال في قوله (كما استأذن الذين من قبلهم) يعني كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه ، وقوله (والقواعد من النساء) قال سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والضعاك وقنادة هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا (أي لم يبق لهن تشوف إلى الزوج) فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة (أي ليس عليهن من الحجب في التستر كما على غيرها من النساء .

قال أبو دارد حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (وقل المؤمنات يفضضن من أبصارهن) الآية فنسخ واستثنى من ذلك القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا الآية . قال ابن مسعود في قوله ، فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن (قال الجلباب أو الرداء . وكذلك روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن الآية) ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) أمسوخة هي ؟ قال لا والله ، قلت إن الناس لا يعملون بها قال الله المستعان ، وقال سعيد بن جبيرة في هذه الآية إن ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهانون به الناس

قوله تعالى ﴿ وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم ﴾ أي الاحتلام يريد الاحرار الذين بلغوا ﴿ فليستأذنوا ﴾ أي يستأذنون في جميع الاوقات في الدخول عليكم ﴿ كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ من الاحرار والكبار وقيل يعني الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ دلالاته وقيل أحكامه ﴿ والله عليم ﴾ بأمور خلقه ﴿ حكيم ﴾ بما دبر لهم ، قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه فانما أنزلت هذه الآية في ذلك ، وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته ؟ قال نعم إن لم يفعل رأى منها ما يكره

قوله تعالى ﴿ والقواعد من النساء ﴾ يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر لا يلدن ولا يحضن واحدها قاعدة بلاها ، وقيل قعدن عن الازواج وهذا معنى قوله ﴿ اللاتي لا يرجون نكاحا ﴾ أي لا يردن الرجال لكبرهن ، قال ابن قتبية سميت المرأة قاعدة إذا كبرت لانها تكثر القعود ، وقال ربيعة الرأي هن العجوز اللاتي اذا رآهن الرجال استقذروهن ، فأما من كانت فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية ﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ عند الرجال يعني يضعن بعض ثيابهن وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار ، فأما الخمار

جبير وأبي الشعثاء، وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والاوزاعي وغيرهم، وقال أبو صالح تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار

وقال سعيد بن جبير وغيره في قراءة عبدالله بن مسعود (أن يضعن من ثيابهن) وهو الجلباب من فوق الخمار فلا بأس أن يضعن عند غريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق. وقال سعيد بن جبير في الآية (غير متبرجات بزينة) يقول لا يتبرجن بوضع الجلباب ليرى ما عليهن من الزينة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبدالله حدثنا ابن المبارك حدثني سوار بن ميمون حدثنا طلحة ابن عاصم عن أم المصاعن^(١) أنها قالت دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت يا أم المؤمنين ما تقولين في الخضاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق فقالت: يا هشر النساء فصلن كلها واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات، أي لا يحل لكن أن يروا منكن محرماً، وقال السدي كان شريك لي يقال له مسلم، وكان مولى لامرأة حذيفة بن اليمان فجاء يوماً إلى السوق وأثر الخناء في يده فساءته عن ذلك فأخبرني أنه خضب رأس مولاه وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال إن شئت أدخلتك عليها فقلت نعم فأدخلني عليها فإذا هي امرأة جليلة فقلت لها إن مسلماً حدثني أنه خضب رأسك فقالت نعم يا بني إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً، وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت. وقوله (وأن يستعففن خير لهن) أي وترك وضعهن لثيابهن، وإن كان جائزاً أخيراً وأفضل لهن والله سميع عليم

(١) لم تر هذا الاسم في كتب أسماء الرواة وفي النسخة الأميرية أم الضياء

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج، ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمهاتكم أو بيوت عمهاتكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت خلاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقتكم، ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً. فإذا دخلتم

فلا يجوز وضعه، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبي بن كعب (أن يضعن من ثيابهن) غير متبرجات بزينة أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن، والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره (وأن يستعففن) فلا يلقين الحجاب والرداء. خير لهن والله سميع عليم

قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) الآية. اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله عز وجل قوله (يا أيها الذين

يوتأفسلوا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (٦١)

اختلف المفسرون رحمهم الله في المعنى الذي رفع لاجله الحرج عن الاعمي والاعرج والمريض ههنا فقال عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقال انها نزلت في الجهاد وجعلوا هذه الآية ههنا كالتي في سورة الفتح وذلك في الجهاد لا محالة أي أنهم لا أم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم وكما قال تعالى في سورة براءة (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم ورسولهم ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه — الى قوله — أن لا يجحدوا ما ينفقون) وقيل المراد ههنا أنهم كانوا يتخرجون من الاكل مع الاعمي لانه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره الى ذلك ولا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جليسه والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره فكروا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فأنزل الله هذه الآية رخصة في ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم . وقال الضحاك كانوا قبل البعثة يتخرجون من الاكل مع هؤلاء تقدرأ وتعزأ ولئلا يفضلوا عليهم فأنزل الله هذه الآية ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (ليس على الاعمي حرج) الآية قال كان الرجل يذهب بالاعمي أو بالاعرج أو بالمريض الى بيت أبيه أو أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمى يتخرجون من ذلك يقولون إنما يذهبون بنا الى بيوت عشيرتهم فنزلت هذه الآية رخصة لهم ، وقال السدي كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنه فتتبعه المرأة بشيء من الطعام فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثم فقال الله تعالى (ليس على الاعمي حرج) الآية

لأننا كانوا أموالكم بينكم بالباطل (تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمى والعمي وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل) والاعمي لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض بضعف عن تناول فلا يستوفي الطعام فأنزل الله هذه الآية ، وعلى هذا التأويل يكون (على) بمعنى في أي ليس في الاعمي يعني ليس عليكم في مؤاكلة الاعمي والاعرج والمريض . وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم ويقول الاعمي ربما أكل أكثر ويقول الاعرج ربما أخذ مكان الاثنين فنزلت هذه الآية . وقال مجاهد : نزلت الآية ترخصاً لهؤلاء في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض

وقوله تعالى (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) إنما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ وليساوي به ما بعده في الحكم وتضمن هذا بيوت الأبناء لأنه لم ينص عليهم ولهذا استدل بهذا من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه ، وقد جاء في المسند والسنن من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنت ومالك لبيك » وقوله (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم) — إلى قوله — أو مملكتكم مفاتيحه) هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض كما هو مذهب أبي حنيفة والامام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما ،

وأما قوله (أو مملكتكم مفاتيحه) فقال سعيد بن جبير والسدي هو خادم الرجل من عبد وقهرمان فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف ، وقال الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان المسلمون يذهبون في النغير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمانتهم ويقولون قد أحللتنا لكم أن تأكلوا ما احتجتم إليه فكانوا يقولون إنه لا يحل لنا أن نأكل ، أنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم ، وإنما نحن أمناء فأنزل الله (أو مملكتكم مفاتيحه) وقوله [أو صديقكم] أي بيوت أصدقائكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الأكل منها إذا علمتم أن ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهون ذلك ، وقال قتادة إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه وقوله (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية وذلك لما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قال المسلمون إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل من الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله [ليس على الأعمى حرج — إلى قوله — أو صديقكم] وكانوا أيضاً يأفنون ويخرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم في ذلك فقال

من سمى الله في هذه الآية فكان أهل الزمانة يخرجون من ذلك الطعام ويقولون ذهب بنا إلى بيت غيره فأنزل الله هذه الآية . وقال سعيد بن المسيب : كان المسلمون إذا غزوا خلدوا زمنهم^(١) ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يخرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم . قال الحسن : نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد وقال ثم الكلام عند قوله (ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام منقطع عما قبله ، وقيل لما نزل قوله (لا تأكلوا أموالكم بالباطل) قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله عز وجل (ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوت عيالكم وأزواجكم ، وبيت المرأة كبيت الزوج . وقال ابن قتيبة : أراد من بيوت أولادكم نسب الأولاد إلى الآباء كما جاء في الحديث « أنت ومالك لبيك » (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم

(١) الذي في ابن كثير ضمانتهم

[ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاناً] وقال قتادة: كان هذا الحي من بني كنانة يرى أحدهم أن مخزاة عليه أن يأكل وحده في الجاهلية حتى أن كان الرجل ليسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجد من يؤاكله ويشاربه فأنزل الله [ليس عليكم أن تأكلوا جميعاً أو أشتاناً] فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة وإن كان الأكل مع الجماعة أبرك وأفضل كما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال للنبي ﷺ أنا تأكل ولا نشبع . قال « لعلمكم تأكلون متفرقين ، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم به ، وقد روى ابن ماجه أيضاً من حديث عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن أبيه عن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال « كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة »

وقوله (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقاتدة والزهري يعني فليسلم بعضهم على بعض ، وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته إلا يوجهه ، قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم بيته فليسلم . قال ابن جريج : قلت لعطاء أوجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم ؟ قال لا ولا أوثر وجوبه عن أحد ولكن هو أحب إلي وما أدعه إلا ناسياً . وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله ، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتنا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وروى الثوري عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد : إذا دخلت بيتنا ليس فيه أحد فقل بسم الله والحمد لله ، السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقال قتادة : إذا دخلت

أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفاتيحه قال ابن عباس رضي الله عنهما غني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من تمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر . وقال الضحاك : يعني في بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك أن السيد يملك منزل عبده ، والمفاتيح الخزان لقوله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب) ويجوز أن يكون الذي يفتح به ، قال عكرمة : إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير ، وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه . وقال قوم (أو ما ملكتكم مفاتيحه) ما خزنتموه عندكم ، قال مجاهد وقاتدة من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وملكتكم (أو صديقكم) الصديق الذي صدقتك في المودة ، قال ابن عباس نزلت في الحارث بن عمر رضي الله عنه خرج غازياً مع رسول الله ﷺ وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجدته مجهوداً فسأله عن حاله فقال نخرجت أن آكل من طعامك بغير إذنك فأنزل الله هذه الآية ، وكان الحسن وقاتدة بريان دخول الرجل بيت صديقه

على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك ، وحدثنا أن الملائكة ترد عليه

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن أنس قال : أوصاني النبي ﷺ بخمس خصال قال « يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرتك ، وسلم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك ، وإذا دخلت - يعني بيتك - فسلم على أهلك يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الاوابين قبلك . يا أنس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة » . وقوله (نحية من عند الله مباركة طيبة) قال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقول : ما أخذت التشهد الا من كتاب الله سمعت الله يقول (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) فالتشهد في الصلاة : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ثم يدعو لنفسه ويسلم ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن اسحاق ، والذي في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ يخالف هذا والله أعلم

والتحريم بطعامه من غير استئذان منه في الاكل بهذه الآية والمعنى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير أن تزودوا وتحملوا ، قوله (ليس عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) نزلت في بني ليث بن بكر بن عمرو وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فرما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل . هذا قول قتادة والضحاك وابن جريج ، وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنها كان الغني يدخل على الفقير من ذروي قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول والله اني لا جنح أي أنخرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية . وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا جميعا أو أشتاتا متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أي يسلم بعضهم على بعض هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته وهو قول جابر وطاوس والزهري وقتادة والضحاك وعمرو بن دينار ، وقال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، حدثنا أن الملائكة ترد عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله . وروى عمرو بن دينار عن ابن

وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) لما ذكر تعالى ما في هذه السورة الكريمة من الأحكام المحككة والشرائع المتقنة المبرمة به تعالى عباده على انه يبين لعباده الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويتعقلوها لعلهم يعقلون

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنونك

لبعض شأنهم فآذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم (٦٢)

وهذا ايضا ادب أرشد الله عباده المؤمنين اليه فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صلاة الجمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله تعالى أن لا ينفرقوا عنه والحالة هذه الا بعد استئذانه ومشاورته ، وإن من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين السكاملين ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ولهذا قال (فآذن لمن شئت منهم واستغفر لهم) الآية . وقد قال ابو داود حدثنا أحمد بن حنبل ومسدد قالا حدثنا بشر

عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴿ نحية من عند الله ﴾ نصب على المصدر أي تحيون تحية ﴿ مباركة طيبة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيبة ههنا لما فيه من الثواب والاجر ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه ﴿ أي مع رسول الله ﷺ ﴾ على أمر جامع ﴿ بجمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو مشاور في أمر نزل ﴾ لم يذهبوا ﴿ لم ينفرقوا عنه لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر ﴾ حتى يستأذنه ﴿ قال المفسرون كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عند لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه فيعرف أنه إنما قام يستأذن فآذن لمن شاء منهم . قال مجاهد وأذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بالأذن ، وإذا استأذن فللامام إن شاء آذن له وإن شاء لم يأذن ، وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام فان حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتعريض منهم امرأة ويجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان ﴿ ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنونك لبعض شأنهم ﴾ أي أمرهم ﴿ فآذن لمن شئت منهم ﴾ في الانصراف معناه إذا شئت فآذن

١٥٢ تحريم مناداة الرسول باسمه بل ينادى ويعبر عنه بالنبي والرسول (تفسير ابن كثير والبغوي)

هو ابن الفضل عن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة » وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي حديث حسن

لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم

لو إذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣)
قال الضحاك عن ابن عباس كانوا يقولون يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما
لنبيه ﷺ قال فقولوا يا بني الله يا رسول الله. وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير. وقال قتادة: أمر
الله أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود. وقال مقاتل في قوله (لا تجمعوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا) يقول لا نسووه إذا دعونموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه
فقولوا يا بني الله يا رسول الله. وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله (لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا) قال أمرهم الله أن يشرفوه. هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا) إلى آخر الآية وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ،
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون - إلى قوله - ان
الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان
خبراً لهم) الآية فـ هذا كله من باب الادب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده كما أمروا
بتقديم الصدقة قبل مناجاته

والقول الثاني في ذلك ان المعنى في (لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أي
لا تعتقدوا ان دعاء على غيره كدعاء غيره فان دعاءه مستجاب فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا .
حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي والله أعلم
وقوله (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا) قال مقاتل بن حيان هم المنافقون كان ينقل عليهم
الحديث في يوم الجمعة ويعني بالحديث الخطبة فيلوذون ببعض أصحاب محمد ﷺ حتى يخرجوا من المسجد

وإن شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) لا تجمعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا قال ابن عباس رضي الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطنموه فان دعاءه
موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره . وقال مجاهد وقتادة لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم
بعضا: يا محمد يا ابن عبد الله. ولكن تخموه وشرفوه فقولوا يا بني الله يا رسول الله في لين وتواضع (قد يعلم
الله الذين يتسللون) أي يخرجون (منكم لو إذا) أي يستر بعضهم بعضا وبروغ في خفية فيذهب واللواذ
مصدر لاوذ يلاوذ ملاوذة ولو إذا قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول

وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبي ﷺ في يوم الجمعة بعدما يأخذ في الخطبة وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبي ﷺ فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل لأن الرجل منهم كان إذا تكلم والنبي ﷺ يخطب بطلت جمعة

وقال السدي : كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يغيبوا عنه فلا يراهم ، وقال قتادة في قوله (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذا) يعني لوذاً عن نبي الله وعن كتابه ، وقال سفيان (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذاً) قال من الصف . وقال مجاهد في الآية (لوذا) قال خلافاً . وقوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كأننا من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ انه قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنياً وظاهراً (أن تصيبهم فتنة) أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (أو يصيبهم عذاب أليم) أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك كإروى الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفرائش وهذه الدواب اللاتي يعقن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن فينتقم من فيها - قال - فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ بحجزكم عن النار فلم عن النار فتغلبوني وتقمحون فيها » أخرجاه من حديث عبد الرزاق

ألا إن الله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبتهم بها

عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم فقال (قد يعلم ما أنتم عليه) وقد للتحقيق كما قال قبلها (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذاً) وقال تعالى (قد يعلم الله المعوقين منكم) الآية وقال تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك)

الله ﷻ مختفين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما (لوذاً) أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار ، ومعنى قوله (قد يعلم الله) التهديد بالمجازاة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي أمره وعن صلة ، وقيل معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه (أن تصيبهم فتنة) أي لئلا تصيبهم فتنة قال مجاهد بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) وجميع في الآخرة وقيل عذاب أليم عاجل في الدنيا ثم عظم نفسه فقال (ألا إن الله ما في السموات) (تفسير ابن كثير والبغوي) (٢٠) (الجزء السادس)

الآية وقال (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقال (قد نرى قلب وجهك في السماء) الآية فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بقدر كقول المؤمنون تحقيقاً وثبوتاً : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة . فقوله تعالى (قد يعلم ما أنتم عليه) أي هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال ذرة كما قال تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم - إلى قوله - أنه هو السميع العليم) وقوله (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) وقال تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي هو شهيد على عباده بما هم فاعلون من خير وشر ، وقال تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) وقال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) الآية وقال تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وقال (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) والآيات والاحاديث في هذا كثيرة جداً

وقوله (ويوم يرجعون إليه) أي ويوم يرجع الخلائق إلى الله وهو يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقيق وصغير وكبير كما قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) ولهذا قال ههنا (ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام

(آخر تفسير سورة النور والله الحمد والمنة)

والأرض ملكاً وعبيداً (قد يعلم ما أنتم عليه) من الإيمان والنفاق أي يعلم (ويوم يرجعون إليه) يعني يوم البعث (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا عبد الله بن محمد بن شيبة ثنا محمد بن إبراهيم الكرايسي ثنا سليمان بن توبة أبو داود الانصاري أنا محمد بن إبراهيم الشامي ثنا شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلوهن المغزل وسورة النور

تفسير سورة الفرقان مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (١) الذي له ملك السموات

والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً (٢)
 يقول تعالى حامداً لنفسه الكريمة على ما نزل على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى
 (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين
 الذين يعملون الصالحات) الآية وقال ههنا (تبارك) وهو تفاعل من البركة المستمرة الدائمة
 (الذي نزل الفرقان) نزل فعل من التكرر والتكثير كقوله (والكتاب الذي نزل على رسوله * والكتاب
 الذي أنزل من قبل) لان الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن نزل منجها مفصلاً
 آيات بعد آيات وأحكاماً بعد أحكام وسوراً بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال
 في أثناء هذه السورة (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به
 فؤادك ورتلناه ترتيلاً ، ولا يأتونك بالآ إلا جنثاً بك بالحق وأحسن تفسيراً) ولهذا سماه ههنا الفرقان
 لانه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والفى والرشاد ، والحلال والحرام

وقوله (على عبده) هذه صفة مدح وثناء لانه أضافه إلى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله
 وهي ليلة الاسراء فقال (سبحان الذي أمرى بعبد ليله) وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة اليه (وانه
 لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول
 الملك اليه فقال [تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً]

وقوله [ليكون للعالمين نذيراً] أي إنما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي
 لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي جعله فرقاناً عظيماً ليخصه بالرسالة
 إلى من يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء كما قال ﷺ « بعثت إلى الأحمر والأسود » وقال

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ تبارك ﴾ تفاعل من البركة عن ابن عباس معناه جاء بكل بركة دليله قول الحسن مجي البركة
 من قبله ، وقال الضحاك تعظم ﴿ الذي نزل الفرقان ﴾ أي القرآن ﴿ على عبده ﴾ محمد ﷺ ﴿ ليكون
 للعالمين نذيراً ﴾ أي للجن والانس قبل النذير هو القرآن وقبل محمد ﷺ ﴿ الذي له ملك السموات

« اني اعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي » فذكر منهم « انه كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » كما قال تعالى [قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا] الآية أي الذي أرسلني هو مالك السموات والارض الذي يقول للشيء كن فيكون وهو الذي يحيي ويميت ، وهكذا قال ههنا [الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك] وزه نفسه عن الولد وعن الشريك . ثم أخبر انه خلق كل شيء . فقدره تقديرأ أي كل شيء مما سواه مخلوق مرئوب وهو خالق كل شيء . وربّه ومليكه وإلهه وكل شيء تحت قهره وتدييره وتسخيره وتقديره

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً (٣)

يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء . المالك لأزمة الامور الذي ماشاء . كان وما لم يشأ لم يكن ومع هذا عبدوا معه من الاصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فكيف يملكون لعبادتهم ؟ (ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) أي ليس لهم من ذلك شيء . بل ذلك كله مرجعه إلى الله عز وجل الذي هو يحيي ويميت ، وهو الذي يعيد الخلق يوم القيامة أولهم وآخرهم (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كالحصص) وقوله (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون - إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) فهو الله الذي لا اله غيره ولا رب سواه ولا تنبغي العبادة الا له لانه ماشاء . كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو الذي لا ولد له ولا والد ولا عدل ولا بديل ولا وزير ولا نظير ، بل هو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً (٤) وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً (٥) قل أنزله الذي

والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء » مما يطلق عليه صفة المخلوق « فقدره تقديرأ » فسواه وهياه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت ، وقيل قدر لكل شيء تقديرأ من الاجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق

قوله عز وجل « واتخذوا » يعني عبدة الاوثان « من دونه آلهة » يعني الاصنام « لا يخلقون شيئاً » ولا يملكون * « ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً » أي دفع ضرر ولا جلب نفع « ولا يملكون موتاً ولا حياة » أي امانة واحياء . « ولا نشوراً » أي بعثا بعد الموت

قوله « وقال الذين كفروا » يعني المشركين يعني النضر بن الحارث وأصحابه « إن هذا » ما هذا

يعلم السرفي السموات والارض إنه كان غفورا رحيمًا (٦)

يقول تعالى مخبراً عن سخافة عقول الجبهة من الكفار في قولهم عن القرآن [ان هذا الا افك] أي كذب افتراء يعنون النبي ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) أي واستعان على جمعه بقوم آخرين فقال الله تعالى (فقد جاءوا ظلماً وزوراً) أي فقد افتروا هم قولاً باطلاً وهم يعلمون أنه باطل ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموه (وقالوا أساطير الاولين اكتبها) يعنون كتب الاولين أي استنسخها (فهي على عليه) أي تقرأ عليه (بكرة وأصيل) أي في أول النهار وآخره وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهتته كل أحد منهم يعلم بطلانه فانه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمداً رسول الله ﷺ لم يكن بهاني شيئاً من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعث الله نبياً من أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الاخلاق الرذيلة حتى أنهم كانوا يسمونه في صغره ، وإلى أن بعث الامين لما يعلمون من صدقه وبره فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الاقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها وثاروا فيما يقدفونه به فتارة من افكهم يقولون ساحر وتارة يقولون شاعر وتارة يقولون مجنون وتارة يقولون كذاب

وقال الله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) وقال تعالى في جواب ما عاندوا ههنا واقترؤا (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض) الآية أي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الاولين والآخريين أخباراً حقا صديقا مطابقا للواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا الذي يعلم السر أي الله الذي يعلم غيب السموات والارض ، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر ، وقوله تعالى (إنه كان غفورا رحيمًا) دعاء لهم إلى التوبة والانابة وإخبار لهم بأن رحمته واسعة وان حلمه عظيم ، وأن من تاب إليه تاب عليه ، فهؤلاء مع كذبهم واقترائهم وفجورهم وبهتانهم وكفرهم وعنادهم وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا يدعوه إلى التوبة والاقلاع عما هم فيه إلى الاسلام والهدى كما قال

القرآن ﴿ إلا افك ﴾ كذب ﴿ افتراء ﴾ اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) قال مجاهد يعني اليهود ، وقال الحسن هو عبيد بن الحضر الحبشي الكاهن ، وقيل جبر وبسار وعداس عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمداً ﷺ يأخذ منهم

قال الله تعالى ﴿ فقد جاءوا ﴾ يعني قائل هذه المقالة ﴿ ظلماً وزوراً ﴾ أي بظلم وزور فلما حذف الباء انتصب يعني جاءوا شركاً وكذباً ينسبهم كلام الله تعالى إلى الافك والافتراء ﴿ وقالوا أساطير الاولين اكتبها ﴾ يعني النضر بن الحارث كان يقول إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الاولون مثل حديث رسنم واسفندبار اكتبها انتسخها محمد من جبر وبسار وعداس ومعنى اكتب

تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمس الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقال تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)

قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود فتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة

وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، لولا أنزل إليه ملك فيكون

معه نذيراً (٧) أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها، وقال الظالمون إن تتبعون إلا

رجلاً مسحوراً (٨) انظر كيف ضربوا لك الأمثلة فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً (٩)

تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنت تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك

قصوراً (١٠) بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً (١١) إذا رأتهم من مكان

بعيد سمعوا لها نغيظاً وزفيراً (١٢) وإذا ألقيوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا (١٣)

لا تدعوا اليوم ثبورا وحدا وادعوا ثبورا كثيرا (١٤)

يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم وإنما فعلوا بقولهم (ما لهذا الرسول يأكل الطعام) يعنون كما نأكله وبححتاج إليه كما نحتاج إليه (ويمشي في الأسواق) أي يتردد فيها واليها طلبا للتكسب والتجارة (لولا أنزل إليه فيكون معه نذيراً) يقولون هلا أنزل إليه ملك من عند الله فيكون له شأداً على صدق ما يدعيه

يعني طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب (فهي تلى عليه) يعني قرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها (بكرة وأصيلاً) غدوة وعشيا

قال الله عز وجل ردأ عليهم (قل أنزله) يعني القرآن (الذي يعلم السر) يعني الغيب (في السموات والأرض أنه كان غفوراً رحيماً * وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمداً ﷺ (يأكل الطعام) كما نأكل نحن (ويمشي في الأسواق) يلتمس المعاش كما نمشي فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست أنت بملك ولا بملك لأنك تأكل والملك لا يأكل واست بملك لأن الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وتبذل وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدمياً ومشيه في الأسواق لتواضعه وكان ذلك صفة له وشيء من ذلك لا ينافي النبوة (لولا أنزل إليه ملك) فيصدق (فيكون معه نذيراً) داعياً (أو يلقي إليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفعه فلا يحتاج إلى التردد والتصرف في طلب المعاش

وهذا كما قال فرعون (فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا (أو يلقي اليه كنز) أي علم كنز ينفق منه (أو تكون له جنة يأكل منها) أي تسير معه حيث سار ، وهذا كله سهل يسير على الله ولا يمكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحكمة البالغة (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) قال الله تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها) أي جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك من قلوبهم ساحر مسحور مجنون كذاب شاعر وكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك ولهذا قال (فضلوها) عن طريق الهدى (فلا يستطيعون سبيلاً) وذلك أن كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فإنه ضال حينا توجه لان الحق واحد ومنهجه متعده يصدق بعضه بعضا ثم قال تعالى مخبراً نبيه إنه إن شاء لآتاء خيراً مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك) الآية

قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصر كبيراً كان أو صغيراً قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة قيل للنبي ﷺ إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم نعطه نبياً قبلك ، ولا نعطي أحداً من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال « اجعلوها لي في الآخرة » فأنزل الله عز وجل في ذلك [تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك] الآية وقوله [بل كذبوا بالساعة] أي إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيباً وعناداً لأنهم يطلبون ذلك تبصراً واسترشاداً بل تكذيبهم بيوم مقامة بحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال (وأعتدنا) أي أروينا [لمن كذب بالساعة سعيراً] أي عذاباً ألياً حاراً لا يطاق في نار جهنم

﴿ أو تكون له جنة ﴾ بستان ﴿ يأكل منها ﴾ قرأ حمزة والكسائي نأكل بالنون أي نحن نأكل منها ﴿ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ مخدوعاً وقيل مصروفاً عن الحق ﴿ انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ يعني الأشباه فقالوا مسحور محتاج وغيره ﴿ فضلوها ﴾ عن الحق ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة

قوله ﴿ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ الذي قالوا وأفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال يعني خيراً من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾ بيوتاً مشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد قصراً ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر ويجعل برفع اللام وقرأ الآخرون بجزمها على محل الجزاء في قوله ﴿ إن شاء جعل لك ﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشمي أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله

قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبيرة [السعير] واد من قيح جهنم . وقوله [إذا رأنهم] أي جهنم [من مكان بعيد] يعني في مقام المحشر . قال السدي من مسيرة مائة عام [سمعوا لها تغيظاً وزفيراً] أي حنقا عليهم كما قال تعالى (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ) أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله

وروى ابن أبي حاتم حدثنا ادريس بن حاتم بن الاحنف الواسطي أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي عن أصبع بن زيد عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك باسناده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « من يقل عليّ ما لم أقل أو ادعى إلى غير والديه أو انتهى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار » وفي رواية - فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً « قيل يا رسول الله وهل لها من عيين ؟ قال « أما سمعتم الله يقول (إذا رأنهم من مكان بعيد) » الآية ورواه ابن جرير عن محمد بن خدّاش عن محمد بن يزيد الواسطي با . وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل قال خرجنا مع عبد الله يعني ابن مسعود ومعنا الربيع بن خثيم فمروا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حدبدة في النار ، وينظر الربيع بن خثيم إليها فمابل الربيع ليستقط فر عبد الله على أيون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية (إذا رأنهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) فصعق يعني الربيع وحملوه إلى أهل بيته فராبطه عبد الله إلى الظهر فلم يبق رضي الله عنه ، وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا امرأيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال : ان العبد ليجر إلى النار فتشوق إليه شهقة البغلة إلى الشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الاخاف . هكذا رواه ابن أبي حاتم باسناده مختصراً ، وقد رواه الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا امرأيل عن أبي يحيى عن مجاهد باسناده إلى ابن

ابن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو قال - ثلاثاً أو نحو هذا - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك »

حدثنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي أنا أبو ذر محمد بن ابراهيم الصالحاني أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بابي الشيخ أنا أبو يعلى ثنا محمد بن بكر ثنا أبو معشر عن سعيد يعني المقبري عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ يا عائشة « لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت نبيا عبداً وإن شئت نبيا ملكاً فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك » وفي روايه ابن

عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتزوي وتنقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك ؟ قالت انه يستجير مني فيقول أرسلوا عبيدي وان الرجل ليجر الى النار فيقول يا رب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك ؟ فيقول أن تسعني رحمتك . فيقول أرسلوا عبيدي وان الرجل ليجر الى النار فتشقى اليه النار شهوق البغلة الى الشخير ونزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف وهذا اسناد صحيح

وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خجل وجهه وتعذر انصه حتى إن ابراهيم عليه السلام ليجنو على ركبته ويقول : رب لا أسألك اليوم الا نفسي . وقوله (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين) قال قتادة عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمرو قال : مثل الزج في الرمح أي من ضيقه . وقال عبدالله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي أسيد يرفعه الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه سئل عن قول الله (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال « والذي نفسي بيده أنهم ليستكروا في النار كما يستكروا الوتد في الحائط » وقوله (مقرنين) قال أبو صالح يعني مكتفين (دعوا هنالك ثبورا) أي بالويل والحسرة والخيبة (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) الآية . روى الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادي يا ثبورا وينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول يا ثبورا ويا ثبورون يا ثبورا فيقال لهم لاتدعوا

عباس فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده أن تواضع فقلت « نبيك عبدا » قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد

قوله عز وجل ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾ بالقيامة ﴿ وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ﴾ نارا متسهرة ﴿ اذا رأتهم من مكان بعيد ﴾ قال الكلبي والسدي من مسيرة عام ، وقيل من مسيرة مائة سنة وقيل خمسمائة سنة ، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ دين عيني جهنم مقعدا » قالوا وهل لها من عينين ؟ قال « نعم ألم تسمعوا قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد » وقيل اذا رأتهم زبانتها ﴿ سمعوا لها تغيظا ﴾ غليظا كالغضببان اذا غلى صدره من الغضب ﴿ وزفيرا ﴾ صوتا ، فان قيل كيف يسمع التغيظ ؟ قيل معناه رأوا وعلما أن لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفاورنا

أي وحاملا رجما ، وقيل (سمعوا لها تغيظا) أي صوت التغيظ من التلهب والتوقد ، قال عبيد بن (تفسير ابن كثير والبغوي) (الجزء السادس) (٢١)

اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا » لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن عفان به ، ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) الآية أي لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا ، وقال الضحاك الثبور الهلاك والاضطرار أن الثبور بجميع الهلاك والويل والخسار والدمار كما قال موسى لفرعون (واني لأظنك يا فرعون مشبورا) أي هالكا قال عبيد الله بن الزبيري اذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مشبور

قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا (١٥) لهم فيها

ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا (١٦)

يقول تعالى: يا محمد هذا الذي وصفناه لك من حال الاشقياء الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم فلنقام بوجه عبوس وتغيظ وزفير ويلقون في أما كتبها الضيق مقرنين لا يستطيعون حراكا ولا استنصارا ولا فككا كما مما هم فيه أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده التي أعدها لهم وجعلها لهم جزاء ومصيرا على ما أطاعوه في الدنيا وجعل ما لهم اليها (لهم فيها ما يشاءون) من الملائكة من ما كل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم في ذلك خالدون أبدا دائما سرمدا بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا ينفون عنها حولا وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به اليهم ، ولهذا قال (كان على ربك وعدا مسئولا) أي لا بد أن يقع وأن يكون كما حكاه أبو جعفر ابن جرير عن بعض علماء العربية أن معنى قوله (وعدا مسئولا) أي وعدا واجبا

عمير تنزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا آخر لوجهه (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) قال ابن عباس بضيق عليهم كما بضيق الزوج في الرمح (مقرنين) مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الاغلال ، وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس ويلا ، وقال الضحاك هلاكا وفي الحديث « ان أول من بكى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوره وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وينادون يا ثبورهم فيقال لهم » (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) قيل أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا أدعية كثيرة

قوله عز وجل (قل أذلك) يعني الذي ذكرته من صفة النار وأهلها (خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا (لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس (كان على ربك وعدا مسئولا) يقول سلوا الذين واعدتكم أو قال أو اعدناكم ننجز، وقال محمد بن كعب القرظي في قوله (كان على ربك وعدا مسئولا) ان الملائكة نسأل لهم ذلك (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم)

وقال أبو حازم إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا فانجز لنا ما وعدتنا فذلك قول (وعدا مسئولا) وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ثم التنبيه على حال أهل الجنة كما ذكر تعالى في سورة الصافات حال أهل الجنة وما فيها من النضرة والخبور ثم قال (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) إنا جعلناها فتنه للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤس الشياطين * فأنهم لا يكون منها فالثون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم * ثم إن مرجعهم لآلى الجحيم * أنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم بهرعون

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا

السبيل (١٧) قالو سبححسبك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم

وآباءهم حتى نسوا الذكروا وكانوا قوما بورا (١٨) فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون

صرفا ولا نصرا، ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا (١٩)

يقول تعالى مخبرا عما يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم فقال (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله)

قال مجاهد هو عيسى والعزير والملائكة (فيقول أأنتم أضللتهم عبادي هؤلاء) الآية أي فيقول

وعدا مسئولا) مطلوبوا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا وآتتنا ما وعدتنا على

رسلنا (يقول كان أعطى الله المؤمنين جنة الخلد وعدا وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسلتهم إياه

ذلك، قال محمد بن كعب القرظي الطلب من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم (ربنا وأدخلهم جنات

عدن التي وعدتهم) (ويوم يحشرهم) قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب وحفص (يحشرهم) بالياء

وقرأ الباقر والنون (وما يعبدون من دون الله) قال مجاهد من الملائكة والجن والانس وعيسى

وعزير، وقال عكرمة والضحاك والكلي يعني الاصنام، ثم يخاطبهم (فيقول) قرأ ابن عامر بالنون

والآخرون بالياء (أأنتم أضللتهم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) أخطأ الطريق (قالوا سبحانك)

زهاوا الله من أن يكون معه إله (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يعني ما كان ينبغي

لنا أن نوالي أعداءك بل أنت ولينا من دونهم، وقيل ما كان لنا أن نأمرهم بعبادتنا ونحن نعبدك وقرأ

أبو جعفر (أن نتخذ) بضم النون وفتح الحاء فتكون من الثاني صلة (ولكن متعتهم وآباءهم) في الدنيا

تبارك وتعالى للمعبودين أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى (وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) الآية ولهذا قال تعالى مخبراً عما يجيب به المعبودون يوم القيامة (قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) قرأ الاكثرون بفتح النون من قوله (نتخذ من دونك من أولياء) أي ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك لانحن ولا هم فنحن مادعوناهم الى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك الآية ، وقرأ آخرون (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ ^(١) من دونك من أولياء) أي ما ينبغي لاحد أن يعبدنا فانا عبيد لك فقراء اليك وهي قريبة المعنى من الاولى (ولكن متعتهم وآباءهم) أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أي نسوا ما أنزلته اليهم على السنة رسلك من الدعوة الى عبادتك وحدك لا شريك لك (وكانوا قوما بورا) قال ابن عباس أي هلكي ، وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري أي لاخير فيهم . وقال ابن الزبيري حين أسلم

(١) أي بضم النون
وفتح الحاء

يا رسول المايك ان لسانني راتق ما فتقت اذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنننا في ومن مال ميسله مشبور

قال الله تعالى (فقد كذبوكم بما تقولون) أي فقد كذبكم الذين عبدوا من دون الله فيما زعمتم انهم لكم أولياء وانهم يقرّبونكم الى الله زاني كقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله (فلا يستطيعون صرّفا ولا نصراً) أي لا يقدرّون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لانفسهم (ومن يظلم منكم) أي يشرك بالله (نذقه عذاباً كبيراً)

بطول العمر والصحة والنعمة (حتى نسوا الذكر) تركوا الموعظة والایمان بالقرآن ، وقيل تركوا ذكر كرك وغفلوا عنه (وكانوا قوما بوراً) يعني هلكي غالب عليهم الشقاء والخذلان يقال رجل باثر وقوم بور وأصله من البوار وهو الكساد والفساد ومنه بور السلعة وهو كسادها ، وقيل هو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث

قوله (فقد كذبوكم) هذا خطاب مع المشركين أي كذبكم المعبودون (بما تقولون) انهم آلهة (فما نستطيعون) قرأ حفص بالتاء يعني العابدین ، وقرأ الآخرون بالياء يعني الآلهة (صرّفاً) يعني صرف العذاب عن أنفسهم (ولا نصراً) يعني ولا نصر أنفسهم ، وقيل ولا نصركم أيها العابدون

وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون ، وكان ربك بصيرا (٢٠)

يقول تعالى مخبراً عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين أنهم كانوا يأكلون الطعام ويمشون إلى التغذي به ويمشون في الاسواق للكسب والنجارة وليس ذلك بمناف لحالم ومنصبهم فان الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والاقوال الفاضلة ، والاعمال الكاملة والخوارق الباهرة والادلة الظاهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاءوا به من الله ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وقوله [وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام] الآية

وقوله تعالى (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون) أي اختبرنا بعضهم ببعض وبلونا بعضهم ببعض لنعلم من بطيع عن بعضي ولهذا قال (أنصبرون وكان ربك بصيرا) أي بمن يستحق أن يوحى اليه كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك ، وقال محمد بن إسحاق في قوله [وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أنصبرون] قال يقول الله لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم وأبتليكم بهم من عذاب الله بدفع العذاب عنكم ، وقيل الصرف الحيلة ومنه قول العرب انه ليصرف أي يحتمل (ومن يظلم) بشرك (منكم نذقه عذابا كبيرا)

قوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) يا محمد (إلا إنهم ليأكلون الطعام) روى الضحاك عن ابن عباس قال : لما عبر المشرق رسول الله ﷺ (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) أنزل الله عز وجل هذه الآية أي ما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرأ يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقيل معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قليل لهم مثل هذا إنهم يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق كما قال في موضع آخر (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) أي بلية فالغني فتنة للفقير يقول الفقير مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة للمريض ، والشريف فتنة للوضيع ، وقال ابن عباس أي جعلت بعضهم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى ، وقيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك أن الشريف اذا أراد أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال أسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وهذا قول الكلبي وقال مقاتل نزلت في أبي جهل والوليد بن عتبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر وابن مسعود وعماراً وبلالا وصهيبا وعاصم بن فهيرة وذوهم قالوا أنسلم فنكون مثل هؤلاء ؟

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى اني مبتليكم ومبتلي بك » وفي المسند عن رسول الله ﷺ « لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة » وفي الصحيح انه عليه افضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا فاختر أن يكون عبدا رسولا

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في

أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا (٢١) يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون

حجرأ محجورا (٢٢) وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٢٣) أصحح الجنة

يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا (٢٤)

يقول تعالى مخبرا عن تعذت الكفار في كفرهم ، وعنادهم في قولهم [لولا أنزل علينا الملائكة] أي بالرسالة كما أنزل على الانبياء كما أخبر الله عنهم في الآية الاخرى [قالوا ان نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله] ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا [لولا أنزل علينا الملائكة] فإراهم عيانا فيخبرونا أن محمدا رسول الله كقولهم [حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا] وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ولهذا قالو [أو نرى ربنا] ولهذا قال الله تعالى [لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا] وقد قال تعالى [ولو أننا زلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى] الآية

وقوله تعالى [يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا] أي هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار ، والغضب من الجبار ، فنقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ، اخرجي الى سموم وجهيم وظل من يحوم فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه كما قال الله تعالى [ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم] الآية وقال تعالى [ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسوطو أيديهم] أي بالضرب [أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير

وقال مقاتل زلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمتهمين من قریش كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا وأرادلنا فقال الله تعالى هؤلاء المؤمنین ﴿ أنصبرون ﴾ يعني على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى ﴿ وكان ربك بصيرا ﴾ بمن صبر وبمن جزع

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحی أنا أبو بكر أحمد بن الحسن أنا أبو العباس الاصم ثنا زكريا بن يحيى المروزي ثنا سفيان بن غيثة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم ^(١) فلينظر إلى من دونه في المال والجسم ^(٢) »

(١) في نسخة والجسم

الحق وكنتم عن آياته تستكبرون [ولهذا قال في هذه الآية الكريمة] يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين [وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فانهم يبشرون بالخيرات ، وحصول المسرات ، قال الله تعالى] ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن ولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة والكم فيها ما تشتهي أنفسكم والكم فيها ما تدعون زلا من غفور رحيم]

وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب : ان الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي ايتها النفس الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه ، اخرجي إلى روح وربحان ورب غير غضبان . وقد تقدم الحديث في سورة ابراهيم عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال آخرون : بل المراد بقوله (يوم يرون الملائكة لا بشرى) يعني يوم القيامة . قاله مجاهد والضحاك وغيرهما ، ولا منافاة بين هذا وما تقدم فان الملائكة في هذين اليومين يوم المات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران فلا بشرى يومئذ للمجرمين (ويقولون حجراً محجوراً) أي وتقول الملائكة للكافرين حرام محرم عليكم الفلاح اليوم . وأصل الحجر المنع ومنه يقال حجر البيت الحرام لانه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه وإنما يطاف من ورائه ، ومنه يقال للعقل حجر لانه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق والغرض ان الضمير في قوله [ويقولون] عائذ على الملائكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراساني وخصيف وغير واحد واختاره ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو نعيم حدثنا موسى يعني ابن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري في الآية (ويقولون حجراً محجوراً) قال حراماً محرمًا أن يبشر بما يبشر به المنقون ، وقد حكى ابن جرير عن ابن جريج انه قال ذلك من كلام المشركين [يوم يرون الملائكة] أي يتعوذون من الملائكة ، وذلك ان العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقول [حجراً محجوراً] وهذا

قوله (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث ، قال الفراء الرجاء بمعنى الخوف لغة نهامة ومنه قوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) أي لا تخافون لله عظمتهم (لولا أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا أن محمداً صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة وعتوا عتواً كبيراً (قال مجاهد عتوا طغوا ، قال مقاتل (عتوا) غلوا في القول والعتو أشد الكفر وأغش الظلم وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به (يوم يرون الملائكة) عند الموت ، وقيل في القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) للكافرين وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم

القول وان كان له مأخذ ووجه ولكنه بالنسبة إلى السياق بعيد لا سيما وقد نص الجمهور على خلافه ، ولكن قد روي ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال في قوله [حجراً محجوراً] أي عوداً معاذاً فيحتمل انه أراد ما ذكره ابن جريج ولكن في رواية ابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه قال [حجراً محجوراً] عوداً معاذاً للملائكة تقول ذلك فالله أعلم

وقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) الآية هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فاخبر انه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الاعمال التي ظنوا انها منجاة لهم شيء ، وذلك لانها فقدت الشرط الشرعي إما الاخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية فهو باطل ، فاعمال الكفار لا تخلوا من واحد من هذين وقد تجمعها معا فتكون أبعد من القبول حينئذ ولهذا قال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) قال مجاهد والثوري (وقدمنا) أي عمدنا وكذا قال السدي وبعضهم يقول أي بنا عليه

وقوله تعالى (فجعلناه هباء منثوراً) قال سفیان الثوري عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه في قوله (هباء منثوراً) قال شعاع الشمس إذا دخل الكوة ، وكذا روي من غير هذا الوجه عن علي ، وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي والضحاك وغيرهم ، وكذا قال الحسن البصري هو الشعاع في كوة أحدكم ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (هباء منثوراً) قال هو الماء المهرق ، وقال أبو الاحوص عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي (هباء منثوراً) قال الهباء وهيج الدواب ، وروي مثله عن ابن عباس أيضاً والضحاك وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال قتادة في قوله (هباء منثوراً) قال أماريت ييس الشجر إذا ذرته الريح فهو ذلك الورق ، وقال عبد الله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم عن أبي سربع الطائي عن عبيد بن يعلى قال وان الهباء الرماد اذا ذرته الريح ، وحاصل هذه الاقوال التنبيه على مضمون الآية وذلك انهم عملوا أعمالاً اعتقدوا انها على شيء ، فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً إذا انها لا شيء بالكلية ، وشبهت في ذلك بالشيء التافه الخفي المتفوق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية كما قال تعالى (مثل الذين كفروا بربهم

القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم هكذا قال عطية ، وقال بعضهم معناه انه لا بشرى يوم القيامة للمجرمين أي لا بشارة لهم بالجنة كما يبشر المؤمنون) ويقولون حجراً محجوراً) قال عطاء عن ابن عباس تقول الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله ، وقال مقاتل اذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حراماً محرماً عليكم أن يكون لكم البشرى ، وقال بعضهم هذا قول الكفار للملائكة ، قال ابن جريج كانت العرب اذا نزلت بهم شدة ورأوا ما يكرهون قالوا احجراً محجوراً فهم يقولونه اذا عاينوا الملائكة ، قال مجاهد يعني عوداً معاذاً يستعينون به من الملائكة (وقدمنا)

أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) الآية وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى - إلى قوله تعالى - لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا) وقال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظالمون ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وتقدم الكلام على تفسير ذلك والله الحمد والمنة وقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) أي يوم القيامة (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون) وذلك أن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات والفرجات الآمنات فهم في مقام أمين حسن المنظر طيب المقام (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) وأهل النار يصيرون إلى الدرجات السافلات والحسرات المتتابعات وأنواع العذاب والعقوبات (إنها ساءت مستقرا ومقاما) أي بنس المنزل منظرا وبنس المقيلا مقاميا ولهذا قال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) أي بما عملوه من الأعمال المتقبلة نالوا ما نالوا وصاروا إلى ما صاروا إليه بخلاف أهل النار فانهم ليس لهم عمل واحد يقتضي دخول الجنة لهم والنجاة من النار فنبه تعالى بحال السعداء على حال الأشقياء، وأنه لا خير عندهم بالكلية فقال تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) قال الضحاك عن ابن عباس إنما هي ساعة فيقول أولياء الله على الأمرة مع الخور العين ويقل أعداء الله مع الشياطين مقرنين. وقال سعيد بن جبير: يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال الله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال عكرمة اني لا عرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وهي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيولة فينصرف أهل النار إلى النار، وأما أهل الجنة فينطلق بهم إلى الجنة فكانت قبولتهم في الجنة وأطعموا كبده حوت فاشبههم كلهم وذلك قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقال سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: لا ينتصف النهار حتى يقبل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وقرأ (ثم ان مرجعهم لآلى الجحيم)

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) قال قالوا

وعمدنا ﴿ إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ أي باطلا لا ثواب له لأنهم لم يعملوه لله عز وجل واختلفوا في الهباء قال علي هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار ولا يمس بالأيدي ولا يرى في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد والمنثور المفرق، وقال ابن عباس وقسادة وسعيد بن جبير هو ما تنفخ فيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر، وقال مقاتل هو ما يسطم من حوافر الدواب عند السير، وقيل الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المنبث هو ما تظيره الرياح من سنايك الخيل

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(٢٢)

(الجزء السادس)

في الغرف من الجنة وكان حسابهم اذ عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى اقاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب الى اهله مسرورا وقال قتادة (خير مستقرا واحسن مقبلا) ما روى ومنزلا ، وقال قتادة وحدث صفوان بن محرزانه قال : يجاء برجلين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا الى الجنة والبياض فيحاسب فاذا عبد لم يعمل خيرا قط فيؤمر به الى النار والآخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يارب ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به فيقول الله : صدق عبدني فارسلوه فيؤمر به الى الجنة ثم يترك ما شاء الله ثم يدعى صاحب النار فاذا هو مثل الحمرة السوداء فيقال له كيف وجدت فيقول شر مقبل فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فاذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت فيقول رب خير مقبل فيقال له عد . رواها ابن أبي حاتم كلها

وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث ان سعيد الصواف حدثه انه بلغه ان يوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس وانهم يتقلبون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقبلا)

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (٢٥) الملائكة يومئذ الحق للرحمن وكان

يوما على الكافرين عسيرا (٢٦) ويوم يعرض الظلم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول

سبيلا (٢٧) يوياتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا (٢٨) لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان

الشیطن للناس خذولا (٢٩)

قوله عز وجل (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المتكبرين (واحسن مقبلا) موضع قائله يعني أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة ، قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقرأ (ثم إن مقيلهم لالى الجحيم) هكذا كان يقرأ ، وقال ابن عباس في هذه الآية الحساب ذلك اليوم في أوله ، وقال القوم حين قالوا في منازلهم في الجنة قال الازهري انقولوا والمقبل الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال (واحسن مقبلا) والجنة لانوم فيها ، ويروي أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس

قوله عز وجل (ويوم تشقق السماء بالغمام) أي عن الغمام الباء وعن يتعاقبان كما يقال رميت عن القوس وبالقوس وتشقق بمعنى تشقق أدغموا إحدى التاءين في الاخرى ، وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة

يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الامور العظيمة فمنها انشقاق السماء وتفتطرها وانفراجها بالغمام وهو ظل النور العظيم الذي يبهز الابصار ونزول ملائكة السموات يؤمنون فيحيطون بالخالق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء . قال مجاهد وهذا كما قال تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) الآية

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) قال ابن عباس رضي الله عنهما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والانس والبهايم والسباع والطير وجميع الخلق فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بالجن والانس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق . ثم تشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق . ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر من نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والانس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والانس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والانس ، وجميع الخلق لهم قرون كأ كعب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير والتعظيم لله عز وجل ما بين أخص قدم أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى حجزته^(١) مسيرة خمسمائة عام وما بين حجزته إلى

(١) في النسخة المكية
أورنته

بتخفيف الشين ههنا وفي سورة (ق) بحذف إحدى الناءين ، وقرأ الآخرون بالتشديد أي تشقق بالغمام وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن إلا لبني اسرائيل في تيههم ﴿ ونزل الملائكة تنزيلاً ﴾ قرأ ابن كثير ونزل بنونين خفيف ورفع اللام الملائكة نصب ، قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الارض من الجن والانس ، ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ، ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾ أي الملك الذي هو الملك الحق حقاً ملك الرحمن يوم القيامة ، قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره ﴿ وكان يوماً على الكافرين عسيراً ﴾ شديداً فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيراً . وجاء في الحديث « انه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوا في الدنيا

ومكتوبة صلوا في الدنيا

ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم محسرة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق

وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد ابن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت ينزل منها من الملائكة أكثر من الانس والجن وهو يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض فيقول أهل الأرض جاء ربنا فيقولون لم يجي ، وهو آت ثم تشق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس . قال فتنزل الملائكة السكرويون ثم يأتي ربنا في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة . قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه وكل ملك منهم واضح رأسه بين ثدييه ^(١) يقول سبحانه الملك القدوس وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القنا والعرش فوق ذلك ثم وقف فداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقانه غالبا وفيها نكارة شديدة

(١) في نسخة يديه

وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا والله أعلم ، وقد قال الله تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون : سبحانه الله وبمحمد لك الحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة منهم يقولون : سبحانه الله وبمحمد لك الحمد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه

قوله (ويوم بعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا اليه أشرف قومه وكان يكثّر مجالسة النبي ﷺ فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ « ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله ﷺ من طعامه وكان عقبة صديقا لابن بن خلف ، فلما أخبر أبي بن خلف قال له يا عقبة صيأت ، قال لا والله ما صيأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم ، فقال ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام « لألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبورا ، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد يده ، وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فاحترق خدامه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت ، وقال الشعبي كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية ^(١) بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من

(١) هو أخو أبي المتقدم

وقال أبو بكر بن عبد الله إذا نظر أهل الأرض إلى العرش بهبط عليهم من فوقهم (شخصت إليه أبصارهم) ورجفت كلالهم في أجوافهم وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم . قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا المعتمر بن سليمان عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال : بهبط الله عز وجل حين بهبط وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة فيصوت في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب . وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو من كلامه وأعله من الزاملتين والله أعلم

وقوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) الآية كما قال تعالى : لمن الملك اليوم ؟ الله الواحد القهار وفي الصحيح أن الله تعالى بطوي السموات يمينه ويأخذ الأرضين بيده الأخرى ثم يقول : أنا الملك أنا الدين أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وقوله (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أي شديدا صعبا لأنه يوم عدل وقضاء فصل كما قال تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير) فهذا حال الكافرين في هذا اليوم ، وأما المؤمنون فكما قال تعالى (لا يجزئهم الغزع الأكبر) الآية

وروى الامام أحمد ثنا حسين بن موسى ثنا ابن لميعة ثنادراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قيل يا رسول الله (يوم كان مقداره خمسين الف سنة) ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي

وجهك إن بايعت محمدا فكفر وارتد فأنزل الله عز وجل (ويوم بعض الظالم) يعني عقبة بن أبي عبيط ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه ندماء وأسفا على ما فرط في جنب الله وأبقى نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليفه الذي صده عن سبيل ربه ، قال عطاء يأكل يديه حتى تبلغ مرفقي ثم تبتان ثم يأكل هكذا كلما نبتت يده أكلها تحسرا على ما فعل (يقول يا ليتني اتخذت) في الدنيا (مع الرسول سبيلا) ليتني انبعت محمدا ﷺ واتخذت معه سبيلا إلى الهدى ، قرأ أبو عامر (يا ليتني اتخذت) بفتح الياء والآخرين بأسكنها (يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) يعني أبي بن خلف (لقد أضلني عن الذكر) عن الايمان والقرآن (بعد إذ جاءني يعني الذكر مع الرسول) وكان الشيطان (وهو كل متمردات من الانس والجن وكل من صده عن سبيل الله فهو شيطان) للانسان خذولا (أي تاركا يتركه ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب ، وحكم هذه الآية عام في حق كل متعابين اجتماعا على معصية الله

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن العلاء أنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل الجلوس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة »

١٧٤ اخبار النبي ﷺ بأن قومه اتخذوا هذا القرآن مهجورا (تفسير ابن كثير والبغوي)

نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا « وقوله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه) الا ياخبّر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ﷺ وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مرية فيه وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول فاذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرة وأسفا وسواء كان بسبب نزولها في عقبه بن أبي معيط أو غيره من الاشقياء فانها عامة في كل ظالم كما قال تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار) الا يتبين فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، وبعض على يديه قاتلا ياليتني (اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلنا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا) يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاء الضلالة ، وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرها (لقد أضلني عن الذكر) وهو القرآن بعد إذ جاءني أي بعد بلوغه إلي قال الله تعالى (وكان الشيطان للانسان خذولا) أي يخذه عن الحق وبصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه اليه

وقال الرسول ﷺ ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا (٣٠) وكذلك جعلنا لكل

نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا (٣١)

يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال « يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وذلك أن المشركين كانوا لا يصفون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) الآية فكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللفظ والكلام في غيره حتى لا يسمعه فها من هجرانه ، وترك الايمان به وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبيد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن حبة بن شريح أخبرني سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري قال سالم أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « لا تصاحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقي »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن اسكاف النيسابوري أنا أبو العباس الاصم ثنا حميد بن عياش الرمي أنا مؤمل بن امعايل ثنا زهير بن محمد الخراساني ثنا موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »

قوله تعالى (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) يعني متروكا فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه ، وقيل جعلوه بمنزلة المهجر وهو

وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتنال أو امره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غنا، أو لهُو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آنا، الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه انه كريم وهاب

وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الأمم الماضية لأن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) الآيتين ولهذا قال تعالى ههنا (وكفى بربك هاديا ونصيرا) أي لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقه واتبعه فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة وإنما قال (هاديا ونصيرا) لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن لتلايه يهتدي أحد به وتقلب طريقتهم طريقة القرآن فهذا قال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) الآية

وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة. كذلك لتثبت به فؤادك ورتلته

ترتيلاً (٣٢) ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً (٣٣) الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً (٣٤)

يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيه حيث قالوا (لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة كالنوراة والانجيل والزبور وغيرها من الكتب الالهية فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجها في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من

الهديان والقول السبي. فزعموا انه شعر وسحر وهو قول النخعي ومجاهد، وقيل قال الرسول يعني محمداً ﷺ بشكو قومه إلى الله (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدوا من المجرمين) يعني المشركين قال مقاتل يقول لا يكبرن عليك فإن الانبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فاصبر لأمري كما صبروا فاني ناصرك وهاديك

قوله (وكفى بربك هاديا ونصيرا * وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما أنزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود، قال الله سبحانه وتعالى (كذلك) جعلنا (لتثبت به فؤادك) يعني أنزلناه متفرقا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب أنزلت على

الاحكام ليثبت قلوب المؤمنين به كقوله [رقرآنا فرقناه] ولهذا قال [لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا] قال قتادة بيناه تبيينا . وقال ابن زيد وفسرناه تفسيراً (ولا يأتونك بمثل) أي بحجة وشبهة (إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) أي ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الامر وأبين وأوضح وأفصح من مقالهم . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس [ولا يأتونك بمثل] أي بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول [الا جئناك بالحق] الآية أي الا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم وما هذا الا اعتناء وكبر شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً سغراً وحضراً وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كانزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر اخوانه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى ، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا ففي الملاء الأعلى أنزل جملة واحدة من الفوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك الى الارض منجها بحسب الوقائع والحوادث

وروى النسائي بإسناده عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى مماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة . قال الله تعالى [ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً] وقال تعالى [وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً] ثم قال تعالى مخبراً عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم الى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً) وفي الصحيح عن أنس ان رجلاً قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال «ان الذي أمشاه على رجله قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين

أنبياء يكتبون ويقرءون وأنزل الله القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ ، ولان من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور فرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به ﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾ قال ابن عباس بينا بياناً والترتيل التبيين في ترتيل وتثبيت ، وقال السدي فصلناه تفصيلاً ، وقال مجاهد بعضه في اثر بعض ، وقال النخعي والحسن فرقناه تفريقاً آية بعد آية ﴿ ولا يأتونك ﴾ يا محمد يعني هؤلاء المشركين ﴿ بمثل ﴾ بضر بونه في ابطال أمرك ﴿ إلا جئناك بالحق ﴾ يعني بما ترد به ما جاء به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلاً وسمى ما يدفع به الشبه حقاً ﴿ وأحسن تفسيراً ﴾ يعني بياناً وتفصيلاً والتفسير تفصيل من الفسر وهو كشف ما ندغطي ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال ﴿ الذين ﴾ أي هم الذين ﴿ يحشرون على وجوههم ﴾ فيساقون ويمجرون ﴿ إلى جهنم أولئك شر مكاناً ﴾ يعني مكانة ومنزلة ويقال منزلاً ومصيراً ﴿ وأضل سبيلاً ﴾ اخطأ طريقاً

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً (٣٥) فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً (٣٦) وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً (٣٧) وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروا بين ذلك كثيراً (٣٨) وكلا ضربنا له الأمثلة وكلا تبرنا تتبيراً (٣٩) ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً (٤٠)

يقول تعالى متوعداً من كذب رسوله محمد ﷺ من مشركي قومه ومن خالفه وتحذراً من عقابه وأليم عذابه مما أحله بالأمم الماضية المكذبة لرسوله فبدأ بذكر موسى وأنه بعثه وجعل معه أخاه هارون وزيراً أي نبياً موازراً ومؤيداً وناصراً فكذبها فرعون وجنوده [فدمر الله عليهم ولا كفرين أمثالها] وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحاً عليه السلام ومن كذب برسوله فقد كذب بجميع الرسل اذ لا فرق بين رسول ورسول ولو فرض ان الله تعالى بعث اليهم كل رسول فأنهم كانوا يكذبون ، ولهذا قال تعالى (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) ولم يبعث اليهم الا نوح فقط وقد لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى الله عز وجل ويحذروهم نعمة [فما آمن معه الا قليل] ولهذا أغرقهم الله جميعاً ولم يبق منهم أحد ولم يترك من بني آدم على وجه الارض سوى أصحاب السفينة فقط [وجعلناهم للناس آية] أي عبرة يعبرون بها كما قال تعالى [انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية] لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية [أي وأبقيناكم من السفن ما تركبون في لجج البحار لتذكروا نعمة الله عليكم من انجائكم من الفرق وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق أمره

وقوله تعالى (وعاداً وثمود وأصحاب الرس) قد تقدم الكلام على قصصها في غير ما سورة

قوله ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ﴾ معينا ووزيراً ﴿ قلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعني القبط ﴿ فدمرناهم ﴾ فيه اضرار اي فكذبوها فدمرناهم ﴿ تدميراً ﴾ أهلكتناهم أهلاًكاً ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾ أي الرسول ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكر بلفظ الجمع ﴿ أغرقناهم وجعلناهم للناس آية ﴾ يعني لمن بعدهم عبرة ﴿ وأعتدنا للظالمين ﴾ في الآخرة ﴿ عذاباً أليماً ﴾ سوى ما حل بهم من عذاب العذاب ﴿ وعاداً وثمود ﴾ يعني وأهلكنا عاداً وثمود ﴿ وأصحاب الرس ﴾ اختلفوا فيهم ، قال وهب بن منبه كانوا أهل بئر قموذا عليها وأصحاب مواشي يعبدون الاصنام فوجه الله اليهم شعبياً يدعوهم الى الاسلام فنادوا في طغيانهم وفي أذى شعيب عليه السلام فيبيناهم حوالي البئر في منازلهم انتهزت بهم البئر فحسف الله بهم وبدبارهم (تفسير ابن كثير والبغوي) (٢٣) (الجزء السادس)

كسورة الاعراف بما أغنى عن الاعداء ، وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج عن ابن عباس هم أهل قرية من قرى ثمود . وقال ابن جريج : قال عكرمة أصحاب الرس بفلح وهم أصحاب يس . وقال قتادة فلح من قرى اليمامة . وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في قوله (وأصحاب الرس) قال بئر بأذربيجان . وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة : الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها

وقال ابن اسحاق عن محمد بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود » وذلك ان الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها الا ذلك العبد الاسود ، ثم ان أهل القرية عدوا على النبي فحرقوا له بئرا فالفوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه وبشترى به طعاما وشرابا ثم يأتي به الى تلك البئر فيرفم تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فيدلي اليه طعامه وشرابه ثم يردّها كما كانت ، قال فكان ذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجعت فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم انه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجعت فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب واحتمل حزمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم انه ذهب الى الحفيرة موضعها الذي كانت فيه فالتمس فلم يجده وكان قد بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ، قال فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون له لا ندري حتى قبض الله النبي وهب الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله ﷺ « ان ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة » وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب مرسلا وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه ادراجا والله أعلم

وقال ابن جرير لا يجوز أن يحمل هؤلاء على انهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن لان الله أخبر عنهم انه أهلكتهم وهؤلاء آمنوا بنبيهم الآن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم ، واختار ابن جرير ان المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج قاله الله أعلم .

ورباعهم فهلكوا جميعا ، والرس البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهو رس ، وقال قتادة والكلبي الرس بئر بأرض اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عز وجل ، وقال بعضهم هم بقية ثمود وقوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله (وبئر معطية وقصر مشيد) وقال سعيد بن جبير : كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى ، وقال كعب ومقاتل والسدي الرس بئر بانطاكية فقتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس ، وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود الذي حفروه ، وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر ، وقيل الرس المعدن وجمعه

وقوله تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي وأمسأ أضفاف من ذكر أهلكنام كثيرة ولهذا قال (وكلا ضربنا له الامثال) أي بينا لهم الحجج ووضحنا لهم الادلة كما قال قتادة وأزحنا الاعذار عنهم (وكلا تبرنا تنبيرا) أي أهلكنا اهلاكا كقوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) والقرن هو الامة من الناس كقوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) وحدة بعضهم بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وبمائتين وقيل اربعين وقيل غير ذلك ، والظاهر ان القرن هو الامة المتعاصرون في الزمن الواحد واذا ذهبوا وخلفهم جيل فمقرن آخر كما ثبت في الصحيحين «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» الحديث (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكها الله بالقلب وبالمطر من الحجارة التي من سجيل كما قال تعالى (وأمطرنا عليهم مطرا فساء بطر المنذرين) وقال [وانكم لتقرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون] وقال تعالى [وانها لبسيلا مقيم] وقال [وانها لبامام مبين] ولهذا قال (أفلم يكونوا يرونها) أي فيعتبروا بما حل باهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول وبخالفتهم أوامر الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) يعني المارين بها من الكفار لا يعتبرون لانهم لا يرجون نشورا أي معادا يوم القيامة

واذا رأوك إن يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بدت الله رسولا ؟ (٤١) ان كاد

ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا

(٤٢) أرايت من اتخذ إلهه هوله أفأنت تكون عليه وكيلا (٤٣) أم تحسب أن أكثرهم

يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالا نسلم بل هم أضل سبيلا (٤٤)

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رأوه كما قال (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا) الآية يعنون بالعب والفتن وقال ههنا (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا

رساس) وقرونا بين ذلك كثيرا) يعني وأهلكنا قرونا كثيرة بين عاد وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الامثال) يعني الاشياء في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الانذار (وكلا تبرنا تنبيرا) يعني أهلكنا اهلاكا ، وقال الاخفش كسرنا تكسيرا ، قال الزجاج كل شيء كسرته وقتته فقد تبرته قوله (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني الحجارة وهي قربات قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله اربعا منها وبقيت واحدة وهي صعر وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتفكروا لان مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون) لا يخافون (نشورا) بعثا قوله عز وجل (وإذا رأوك ان يتخذونك) يعني ما يتخذونك (إلا هزوا) يعني مهزوا به

هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ؟) أي على سبيل الانتص والازدراء فبجهم الله كما قال (ولقد استهزئ به برسل من قبلك) الآية

وقوله تعالى [إن كاد يضلنا عن آلهتنا] يعنون أنه كاد يضلهم عن عبادة الاصنام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها قل الله تعالى متوعدا لهم ومتهددا (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الآية . ثم قال تعالى لنبيه منبها أن من كتب الله عليه الشقاوة والضلال فأن لا يهديه أحد إلا الله عز وجل [أفنأخذ إلهه هواء] أي هما استحسن من شي ورآه حسنا في هوى نفسه كان دينه وذهبه كما قال تعالى (أفنزين له سوره عمله فرآه حسنا) فإن الله يضل من يشاء (الآية وطذا قال ههنا [أفأنت تكون عليه وكبلا ؟] قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر لا يرض زمانا فاذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول ثم قل تعالى [أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون] الآية أي هم أسوأ حالا من الانعام السارحة فإن تلك تفعل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلم يفعلوا وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم

ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكننا ثم جعلنا الشمس عليه

دليلا (٤٥) ثم قبضته الينا قبضا يسيرا (٤٦) وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا (٤٧)

نزلت في أي جهل كن إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ قل مستهزئا (أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد يضلنا) يعني قد قارب أن يضلنا (عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) من اخطأ طريقا (رأيت من اتخذ إلهه هواء) وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا رأى حجرا أحسن منه طرح الأول وأخذ الآخر فعبده ، وقال ابن عباس رأيت من ترك عبادة الله وخالفه ثم هوى حجرا فعبده ماحاله عندي (أفأنت تكون عليه وكبلا) يعني حافظا يقول أفأنت عليه كفيل تحفظه من اتباع هواء وعبادة من يهوى من دون الله أي است كذلك ، قال السكاكي نسختها آية القتال (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) مانقول سماع طالب الافهام (أو يعقلون) ما يعاينون من الحجج والاعلام (أن هم) ما هم (إلا كلالعام بل هم أضل سبيلا) لأن البهائم تهتدي لأراضيها ومشاربها وتقاد لأربابها الذين يتعهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولأن الانعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون

قوله تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) معنا ألم تر إلى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع

من ههنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الادلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الاشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى [ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ؟] قال ابن عباس وابن عمر وأبو العالية وأبو مالك وسرور ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي والزهري والحسن وقتادة : هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس [ولو شاء لجعله ساكناً] أي دائماً لا يزول كما قال تعالى [قل أرايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً] الايات

وقوله تعالى [ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً] أي لولا أن الشمس تطالع عليه لما عرف فان الضد لا يعرف الا بضده ، وقيل قتادة والسدي دليلاً تنلوه وتتبعه حتى تأتي عليه كله . وقوله تعالى [ثم قبضناه اليها قبضاً يسيراً] أي الظل وقبل الشمس يسيراً أي سهلاً قال ابن عباس سريعاً وقال مجاهد خفياً وقال السدي قبضاً خفياً حتى لا يبقى في الارض ظل إلا تحت ستف أو تحت شجرة وقد أظلمت الشمس ما فوقه ، وقال أبو ببن موسى في الابن [قبضاً يسيراً] قليلاً قليلاً ، وقوله [وهو الذي جعل لكم الليل لباساً] أي لباس الوجود ويفشاه كقول تعالى [والليل إذا يغشى] (والنوم سباتاً) أي قطعاً للحركة لراحة الابدان فان الاعضاء والجوارح تسكن من كثرة الحركة في الانتشار بانهار في العاش فاذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معاً [وجعل النهار نشوراً] أي ينتشر الناس فيه لما يشتمون ومكسبهم وأسبابهم كما قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) الاية

وهو الذي أرسل الريح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً (٤٨)

الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدوداً لانه ظل لاشمس معه كما قال في ظل الجنة (وظل ممدود) اذ لم يكن معه شمس ﴿ ولو شاء لجعله ساكناً ﴾ أي دائماً ثابتاً لا يزول ولا تذهب الشمس ، قال أبو عبيدة الظل مانسخته الشمس وهو بالفداة ، والفي مانسخ الشمس وهو بعد الزوال سمي فياً لانه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴾ يعني على الظل ، ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تعرف بأضدادها ﴿ ثم قبضناه ﴾ يعني الظل ﴿ اليها قبضاً يسيراً ﴾ بالشمس التي تأتي عليه والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه أن الظل يجمع جميع الارض قبل طلوع الشمس ، فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءاً بجزءاً (قبضاً يسيراً) أي خفياً ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً ﴾ أي سترتوا تستترون به يريد أن ظلمته تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لباسه ﴿ والنوم سباتاً ﴾ راحة لا بدانكم وقطاعاً لعملكم وأصل السبت القطع والنائم مسبوت لانه انقطع عمله وحركته ﴿ وجعل النهار نشوراً ﴾ أي يقظة وزماناً تنتشرون فيه لا ابتغاء الرزق وتنتشرون لا شغلكم ﴿ وهو الذي أرسل الريح بشراً بين يدي رحمته ﴾ يعني المطر ﴿ وأنزلنا من

انجي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنهارا وأناسي كثيرا (٤٩) واقدصر فله بينهم ليدكروا
فأبى أكثر الناس الا كفورا (٥٠)

وهذا أيضا من قدرته التامة وسائطه العظيمة وهو انه تعالى يرسل الرياح مبشرات اي بمجيء
السحاب بعدها ، والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما يحمله ومنها
ما يسوقه ومنها ما يكثر من يدي السحاب مبشرا ومنها ما يكون قبل ذلك تقم الارض ومنها ما يفتح
السحاب ليطر ولهذا قال تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) أي آلة يتطهر بها كالسحور والوجور
وما جرى مجراها ، فهذا أصح ما يقال في ذلك ، وأما من قال انه فعول بمعنى فاعل أو انه مبني للمبالغة
والتعدي فعلى كل منها إشكالات من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله أعلم
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي بإسناده إلى حميد الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبي العالبة في
يوم مطير وطرق البصرة فذرة فضلى فقلت له فقال (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) قال طهور ماء السماء
وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن المسيب في هذه الآية قال :
أنزله الله طهورا لا ينجسه شيء . وعن أبي سعيد قال قيل يا رسول الله أتتوضأ من بثر بضاعة وهي بثر
يلقى فيها التين ولحوم الكلاب ؟ فقال « ان الماء طهور لا ينجسه شيء » رواه الشافعي وأحمد وصححه
وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي

وروى ابن أبي حاتم بإسناده حدثنا أبي حدثنا أبو الأشعث حدثنا معتمر سمعت أبي يحدث عن
سيار عن خالد بن يزيد قال : كنا عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء فقال خالد بن يزيد : منه من
السماء ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيفقد به الرعد والبرق فأما ما كان من البحر فلا يكون منه نبات

السماء ماء طهورا) والطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم لما يتطهر به كالسحور اسم لما
يتسحر به ، والفطور اسم لما يفطر به والدليل عليه ما روينا أن النبي ﷺ قال في البحر « هو الطهور
ماؤه الحل ميتته » وأراد به المطهر قلما مطهر لأنه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة كما قال في آية
أخرى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) فثبت به أن التطهير يختص بالماء ، وذهب أصحاب
الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى يجوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل وماء الورد
والمرق ونحوها ، ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها ، وذهب بعضهم إلى أن الطهور
ما يتكرر منه التطهير كالصبور اسم لمن يتكرر منه الصبر ، والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر وهو قول
مالك حتى يجوز الوضوء بالماء الذي توضأ منه مرة ، وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه
هل تزول طهوريته أم لا ؟ نظر إن كان الواقع شيئا لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق
الأشجار لا تزول طهوريته فيجوز الطهارة به كما لو تغير لطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه مالا بخالطه

فأما النبات فما كان من السماء. وروي عن عكرمة قال ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشباً أو في البحر أولوة، وقال غيره: في البر، وفي البحر در

وقوله تعالى (لنحيي به بلدة ميتاً) أي أرضاً قد طال انتفاؤها للغيث فهي هامة لا نبات فيها ولا شيء. فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الأزهار والالوان كما قال تعالى [فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت] الآية [ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً] أي لا يشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة لشربهم وزروعهم وثمارهم كما قال تعالى [وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا] الآية وقال تعالى [فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يمجى الأرض بعد موتها] الآية وقوله تعالى [ولقد صرفناه بينهم ليدكروا] أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا السحاب ير على الأرض ويتمدها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى فيمطرها ويكفيها رطبها غدقاً والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة: قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ليس عام بأكثر مطراً من عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الآية [ولقد صرفناه

كالدهن يصب فينروح الماء برائحة يجوز الطهارة به لأن تغيره المجاورة لا لمخالطة، وإن كان شيئاً، يكن صون الماء منه وبخالطه كالخل والزعفران ونحوهما نزول طهوريته ولا يجوز الوضوء به، وإن لم يتغير أحد أوصافه ينظر إن كان الواقع فيه شيئاً طاهراً لا نزول طهوريته فتجوز الطهارة به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً، وإن كان الواقع فيه شيئاً نجساً ينظر فإن كان الماء قليلاً أقل من القلتين ينجس الماء، وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقلتان خمس قرب ووزنه خمسمائة رطل. والدليل عليه ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطومنى ثنا عبد الرحيم بن المنيب أنا جرير عن محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الماء يكون في العلاء من الأرض وما ينوبه من الدواب والسباع فقال « إذا كان الماء فلانين لم يحمل الخبث » وهذا قول الشافعى وأحمد واسحاق وجماعة من أهل الحديث أن الماء إذا بلغ هذا الحد فلا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وذهب جماعة إلى أن الماء القليل لا ينجس بوقوع النجاسة فيه مالم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهو قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري، واحتجوا بما أخبرنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفى أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم ثنا أبو الموجه بن محمد بن عمرو بن الموجه ثنا صدقة بن الفضل أنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن عبد الرحمن ثنا رافع بن خديج عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله أتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يلقى فيه الخبض ولحوم الكلاب والنتن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الماء طهور لا ينجسه شيء »

يذنبهم لذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا [أي لذكروا بأحياء الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الاموات والعظام الرفات . أو لذكر من منم المطر إنما أصابه ذلك بذنب أصابه فيعلم عما هو فيه . وقال عمر مولى عقبة : كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز فقال له النبي ﷺ « يا جبريل إني أحب أن أعلم أمر السحاب » قال فقال له جبريل يا نبي الله هذا ملك السحاب فسله فقال تأتينا صكك مخنمة : اسق بلاد كذا وكذا وكذا كذا قطرة . رواه ابن أبي حاتم وهو حديث مرسل

وقوله تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) قال عكرمة يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال لا صحابه يوما على أثر سماء أصابتهم من الليل « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب »

قوله عز وجل « لنحيي به » أي بالمطر « بلدة ميتة » ولم يقل ميتة لأنه رجع به إلى الموضع والمكان « ونسقيه مما خلفنا أنعاما » نسقي من ذلك الماء أنعاما « وأناسي كثيرا » أي بشرا كثيرا والآناسي جمع إنسي ، وقيل جمع انسان وأصله أناسين مثل بستان وبسانين فجعل اليا عوضا عن النون . قوله « ولقد صرفناه بينهم » يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد آخر . قال ابن عباس ما من عام بأمر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض وقرأ هذه الآية وهذا كما روي مرفوعا دامنا من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء « وذكر ابن اسحاق وابن جرير ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال « ليس من سنة بأمر من أخرى ولكن الله قسم هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم ، وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك إلى الفياضي والبحار » وقيل المراد من نصريف المطر نصريفه وإبلا وطلا ورذاذا ونحوها ، وقيل التصريف راجع إلى الريح « ليدذكروا » أي ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى « فأبى أكثر الناس إلا كفورا » جحودا وكفراهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك ابن أنس عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب »

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (٥١) فلا تطع الكافرين وجسدك به جهادا كبيرا

(٥٢) وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا

وحجرا محجورا (٥٣) وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا (٥٤)

يقول تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) يدعوهم إلى الله عز وجل ولا تكنوا خصصناك يا محمد بالبعثة إلى جميع أهل الأرض وأمرناك أن تبليهم هذا القرآن (لا نذكركم به ومن بلغ * ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده - لتنذر أم القرى ومن حولها - قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا) وفي الصحيحين «بعثت إلى الأحمر والأسود» وفيها «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» ولهذا قال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدكم به) يعني بالقرآن قاله ابن عباس (جهادا كبيرا) كما قال تعالى [يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين] الآية

وقوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) أي خلق المائتين الحلو والملح، فالحو كالنهار والعيون والآبار وهذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال، قاله ابن جريج واختاره ابن جرير. وهذا المعنى لا شك فيه فإنه ليس في الوجود بحرساكن وهو عذب فرات، والله سبحانه وتعالى إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليذكروه، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارا وعيونا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم

وقوله تعالى (وهذا ملح أجاج) أي ملح مرزعا لا يستطاع وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب: البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القزم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر وما شاكلها وشابهها من البحار الساكنة التي لا تجري، ولكن تتوج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء وشدة الرياح، ومنها ما فيه مدوجزر، ففي أول كل شهر

قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) رسولاً ينذرهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل نذارة جميعها لتستوجب بصبرك عليه ما أعدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداونتهم (وجاهدكم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) شديداً (وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر، وقيل أرسلهما في بحارهما وخلطهما كما يرسل الخيل في المرج وأصل المرج الخلط والارسال يقال مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرعى وخلطتها تذهب حيث تشاء (هذا عذب فرات) شديد العذوبة والفرات أعذب المياه (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة، وقيل أجاج أي مر (وجعل بينهما برزخا) أي حاجزا

(الجزء السادس)

(٢٤)

(تفسير ابن كثير والبغوي)

يحصل منها مد وفيض فاذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الاولى ، فاذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشر ثم تشرع في النقص ، فأجرى الله سبحانه وتعالى وهو ذو القدرة التامة العادة بذلك ، فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مائة لثلاث يحصل بسببها نبت الهواء فيفسد الوجود بذلك ، ولثلاث تجري الارض بما يموت فيها من الحيوان ، ولما كان ماؤها ملحا كان هواؤها صحيجا ومية هاطبية ولهذا قال رسول الله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر أنتوضأ به فقال « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » رواه الاثمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن باسناد جيد

وقوله تعالى (وجعل بينهما برزخا وحجرا) أى بين العذب والملح [برزخا] أى حاجزا وهو اليبس من الارض [وحجرا محجورا] أى مانعا من أن يصل أحدهما إلى الآخر كقوله [مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقال تعالى [أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون] وقوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشرا) الآية أى خلق الانسان من نطفة ضعيفة فسواء وعده وجعله كابل الخلقة ذكرا وأنثى كما يشاء (فجعله نسبا وصهرا) فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهرا ثم يصير له أصهار وأختان وقربات ، وكل ذلك من ماء مهين ولهذا قال تعالى [وكان ربك قديرا]

ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا (٥٥) وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا (٥٦) قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا (٥٧) وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا (٥٨) الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش

بقدرته لثلاث يختلط العذب والملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أى شترا ممنوعا فلا يبغيان فلا يفسد الملح العذب

قوله (وهو الذي خلق من الماء) من النطفة (بشرا فجعله نسبا وصهرا) أى جعله ذانسا وبذا صهر ، قيل النسب مالا يجل نكاحه ، والصهر ما يجل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر مالا يوجبها ، وقيل وهو الصحيح الذنب من القرابة ، والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح وقد ذكرنا أن الله تعالى حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا في قوله (حرمت عليكم أمهاتكم) (وكان ربك قديرا) ويعبدون من دون الله (يعني هؤلاء المشركين) (مالا ينفعهم) ان عبادوه

الرحمنُ فسئَلْ به خيرا (٥٩) واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا؟ وزادهم نقورا (٦٠)

يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الاصنام التي لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً بلا دليل قادم إلى ذلك ولا حجة أدنهم إليه بل يجرد الاراء ، والتشهي والاهواء ، فهم يوالونهم ويقاثلون في سبيلهم ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم ولهذا قال تعالى [وكان الكافر على ربه ظهيراً] أي عوناً في سبيل الشيطان على حزب الله وحزب الله هم الغالبون كما قال تعالى [واتخذوا من دون الله آلهة لهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون] أي آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصراً ، وهؤلاء الجاهلة للاصنام جند محضرون يقاثلون عنهم ، ويدبون عن حوزتهم ، ولكن العاقبة والنصرة لله ورسوله وللمؤمنين في الدنيا والاخرة . قال مجاهد [وكان الكافر على ربه ظهيراً] قال يظاهر الشيطان على معصية الله ويعينه . وقال سعيد بن جبير [وكان الكافر على ربه ظهيراً] يقول عوناً للشيطان على ربه بالعداوة والشرك ، وقال زيد بن أسلم [وكان الكافر على ربه ظهيراً] قال موالياً

ثم قال تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) أي بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين مبشراً بالجنة لمن أطاع الله ونذيراً بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله (قل ما أسألكم عليه من أجر) أي على هذا البلاغ وهذا الانذار من أجره أطلبها من أموالكم وإنما أفعَل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (إن شاء منكم أن يستقيم - إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) أي طريقاً ومسلماً ومنهجاً يقتدي فيها بما جئت به

ثم قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت) أي في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً الذي هو [الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم] الدائم الباقي السرمدي الابدی الحي القيوم رب كل شيء . وليكن اجعله ذخرك وملجأك ، وهو الذي يتوكل عليه

﴿ ولا يضرهم ﴾ ان تركوه ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ أي معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي ، وقال الزجاج أي يعاون الشيطان على معصية الله لان عبادتهم الاصنام معاونة للشيطان ، وقيل معناه (وكان الكافر على ربه ظهيراً) أي هيناً ذليلاً كما يقال للرجل جعلني بظهير أي جعلني هيناً ويقال ظهره به اذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت اليه

قوله ﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ أي منذراً ﴿ قل ما أسألكم عليه ﴾ أي على تبليغ الوحي ﴿ من أجر ﴾ فنقولوا إنما يطلب بمحمد أموالنا بما يدعوننا اليه فلا تتبعه ﴿ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴾ هذا من الاستثناء المنقطع . مجازة لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً بالانفاق من ماله في سبيله فعل ذلك والمعنى لا أسألكم لنفسي أجراً ولكن لأنهم من انفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل الى

ويفزع اليه فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى [بأيتها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس]

وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل قال قرأت على معقل يعني ابن عبيد الله عن عبد الله بن أبي حسين عن شهر بن حوشب قال : لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال « لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت » وهذا مرسل حسن . وقوله تعالى [وسبح بحمده] أي أقرن بين حمده وتسبيحه ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » أي اخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى [رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا] وقال تعالى [فاعبده وتوكل عليه] وقال تعالى [قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا]

وقوله تعالى [وكفى به بذنوب عباده خبيرا] أي بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة . وقوله تعالى (الذي خلق السموات والارض) الآية أي هو الحي الذي لا يموت وهو خالق كل شيء . وربه ومليكه الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع في ارتفاعها واتساعها والارضين السبع في سفوها وكثافتها (في ستة أيام ثم استوى على العرش) أي يدبر الامر ويقضي الحق وهو خير الفاضلين وقوله (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) أي استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه واقتد به ، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فاقاله فهو الحق وما أخبر به فهو الصدق ، وهو الامام المحكم الذي اذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم اليه فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان . قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء) الآية وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقال تعالى (ونمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي ولهذا قال تعالى (فاسأل به خبيرا)

قال مجاهد في قوله (فاسأل به خبيرا) قال ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك . وكذا قال ابن

جنته (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) أي صل له شكراً على نعمه ، وقيل قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عالما بصغيرها وكبيرها فيجازيهم بها

قوله (الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) أي بالرحمن ، قل الكلبي يقول فاسأل الخبير بذلك يعني بما ذكرنا من خلق السموات والارض والاستواء على العرش ، وقيل الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان مصدقا والمعنى أيها الانسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيري وقيل الباء بمعنى عن أي فاسأل عنه خبيرا وهو الله

جريح وقال شمر بن عطية في قوله [فاسأل به خبيراً] هذا القرآن خير به . ثم قال تعالى منكراً على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الاصنام والانداد [واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن] أي لا نعرف الرحمن وكان ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي ﷺ للكتاب « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم ولهذا أنزل الله تعالى [قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما مائدة فله الاسماء الحسنى] أي هو الله وهو الرحمن ، وقال في هذه الآية [واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن] أي لا نعرفه ولا نقر به [أنسجد لما تأمرنا] أي لجرد قولك [وزادهم نفوراً] فأما المؤمنون فانهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالالهية ويسجدون له وقد اتفق العلماء رحمهم الله على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عندها لقارئها ومستمعها كما هو مقرر في موضعه والله سبحانه وتعالى أعلم

تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً (٦١) وهو الذي

جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً (٦٢)

يقول تعالى ممجداً نفسه ومعظماً على جميل ما خلق في السماوات من البروج وهي الكواكب العظام في قول مجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح والحسن وقتادة ، وقيل هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد بن كعب وأبراهيم النخعي وسليمان بن مهران الأعمش وهو رواية عز وجل ، وقيل جبريل عليه السلام ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴾ ما نعرف الرحمن إلا رحمان الرحمة يعنون سيلة الكذاب كانوا يسمونه رحمان الرحمة ﴿ أنسجد لما تأمرنا ﴾ قرأ حمزة والكسائي (يأمرنا) بالياء أي لما يأمرنا محمد بالسجود له ، وقرأ الآخرون بالتاء أي لما تأمرنا أنت يا محمد ﴿ وزادهم ﴾ يعني زادهم قول القائل لهم (اسجدوا للرحمن) ﴿ نفوراً ﴾ عن الدين والايمن قوله عز وجل ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة النجوم هي النجوم الكبار سميت بروجاً لظهورها ، وقال عطية العوفي [بروجاً] أي قصوراً فيها الحرس كما قال [ولو كنتم في بروج مشيدة] وقال عطاء عن ابن عباس هي البروج الاثني عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت ، فالحمل والعقرب بيتا المربخ ، والثور والميزان بيتا الزهرة ، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد ، والسرطان بيت القمر ، والاسد بيت الشمس ، والقوس والحوت بيتا المشتري ، والجدي والدلو بيتا زحل ، وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية ، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية ، والجوزاء

عن أبي صالح أيضا والقول الأول أظهر اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى [ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح] الآية ولهذا قال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا) وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا وقرأ منبراً) أي مشرقاً مضئاً بنور آخر من غير نور الشمس كما قال تعالى (وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا)

وقال مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً) ثم قال تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً) أي يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفتران إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) الآية وقال بغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً الآية وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) الآية

وقوله تعالى (لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) أي جعلهما يتعاقبان توقيناً لعبادة عباده له عز وجل فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ، ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل ، وقد جاء في الحديث الصحيح أن الله عز وجل ييسر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو حمزة عن الحسن أن عمر بن الخطاب أطل صلاة الضحى فقبل له صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه فقال أنه بقي علي من وردي شيء فأحببت أن أنه أو قال أقضيه وتلا هذه الآية (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً) . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل أن يعمل أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحسن

والميزان والدلو مثله هوائية ، والسرطان والعقرب والحوت مثله مائية ﴿ وجعل فيها سراجاً ﴾ يعني الشمس كما قال [وجعل الشمس سراجاً] وقرأ حمزة والكسائي سرجاً بالجمع يعني النجوم ﴿ وقرأ منبراً ﴾ والقمر قد دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع غير أنه خصه بالذكر لانتوع فضيلة كما قال [فيهما فاكهة ونخل ورمان] خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة

قوله ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً ﴾ اختلفوا فيها ، قال ابن عباس والحسن وقتادة يعني خلفاً وعوضاً يقوم أحدهما مقام صاحبه ، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر . قال شقيق : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب قال : فانتني الصلاة الليلة ؟ فقال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر ، وقال مجاهد يعني جعل كل واحد منهما مخلفاً لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض ، وقال ابن زيد وغيره يعني يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان ﴿ لمن أراد أن يذكر ﴾ قرأ

وقال مجاهد وقتادة خلفه أي مختلفين أي هذا بسواده وهذا بضياؤه

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (٦٣) والذين يبيتون لربهم سجداً وقيماً (٦٤) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً (٦٥) إنها ساءت مستقراً ومقاماً (٦٦) والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً (٦٧)

هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون أي يسكنون ووقار من غير جبرية ولا استكبار كقوله تعالى ولا تمش في الأرض مرحاً الآية فأما هؤلاء فأنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كل مرضى تصنعاً ورياء فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صلبه وكانما الأرض تطوى له

وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع حتى روي عن عمر أنه رأى شاباً يمشي رويداً فقال ما باللك أنت مريض؟ قال لا يا أمير المؤمنين فـلا بالدة وأمره أن يمشي بقوة. وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله ﷺ إذا أتيت الصلاة فلا تأنوها وأنتم تهونوا وثوبها وعايكم السكينة فما أدر كنتم منها فصلوا وما فاتكم فأنموا

وقال عبد الله بن المبارك عن معمر بن عمار بن الخثار عن الحسن البصري في قوله (وعباد الرحمن) الآية قال: إن المؤمنين قوم ذل ذات منهم والله لا بصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض، وأنهم والله لا أصحاب ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس) ولا تعظم في نفوسهم شيء يطلبوا به الجنة، ولكن أبكاهم الخوف من النار، أنه من لم يتعز بهزاء الله تقطع نفسه

حمزة بتخفيف الذال والكاف وضما من الذكر، وقرأ الآخرون بتشديد هما أي يتذكر ويتعظ (أو أراد شكوراً) قال مجاهد أي شكر نعمة ربه عليه فيهما

قوله عز وجل (وعباد الرحمن) يعني أفاضل العباد وقيل هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله (الذين يمشون على الأرض هوناً) يعني بالسكينة والوقار متواضعين غير أشربين ولا مرحين ولا متكبرين، وقال الحسن علماء وحكماء، وقال محمد بن الحنفية أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وإن سفه عليهم حملوا. والهون في اللغة الرفق واللين (وإذا خاطبهم الجاهلون) يعني السفهاء بما يكرهون (قالوا سلاماً) قال مجاهد سداداً من القول وقال مقاتل بن حيان قولاً يسلمون فيه من الأثم وقال الحسن إن جهل عليهم جاهل حملوا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف

على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله نعمة الا في مطعم أو مشرب فقد قل علمه حضر وعذابه .

وقوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) أي إذا سغه عليهم الجاهل بالقول السيء لم يقابلهم عليه بمثل بل يعنون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا كما كان رسول الله ﷺ لا يزيد شدة الجاهل الا حلما وكما قال تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) الآية . وروى الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الاعمش عن أبي خالد الوالي عن النعمان بن مقرن المزني قال قال رسول الله ﷺ « سب رجل رجلا عنده فجعل المسبوب يقول : عليك السلام فقال رسول الله ﷺ « أما ان ملكا بينكما يذب عنك كلما شتمك هذا قال له بل أنت وأنت أحق به ، وإذا قلت له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به » اسناده حسن ولم يخرجوه

وقال مجاهد [قالوا سلاما] قالوا شادا ، وقال سعيد بن جبير ردوا معروفا من القول ، وقال الحسن البصري قالوا سلام عليكم ان جهل عليهم حلوا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ان ليهم خير ليل فقال تعالى (والذين يبيتون لرهبهم سجدا وقياما) أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبلا سحر هم يستغفرون) وقوله (تنجاني جنوبهم عن المضاجع) الآية وقال تعالى [أمن هو قانت آناء اقل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه] الآية ولهذا قال تعالى [والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما] أي ملازما دائما كما قال الشاعر :

ان يعذب يكن غراما وان يه ط جزىلا فانه لا يبالي

ولهذا قال الحسن في قوله [ان عذابها كان غراما] كل شيء يصيب ابن آدم ويزول عنه فليس بغرام وانما الغرام اللازم مادامت الارض والسموات وكذا قال ساجان التيمي . وقال محمد بن كعب (ان عذابها كان غراما) يعني ما نعموا في الدنيا ان الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها اليه فأغرمهم

وروي عن الحسن معناه سلموا عليهم دليله قوله عز وجل (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لانا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) قال الكلبي وأبو العالمة هذ قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال وروي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم قرأ (والذين يبيتون لرهبهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليهم

قوله تعالى (والذين يبيتون لرهبهم) يقال لمن أدرك الليل بات نام أو لم ينام يقال بات فلان قلقا والمعنى يبيتون لرهبهم بالليل في الصلاة (سجدا) على وجوههم (وقياما) على أقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما

أخبرنا عبد الواحد المليحي أن ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عثمان بن حكيم عن عبد

فأدخلهم النار [أنها ساءت مستقرا ومقاما] أي بشئ المنزل منظرا وبشئ المقييل مقاما . وقال ابن أبي حاتم عند قوله [أنها ساءت مستقرا ومقاما] حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال : إذا طرح الرجل في النار هوى فيها فإذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تنحف قال فيسقى كأسا من سم الاسود والعقارب قال فيتميز الجلد على حدة والشعر على حدة والعصب على حدة والعروق على حدة

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان في النار لجبابا فيها حيات أمثال البخت وعتارب أمثال البغال الدم فاذا قذف بهم في النار خرجت اليهم من أوطانها فأخذت بشغاهم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم إلى أقدامهم فاذا وجدت حر النار رجعت

وقال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سلام يعني ابن مسكين عن أبي ظلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن عبداً في جهنم لينادي الف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتني بعبدى هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره فيقول الله عز وجل ائتني به فانه في مكان كذا وكذا فيجىء به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول يا رب شر مكان وشر مقيل فيقول الله عز وجل ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت أرجو إذا خرجتني منها أن تردني فيها فيقول الله عز وجل دعوا عبدى » وقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم - فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلا على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدلا خياراً وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا (وكان بين ذلك قواما) كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك

الرحمن بن أبي عمرة عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله ﷺ « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله »

قوله عز وجل ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ﴾ يعني ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار . ومنه سمي الغريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه وملازمته اياه ، قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار ممن نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه فيقوا في النار . قال الحسن كل غريم يفارق غريمه الا جهنم . والغرام الشر اللازم وقيل غراما هلاكا ﴿ إنها ﴾ يعني جهنم ﴿ ساءت مستقرا ومقاما ﴾ يعني بشئ موضع قرار وإقامة ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ أهل المدينة وابن عامر بضم الياء وكسر التاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم التاء وكلها لغات صحيحة يقال أقتروا وقتر بالانشديد وقتر يقتروا واختلفوا في معنى الاسراف والافتقار فقال بعضهم الاسراف النفاق في معصية

ولا تبسطها كل البسط) الآية وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي نعيم الفسائي عن ضمرة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال «من فقه الرجل قصده في معيشته» ولم يخرجوه وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبد العزيز العبدي حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «ما عال من اقتصد» لم يخرجوه. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا ابراهيم بن محمد بن ميمون حدثنا سعد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال - يعني العباسي - عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ «ما أحسن القصد في الغنى وما أحسن القصد في الفقر وما أحسن القصد في العباداة» ثم قال لا نعرفه يروى إلا من حديث حذيفة رضي الله عنه، وقال الحسن البصري ليس في النفقة في سبيل الله سرف، وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف. وقال غيره السرف النفقة في معصية الله عز وجل

والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يتناولون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما (٦٨) يضعف له العذاب يوم القيمة ويخُد فيه مهمانا (٦٩) إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله

غفورا رحيما (٧٠) ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا (٧١)

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعشى عن شفيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال سئل رسول الله ﷺ أي الذنب أكبر؟ قال «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قال ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قال ثم أي؟ قال «أن تزاني حليلة جارك» قال عبد الله وأنزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الآية وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السري عن أبي معاوية به. وقد أخرجه

الله وإن قلت، والاقتار منع حق الله تعالى وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج، وقال الحسن في هذه الآية لم ينفقوا في معاصي الله ولم يسكوا عن فرائض الله، وقال قوم الاسراف مجاوزة الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير، والاقتار التقصير عما لا بد منه وهذا معنى قول ابراهيم لا ينجيهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقه يقول الناس قد أسرف (وكان بين ذلك قواما) قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيتين. وقال يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم والذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم، ومن الثياب ما يستر عورتهم وما يكتنهم من الحر والقر. قال عمر بن الخطاب كفى سرفا أن لا يشتهي الرجل شيئا الا اشتراه فأكله

قوله عز وجل (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) الآية. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي

البخاري ومسلم من حديث الاعمش ومنصور زاد البخاري وواصل ثلاثتهم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي مسرة عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود قاله أعلم، ولم يظهرها عن ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم الحديث طريق غريب

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي حدثنا عامر بن مدرك حدثنا السري يعني ابن إسماعيل حدثنا الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الأرض وقعدت أسفل منه ووجهي حيال ركبته واغتنمت خلوته وقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تدعو الله ندا وهو خلقك» قلت ثم مه قال: «أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك» قلت ثم مه قال: «أن تزاني حائلة جارك» ثم قرأ (والذين لا يدعون مع الله الآية) وقال النسائي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع «ألا أنا هي أربع» فما أنا بأشجع عليهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرفوا. وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن المديني رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعيد الأنصاري سمعت أبا طيبة السكلاعي سمعت المقداد بن الأسود رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ لأصحابه «ما تقولون في الزنا؟» قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ لأصحابه لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره — قال فما تقولون في السرقة؟ قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام قال «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره»

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ قال «ممن ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له» وقال ابن جرير أخبرني يعلى عن سعيد بن جبيرة أنه سمع ابن عباس يحدث أن

أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أنا ابن جرير أخبره قال: قال يعلى وهو يعلى بن مسلم أنا سعيد بن جبيرة أخبره عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا ان الذي تقول وتدعو إليه حسن لو نخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزل (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ونزل [قل يا عبادي الذين أمرتوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله]

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبد الله بن

ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثرُوا وزنوا فأكثرُوا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) الآية ونزلت (قل يا عبادي الذين أمرتكم على أنفسهم) الآية

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو عن أبي فاختة قال : قال رسول الله ﷺ لرجل « إن الله ينهك أن تعبد الخلق وتدع الخالق ، وينهك أن تقتل ولدك وتقتل كلبك ، وينهك أن تزني بحليلة جارك » قال سفيان وهو قوله ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر (الآية . وقوله تعالى (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً) روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال : أثام واد في جهنم . وقال عكرمة (يلق أثاماً) أودية في جهنم يعذب فيها الزناة . وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد ، وقال قتادة (يلق أثاماً) نكالا كنا نحدث أنه واد في جهنم

وقد ذكر لنا أن لقمان كان يقول : يا بني إياك والزنا فإن أوله مخافة وآخره ندامة ، وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره عن أبي امامة الباهلي موقوفاً ومرفوعاً أن غيا وأثاماً بثران في قعر جهنم أجارنا الله منهما بمنه وكرمه . وقال السدي يلق أثاماً جزاء وهذا أشبه بظاهر الآية وبهذا فسر به بما بعده مبدلاً منه وهو قوله تعالى (يضاعف له العذاب يوم القيامة) أي يكرر عليه ويغاط ويخلد فيه مهاناً أي حقيراً ذليلاً

وقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) أي جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر (إلا من تاب) أي في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك فإن الله يتوب عليه ، وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) الآية فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة فتحمل على من لم يتب لأن هذه مقيدة بالتوبة ثم قد قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به) الآية

وقد ثبتت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ بصحة توبة القاتل كما ذكر مقررأ من قصة الذي قتل

مسعود رضي الله عنه : قال رجل يارسول الله : أي ذنب أكبر عند الله ؟ قال « أن تدعو الله ندأ وهو خلقك » قال ثم أي ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قال ثم أي ؟ قال « أن تزاني حليلة جارك » فأزل الله تصديقها (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً)

قوله عز وجل (ومن يفعل ذلك) أي شيئاً من هذه الأفعال (يلق أثاماً) يوم القيامة . قال ابن عباس رضي الله عنهما إنما يريد جزاء الأثم ، وقال أبو عبيدة الأثم العقوبة ، وقال مجاهد الأثم واد في جهنم يروي ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويروي في الحديث « النفي والأثم بثران يسيل فيهما صديد أهل النار » (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) قرأ ابن عامر وأبو

مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته، وغير ذلك من الاحاديث . وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) في معنى قوله (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قولان أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم الى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات ، وروي عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد هذه الآية

بدلن بعد حره خريفاً وبعد طول النفس الوجيفا

يعني تغيرت تلك الاحوال الى غيرها ، وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيراً . وقال سعيد بن جبير أبدلهم الله بعبادة الاوثان عبادة الرحمن وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات ، وقال الحسن البصري أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك اخلاصاً ، وأبدلهم بالفجور احساناً ، وبالكفر اسلاماً ، وهذا قول أبي الهادية وقتادة وجماعة آخرون (والقول الثاني) أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك الا لأنه كما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وان وجدته مكتوباً عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم . فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اني لاعرف آخر أهل النار خروجاً من النار ، وآخر أهل الجنة دخولاً الى الجنة يؤتى برجل فيقول نحوا عنه كبار ذنوبه

بكر يضاعف ويخلد برفع الفاء والدال على الابتداء . وشدد ابن عمر بضعف ، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) قال قتادة الا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملاً صالحاً فيما بينه وبين ربه

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني أبو الحسين بن محمد بن عبد الله ثنا موسى بن محمد ثنا موسى بن هارون الحال ثنا ابراهيم بن محمد الشافعي ثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر عن علي بن يزيد عن يوسف بن محمد بن مهران عن ابن عباس قال : قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنتين (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) الآية ثم نزلت إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً (فما رأيت النبي ﷺ فرح بشي قط كفرحه بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيماً فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا . قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدي والضحاك يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم بالشرك إيماناً ،

وسلوه عن صفارها قال فيقال له عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا فيقال: فإن لك بكل سيئة حسنة فيقول يارب عملت أشياء لا أراها ههنا قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجره انفرد باخراجه مسلم

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هشيم بن يزيد حدثنا محمد بن اسماعيل حدثني أبي حدثني مضمم بن زرعة عن شرح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان أعطني صحيفة فيعطيه إياها فما وجد في صحيفته من حسنة محاسبها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات فإذا أراد أحدكم أن ينام فليكبّر ثلاثا وثلاثين تكبيرة ويحمد أربعاً وثلاثين تحميدة ويسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة فذلك مائة»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة وعارم قال حدثنا ثابت يعني ابن يزيد أبو زيد حدثنا عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال بعلى الرجل يوم القيامة صحيفته فيقرأ أعلاها فإذا سيئاته فإذا كاد يسوء ظنه نظر في أسفلها فإذا حسناته ثم ينظر في أعلاها فإذا هي قد بدلت حسنات، وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلمان بن موسى الزهري أبو داود حدثنا أبو العنسي عن أبيه عن أبي هريرة قال: ليأتين الله عز وجل بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات قيل من هم يا أبا هريرة قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زباد حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا أبو حمزة عن أبي الضيف- قلت وكان من أصحاب معاذ بن جبل- قال: يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف المنتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين قلت لم سموا أصحاب اليمين؟ قال لأنهم قد عملوا بالسيئات والحسنات فاعطوا كتبهم بأيمانهم فقرأوا سيئاتهم حرفا وحرفا وقالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فأين حسناتنا. فعند ذلك محاسب الله السيئات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا (هاؤم اقرأوا كتابيه) فهم أكثر أهل الجنة، وقال علي بن الحسين زين العابدين (يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال في الآخرة وقال مكحول يغفرها لهم فيجعلها حسنات رواها ابن أبي حاتم، وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب

وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا، وقال قوم يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول يدل عليه ما أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو عمار الحسين بن خريبت ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ «أني لأعلم آخر رجل يخرج من النار يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صفار ذنوبه ويغلب عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول رب إن لي ذنوبا ما أراها ههنا» قال أبو ذر لقد رأيت

مثله . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يحدث قال: جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال يا رسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطعها يمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لا يبق لهم فهل له من توبة؟ فقال النبي ﷺ «أأسلمت؟» قال أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فقال النبي ﷺ «فإن الله غفر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات» فقال يا رسول الله وغدراني وفجرائي؟ فقال «وغدرانك وفجراتك» فولى الرجل يكبر ويهمل

وروى الطبراني من حديث أبي المغيرة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة؟ فقال «أأسلمت؟» فقال نعم قال «فأفعل الخيرات وأترك السيئات فيجعلها إليك خيرات كلها» قال وغدراني وفجرائي؟ قال «نعم» فما زال يكبر حتى توارى . ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الراهوي عن بس الزيات عن أبي سلمة الحمصي عن يحيى بن جابر عن سلمة بن نفيل مرفوعاً

وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشماس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءتني امرأة فقالت هل لي من توبة أني زينت وولدت وقتلته ، فقلت لا ولا نعمت العين ولا كرامة . فقامت وهي تدعو بالحسرة ، ثم صليت مع النبي ﷺ الصبح فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها فقال رسول الله ﷺ «بشما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية؟» (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - إلا من تاب) الآية فقرأتها عليها فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً . هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي رجاله من لا يعرف ولا أعلم ، وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي بسنده بنحوه وعنده : فخرت تدعو بالحسرة وتقول بأحسن ما أخلق هذا الحسن للآثار ، وعنده أنه لما رجع من عند رسول الله ﷺ نطلبها في جميع دور المدينة فلم يجدها ، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له رسول الله ﷺ فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً وتوبة مما عملت ، وأعنت جارية كانت معها وابنتها وتابت إلى الله عز وجل

رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه . وقال بعضهم إن الله عز وجل يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة

قوله عز وجل «ومن تاب وعمل صالحاً» قال بعض أهل العلم هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا ، يعني من تاب من الشرك وعمل صالحاً أي أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن «فانه يتوب إلى الله» أي يعود إليه بعد الموت «مقابلاً» حسناً يفضل به على غيره ممن قتل وزنى ، فالتوبة الأولى وهو قوله (ومن تاب) رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله الجزاء

ثم قال تعالى مخبراً عن عموم رحمته بعباده وأنه من تاب منهم تاب عليه من أي ذنب كان جليلاً أو حقيراً كبيراً أو صغيراً فقال تعالى (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) أي فإن الله يقبل توبته كما قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية وقال تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الآية وقال تعالى (قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية أي لمن تاب إليه

والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً (٧٢) والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً (٧٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً (٧٤)

وهذه أيضاً من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور قبل هو الشرك وعبادة الاصنام وقيل النسق والكفر واللغو والباطل ، وقال محمد بن الحنفية هو اللغو والفناء ، وقال أبو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم هو أعياد المشركين . وقال عمرو بن قيس هي مجالس السوء والخنا . وقال مالك عن الزهري : شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر » وقيل المراد بقوله تعالى (لا يشهدون الزور) أي شهادة الزور وهي الكذب متعمداً على غيره كما في الصحيحين عن أبي بكره قال قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثاً قلنا بلى يا رسول الله قال — الشرك بالله وعقوق الوالدين — وكان متكئاً فجلس فقال — ألا وقول الزور والأشهاد الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . والأظهر من السياق أن المراد لا يشهدون الزور أي لا يحضرونه ولهذا قال تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) أي لا يحضرون الزور وإذا اتفق مروهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشي . ولهذا قال (مروا كراماً)

والمكافأة ، وقال بعضهم هذه الآية أيضاً في التوبة عن جميع السيئات ومعناه ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله ، وقوله (يتوب إلى الله) خبر بمعنى الأمر أي ليتب إلى الله ، وقبل معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله

قوله (والذين لا يشهدون الزور) قال الضحاك وأكثر المفسرين يعني الشرك ، وقال علي بن طلحة يعني شهادة الزور . وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه وبطوف به في السوق ، وقال ابن جريج يعني الكذب ، وقال مجاهد يعني أعياد المشركين وقيل النوح ، قال قتادة لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم ، وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون الله والفناء . قال ابن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو الحسن العجلي عن محمد بن مسلم أخبرني ابراهيم بن ميسرة ان ابن مسعود مر به ولم يقف فقال رسول الله ﷺ «لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما» وحدثنا الحسين بن محمد بن سلمة النحوي ثنا حبان أنا عبد الله أنا محمد بن مسلم أخبرني ميسرة قال بلغني أن ابن مسعود مر به ولم يقف فقال رسول الله ﷺ «لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما» ثم تلا ابراهيم بن ميسرة (واذا مروا باللقو مروا كراما)

وقوله تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وهذه أيضا من صفات المؤمنين (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) بخلاف الكافر فانه اذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله كما قال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فهم من يقول أينا هذا ايماننا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم) ف قوله (لم يخروا عليها صما وعميانا) أي بخلاف الكافر الذي اذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى، قال مجاهد قوله (لم يخروا عليها صما وعميانا) قال لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئا، وقال الحسن البصري رضي الله عنه: كم من رجل يقرأها ويخبر عليها أصم أعمى. وقال قتادة قوله تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) يقول لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه فهم والله قوم عقلوا عن الحق وانتفعوا بما سمعوا من كتابه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا عبد الله بن هيران ثنا ابن عون قال سألت الشعبي قلت: الرجل يرى القوم سجدوا ولم يسمع ما سجدوا أيسجد معهم؟ قال فتلا هذه الآية. يعني انه لا يسجد معهم لانه لم يتدبر أمر السجود، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون إمامة بل يكون على بصيرة من أمره ويقين واضح بين. وقوله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا نقرء آية) يعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلاهم من ذرياتهم من بطيعة وبعده وحده لا شريك له، قال ابن عباس يعنون من يعمل بطاعة الله فقر به أعينهم في الدنيا والآخرة، قال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جهالا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين

مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، وأصل الزور تحسين الشيء. ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يؤم أنه حق (واذا مروا باللقو مروا كراما) قال مقاتل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد. نظيره قوله [واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه] قال السدي وهي منسوخة بآية القتال، قال الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجلس اللهو والباطل [مروا كراما] مسرعين معرضين يقال تكرم فلان عما يشينه اذا تزه وأكرم نفسه عنه (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا) لم يقعوا ولم يسقطوا (عليها صما وعميانا) كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال القتيبي لم يتغافلوا

وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: إن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حبه طاعة الله، ولا والله لا شيء، أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً أو ولد أو أخاً أو حياً مطيعاً لله عز وجل. قال ابن جريج: في قوله (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني يسألون الله تعالى لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام.

وقال الإمام أحمد حدثنا معمر بن بشير حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً فمر به رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأيا رسول الله ﷺ لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب المقداد فجعلت أعجب لأنه ما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه فقال ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه لا يدري لو شهد كيف يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أبكهم الله على من أخرجهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه، أولئك يمدون الله إذ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء بغيركم؟ لقد بعث الله النبي ﷺ على أثر حال بعث عليها نبيا من الأنبياء في فترة جاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده إن كان الرجل يرى والده وولده وأخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تفر عينه وهو يعلم أن حبيبته في النار، وأنها التي قال الله تعالى (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه.

وقوله تعالى (واجعلنا للمتقين إماماً) قال ابن عباس والحسن والسدي وقناة والربيع بن أنس أئمة يقتدى بنا في الخير. وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة

عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها

قوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا) قرأ بغير ألف أبو عمر وحمزة والكسائي وأبو بكر، وقرأ الباقون بالألف على الجمع (قرة أعين) يعني أولاداً أبراراً أتقياء يقولون اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك. قال القرظي ليس شيء، أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل وقاله الحسن. ووجد القرة لأنها مصدر وأصلها من القر لان العرب تأذى من الحر وتستروح إلى البرد وتذكر قرة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن، ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار. وقال الأزهري معنى قرة العين أن يصادف قلبه من برضاه فتقر عينه به عند النظر إلى غيره (واجعلنا للمتقين إماماً) يعني أئمة يقتدون في الخير بنا ولم يقل أئمة كقوله تعالى [إننا رسول رب العالمين] وقيل أراد أئمة كقوله [فانهم عدوي] يعني أعداء. ويقال أميرنا هؤلاء أي أمراؤنا. وقيل لأنه مصدر كالصيام والقيام يقال أم إماماً كما يقال قام قياماً وصام صياماً. قال الحسن

بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هدام متعدياً إلى غيرهم بالنعم وذلك أكثر ثواباً ، وأحسن ما بآء ، ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية»

أولئك يُجْزَوْنَ العِرفَةَ بما صبروا ويلتقون فيها تحية وسلاماً (٧٥) خالدين فيها حسنت

مستقراً ومقاماً (٧٦) قل ما يعبؤا بكم ربِّي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً (٧٧)

لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة ، والأقوال والأفعال الجليلة ، قال بعد ذلك كله (أولئك) الطبقات أي المتصفون بهذه (يجزون) يوم القيامة (العِرفَةَ) وهي الجنة ، قاله أبو جعفر الباقر وسعيد بن جبير والضحاك والسدي سميت بذلك لارتفاعها (بما صبروا) أي على القيام بذلك (ويلقون فيها) أي في الجنة (تحية وسلاماً) أي يتندرون فيها بالتحية والاكرام ، ويلقون التوقير والاحترام ، فإهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

وقوله تعالى (خالدين فيها) أي مقيمين لا يظعنون ولا يحولون ولا يتوتون ولا يزولون عنها ولا يغيثون عنها حولا كما قال تعالى (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض)

تقندي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون . وقال ابن عباس جعلنا أئمة هداة كما قال [وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا] ولا نجعلنا أئمة ضلالة كما قال [وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار] وقيل هذا من المقلوب يعني واجعل المتقين لنا إماماً واجعلنا مؤمنين مقتدين بهم وهو قول مجاهد ﴿ أولئك يجزون ﴾ يعني يتناولون ﴿ العِرفَةَ ﴾ يعني الدرجة الرفيعة في الجنة والعرقة كل بناء مرتفع عال . وقال عطاء يريد غرف الدر والزبرجد في الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ على أمر الله تعالى وطاعته ، وقيل على أذى المشركين ، وقيل عن الشهوات ﴿ ويلقون فيها ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الياء وتخفيف القاف كما قال [فسوف يلقون غياً] وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال [ولقام نضرة ومسرورا] وقوله ﴿ تحية ﴾ أي ملكاً وقيل بقاء دائماً ﴿ وسلاماً ﴾ أي يسلم بعضهم على بعض ، وقال الكلبي يحجي بعضهم بعضاً بالسلام ويرسل الرب اليهم بالسلام ، وقيل سلاماً أي سلامة من الآفات ﴿ خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ﴾ أي موضع قرار وإقامة

قوله ﴿ قل ما يعبؤا بكم ربِّي ﴾ قال مجاهد وابن زيد أي ما يصنع وما يفعل بكم . قال أبو عبيدة يقال ما عبأت به شيئاً أي لم أعدّه فوجوده وعدمه سواء ، مجازه أي وزن وأي مقدار لكم عنده ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ إياه ، وقيل لولا إيمانكم ، وقيل لولا عبادتكم ، وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى الاسلام

الاية . وقوله تعالى (حسنت مستقراً ومقاماً) أي حسنت منظرأ وطابت مقبلاً ومنزلاً : ثم قال تعالى (قل ما يعبا بكم ربي) أي لا يبالي ولا يكثرث بكم اذا لم تعبدوه ، فانه انما خلق الحق ليعبدوه ويوحده ويُسبحوه بكرة وأصيلاً . قال مجاهد وعمر بن شعيب (ما يعبا بكم ربي) يقول ما يفعل بكم ربي ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله [قل ما يعبا بكم ربي] الآية يقول لولا إيمانكم وأخبر تعالى الكفار انه لا حاجة لهم اذ لم يخلفهم مؤمنين ولو كان لهم حاجة لحب اليهم الايمان كما حبيه الى المؤمنين وقوله تعالى [فقد كذبتم] أيها الكافرون [فسوف يكون لزاماً] أي فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم يعني مقتضياً لعذابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره بذلك عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري [فسوف يكون لزاماً] أي يوم القيامة ولا منافاة بينها ﴿ آخر تفسير سورة الفرقان والله الحمد والمنة ﴾

فاذا آمنتم ظهر لكم قدر ، وقال قوم معناها قل ما يعبا بخلفكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني انه خلقكم لعبادته كما قال (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وهذا قول ابن عباس ومجاهد ، وقال قوم (قل ما يعبا) ما يبالي بخلفكم ربي (ربي لولا دعاؤكم) معه آلهة أو ما يفعل بعذابكم لولا شرركم كما قال الله تعالى (ما يفعل بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) وقيل ما يعبا بعذابكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد كما قال (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله) وقال (فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون) وقيل (قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم) يقول ما خلقكم ولي اليكم حاجة الا أن تسألوني فأعطيك وتسئغفروني فأغفر لكم ﴿ فقد كذبتم ﴾ أيها الكافرون . يخاطب أهل مكة يعني ان الله دعاكم بالرسول إلى توحيد وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوه ﴿ فسوف يكون لزاماً ﴾ هذا تهديد لهم أي يكون تكذيبكم لزاماً . قال ابن عباس موتاً ، وقال أبو عبيدة هلاكاً ، وقال ابن جرير عذاباً دائماً وهلاكاً التأكيد لزاماً لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله . وقال ابن جرير عذاباً دائماً وهلاكاً مقبلاً يلحق بعضكم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد ومقاتل يعني انهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازماً لهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعشى عن مسروق قال : قال عبد الله خمس قد مضين : الدخان والقمر والروم والبطشة والزام ، وقيل الازام هو عذاب الآخرة

تفسير سورة الشعراء وهي مكية

(ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) لعلك أبخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣)
 إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خضعين (٤) وما يأتيهم من ذكر من
 الرحمن مُحدث إلا كانوا عنه معرضين (٥) فقد كذبوا فسأيتهم أنبؤا ما كانوا به يستهزئون (٦)
 أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (٧) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
 مؤمنين (٨) وإن ربك هو العزيز الرحيم (٩)

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البقرة .
 وقوله تعالى [تلك آيات الكتاب المبين] أي هذه آيات القرآن المبين أي البين الواضح الجلي الذي
 يفصل بين الحق والباطل والقي والرشاد . وقوله تعالى [لعلك أبخع] أي مهلك نفسك أي مما محرص
 ونحزن عليهم [أن لا يكونوا مؤمنين] وهذه تسليية من الله لرسوله ﷺ في عدم إيمان من لم يؤمن

﴿ سورة الشعراء مكية ﴾

الا أربع آيات من آخر السورة من قوله (والشعراء يتبعهم الغاؤون) مائتان وسبع وعشرون آيات
 وروينا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى
 عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر طسم وطس وحم ويس بكسر الطاء والياء والحاء، وقرأ
 أهل المدينة بين الفتح والكسر، وقرأ الآخرون بالفتح على التفخيم، وأظهر النون من السين عند الميم
 في طسم أبو جعفر وحمزة وأخفاها الآخرون، وروي عن عكرمة عن ابن عباس قال: طسم عجزت
 العلماء عن تفسيرها، وروي علي بن أبي طلحة الوالي عن ابن عباس أنه قسم وهو من أمماء الله تعالى
 وقال قتادة اسم من أمماء القرآن، وقال مجاهد اسم للسورة. قال محمد بن كعب القرظي أقسم الله
 بطوله وسنائه وملكه ﴿ تلك ﴾ أي هذه ﴿ آيات الكتاب المبين ﴾ لعلك أبخع ﴿ قاتل ﴾ نفسك ألا

به من الكفار كما قال تعالى [فلا تذهب نفسك عليهم حسرات] كقوله [فملك باخم نفسك على آثارهم] الآية . قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم (لملك باخم نفسك) أي قاتل نفسك . قال الشاعر

ألا أبهذا الباخع الحزن نفسه لشيء نحتته عن يديه المقادر

ثم قال تعالى (ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لو نشأ لا نزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً ولكن لا نفعل ذلك لأننا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري . وقال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً * أفأنت تكفر بالذين آمنوا وكتبنا في قرآنهم ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الآية فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجته البالغة على خلقه بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم

ثم قال تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) أي كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) وقال تعالى (ثم أرسلنا رسلاً تترى كلما جاء أمة رسلاً كذبوه) الآية ولهذا قال تعالى ههنا (فقد كذبوا فسأيتهم أبناء ما كانوا به يستهزئون) أي فقد كذبوا بما جاءهم من الحق فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب

يكونوا مؤمنين) أي إن لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم فأنزل الله هذه الآية ﴿ إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ قال قتادة لو شاء الله لا نزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله . وقال ابن جريج معناه لو شاء الله لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية . وقوله عز وجل (خاضعين) ولم يقل خاضعة وهي صفة الاعناق ففيه أقاويل أحدها أراد أصحاب الاعناق فخذف الاصلاب وأقام الاعناق مقامهم لان الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون جعل الفعل أولاً للاعناق ثم جعل خاضعين للرجال . وقال الاخفش رد الخضوع على المضمر الذي أضاف الاعناق اليه ، وقال قوم ذكر الصفة لجوارتها المذكر وهو قوله « هم » على عادة العرب في تذكير المؤنث اذا أضافوه إلى مذكر وتأنث المذكر اذا أضافوه إلى مؤنث ، وقيل أراد فظلو خاضعين فعبر بالعنق عن جميع البدن كقوله (ذلك بما قدمت يداك * وألزمناه طائره في عنقه) وقال مجاهد أراد بالاعناق الرؤساء والكبراء أي فظلت كبارهم خاضعين ، وقيل أراد بالاعناق الجماعات يقال جاء القوم عنقاً عنقاً أي جماعات وطوائف وقيل انما قال خاضعين على وفاق رؤس الآي ليكون على نسق واحد

قوله ﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾ وعظ وتذكير ﴿ من الرحمن محدث ﴾ أي محدث انزاله فهو محدث في التنزيل . قال السكبي كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الاول ﴿ إلا كانوا عنه

ينقلبون) ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه وجلالة قدره وشأنه الذين اجترأوا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذي خلق الارض وانبأت فيها من كل زوج كريم من زروع وعمار وحيوان . قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي : الناس من نبات الارض فن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لثيم (إن في ذلك لآية) أي دلالة على قدرة الخالق للاشياء الذي بسط الارض ورفع بناء السماء ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه . وقوله (وإن ربك هو العزيز) أي الذي عز كل شيء وقهره وغلبه (الرحيم) أي بخلقه فلا يعجل على من عصاه بل يؤجله وينظره ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر
قال ابو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن إسحاق العزيز في نعمته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره ، وقال سعيد بن جبير الرحيم بمن تاب اليه وأناب

واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون (١١)
قال رب اني أخاف أن يكذبون (١٢) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل الى هرون (١٣) ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلوا (١٤) قال كلا فاذهب بآيتنا انامعكم مستمعون (١٥)
فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (١٦) أن أرسل معنا بني إسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين (٢٠) فقررت منكم لما خفتكم فوهد لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين (٢١) وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل (٢٢)

معرضين ﴿ أي عن الايمان به ﴾ فقد كذبوا فسيأتهم ﴿ أي فسوف يأتيهم ﴾ أنباء ﴿ أخبار وعواقب ﴾ ما كانوا به يستهزئون * أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج ﴿ صنف وضرب ﴾ كريم ﴿ حسن من النبات مما يأكل الناس والانعام يقال نخلة كريمة اذا كثر لبنها . قال الشعبي الناس من نبات الارض فن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لثيم ﴾ (إن في ذلك) الذي ذكرت ﴿ الآية ﴾ دلالة على وجودي وتوحيدي وكمال قدرتي ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ مصدقين أي سبق علي فيهم ان أكثرهم لا يؤمنون . وقال سيئويه كان ههنا صلة مجازه وما أكثرهم مؤمنين ﴿ وإن ربك هو العزيز ﴾ العزيز بالنعمة من أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ ذو الرحمة بأوليائه

قوله عز وجل ﴿ وإذ نادى ربك موسى ﴾ واذا ذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة

يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الايمن ، وكلمه وناجاه ، وأرسله واصطفاه ، وأمره بالذهاب إلى فرعون وملئه ، ولهذا قال تعالى (أن انت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون * قال رب اني أخاف أن يكذبون * وبضيق صدري ولا ينطق لساني فأرسل إلى هارون * ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) هذه أعمار سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) — إلى قوله — قد أوتيت سؤالك يا موسى (وقوله تعالى (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) أي بسبب قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر

[قال كلا] أي قال الله له لا تخف من شيء من ذلك كقولك (سنشد عضدك باخيك ونجعل لكنا سلطانا - أي برهاننا - فلا يصلون اليكنا بآياتنا أنما ومن اتبعك الغالبون) (فاذهباً بآياتنا إنا معكم مستمعون) كقولك (انني معكم أسمع وأرى) أي انني معكم بحفظي وكلائي ونصري وتأيدي (فائتيا فرعون

والنار) (أن انت القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني اسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون ألا يتقون) ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته (قال) يعني موسى (رب اني أخاف أن يكذبون وبضيق صدري) بتكذيبهم إياي (ولا ينطق لساني) قال هذا للقدرة التي كانت على لسانه . قرأ يعقوب وبضيق ولا ينطق بنصب القافين على معنى وأن يضيق ، وقرأ العامة برفعهما رداً على قوله (اني أخاف) (فأرسل إلى هارون) ليوازي ويظاهري على تبليغ الرسالة (ولهم علي ذنب) أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي يقتلوني به (قال) الله تعالى (كلا) أي لن يقتلك (فاذهباً بآياتنا إنا معكم مستمعون) سامعون ما يقولون ذكر معكم بلفظ الجمع وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة ، وقيل أراد معكم ومع بني اسرائيل نسمة ما يجيبكم فرعون (فائتيا فرعون فقولاً انا رسول رب العالمين) ولم يقل رسولاً رب العالمين لانه أراد الرسالة أي انا ذو رسالة رب العالمين كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول أي بالرسالة . وقال أبو عبيدة يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولي ووكلي وهذان وهؤلاء رسولي ووكلي كما قال الله تعالى (وهم لكم عدو) وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل) أي بأن أرسل (معنا بني اسرائيل) أي إلى فلسطين ولا تستعبدكم وكان فرعون استعبدكم أربعائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفاً فانطلق موسى إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك . وفي القصة أن موسى رجع إلى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصا والمكتل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون بأن الله أرسلني إلى فرعون وأرسلني اليك حتى ندعو فرعون إلى الله فخرجت أمهما وصاحت وقالت إن

فقولاً انا رسول رب العالمين (كقوله في الآية الاخرى (انا رسول ربك) أي كل منا أرسل اليك (أن أرسل معنا بني إسرائيل) أي أطلقهم من أسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك فانهم عباد الله المؤمنون وحزبه المحلصون وهم معك في العذاب المهين فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هناك بالكلية ونظر اليه بعين الازدراء والغمص فقال (ألم تربك فينا وليداً) الآية أي أما أنت ذلك الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الاحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلاً وجعلت نعمتنا عليك ولهذا قال (وأنت من الكافرين) أي الجاحدين . قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير (قل فعلتها إذا) أي في تلك الحال (وأنا من الضالين) أي قبل أن يوحى إلي وينعم الله علي بالرسالة والنبوة

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقنادة والضحاك وغيرهم (وأنا من الضالين) أي الجاهلين قال ابن جريج وهو كذلك في قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (ففررت منكم لما خفتكم) الآية فرعون يطلبك ليمتلكك فلو ذهبنا اليه قتلنا . فلم يمتنع لقولها وذهبنا إلى باب فرعون ليلاً ودقا الباب ففرع البوابون وقالوا من بالباب ؟ وروي انه اطعم البواب عليهما فقال من أنتم ؟ فقال موسى (انا رسول رب العالمين) فذهب البوابون إلى فرعون وقال إن مجنوناً بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فقل حتى أصبح ثم دعاهما ، وروي أنهما انطلقا جميعاً إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه ، فدخل البواب وقال لفرعون ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين ، فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخل عليه وأدى رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته (فقال ألم تربك فينا وليداً) صبياً (ولبثت فينا من عمرك سنين) وهو ثلاثون سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي (وأنت من الكافرين) قال الحسن والسدي يعني وأنت من الكافرين بالهالك الذي تدعيه ومعناه على ديننا هذا الذي تعبيه . وقال أكثر المفسرين معنى قوله (وأنت من الكافرين) يعني من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي . يقول ربنا فينا فكأننا ان قتلت منا نفساً وكفرت بنعمتنا وهذا رواية العوفي عن ابن عباس ، وقال ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية (قال) موسى (فعلتها إذا) أي فعلت ما فعلت حينئذ (وأنا من الضالين) أي من الجاهلين لم يأتي من الله شيء وقيل من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله ، وقيل من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد ، وقيل من المخطئين (ففررت منكم لما خفتكم) إلى مدين (فوهب لي ربي النبوة) يعني النبوة وقال مقاتل يعني العلم والفهم (وجعلني من المرسلين) وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل (اختلافوا في تأويلها فحملها بعضهم على الاقرار وبعضهم على الانكار فن قال هو اقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث ربه ولم يقتله كما قتل سائر غلمان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل مجازاه بل وتلك نعمة لك علي أن عبدت بني اسرائيل وتركنتي فلم تستعبدني ، ومن قال هو انكار

أي انفصل الحال الاول وجاء أمر آخر فقد أرسلني الله اليك فان أطعته سلمت وان خالفته عذبت ثم قال موسى (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) أي وما أحسنت إلي وريبتني مقابل ما أسأت إلي بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخدماء نصر فهم في أعمالك ومشاق رعيته أفيدي إحسانك إلي رجل واحد منهم بما أسأت إلي مجموعهم أي ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلي ما فعلت بهم

قال فرعون وما رب العلمين ؟ (٢٣) قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم

موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون ؟ (٢٥) قال ربكم ورب آبائكم الاولين (٢٦)

قال ان رسواكم الذي أرسل اليكم لجنون (٢٧) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما

إن كنتم تعلمون (٢٨)

يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتورده وطفيلانه وجوده في قوله (وما رب العالمين) وذلك أنه كان يقول لقومه (ما علمت لكم من إله غيري) فاستخف قومه فأطاعوه (وكانوا يمجّدون الصانع جل وعلا ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون ، فلما قال لموسى أي رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى قال فمن ربكم يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل

قال قوله (وتلك نعمة) هو على طريق الاستفهام أي وتلك نعمة حذف ألف الاستفهام كقوله (أفهم الخالدون) قال الشاعر

روح من الحي أم تبتكر وماذا يضرك لو تنتظر

أي أروح من الحي . قال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

لم أنس يوم الرحيل وقفها وطرفها في دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة تركني هكذا وتنطلق

أي أتركني يقول : تمن علي أن ربيتي ونسبي جناتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة . أو يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه ذل فتعبدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي . وقيل معناه تمن علي بالتربية ، وقوله (أن عبدت بني إسرائيل) أي باستعبادك بني إسرائيل وقتلك أولادهم دفعت اليك حتى ربيتي وكفلتني ولولم تستعبدني وقتلهم كان لي من أهلي من بريتي ولم يلقوني في اليوم فأني نعمة لك علي ، قوله عبدت أي اتخذتهم عبيداً يقال عبدت فلاناً وأعبدته وتعبدته واستعبدته أي اتخذته عبداً (قال فرعون وما رب العالمين) يقول أي شيء رب العالمين الذي زعم أنك رسوله

كان جاحداً له بالكيفية فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين (قال رب السموات والارض وما بينهما) أي خالق جميع ذلك وما لسه والمتصرف فيه وإله لا شريك له هو الله الذي خلق الاشياء كلها العالم العلوي وما فيه من السكواكب الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفلي وما فيه من البحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير ، وما يحتوي عليه الجو الجميع عبيد له خاضعون ذليلون (ان كنتم موقنين) أي ان كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة فعند ذلك التفت فرعون الى من حوله من ملته ورؤساء دولته قائلاً لهم على سبيل التهم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله (ألا نستمعون) أي ألا نسمع من هذا في زعمه أن لكم الها غيري فقال لهم موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) أي خالقكم وخالق آبائكم الاولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه (قال) أي فرعون لقومه (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون) أي ليس له عقل في دعواه ان ثم رباً غيري (قال) أي موسى لأولئك الذين أوعز اليهم فرعون ما أوعز من الشبهة فأجاب موسى بقوله (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعلمون) أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً وتطلع منه السكواكب . والمغرب مغرباً تغرب فيه السكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها فان كان هذا الذي يزعم أنه ربكم واليهكم صادقاً فليعكس الامر وليجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً كما قال تعالى عن الذي (حاج ابراهيم في ربه أن آناه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتت بها من المغرب) الآية . ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل الى استعمال جاهه وقوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه

الي . يستوصفه الله الذي أرسله اليه بما وهو سؤال عن جنس الشيء . والله منزّه عن الجنسية فأجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التي يعجز الخلق عن الاتيان بمثلها ﴿ قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ﴾ انه خالقها قال أهل المعاني أي كما توقعون هذه الاشياء التي تعابونها فاقنعوا أن اله الخلق هو الله عز وجل فلما قال موسى ذلك نحير فرعون في جواب موسى ﴿ قال لمن حوله ﴾ من أشراف قومه : قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة قال لهم فرعون استبعاداً لقول موسى : ﴿ ألا نسمعون ﴾ وذلك انهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم ملوكهم فزادهم موسى في البيان ﴿ فقال ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾

﴿ قال ﴾ يعني فرعون ﴿ ان رسولكم الذي أرسل اليكم لجنون ﴾ يتكلم بكلام لا نفع له ولا نعرف صيحته وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعقل فزاد موسى في البيان ﴿ فقال رب المشرق

قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أولو جنتك بشيء مبین ؟ (٣٠) قال فأت به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین (٣٢) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (٣٣) قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم (٣٤) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمروا (٣٥) قالوا أرجه وأخادوا بعث في المدائن حاشرين (٣٦) يأتوك بكل ساحر عليم (٣٧)

لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل عدل الى أن يقهر موسى بيده وسلطانه فظن انه ليس وراء هذا المقام مقال فقال (لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) فعند ذلك قال موسى (أولو جنتك بشيء مبین ؟) أي يبرهان قاطع واضح (قال فأت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین) أي ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج (ونزع يده) أي من جيبه (فإذا هي بيضاء للناظرين) أي تتلألأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته الى التكذيب والعناد فقال للملأ حوله (إن هذا لساحر عليم) أي فاضل بارع في السحر فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة ، ثم هيجهم وحرضهم على مخالفتهم والكفر بما فقال (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) الآية أي أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويفلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشيروا علي فيه ماذا أصنع به ؟ (قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل ساحر عليم) أي أخره وأخاه حتى يجمع له من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل ساحر عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء

والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) (فقال) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب تكبرا عن الحق (لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) من المحبوسين قال الكلبي كان سجنه أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه شيئا من عمقه يهوي في الأرض (قال) له موسى حين توعده بالسجن (أولو جنتك) أي وإن جنتك (بشيء مبین) بآية مينة ومعنى الآية : أتفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان (قال) له فرعون (فأت به) فانا لن نسجنك حينئذ (إن كنت من الصادقين) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین (فقال وهل غيرها) ونزع موسى يده فإذا هي بيضاء للناظرين (قال) فرعون (للملأ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمروا * قالوا أرجه وأخاه

به فتغلبه أنت وتكون لك النصر والتأييد، فأجابهم إلى ذلك، وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ليجتمع الناس في صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جبهة

فجمع السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨) وقيل للناس هل أنتم مجتمعون؟ (٣٩) لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين (٤٠) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإن نسكم إذا لمن المقربين (٤٢) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم مملكون (٤٣) فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (٤٤) فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقى السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧) رب موسى وهرون (٤٨)

ذكر الله تعالى هذه المناظرة الفعلية بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الاعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة. وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وهذا شأن الكفر والايان مانواجها وتقابلا إلا غلبه الايمان (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون - وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية ولهذا لما جاء السحرة وقد جمعهم من أقاليم بلاد مصر وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخيلاً في ذلك، وكان السحرة جمعاً كثيراً، وجمعاً غفيراً، قيل كانوا اثني عشر الفا وقيل خمسة عشر الفا، وقيل سبعة عشر الفا، وقيل تسعة عشر الفا، وقيل بضعة وثلاثين الفا، وقيل ثمانين الفا، وقيل غير ذلك والله أعلم بعدتهم

قال ابن إسحاق: وكان أمرهم راجعاً إلى أربعة منهم وهم رؤساؤهم وهم: سابور وعاذور وحطاط ويصمى. وحشر الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم (فلما جاء السحرة) أي إلى مجلس فرعون وقد ضربوا له وطاقاً وجمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الاحسان اليهم والتقرب اليه إن غلبوا أي هذا الذي جمعنا من أجله فقالوا (أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال نعم وإنكم

وابعث في المداخن حاشريين * يأتوك بكل سحار عليهم * فجمع السحرة لميقات يوم معلوم * وهو يوم الزينة: وروي عن ابن عباس قال وافق ذلك اليوم يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز * وقيل للناس هل أنتم مجتمعون * لنتظروا إلى ما يفعل الفريقان ولما تكون الغلبة * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين * لموسى وقيل إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وأرادوا بالسحرة

إذا لمن المربين) أي وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقرين عندي وجلسائي . فعادوا إلى مقام المناظرة (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى * قال بل ألقوا) وقد اختصر هذا هنا فقال لهم موسى (ألقوا ما أنتم ملقون فآلقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا كما تقول الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئاً هذا بثواب فلان

وقد ذكر الله تعالى في سورة الاعراف أنهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . وقال في سورة طه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى - إلى قوله - ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال هنا (فألقى موسى عصاه فأذاهي تلقف ما يافكون) أي تختطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئاً ، قال الله تعالى (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون - إلى قوله - رب موسى وهارون) فكان هذا أمراً عظيماً جداً وبرهاناً قاطعاً للعذر وحجة دامغة ، وذلك ان الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يقبلوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الزاهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة ، فغلب فرعون غلباً لم يشاهد العالم مثله وكان وقحا جريئاً عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فعبدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يتهدهم ويتوعدهم ويقول (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وقال (ان هذا لكم مكرتموه في المدينة) الآية

قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون ، لا قطعن

أيديكم وأرجلكم من خلف ولا صلبنكم أجمعين (٤٩) قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون (٥٠)

انا نطمع أن يغفر لنا خطيئنا أن كنا أول المؤمنين (٥١)

تهدهم فلم ينفع ذلك فيهم وتوعدهم فما زادهم الا إيماناً وتسليماً ، وذلك انه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق يعلمهم ما جهل قلوبهم من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر الا أن يكون الله قد أبدعه وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ، ولهذا لما قال لهم فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟) أي كان ينبغي أن تستأذني في ما فعلتم ولا تفتاتوا علي في ذلك فان أذنت لكم فعلتم وان منعكم امتنعتم فاني أنا الحاكم المطاع [انه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهذه مكابرة

موسى وهارون وقومهما (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئمن لنا لا جراً ان كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم لمن المقرين * قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فآلقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون * فألقى موسى عصاه فأذاهي تلقف ما يافكون * فألقى السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون *

يعلم كل أحد بطلانها فانهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي افادهم صناعة السحر ؟ هذا لا يقوله عاقل . ثم توعدهم فرعون بقطع الايدي والأرجل والصلب فقالوا [لا ضير] أى لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به [انا الى ربنا متقلبون] أى المرجع الى الله عز وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزي بنا على ذلك أتم الجزاء ولهذا قالوا [انا نطمع أن يغفر لنا خطايانا] أى ما قارفنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر [ان كنا أول المؤمنين] أى بسبب انا بادرنا قومنا من القبط الى الايمان . فقتلهم كلهم

وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون (٥٢) فأرسل فرعون في المدائن

حاشرين (٥٣) ان هؤلاء لشر ذمة قليلون (٥٤) وانهم لنا لغائظون (٥٥) وانا لجميع

حاذرون (٥٦) فأخر جنسهم من جنت وعيون (٥٧) وكنوز ومقام كريم (٥٨) كذلك

وأورثناها بني اسرائيل (٥٩)

لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكبرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني اسرائيل ليلا من مصر وأن يعضي بهم حيث يؤمر بفعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل . خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون حلياً كثيراً ، وكان خروجه بهم فيما ذكره غير

لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صابنكم أجمعين * قالوا لا ضير * لا ضرر * انا الى ربنا متقلبون * انا نطمع أن يغفر لنا خطايانا أن كنا * لأن كنا * أول المؤمنين * من أهل زماننا * وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون * يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر وروي عن ابن جريج قال أوحى الله تعالى الى موسى أن : اجمع بني اسرائيل كل أهل أربعة آيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سأمر الملائكة فلا يدخلوا بيتا على بابيه دم وسأمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبزوا خبزاً فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنهي الى البحر فيأتيك أمري . ففعل ذلك فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا ، فأرسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في الكرسي العظيم * فأرسل فرعون في المدائن حاشرين * يحشرون الناس يعني الشرط . ليجمعوا السحرة وقيل حتى يجمعوا له الجيش ، وذكر بعضهم أنه كان له ألف مدينة واثناعشر ألف قرية وقال لهم * ان هؤلاء لشر ذمة * عصابة * قليلون * والشر ذمة القطعة من الناس غير الكثير وجمعها شراذم قال أهل

واحد من المفسرين وقت طلوع القمر ، وذكر مجاهد رحمه الله أنه كشف القمر تلك الليلة فأنه أعلم وأن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه . فاحتمل تابوته معهم ويقال أنه هو الذي حمّله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحتملوه معهم

وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله فقال : حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي اسحق عن أبي بردة عن أبي موسى قال : نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ « تعاهدنا » فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله ﷺ « ما حاجتك ؟ » قال ناقة برحله وأعز يحتلبها أهلي ، فقال « أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟ » فقال له أصبحناه وما عجوز بني إسرائيل يارسول الله ؟ قال « ان موسى عليه السلام لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق فقال لبني إسرائيل ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل نحن نحدثك إن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقاً من الله أن لا يخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسى فأياكم يدري أين قبر يوسف ؟ قالوا ما بعلمه إلا عجوز من بني إسرائيل فأرسل إليها فقال لها دليني على قبر يوسف ، فقالت والله لا أفعل حتى تعطيني حكماً ، فقال لها وما حكمك ؟ قالت حكى أن أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له أعطها حكمها ، قال فانطلقت معهم إلى بحيرة مستنقع ماء فقالت لهم انضبوا هذا الماء فلما أنضبوه قالت احفروا ، فلما حفروا استخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار وهذا حديث غريب جداً والأقرب أنه موقوف والله أعلم

التفسير كانت الشرذمة الذين قتلهم فرعون سبعمائة ألف وعن ابن مسعود قال كانوا سبعمائة وسبعين ألفاً ولا يحصى عدد أصحاب فرعون ﴿ وإني لآتاهم لثأراً ﴾ يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبه والغضب والغضب واحد يقول أغضبونا بمخالفتهم ديننا وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا ﴿ وإنا لجميع حاذرون ﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة حذرون وفرهين بغير ألف ، وقرأ الآخرون حاذرون وفارهين بالألف فيهما وهما لغتان ، وقال أهل التفسير حاذرون أي مؤدون ومقرون أي ذوا أداة وقوة مستعدون شاكرون في السلاح ومعنى حذرون أي خائفون شرم ، وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المستيقظ وقال الفراء الحاذر الذي يحذر الآن والحذر الخوف وكذلك لا تلقاه إلا حذراً والحذر اجتناب الشيء خوفاً منه ﴿ فأخرجناهم من جنات ﴾ وفي القصة أن البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل ﴿ وعيون ﴾ أنهار جارئة ﴿ وكنوز ﴾ يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهراً ، قيل كان لفرعون ثمانية آلاف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل

فلما أصبحوا وليس في ناديبهم داع ولا محبيب غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني اسرائيل لما يريد الله به من الدمار ، فأرسل سريعا في بلاده حاشرين أي من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم [ان هؤلاء] يعني بني اسرائيل [لشدة قلة قلوبهم] أي لطائفة قليلة [وانهم انما لغافلون] أي كل وقت يصل منهم اليما يغيظنا [وانا لجمع حاذرون] أي نحن كل وقت نحذر من غائلتهم . وقرأ طائفة من السلف [وانا لجمع حذرون] أي مستعدون بالسلاح ، واتي أريد أن أستأصل شأفتهم وأبهد خضراءهم فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم ، قال الله تعالى [فأخرجناهم من جنات وعيونهم كنوز ومقام كريم] أي فخرجوا من هذا النعيم الى الجحيم وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والانهار والاموال والارزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا (كذلك وأورثناها بني اسرائيل) كما قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها) الآية وقال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) الآية

فأتبعوهم مشرقين (٦٠) فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون (٦١) قال كلا ان معي ربي سيهدين (٦٢) فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (٦٥) ثم أغرقنا الآخرين (٦٦) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٦٧) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٦٨)

ذكر غير واحد من المفسرين ان فرعون خرج في محفل عظيم وجمع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه أولي الحل والعقد والدول من الامراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ، قاما ذكره غير واحد من الاسرائيليات من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على خيل دم ففيه نظر

فوس طوق من ذهب (ومقام كريم) أي مجلس حسن قال المفسرون أراد مجالس الامراء والرؤساء التي كانت تحفها الاتباع وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المنابر وذكر بعضهم أنه كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم الاقبة من الديباج مخصوصة بالذهب (كذلك) كما وصفنا (وأورثناها) بهلاكهم (بني اسرائيل) وذلك أن الله تعالى رد بني اسرائيل الى مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والمساكن (فأتبعوهم مشرقين) يعني لحقوهم في وقت اشراق الشمس وهو اضاءتها أي أدرك (تفسير ابن كثير والبغوي) (٢٨) (الجزء السادس)

وقال كعب الاحبار فيهم ثمانمائة الف حصان آدم وفي ذلك نظر ، والظاهر أن ذلك من مجازات بني اسرائيل والله سبحانه وتعالى أعلم ، والذي أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عندهم اذ لا فائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم (فأتبعوهم مشرقين) أي وصلوا اليهم عند شروق الشمس وهو طلوعها (فلما تراءى الجمعان) أي رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده فلماذا قالوا (إنا لمدركون) قال كلا إن معي ربي سيهدين) أي لا يصل اليكم شيء مما تخذرون فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد ، وكان هارون عليه السلام في المقدمة ومعه يوشع بن نون و مؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام في الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام يا نبي الله ههنا أمرك ربك أن تسير فيقول نعم فاقترب فرعون وجنوده ولم يبق الا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضربه وقال انفلق باذن الله. وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء ، والكائن بكل شيء اجعل لنا مخرجاً فأوحى الله إليه (أن اضرب بعصاك البحر) وقال قتادة أوحى الله تلك الليلة إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فاسمع له وأطع فبات البحر تلك الليلة وله اضطراب ولا يدري من أي جانب يضربه موسى فلما انتهى إليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون يا نبي الله أين أمرك ربك عز وجل ؟ قال أمرني أن اضرب البحر قال فاضربه ، وقال محمد بن إسحاق أوحى الله فيما ذكر لي إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضاً فرقا من الله تعالى وانتظاراً لما أمره الله ، وأوحى الله إلى موسى (أن اضرب بعصاك البحر) فضربه بها ففيا سلطان الله الذي أعطاه فانفلق ، وذكر غير واحد أنه جاءه فكناه فقال انفلق علي أبا خالد باذن الله

قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) يعني تقابلاً بحيث يرى كل فريق صاحبه وكسر حمزة الراء من تراءى وفتحها الآخرون (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم (قال) موسى ثقة بوعده الله إياه (كلا) لن يدركونا (إن معي ربي سيهدين) يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) يعني فضربه فانفلق فانشق (فكان كل فرق) قطعة من الماء (كالطود العظيم) كالجبل الضخم قال ابن جريج وغيره لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح والبحر يرمي بموج مثل الجبال فقال يوشع يا مكرم الله أين أمرت فقد غشيناه فرعون والبحر أمامنا؟ قال موسى ههنا تخاض يوشع الماء وجاز البحر ما

قال الله تعالى (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) أي كالجبل الكبير قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب والضحاك وقتادة وغيرهم . وقال عطاء الخراساني هو الفج بين الجبلين ، وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طريقا لكل سبط طريق ، وزاد السدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض ، وقام الماء على حيله كالحيطان وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته فصار يبسا كوجه الارض قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى) وقال في هذه القصة (وأزلفنا ثم الآخرين) أي هنالك قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي (وأزلفنا) أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيانهم اليه (وأنجيناه موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) أي أنجيناه موسى وبني اسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم احدا ، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل الا هلك ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة حدثنا يونس بن أبي اسحاق عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أمرى ببني اسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت ، وقال لا والله لا يفرغ من سلعها حتى يجتمع الي ستمائة الف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر فقال له انفرك . فقال له البحر قد استكبرت بام موسى وهل انفركت لاحد من ولد آدم فانفرك لك ؟ قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أين أمرت يا بني الله ؟ قال بما أمرت الا بهذا الوجه يعني البحر فأقحم فرسه فسيح به فخرج فقال أين أمرت يا بني الله قال ما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت ثم افتحم الثانية فسيح ثم خرج فقال أين أمرت يا بني الله ؟ قال ما أمرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت . قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر . فضربه موسى بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتنام أصحاب فرعون اتقى البحر عليهم فأغرقهم

يواري حافر دابته الماء . وقال الذي يكتنم إيمانه يا مكلم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شذقيه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء . وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده (وأزلفنا) يعني وقربنا (ثم الآخرين) يعني قوم فرعون يقول قدمناهم الى البحر وقربناهم الى الهلاك وقال أبو عبيدة (وأزلفنا) جمعنا ومنه ليلة المزلفة أي ليلة الجمع وفي القصة أن جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون وكان يسوق بني اسرائيل ويقولون ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل وكان يزغ قوم فرعون وكانوا يقولون ما رأينا أحسن زغبة من هذا (وأنجيناه موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) فرعون وقومه وقال سعيد بن جبير كان البحر ساكنا قبل ذلك فلما ضرب موسى بالعصا اضطرب فجعل يمد ويجزر (إن في

وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انظم عليهم البحر فماتوا سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله . ثم قال تعالى (ان في ذلك لآية) أي في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة (وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم) تقدم تفسيره

واتل عليهم نبأ ابراهيم (٦٩) إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون ؟ (٧٠) قالوا نعبد أصناما فنظّل لها مكفّين (٧١) قال هل يسمعونكم اذ تدعون ؟ (٧٢) أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤) قال أفريتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فانهم عدوّ لي الا ربّ العالمين (٧٧)

هذا اخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه ابراهيم عليه السلام امام الخفاء . أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يتلوه على أمته ليقنّوا به في الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبري من الشرك وأهله فان الله تعالى (آتى ابراهيم رشده من قبل) أي من صغره الى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أي ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ (قالوا نعبد أصناما فنظّل لها مكفّين) أي مقيمين على عبادتها ودعائها قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم بهرعون

ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي من أهل مصر قيل لم يكن آمن من أهل مصر الا آسية امرأة فرعون وحزقيل المؤمن وصريم بنت ناموشي التي دلت على عظام يوسف عليه السلام (وإن ربك هو العزيز الرحيم) العزيز في الانتقام من أعدائه الرحيم بالمؤمنين حين أنجاهم قوله (واتل عليهم نبأ ابراهيم إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون) أي شيء تعبدون (قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفّين) يعني نقيم على عبادتها قال بعض أهل العلم إنما قال فنظّل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا اذا فعل بالنهار (قال هل يسمعونكم) أي هل يسمعون دعاءكم (اذ تدعون) قال ابن عباس يسمعون لكم (أو ينفعونكم) قيل بالرزق (أو يضرون) إن تركتم عبادتها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) معناه انها لا تسمع قولاً ولا تجاب نفعاً ولا تدفع ضرراً لكن اقتدينا بآبائنا وفيه إبطال التقليد في الدين (قال أفريتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) الأولون (فانهم عدوّ لي) يعني أعدائي ووحده على معنى أن

فعند ذلك قال لهم ابراهيم (أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبائكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) أي ان كانت هذه الاصنام شيئاً ولها تأثير فلتتخلص إلي بالمساة فاني عدو لها لا بألي بها ولا أفكر فيها ، وهذا كما قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام (فأجمعوا أمركم وشرككم) الآية وقال هود عليه السلام (اني أشهد الله واشهد أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) وهكذا تبرأ ابراهيم من آلهتهم فقال (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله [الآية . وقال تعالى [قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم — الى قوله — حتى تؤمنوا بالله وحده [وقال تعالى [واذ قال ابراهيم لآبيه وقومه اني براء مما تعبدون * الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة [يعني لا اله الا الله

الذي خلقتني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقيني (٧٩) واذا مرضت فهو يشفيني (٨٠) والذي يمتيني ثم يمجيني (٨١) والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢) يعني لا أعبد الا الذي يفعل هذه الاشياء (الذي خلقتني فهو يهدين) أي هو الخالق الذي قدر قادراً وهدى الخلائق اليه فكل بحري على ما قدره وهو الذي يهدي من يشاء وبضل من يشاء (والذي هو يطعمني ويسقيني) أي هو خالقي ورازقي بما سخر وبسر من الاسباب السماوية والارضية فساق المزن وأنزل الماء وأحجى به الارض وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد وأنزل الماء عذاباً زلالاً يسقيه مما

كل معبود لكم عدو لي فان قيل كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جمادات قبل معناه فانهم عدولي لو عبدتهم يوم القيامة كما قال تعالى (سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وقال الفراء هو من المقلوب أراد فاني عدو لهم لان من عاديته فقد عاداك. وقيل فانهم عدو لي على معنى أني لا أتوكلهم ولا أطلب من جهنم نفعا كما يتولى العدو ولا يطلب من جهة النعم قوله (الا رب العالمين) اختلفوا في هذا الاستثناء قيل هو استثناء منقطع كأنه قال فانهم عدو لي لكن رب العالمين وليي وقيل إنهم كانوا يعبدون الاصنام مع الله فقال ابراهيم كل من تعبدون أعدائي الا رب العالمين. وقيل إنهم غير معبود لي الا رب العالمين فاني أعبده وقال الحسين بن الفضل معناه الا من عبد رب العالمين ثم وصف معبوده فقال (الذي خلقتني فهو يهدين) أي يرشدني الى طريق النجاة (والذي هو يطعمني ويسقيني) أي يرزقني ويقذوني بالطعام والشراب فهو رازقي ومن عنده رزقي (واذا مرضت) أضاف المرض الى نفسه وان كان المريض والشفاء كله من الله استعمالاً لحسن الادب كما قال الخضر (فاردت أن أعيها — وقال — فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) (فهو يشفيني) أي يبرئني من المرض (والذي يمتيني ثم يمجيني) أدخل ثم ههنا لئلا يخفى أي يمتيني في الدنيا ويمجيني في الآخرة (والذي

خالق أنعاما وأنا من كثير . وقوله (واذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض إلى نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه ولكن أضافه إلى نفسه أدبا كما قال تعالى أمرأ للصلي أن يقول (اهدنا الصراط المستقيم) إلى آخر السورة فأسند الانعام والهداية إلى الله تعالى والغضب حذف فاعله أدبا وأسند الضلال إلى العبيد كما قالت الجن [وانا لاندري أشر أريد من في الارض أم اراد بهم ربهم رشداً] وكذا قال ابراهيم (واذا مرضت فهو يشفين) أي اذا وقعت في مرض فانه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الاسباب الموصلة اليه (والذي يمينني ثم يحيين) أي هو الذي يحيي ويميت لا يقدر على ذلك أحد سواه فانه هو الذي يبدى ويبعد (والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة الا هو ومن يغفر الذنوب الا الله وهو الفعال لما يشاء .

رب هب لي حكماً وألحمني بالصالحين (٨٣) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤)

واجعاني من ورثة جنة النعيم (٨٥) واغفر لأبي انه كان من الضالين (٨٦) ولا تخزني يوم

يبعثون (٨٧) يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم (٨٩)

وهذا سؤال من ابراهيم عليه السلام أن يؤتبه ربه حكماً . قال ابن عباس وهو العلم ، وقال عكرمة هو اللب ، وقال مجاهد هو القرآن ، وقال السدي هو النبوة . وقوله (وألحمني بالصالحين) أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار « اللهم في الرفيق الاعلى » قالها ثلاثاً . وفي الحديث في الدعاء « اللهم أحيينا مسلمين وأمئتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبدين » وقوله (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي واجعل لي ذكراً جميلاً بعدي أذكر به وبقتدي بي في الخير كما قال تعالى [وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين] قال مجاهد وقادة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) يعني الثناء الحسن . قال مجاهد كقوله تعالى (وآتيناه في الدنيا حسنة) الآية كقوله [وآتيناه أجره في الدنيا] الآية . قال ليث بن أبي سليم

أطعم ﴿ أرجو ﴾ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴿ أي خطاياي يوم الحساب قال مجاهد هو قوله أتى سقيم وقوله بل فعله كبيرم هذا وقوله لسارة هذه أختي ، وزاد الحسن وقوله للكوكب هذا ربي أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص بن غيث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت قلت يا رسول الله: ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل ذلك نافعه ؟ قال « لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قومه وأخبار أنه لا تصلح الاهية إلا لمن يفعل هذه الافعال ﴿ رب هب لي حكماً ﴾

كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة . وقوله تعالى (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجليل بعدي وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم . وقوله (واغفر لآبي) الآية كقوله [ربنا اغفر لي ولوالدي] وهذا مما رجع عنه ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى [وما كان استغفار ابراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه — إلى قوله — إن ابراهيم لأواه حليم] وقد قطع تعالى الالحاق في استغفاره لآبيه فقال تعالى [قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه — إلى قوله — وما أملك لك من الله من شيء] وقوله (ولا تخزني يوم يبعثون) أي أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم

وقال البخاري عند هذه الآية قال ابراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يلقى ابراهيم يوم القيامة أباه عليه القبرة والقفرة » وفي رواية أخرى حدثنا اسماعيل حدثنا أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يلقى ابراهيم أباه فيقول يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين » هكذا رواه عنده هذه الآية . وفي أحاديث الانبياء بهذا الاسناد بعينه منفرداً به ولفظه « يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصيني فيقول أبوه فاليوم لأعصيك ، فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأني خزي أخزى من إني الابد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا ابراهيم انظر تحت رجلك فينظر فإذا هو بذيخ متلطح فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار » ورواه عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير

وقوله (ولا تخزني يوم يبعثون) أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثني أبي حدثني ابراهيم ابن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن ابراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه القبرة والقفرة وقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني ، قال لكنني اليوم لا أعصيك واحدة ، قال يارب وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فإن أخزيت أباه فقد أخزيت الابد ، قال يا ابراهيم إني حرمتها على الكافرين فأخذ منه . قال يا ابراهيم أين أبوك

قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقال مقاتل الفهم والعلم وقال الكلبي النبوة (وألحقني بالصالحين) بمن قبلي من النبيين في المنزلة والدرجة (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسناً وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في الأمم التي تحيي بعدي فأعطاء الله ذلك فجعل كل أهل الأديان يتلونه ويتنون عليه قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به (واجعلني من ورثة جنة النعيم) أي ممن تعطيه جنة النعيم (واغفر لآبي إنه كان من الضالين) وقال هذا قبل أن يقين له أنه عدو لله كما سبق ذكره في سورة التوبة (ولا تخزني) لا تنضحني (يوم يبعثون) يوم

قال أنت أخذته مني ، قال انظر أسفل منك فنظر فاذا ذبح يتمرغ في نفته فأخذ بقوائمه فألقي في النار ، وهذا اسناد غريب وفيه نكارة والذبح هو الذكر من الضباج كأنه حول آزر إلى صورة ذبح متلطخ بهذرتة فيلقى في النار كذلك . وقد رواه البزار باسناده من حديث حماد بن سلمة عن أبيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه غرابة . ورواه أيضاً من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ بنحوه

وقوله (يوم لا ينفع مال ولا بنون) أي لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الارض ذهباً (ولا بنون) أي ولو افتدى بمن على الارض جميعاً ولا ينفع يومئذ إلا الايمان بالله واخلص الدين له والتبري من الشرك وأهله ولهذا قال (إلا من أتى الله بقلب سليم) أي سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين القلب السليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . وقال ابن عباس (إلا من أتى الله بقلب سليم) القلب السليم أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وقال مجاهد والحسن وغيرهما (بقلب سليم) يعني من الشرك ، وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى [في قلوبهم مرض] قال أبو عثمان النيسابوري هو القلب السالم من البدعة المطمئن إلى السنة

وأزلفت الجنة للمتقين (٩٠) وبرزت الجحيم للفاويز (٩١) وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون (٩٢) من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ (٩٣) فكذبكوا فيها ثم والفاويز (٩٤) وجنود إبليس أجمعون (٩٥) قالوا وهم فيها يختصمون (٩٦) تالله إن كنا لفي ضلال مبين (٩٧) إذ نسويكم رب العلمين (٩٨) وما أضلنا إلا المجرمون (٩٩) فما لنا من شفيعين (١٠٠) ولا صديق حميم (١٠١) فلو أن لنا كرة فنتكلمون من المؤمنين (١٠٢) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٠٣) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٠٤)

لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أي خالص من الشرك والشك ، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد هذا قول أكثر المفسرين ، وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى (في قلوبهم مرض) قال أبو عثمان النيسابوري هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السنة (وأزلفت) قربت (الجنة للمتقين وبرزت) أظهرت (الجحيم للفاويز) للكافرين (وقيل لهم) يوم القيامة (أينما كنتم تعبدون - من دون الله هل ينصرونكم) ينصرونكم من العذاب (أو ينتصرون) لا تفهم (فكذبكوا فيها) قال ابن عباس جمعوا

(وأزلفت الجنة) أي قربت وأدريت من أهلها مزخرفة مزينة لناظرها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا وعملوا لها في الدنيا (وبرزت الجحيم للفاوين) أي أظهرت وكشف عنها وبدأت منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لأهلها تقريباً وتوبيخاً (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) أي ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والانداد تغني عنكم اليوم شيئاً ولا تدفع عن أنفسها فانكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون. وقوله (فككبوا فيها هم والفاوين) قال مجاهد يعني قد هوروا فيها، وقال غيره كسبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد أنه ألقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعواهم إلى الشرك (وجنود إبليس أجمعون) أي ألقوا فيها عن آخرهم (قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) أي [يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار] ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) أي نحمل أمرهم مطاعاً كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين (وما أضلنا إلا المجرمون) أي مادعانا إلى ذلك إلا المجرمون (فما لنا من شافعين) قال بعضهم يعني من الملائكة كما يقولون (فما لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وكذا قالوا (فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم) أي قريب. قال قتادة يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع، وإن الحميم إذا كان صالحاً شفع (فلو أن لنا كرة فكنون

وقال مجاهد هوروا وقال مقاتل قذفوا وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال القتيبي ألقوا على رؤسهم (هم والفاوين) يعني الشياطين قاله قتادة ومقاتل وقال الكلبي كفره الجن (وجنود إبليس أجمعون) وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والانس ويقال ذرئته (قالوا) أي قال الفاسدون للشياطين والمعبودين (وهم فيها يختصمون) مع المعبودين ومجادل بعضهم بعضاً (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم) نعدكم (رب العالمين) فنعدكم (وما أضلنا) أي ما دعانا إلى الضلال (إلا المجرمون) قال مقاتل يعني الشياطين وقال الكلبي إلا أولونا الذين اقتدينا بهم، وقال أبو العالية وعكرمة يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قاييل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين) أي من يشفع لنا من الملائكة والنبیین والمؤمنين (ولا صديق حميم) أي قريب يشفع لنا بقوله الكافر حين تشفع الملائكة والنبیون والمؤمنون، والصديق هو الصادق في المودة بشرط الدين أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا محمد بن الحسين القطيبي أنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا من سمع أبا الزبير يقول أشهد اسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الرجل ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم» فيقول الله تعالى أخرجوا

من المؤمنين) وذلك انهم يمتنون ان يردون إلى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يرضون والله تعالى يعلم انهم لو ردوا إلى دار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقد أخبر الله تعالى عن تخصم أهل النار في سورة ص ثم قال تعالى [ان ذلك لحق تخاصم أهل النار] ثم قال تعالى (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي ان في محاجة ابراهيم لقومه وإقامة الحجج عليهم في التوحيد لآية أي لدلالة واضحة جلية على أن لا إله الا الله (وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك هو العزيز الرحيم)

كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (١٠٦) اني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري الا على رب العالمين (١٠٩) فاتقوا الله وأطيعون (١١٠)

هذا اخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض بعد ما عبدت الاضنام والانداد فبعثه الله ناهياً عن ذلك ومحذراً من وييل عقابه فكذبه قومه فاستمروا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى ، ونزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فلماذا قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين * اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) أي ألا تخافون الله في عبادتكم غيره (اني لكم رسول أمين) أي اني رسول من الله اليكم أمين فيما بعثني الله به أبلغكم رسالات ربي ولا أزيد فيها ولا أنقص منها (فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر) الآية أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أذكر ثواب ذلك عند الله (فاتقوا الله وأطيعون) فقد وضع لكم وبان صدقي ونصحي وأما نتى فيما بعثني الله به واثمنتى عليه

له صديقه الى الجنة فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال الحسن : استكثرنا من الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاء يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا فنكون من المؤمنين * ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك هو العزيز الرحيم العزيز الذي لا يغالب قاله عزيز وهو في وصف عزته رحيم

قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) قيل للحسن البصري يا أبا سعيد أرايت قوله (كذبت قوم نوح المرسلين - و - كذبت عاد المرسلين - و - كذبت نود المرسلين) وإنما أرسل اليهم رسول واحد قال ان الآخر جاء بما جاء به الاول فاذا كذبوا واحدا فقد كذبوا الرسل أجمعين (اذ قال لهم أخوهم) في النسب لا في الدين (نوح) ألا تتقون اني لكم رسول أمين على الوحي (فاتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون) فيما أمركم به من الايمان والتوحيد (وما أسألكم

قالوا أنؤمن لك واتبعك الأَرذلون (١١١) قال وما علمي بما كانوا يعملون (١١٢) إن حسابهم الا على ربي لو تشعرون (١١٣) وما أنا بطارد المؤمنين (١١٤) ان أنا الا نذير مبين (١١٥)

يقولون لا تؤمن لك ولا تتبعك وتأمى في ذلك بهؤلاء الارذلين الذين اتبعوك وصدقوك وهم أرادنا ولهذا قالوا (أنؤمن لك واتبعك الارذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون) أي وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنبؤ عنهم والبحث والفحص إنما عليّ ان أقبل منهم تصديقهم إياي وأكل سرائرهم إلى الله عز وجل (إن حسابهم الا على ربي لو تشعرون * وما أنا بطارد المؤمنين) كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك وقال (وما أنا بطارد المؤمنين * ان أنا الا نذير مبين) أي إنما بعثت نذيراً فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وأنا منه سواء كان شريعافاً أو ضيعافاً أو جليلاً أو حقيراً

قالوا لئن لم تنته يَنوح لتكونن من المرجومين (١١٦) قال رب ان قومي كذبون (١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨) فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩) ثم أغرقنا بعد الباقين (١٢٠) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٢١) وان ربك لهو العزيز الرحيم (١٢٢)

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوههم إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا في الآخر (لئن لم تنته يانوح لتكونن

عليه من أجر ان أجري) ثوابي (الا على رب العالمين * فاتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون * قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) قرأ يعقوب (وأتباعك الارذلون) السفلة وعن ابن عباس قال الصاغة وقال عكرمة الحامكة والاساكفة (قال) نوح (وما علمي بما كانوا يعملون) أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء، إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم (ان حسابهم * ما حسابهم) الا على ربي لو تشعرون (لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بضائعهم. قال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات وقيل معناه لم أعلم أن الله يهديهم ويضلهم ويربقهم ويخذلكم) وما أنا بطارد المؤمنين * ان أنا الا نذير مبين * قالوا لئن لم تنته يانوح (عما تقول (لتكونن من المرجومين) قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك من

من المرجومين) اي لئن لم تنته عن دعوتك ايانا إلى دينك (لتكونن من المرجومين) اي انرجنك فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه فقال (رب إن قومي كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحاً) الآية كما قال في الآية الاخرى [فدعاربه أي مغلوب فانتصر] إلى آخر الآية . وقال ههنا (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون * ثم أغرقنا بعد الباقين) والمشحون هو المملوء بالامعة والازواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين أي أنجيناه نوحاً ومن اتبعه كلهم وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم)

كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (١٢٤) أي لكم رسول أمين (١٣٥) فاتقوا الله وأطيعون (١٢٦) وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين (١٢٧) أتبنون بكل ريع آية تعبثون (١٢٨) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (١٢٩) وإذا بطشتم بطشتم جبارين (١٣٠) فاتقوا الله وأطيعون (١٣١) واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢) أمدكم بأنعم وينين (١٣٣) وجنت وغيون (١٣٤) أي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (١٣٥)

وهذا اخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام أنه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الاحقاف وهي جبال الرمل قريباً من حضرموت متاخمة بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال في سورة الاعراف (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول المديد والارزاق الدارة والاموال والجنات والانهار والابناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله هوداً اليهم رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم تقمته وعذابه

المشؤمين (قال رب ان قومي كذبون * فافتح) فاحكم (بيني وبينهم فتعاً) حكماً (ونجني ومن معي من المؤمنين * فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها (ثم أغرقنا بعد الباقين) أي أغرقنا بعد انجاء نوح وأهله من بقي من قومه (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم)

قوله عز وجل (كذبت عاد المرسلين * إذ قال لهم أخوهم) يعني في النسب لا في الدين (هود ألا تتقون * إني لكم رسول أمين) على الرسالة قال الكلبي أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تهمونني اليوم (فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين * أتبنون بكل ريع)

في مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه إلى أن قال (أبنيون بكل ريع آية تعبثون) اختلف المفسرون في الريع بما حاصله أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة بينون هناك بنيانا محكما هائلا باهرا ولهذا قال (أبنيون بكل ريع آية) أي معلما بناء مشهوراً (تعبثون) أي وانما تفعلون ذلك عبثا لا الاحتياج اليه بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة ولهذا أنكر عليهم نبينهم عليه السلام ذلك لانه تضيق للزمان واتعاب للابدان في غير فائدة واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون)

قال مجاهد: والمصانع البروج المشيدة والبنيان الخلد، وفي رواية عنه بروج الحمام، وقال قتادة هي مأخذ الماء. قال قتادة وقرأ بعض الكوفيين (وتتخذون مصانع كأنكم خالدين) وفي القراءة المشهورة (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أي لكي تقيموا فيها أبدا وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم كزال عن كان قبلكم. وروى ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا الحسن بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثني عون بن عبد الله بن عتبة أن أبا الدرداء رضي الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون في القوطة من البنيان ونصب الشجر قام في مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا تستحيون، ألا تستحيون، تجمعون مالا تأكلون، وتبنون مالا تسكنون، وتأملون مالا تدركون، أنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أهلهم غرورا، وأصبح جمعهم بورا، وأصبحت مساكنهم قبورا، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعمان خيلا وركابا فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟

وقوله (واذا بطشتم بطشتم جبارين) أي يصفهم بالقوة والغلبة والجبروت (فاتقوا الله وأطيعون) أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال (واتقوا الذي أمركم بما تعلمون

قال الواحبي عن ابن عباس بكل شرف وقال الضحاك ومقاتل والكلبي بكل طريق وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وعن مجاهد قال هو الفج بين الجبلين وعنه أيضا أنه المنطرة (آية) علامة (تعبثون) بمن سر بالطريق والمعنى أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخرها منهم ويعيثوا بهم، وعن سعيد بن جبير ومجاهد هذا في بروج الحمام أنكر عليهم هود اتخاذها بدليل قوله تعبثون أي تلعبون، وهم كانوا يلعبون بالحمام. وقال أبو عبيدة الريع المكان المرتفع (وتتخذون مصانع) قال ابن عباس ابنية وقال مجاهد قصورا مشيدة وعن الكلبي أنها الحصون وقال قتادة مأخذ الماء، يعني الخياض واحدها مصنعة (لعلكم تخلدون) أي كأنكم تبقون فيها خالدين والمعنى أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون (وإذا بطشتم) أخذتم وسطوتم (بطشتم جبارين) قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب (فاتقوا الله وأطيعون) واتقوا الذي أمركم بما تعلمون أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم

أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون * أني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (أي ان كذبتم وخالفتم فدعاهم الى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم

قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (١٣٦) إن هذا إلا مخلق الاولين (١٣٧)

وما نحن بمعذيين (١٣٨) فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٣٩)

وان ربك لهو العزيز الرحيم (١٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود له بعد ما حذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضعه (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي لا نرجع عما نحن عليه (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين) وهكذا الامر فان الله تعالى قال (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقال تعالى (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية وقولهم (ان هذا الا خلق الاولين) قرأ بعضهم (ان هذا الا خلق الاولين) بفتح الحاء وتسكين اللام، قال ابن مسعود والعوفي عن عبد الله بن عباس وعلقمة ومجاهد يعنون ما هذا الذي جئنا به الا اخلاق الاولين كما قال المشركون من قريش (وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي على عليه بكرة وأصيل) وقال (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افترأه وأعانه عليه قوم آخرون * فقد جاءوا ظلماً وزوراً * وقالوا أساطير الاولين - وقيل للذين كفروا ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين) وقرأ آخرون (ان هذا الا خلق الاولين) بضم الحاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الامر هو دين الاولين من الآباء والاجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد ولهذا قالوا (وما نحن بمعذيين)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ان هذا الا خلق الاولين) يقول دين الاولين، وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله تعالى (فكذبوه فأهلكناهم) أي استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده فأهلكهم الله وقد بين سبب اهلاكهم في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم رجلاً صرصراً عاتية أي رجلاً شديداً محبوب ذات برد شديد جداً فكان اهلاكم من جنسهم فانهم كانوا أعنى شيء وأجبره فسلط الله

فقال (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) يعني بساتين وأنهار (أنني أخاف عليكم) قال ابن عباس ان عصيتموني (عذاب يوم عظيم) قالوا سواء علينا يعني مستو عندنا (أوعظت أم لم تكن من الواعظين) الوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد قال الكلبي نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا (ان هذا) ما هذا (الا خلق الاولين) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو والكسائي ويعقوب خلق بفتح

عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة كما قال تعالى [ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد] وهم عاد الاولى كما قال تعالى [وأنه أهلك عاداً الاولى] وهم من نسل ارم بن سام بن نوح (ذات العماد) الذين كانوا يسكنون العمدة ، ومن زعم أن ارم مدينة فانما أخذ ذلك من الاسرائيليات من كلام كعب ووهب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال [التي لم يخلق مثلها في البلاد] أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التي لم يبن مثلها في البلاد وقال تعالى [فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون] وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا مقدار أنف الثور . عنت على الحزنة فأذن الله لها في ذلك فسلكت فخصبت ببلادهم فخصبت كل شيء لهم كما قال تعالى [تدمر كل شيء بأمر ربها] الآية وقال تعالى [واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية — الى قوله — حسوما — أي كاملة — فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية] أي بقوا أبداناً بلا دوس وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقلعه وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمفارات وحفروا لهم في الارض الى أنصافهم فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئاً [إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر] ولهذا قال تعالى [فكذبوه فأهلكناهم] الآية

كذبت ثمود المرسلين (١٤١) اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون (١٤٢) اني لكم

رسول أمين (١٤٣) فاتقوا الله وأطيعون (١٤٤) وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا

على رب العالمين (١٤٥)

وهذا اخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام أنه بعثه الى قومه ثمود وكانوا عرباً يسكنون مدينة الحجر التي بين واد القرى وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة ، وقد قدمنا في سورة الاعراف الاحاديث المروية في مرور رسول الله ﷺ بهم حين أراد غزو الشام فوصل الى تبوك ثم عاد الى المدينة ليتأهب لذلك ، وكانوا بعد عاد وقبل الخليل عليه السلام ، فدعاهم نبيهم

الحا . وسكون اللام أي اختلاق الاولين وكذبهم دليل هذه القراءة قوله تعالى (وتخلقون افكا) وقرأ الآخرون خلق بضم الخاء واللام أي عادة الاولين من قبلنا وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب ﴿ وما نحن بمعزيين ﴾ فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك هو العزيز الرحيم ﴿

قوله عز وجل ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون * إني لكم رسول

صالح الى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه، وأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجر آمنهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال

أتركون في ما ههنا آمنين (١٤٦) في جنت وعيون (١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم (١٤٨) وتنتحون من الجبال بيوتا فريهين (١٤٩) فاتقوا الله وأطيعون (١٥٠) ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون (١٥٢)

يقول لهم واعظا لهم ومعتذرهم نعم الله أن نخل بهم ومذكرا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الارزاق الدارة وجعلهم في أمن من المخدورات، وأثبت لهم من الجنات، وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمار، ولهذا قال [ونخل طلعها هضيم]

قال العوفي عن ابن عباس أينع وبلغ فهو هضيم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [ونخل طلعها هضيم] يقول معشبة. وقال اسماعيل بن أبي خالد عن عمرو بن أبي عمرو - وقد أدرك الصحابة - عن ابن عباس في قوله (ونخل طلعها هضيم) قال، إذا رطب واسترخى. رواه ابن أبي حاتم ثم قال: وروى عن أبي صالح نحوه هذا. وقال أبو إسحاق عن أبي العلاء [ونخل طلعها هضيم] قال هو المذنب من الرطب، وقال مجاهد: هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر.

وقال ابن جريج سمعت عبد الكريم أنبأنا أمية سمعت مجاهداً يقول [ونخل طلعها هضيم] قال: حين يطلع تقبض عليه فتهضمه فهو من الرطب الهضم ومن الياض الهشيم تقبض عليه فتهشمه. وقال عكرمة وقتادة: الهضم الرطب اللين. وقال الضحاك: إذا كثر حمل الثمرة وركب بعضها بعضاً فهو هضم. وقال مرة هو الطلع حين يتفرق ويخضر. وقال الحسن البصري هو الذي لانوى له. وقال أبو صخر: ما رأيت الطلع حين ينشق عنه الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضم

أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى الا على رب العالمين * أتركون فيما ههنا يعني في الدنيا (آمين) من العذاب (في جنات وعيون وزروع * ونخل طلعها) ثمها يريد ما يطلع منها من الثمر (هضيم) قال ابن عباس لطيف ومنه هضم الكشح اذا كان لطيفاً وروى عطية عنه يانع نصيج. وقال عكرمة هو اللين وقال الحسن هو الرخو وقال مجاهد منهشم متفتت اذا مس، وذلك أنه ما دام رطباً فهو هضم فإذا يبس فهو هشيم. وقال الضحاك ومقاتل قد ركب بعضه بعضاً حتى هضم بعضه بعضاً أي كسره، وقال أهل اللغة هو المنضم بعضه الى بعض في وعائه قبل أن يظهر، وقال الأزهرى الهضم هو الداخل بعضه في بعض من النصج والنعومة وقيل هضم

وقوله (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) قال ابن عباس وغير واحد يعني حاذقين . وفي رواية عنه شرهين أشربين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا منافاة بينهما فانهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة إلى سكنها وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها كما هو المشاهد من حالهم إن رأى نازلهم ولهذا قال (فأتقوا الله وأطيعون) أي أقبلوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم اتبعوه وتوحدوه وتسبحوه بكرة وأصيلاً (ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) يعني رؤسائهم وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق

قالوا انما أنت من المسحورين (١٥٣) ما أنت إلا بشر مثنا فأت بآية إن كنت من الصديقين (١٥٤) قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم (١٥٦) فقروها فأصبحوا شديمين (١٥٧) فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٥٨) وإن ربك هو العزيز الرحيم (١٥٩)

يقول تعالى مخبراً عن نمود في جوابهم لنبيهم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة ربهم عز وجل أنهم (قالوا انما أنت من المسحورين) قال مجاهد وقناة يعنون من المسحورين . وروى أبو صالح عن ابن عباس (من المسحورين) يعني من المخلوقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر

فإن تسألنا فيم نحن فأننا عصافير من هذا الانام المسحور

يعني الذين لهم سحر والسحر هو الرثة ، والظاهر في هذا قول مجاهد وقناة أنهم يقولون انما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك . ثم قالوا (ما أنت إلا بشر مثنا) يعني فكيف أوحى إليك دوننا كما قالوا في الآية الأخرى (أنزل عليه الذكر من بيننا ؟ بل هو كذاب أشير * سيعلمون غداً من الكذاب الأشير)

أي هاضم يهضم الطعام وكل هذا لطافته (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وقرئ فارهين قبل معناها واحد وقيل فارهين أي حاذقين بنحتها من قولهم فره الرجل فراهة فهو فاره ومن قرأ فرهين قال ابن عباس أشربين بطرين وقال عكرمة ناعمين وقال مجاهد شرهين قال قناة معجبين بصنيعكم قال السدي متجبرين وقال أبو عبيدة مرحين وقال الاخفش فرحين . والعرب تعاقب بين الهاء والحاء مثل مدحته ومدته قال الضحاك كديسين (فأتقوا الله وأطيعون *) ولا تطيعوا أمر المسرفين (قال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التهمة الذين عقروا الناقة وهم (الذين يفسدون في الأرض) بالمعاصي (ولا يصلحون) لا يطيعون الله فيما أمرهم به (قالوا انما أنت من المسحورين) قال مجاهد وقناة من المسحورين المخدوعين أي ممن يسحر مرة بعد مرة وقال الكلبي (تفسير ابن كثير والبغوي)

ثم انهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم ، وقد اجتمع ملائمة وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشرة اسر وأشاروا إلى صخرة عندهم - من صفتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق أن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعننه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فأنفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشرة اسر على الصفة التي وصفوها فأمن بعضهم وكفر أكثرهم ، (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) يعني ترد ماء كم يوما ويوما تردونه أنتم (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) فحذرهم نقمة الله أن أصابوها بسوء . فكشفت الناقة بين أظهرهم حينما من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى وينتفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شربا وريا ، فلما طال عليهم الامد وحضر أشقاهم بالوا على قتلها وعقرها (فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب) وهو أن أرضهم زلزلت زلزلا شديدا وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها وأتاهم من الامر ما لم يكونوا يحسبون [وأصبحوا في ديارهم جائمين] (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم)

كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ؟ (١٦١) اني

لكم رسول أمين (١٦٢) فاتقوا الله وأطيعون (١٦٣) وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين

الا على رب العالمين (١٦٤)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آذر وهو ابن أخي ابراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه الى أمة عظيمة في حياة ابراهيم عليهما السلام ، وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكتها الله بها وجعل مكنها بحيرة منقنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد الغور متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك ، فدعاهم الى الله عز وجل أن

عن أبي صالح عن ابن عباس أي الخلقين المعلنين بالطعام والشراب يقال سحره أي علاه بالطعام والشراب يريد أنك تأكل الطعام والشراب ولست بملاك بل ﴿ ما أنت الا بشر مثلنا فانت بآية ﴾ على صحة ما تقول ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ انك رسول الله اليها ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ﴾ حفظ ونصيب من الماء ﴿ ولكم شرب يوم معلوم * ولا تمسوها بسوء ﴾ بعقر ﴿ فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين ﴾ على عقرها حين رأوا العذاب ﴿ فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾

قوله تعالى ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون * اني لكم رسول

يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله اليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق الى فعله من اتيان الذكور دون الاناث ولهذا قال تعالى

أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ إِنْ مِنَ الْعَالَمِينَ ؟ (١٦٥) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦) قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين (١٦٧) قال اني لعملكم من القالين (١٦٨) رب نجني وأهلي مما يعملون (١٦٩) فنجيناه وأهله أجمعين (١٧٠) إلا عجوزاً في الغابرين (١٧١) ثم دمرنا الآخرين (١٧٢) وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين (١٧٣) ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٧٤) وان ربك هو العزيز الرحيم (١٧٥)

لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم الى اتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له الا أن قالوا (لئن لم تنته يالوط) أي عما جئتنا به (لتكونن من المخرجين) أي تنفيك . ن بين أظهرنا كما قال تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون) فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه وانهم مستمررون على ضلالتهم تبرأ منهم وقال [اني لعملكم من القالين] أي المبغضين لأحبه ولا أرضى به واني بري . منكم ثم دعا الله عليهم فقال [رب نجني وأهلي مما يعملون] قال الله تعالى [فنجيناه وأهله أجمعين] أي كلهم [الا عجوزاً في الغابرين] وهي امرأته وكانت عجوز سوء . بقيت فهلكت مع من بقي من قومه وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الاعراف وهود وكذا في الحجر حين أمره الله أن يسري بأهله الا امرأته وانهم

أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين * أتأتون الذكران * قال مقاتل يعني جماع الرجال * من العالمين * يعني من بني آدم * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم * قال مجاهد تركتم اقبال النساء إلى أدبار الرجال * بل أنتم قوم عادون * معتدون * مجاوزون الحلال الى الحرام * قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين * من قريبتنا * قال اني لعملكم من القالين * المبغضين ثم دعا فقال * رب نجني وأهلي مما يعملون * من العمل الخبيث قال الله تعالى * فنجيناه وأهله أجمعين * الا عجوزاً في الغابرين * وهي امرأة لوط بقيت في العذاب والهلاك * ثم دمرنا الآخرين * أي أهلكناهم * وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين * قال وهب بن منبه الكبريت والنار * ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم *

لا يلتفتوا اذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه فصبروا لامر الله واستمروا وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال تعالى [ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً — الى قوله — وان ربك له العزيز الرحيم]

كذب أصحاب الايكة المرسلين (١٧٦) إذ قال لهم شعيب ألا تتقون؟ (١٧٧) إني

لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون (١٧٩) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري

إلا على رب العالمين (١٨٠)

هؤلاء — يعني أصحاب الايكة — هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم وإنما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الايكة وهي شجرة وقيل شجر ملتف كالفيضة كانوا يعبدونها فلماذا لما كذب أصحاب الايكة المرسلين لم يقل : إذ قال لهم أخوهم شعيب وإنما قال (إذ قال لهم شعيب) قطع نسب الاخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا اليه وان كان أخاهم نسباً . ومن الناس من لم يظن هذه النكتة فظن ان أصحاب الايكة غير أهل مدين فزعم أن شعيب عليه السلام بعثه الله إلى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم

وقد روى اسحاق بن بشر الكاهلي — وهو ضعيف — حدثني ابن السدي عن أبيه وزكريا بن عمرو عن خصيف عن عكرمة قال : ما بعث الله نبياً مرتين إلا شعيباً مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة إلى أصحاب الايكة فأخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة . وروى أبو القاسم البغوي عن هبة عن همام عن قتادة في قوله تعالى [وأصحاب الرس] قوم شعيب وقوله [وأصحاب الايكة] قوم شعيب . وقاله اسحاق بن بشر . وقال غير جويهر أصحاب الايكة ومدين هما واحد والله أعلم

وقد روى الخافظ بن عساكر في ترجمة شعيب من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية ابن هشام عن هشام بن سعيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن قوم مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما شعيباً النبي عليه السلام »

قوله عز وجل ﴿ كذب أصحاب الايكة المرسلين ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام . قرأ العراقيون الايكة ههنا وفي ص بالهمز وسكون اللام وكسر التاء ، وقرأ الآخرون ليكة بفتح اللام والتاء غير مهموز جعلوها اسم البلدة ، وهو لا ينصرف ولم يختلفوا في سورة الحجر ووق انهما مهموزان مكسوران والايكة الفيضة من الشجر الملتف ﴿ إذ قال لهم شعيب ﴾ ولم يقل أخوهم لانه لم يكن من أصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيباً لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الايكة ﴿ ألا تتقون ﴾ إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم

وهذا غريب وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون موقفاً . والصحيح - بح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشي . ولهذا وعظ هؤلاء . وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على أنها أمة واحدة

أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين (١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم (١٨٢) ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (١٨٣) واتقوا الذي خلقكم والجنة الأولى (١٨٤) يأمرهم عليه السلام بإفء المكيال والميزان وينهاهم عن التطفيف فيها فقال (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) أي اذا دفعتم للناس فكلوا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصاً وتأخذوه إذا كان لكم تاماً وافيّاً ولكن خذوا كما تعطون ، وأعطوا كما تأخذون (وزنوا بالقسطاس المستقيم) والقسطاس هو الميزان وقبل هو القبان . قال بعضهم هو معرب من الرومية قال مجاهد القسطاس المستقيم هو العدل بالرومية . وقال قتادة القسطاس العدل

وقوله (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوهم أموالهم (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني قطع الطريق كما قال في الآية الأخرى (ولا تعثوا بكل صراط وعدون) وقوله [واتقوا الذي خلقكم والجنة الأولى] يخوفهم بأمر الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأولين كما قال موسى عليه السلام [ربكم ورب آبائكم الأولين] قال ابن عباس ومجاهد والسدي وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم [والجنة الأولى] يقول خالق الأولين . وقرأ ابن زيد [وتعد أضل منكم جبلاً كثيراً]

قالوا إنما أنت من المسحرين (١٨٥) وما أنت إلا بشر مثلهما وإن نظنك لمن الكاذبين (١٨٦) فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين (١٨٧) قال ربني أعلم بما تملون (١٨٨) فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلّة؛ إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٩١)

عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴿ وانما كانت دعوة هؤلاء الانبياء كلهم فيما حكي الله عنهم على صيغة واحدة لانفاقهم على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة والامتناع عن أخذ الاجر على الدعوة وتبليغ الرسالة ﴾ (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * ﴿ واتقوا الذي خلقكم والجنة الأولى ﴾ الخليفة (الأولين) يعني الامم المتقدمين والجنة الخلق يقال جبل أي خلق قوله ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴾ وما أنت إلا بشر مثلهما وإن نظنك لمن الكاذبين * فأسقط

ينخير تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثم درسوها تشابهت قلوبهم حيث قالوا [إيماناً من
 المسحرين] يهنون من المسحورين كما تقدم [وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن السكاذيين] أي تتمعد
 الكذب فيما تقوله لأن الله أمر لك إلينا [فأسقط علينا كسفاً من السماء] قال الضحاك : جانباً من السماء ، وقال
 قتادة قطعاً من السماء وقال السدي عذاباً من السماء . وهذا شبيه بما قالت قریش فيما أخبر الله عنهم في
 قوله تعالى [وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً - إلى أن قالوا - أو تسقط السماء
 كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالهلال والملائكة قبيلاً] وقوله [وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من
 عندك فأمطر علينا حجارة من السماء] الآية . وهكذا قال هؤلاء الكفار الجهلة [فأسقط علينا كسفاً
 من السماء] الآية [قال ربي أعلم بما تعملون] يقول الله أعلم بكم فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به وهو
 غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألوها جزاء وفاها ولهذا قال تعالى [فكذبوه فأخذهم عذاب
 يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم] وهذا من جنس ما سألوه من إسقاط الكسف عليهم ، فإن الله سبحانه
 وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكتفون منه شيء ، ثم أقبلت إليهم سحابة
 أظلمتهم فعملوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا كلهم تحنها أرسل الله تعالى عليهم
 منها شرراً من نار ولهباً ووهجاً عظيماً ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم
 ولهذا قال تعالى (إنه كان عذاب يوم عظيم)

وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ففي
 الاعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا (لنخرجنك يا شعيب
 والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) فأرجفوا نبي الله ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة . وفي
 سورة هود قال (فأخذتهم الصيحة) وذلك لأنهم استهزؤا بنبي الله في قولهم (أصلاتك تأمرك أن
 تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لا أنت الحليم الرشيد) قالوا ذلك على سبيل التهكم
 والازدراء فناسب أن تأتيهم صيحة تسكنهم فقال (فأخذتهم الصيحة) الآية ، وهنا قالوا (فأسقط
 علينا كسفاً من السماء) الآية على وجه التعنت والعناد ، فناسب أن يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه
 (فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) قال قتادة قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : إن
 الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلمهم منه شيء ، ثم إن الله تعالى أنشأ لهم سحابة فأنطلق إليها
 أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها برداً وراحة فأعلم بذلك قومه فأتوها جميعاً فاستظلوا تحتها فأججت
 عليهم ناراً . وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقاتدة وغيرهم

علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين * قال ربي أعلم بما تعملون * أي من نقصان الكيل والوزن
 وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة)
 وذلك أنه أخذهم حر شديد فكانوا يدخلون الاسراب فإذا دخلوها وجدوها أشد حراً فخرجوا

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : بعث الله إليهم الظلة حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في القلى . وقال محمد بن كعب القرظي : إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا أن يدخلوا إلى البيوت فتسقط عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت كاليوم ظلاً أطيب ولا أبرد من هذا ، هلموا أيها الناس فدخلوا جميعاً تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فأتوا جميعاً ثم تلا محمد بن كعب [فأخذهم عذاب يوم الظلة أنه كان عذاب يوم عظيم] وقال محمد بن جرير حدثني الحارث حدثني الحسن حدثني شعيب بن زيد أخو حماد ابن زيد حدثنا حاتم بن أبي صغرة حدثني يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآية (فأخذهم عذاب يوم الظلة) الآية قال بعث الله عليهم رعدة وحرّاً شديداً فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلمت من الشمس فوجدوا لها برداً ولذة فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً . قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة أنه كان عذاب يوم عظيم [إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم] أي الهزني انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين

وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من

المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥)

يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ (وأنه) أي القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله [وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث] الآية (لتنزيل رب العالمين) أي أنزله الله عليك ، وأوحاه إليك (نزل به الروح الأمين) وهو جبريل عليه السلام قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفي والسدي والضحاك والزهري وابن جرير وهذا مما لا نزاع فيه . قال الزهري وهذه كقوله (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بأذن الله مصداقاً لما بين يديه) وقال مجاهد : من كلمه الروح الأمين لأنأكله الارض (على قلبك لتكون من المنذرين) أي نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في الملأ الأعلى [على قلبك] يا محمد سالماً من الدنس والزيادة والنقص [لتكون من المنذرين] أي لتنذره بأس الله وتقمته على من خالفه وكذبه

فأظلمت سحابة وهي الظلة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ذكرناه في سورة هود ﴿ أنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأنه) يعني القرآن ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾ * نزل به الروح الأمين ﴿ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص نزل خفيف الروح الأمين برفع الحاء والنون أي نزل جبريل بالقرآن وقرأ

وتبشر به المؤمنين المتبعين له

وقوله تعالى (بلسان عربي مبين) أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بيننا واضعاً ظاهراً قاطعاً للعذر مقبلاً للمحبة دليلًا إلى المحجة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر العتكي حدثنا عباد بن عباد المهلب عن موسى بن محمد عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن . إذ قال لهم « كيف ترون بواسطتها ؟ » قالوا ما أحسنها وأشد تراكبها قال « فكيف ترون قواعدها ؟ » قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال « فكيف ترون جربها ؟ » قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال « فكيف ترون رجاها استدارت ؟ » قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال « فكيف ترون برقها أوميض أم خفق أم بشق شقا ؟ » قالوا بل بشق شقا قال « الحياء الحياء ان شاء الله » قال فقال رجل يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحتك ما رأيت الذي هو أعرب منك قال فقال « حق لي وإنما أنزل القرآن بلساني والله يقول (بلسان عربي مبين) » وقال سفيان الثوري : لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه ، واللسان يوم القيامة بالسرمانية فمن دخل الجنة تكلم بالعربية . رواه ابن أبي حاتم

وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) أولم يكن لهم آية أن يعلمه الله بنو إسرائيل (١٩٧) ولو

نزله على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩)

يقول تعالى : وان ذكر هذا القرآن والتنبؤ به موجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيباً في ملته بالبشارة بأحمد (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) والزبر ههنا هي الكتب وهي جمع زبرة وكذلك الزبور وهو

الآخرون ، بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي نزل الله به جبريل لقوله عز وجل (وإنه لنزِيل رب العالمين) (على قلبك) يا محمد حتى وعيته (لتكون من المذنبين) المخوفين (بلسان عربي مبين) قال ابن عباس بلسان قرش ليفهموا ما فيه (وإنه) أي ذكر أنزال القرآن قاله أكثر المفسرين ، وقال مقاتل ذكر محمد ﷺ ونعته (لفي زبر) كتب (الأولين * أولم يكن لهم آية) قرأ ابن عامر تكن بالياء آية بالرفع جعل الآية اسماً وخبره أن يعلمه ، وقرأ الآخرون بالياء آية نصب جعلوا الآية خبر يمكن معناه أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علم بنو إسرائيل آية أي علامة ودلالة على نبوة محمد ﷺ لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وهم عبيد الله بن سلام وأصحابه . قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ﷺ فقالوا إن هذا زمانه وأنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه

كتاب داود ، وقال الله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) أي مكتوب عليهم في صحف الملائكة ثم قال تعالى (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) أي أوليس يكفهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ، والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلهم قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) الآية ثم قال تعالى مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن أنه لو نزل على رجل من الاعاجم ممن لا يدري من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب ببيان وفصاحته لا يؤمنون به ولهذا قال (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين) كما أخبر عنهم في الآية الأخرى (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا) الآية ، وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى) الآية وقال تعالى (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون) الآية

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم (٢٠١)

فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظررون ؟ (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون ؟

(٢٠٤) أفرأيت إن متعتهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا

يُمَتِّعون (٢٠٧) وما أهلكننا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

يقول تعالى كذلك سلكننا التكذيب والكفر والجحود والعناد أي ادخلناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به أي بالحق (حتى يروا العذاب الاليم) أي حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (فيأتيهم بغتة) أي عذاب الله بغتة (وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظررون) أي يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلاً ليعملوا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب — إلى قوله — ما لكم من زوال) فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ندم

قوله تعالى (أن يعلمه) يعني محمد ﷺ (علماء بني إسرائيل) قال عطية كانوا خمسة: عبد الله ابن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الأعجمين) جمع الأعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب، والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً. ومعنى الآية (ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان) فقرأ عليهم (بغير لغة العرب) (ما كانوا به مؤمنين) وقالوا ما نفقه قولك، نظيره قوله عز وجل (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته) وقيل معناه (ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه

قوله (كذلك سلكناه) قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب

(تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٣١) (الجزء السادس)

ندما شديداً هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله (ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا — الى قوله — قال قد أجيت دعوتكما) فأثرت هذه الدعوة في فرعون فما آمن حتى رأى العذاب الاليم (حتى اذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل — الى قوله — وكننت من المفسدين) وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآيات وقوله تعالى (أفبعذابنا يستعجلون) انكار عليهم وتهديد لهم فانهم كانوا يقولون لرسول تكذيبا واستبعاداً اثنتا بعذاب الله كما قال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب) الآيات ثم قال (أفرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي لو أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم بركة من الدهر وحيننا من الزمان وان طال ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يود أحدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) وقال تعالى (وما يفتي عنه ماله اذا تردى) ولهذا قال تعالى (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)

وفي الحديث الصحيح « يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت خيراً قط ؟ هل رأيت نعيماً قط ؟ فيقول لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً كان في الدنيا فيصنع في الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت بؤساً قط ؟ فيقول لا والله يارب » أي ما كان شيئاً كان . ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

كانك لم تؤثر من الدهر ليلته اذا أنت أدركت الذي أنت تطالب

ثم قال تعالى مخبراً عن عدله في خلقه أنه ما أهلك أمة من الأمم الا بعد الاعذار اليهم، والانذار لهم وبعثة الرسل اليهم، وقيام الحجة عليهم، ولهذا قال تعالى [وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين] كما قال تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] وقال تعالى [وما كان

المجرمين * لا يؤمنون به] أي بالقرآن [حتى يروا العذاب الاليم] يعني عند الموت [فيأنيبهم] يعني العذاب [بفتنة] فجأة [وهم لا يشعرون] به في الدنيا [فيقولوا هل نحن منظرون] أي لنؤمن ونصدق بتمنونا الرجعة والنظرة . قال مقاتل لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا الى متى توعدهنا بالعذاب ومتى هذا العذاب ؟

قال الله تعالى (أفبعذابنا يستعجلون * أفرايت ان متعناهم سنين) كثيرة في الدنيا يعني كفار مكة ولم ينهلكهم [ثم جاءهم ما كانوا يوعدون] يعني العذاب [ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون] به في تلك السنين . والمعنى انهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يقن عنهم طول التمتع شيئاً ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط قوله (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) رسل يذرونهم [ذكرى] مجملها نصب أي

(سورة الشعراء ٢٦٠ جزء ١٩٠) كتاب الله العزيز لا تنزل به الشياطين ولا ينبغي لهم ولا يستطيعون ٣٤٣

ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا - الى قوله - وأهلها ظالمون [

وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) أنهم عن السمع

لمعزولون (٢١٢)

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الامين المؤيد من الله [وما تنزلت به الشياطين] ثم ذكر أنه يتمتع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه . أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لان من سجاياهم الفساد واضلال العباد ، وهذا فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدى وبرهان عظيم فينبه وبين الشياطين منافاة عظيمة ، ولهذا قال تعالى [وما ينبغي لهم] وقوله تعالى [وما يستطيعون] أي ولو انبغي لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى [لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله] ثم بين أنه لو انبغي لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا الى ذلك لانهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لان السماء ملئت حرصاً شديداً وشهباً في مدة انزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد من الشياطين الى استماع حرف واحد منه لثلاثيته الامر ، وهذا من رحمة الله بهباده ، وحفظه لشرعه ، وتأنيده لكتابته ولرسوله ، ولهذا قال تعالى [أنهم عن السمع لمعزولون] كما قال تعالى مخبراً عن الجن [وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرصاً شديداً وشهباً] وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً - الى قوله - أم أراد بهم ربهم رشداً [

فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذنين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)

واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦)

وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي ير لك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في السجدين (٢١٩)

إنه هو السميع العليم (٢٢٠)

ينذرونهم تذكرة وقيل رفع أي تلك ذكرى ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا اليهم ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل ذكره ﴿ وما تنزلت به ﴾ أي بالقرآن الشياطين ﴿ وما ينبغي لهم ﴾ أن ينزلوا بالقرآن ﴿ وما يستطيعون ﴾ ذلك ﴿ أنهم عن السمع ﴾ أي عن استراق السمع من السماء ﴿ لمعزولون ﴾ أي محجوبون بالشهب مرجومون ﴿ فلا تدع مع الله الها آخر فتكون

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له ومخبراً أن من أشرك به عبده ، ثم قال تعالى آمراً لرسوله ﷺ أن ينذر عشيرته الاقربين أي الاذنين اليه ، وانه لا يخلص أحداً منهم الا ايمانه بربه عز وجل ، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين ومن عصاه من خلق الله كأننا من كان فليتبرأ منه ولهذا قال تعالى (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالى (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) وقال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم] وقال تعالى [لتبشّر به المتقين وتنذر به قوما لدا] وقال تعالى [لا تنذركم به ومن بلغ] كإفقال تعالى [ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده]

وفي صحيح مسلم « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار » وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها
 (الحديث الاول) قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن عمر عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رض) قال : لما أنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الاقربين) أتى النبي ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى « يا صباحاه » فاجتمع الناس اليه بين رجل يجي اليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله ﷺ « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤي ، أرايتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ » قالوا نعم ، قال « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا الا لهذا وأنزل الله (تبث يداي لهب وتب) ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الاعمش به

من المعذنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ينذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق عليّ ولو اتخذت الها غيري لعذبتك

قوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) روى محمد بن اسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال ابن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن ابي طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (وأنذر عشيرتك الاقربين) دعاني رسول الله ﷺ فقال « يا علي ان الله يأمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت اني متى أبادهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال لي يا محمد الا تفعل ما تؤمر به بعذبك ربك . فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس رضي الله عنهما وأبو لهب ، فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعته فخبثت به فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ

﴿ الحديث الثاني ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيم حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لما نزلت (وأنذر عشيرتلك الاقربين) قام رسول الله ﷺ فقال « يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملاك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم » انفرد باخراجه مسلم

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الامام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك ابن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتلك الاقربين) دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص فقال « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فاني والله لا أملاك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحماً سابها يبلالها » ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به ، وقال الترمذي غريب من هذا الوجه . ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل ولم يذكر فيه أبا هريرة ، والموصول هو الصحيح ، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن اسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ، يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فاني لأعني عنكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما » تفرد به من هذا الوجه . وتفرد به أيضاً عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ، ورواه أيضاً عن حسن ثنا ابن طه عن الأعرج عن أبي

ﷺ جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال « خذوا بأمم الله » فأكل القوم حتى ما لهم بشيء . حاجة وإيم الله أن كان الرجل الواحد منهم لياكل مثل ما قدمت لجيهم ثم قال « اسق القوم فجئهم بذلك العس » فشربو حتى رووا جميعاً ، وإيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بذكره أبو لهب فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فقال الغد « يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القوم فتفرق القوم قبل أن أكلمهم ، فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجتمعهم » ففعلت ثم جمعت فدعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال « يا بني عبد المطلب إني قد جئتكم بخبري الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم اليه فأياكم يوازرني على أمري هذا ويكون أخي ووصي وخليفتي فيكم ؟ » فأحجم القوم عنها جميعاً فقلت وأنا أحدثهم سنا يا بني الله أنا وزيرك عليه قال فأخذ برقبتي فقال « ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن نسمع له ونطيع . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أحمد بن

هريرة مرفوعا . وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن اسماعيل عن موسى بن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « يابني قصي يابني هاشم يابني عبد مناف أنا النذير والموت المغير ، والساعة الموعد »

﴿ الحديث الرابع ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا : لما نزلت (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد رسول الله ﷺ روضة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي « يابني عبد مناف إنما أنا نذير ، إنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يدبر أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه » ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مل النهدي عن قبيصة وزهير ابن عمرو الهلالي به

﴿ الحديث الخامس ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الاعمش عن المنهال عن عباد بن عبد الله الاسدي عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (وأنذر عشيرتك الاقربين) جمع النبي ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم « من بضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي ؟ » فقال رجل لم يسمه شريك : يا رسول الله أنت كنت تجري من يقوم بهذا ، قال ثم قال لا آخر ، قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي أنا ﴿ طريق أخرى بأبسط من هذا السياق ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي رضي الله عنه قال : جمع رسول الله

عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا الاعمش حدثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنها قال لما نزلت (وأنذر عشيرتك الاقربين) ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف « يا صباحاه » فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال « أرايتم ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ - قالوا ما جربنا عليك كذبا قال - فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تبالك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت (ثبت يدا أبي لهب وقد تب) هكذا قرأ الاعمش يومئذ . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش وقال « أرايتم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم

ﷺ أو دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بعض فشرّبوا حتى روي وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب وقال « يا بني عبد المطلب إني بعثت اليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي » قال فلم يقم اليه أحد، قال فقامت اليه وكنت أصغر القوم قال فقال « اجلس » ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب يده على بدي »

﴿ طريق أخرى أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخرى ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال : حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله (وأنذر عشيرتك الاقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) قال رسول الله ﷺ « عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك » قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي « إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فعرفت أني إن بادأنهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك . فاصنم لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت فاجتمعوا اليه وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ جذبة فشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال

مصدقني ؟ - قالوا نعم ماجرنا عليك كذبا قال - فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعنا ؟ فنزلت (تبث يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو النيمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة ابن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) فقال « يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترؤا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، وبيا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً » أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا أبو اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن مطرف

«كلوا بسم الله» فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى الا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ «اسقهم يا علي» فحنت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال: لهدما سحركم صاحبكم ففرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ «يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالامس فأكلوا حتى نهلوا عنه، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ «اسقهم يا علي» فحنت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعاً، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال: لهدما سحركم صاحبكم. ففرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ «يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني إلى ماسمعت قبل أن أكلم القوم» ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالامس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ثم قال رسول الله ﷺ «يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة» قال أحمد بن عبد الجبار بلغني أن ابن اسحاق إنما سمعه من عبد الغفار ابن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث وقد رواه أبو جعفر ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق عن عبد الغفار بن القاسم

ابن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي قال قال رسول الله ﷺ «ان الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، وانه قال ان كل مال نحلته عبادي فهو لهم حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء، كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وان الله نظر إلى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب، وان الله تعالى أمرني ان أخوف قريشا فقلت يارب أمهم إذا يثاغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال انما بعثتك لأبليك وأبلي بك، وقد أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه في المنام واليقظة فاغزهم نغزك، وانفق نفق عليك، وابتعث جيشاً تعددك بخمسة أمثالهم، وقاتل من أطاعك من عصاك. ثم قال - أهل الجنة ثلاثة امام مقسط ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم ورجل غني متعفف متصدق، وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون بذلك أهلاً ولا مالاً، ورجل ان أصبح أصبح يخادعك عن أهلاك ومالك ورجل لا يخفي له طمع وان دق الا ذهب به، والشنظير الفاحش وذكر البخل والكذب

عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب فذكر مثله وزاد بعد قوله «إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأبكم يوازرني على هذا الامر على أن يكون أخي وكذا وكذا» قال فأحجم القوم عنها جميعا وقالت وإني لأحدنهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأخشهم ساقا أنا يا بني الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال «إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا» ثم قام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. ففرد بهذا السياق عبد الغفار ابن القاسم أبو مرجم وهو متروك كذاب شبيهي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الائمة رحمهم الله

(طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي أخبرنا الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: قال علي رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية (وانذر عشيرتكم الاقربين) قال لي رسول الله ﷺ «اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وانا. ابنا» قال ففعلت ثم قال لي «ادع بني هاشم» قال فدعوتهم وانهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بادامها، قال فلما أنوا بالقصة أخذ رسول الله ﷺ من ذروتها ثم قال «كلوا» فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزدوا منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالاماء فشربوها حتى رويوا قال وفضل فضل، فلما فرغوا أراد رسول الله ﷺ أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا مارأينا كالיום في السحر. فسكت رسول الله ﷺ ثم قال «اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام» قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوها قال فبدروه فقالوا مثل مقالهم الاولى فسكت رسول الله ﷺ ثم قال «اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام» فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوها بدرهم رسول الله ﷺ الكلام فقال «أبكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟» قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا لسن العباس. ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس، فلما رأيت ذلك قلت أنا يا رسول الله قال واني يومئذ لاسوأهم هيئة واني لأعمش العينين ضخم البطن خمس الساقين

قوله عز وجل «واخفض جناحك» يعني ألن جانبك «لمن أتبعك من المؤمنين» فان عصوك قتل إني بريء مما تعملون «من الكفر وعبادة غير الله» وتوكل «قرأ أهل المدينة والشام فتوكل بالنا، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقر بالواو (وتوكل)» (علي العزيز الرحيم) ليكنفك كيد الاعداء «الذي براك حين تقوم» الى صلاتك عن أكثر المفسرين وقال مجاهد الذي براك أينما كنت وقيل حين تقوم لدعائهم «وتغلبك في الساجدين» يعني يرى تغلبك في صلاتك في حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك قال عكرمة وعطية عن ابن عباس في الساجدين أي في المصلين (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٢٢) (الجزء السادس)

فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ، ومعنى سؤال ﷺ لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني إن قتل في سبيل الله كأنه خشي إذا قام بأعباء الانذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فعند ذلك أمن وكان أولا يحرس حتى نزلت هذه الآية (والله يعصمك من الناس) ولم يكن أحد في بني هاشم إذ ذاك أشد إيمانا وإيقانا وتصديقا لرسول الله ﷺ من علي رضي الله عنه ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول الله ﷺ ثم كان بعد هذا والله أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا وانذاره لبطون قريش عموما وخصوصا حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالادنى على الأعلى أي أما أنا نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة عن عبد الواحد الدمشقي قال : رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويقولهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقليل له ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لا هين ؟ فقال لاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أزهدي الناس في الدنيا الانبياء وأشدهم عليهم الاقربون » وذلك فيما أنزل الله عز وجل قال تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين — إلى قوله — قل إني بريء مما تعملون)

وقوله تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم) أي في جميع أمورك فانه مؤيدك وحافظك وناصرك ومظفرك ومعلي كلمتك ، وقوله تعالى (الذي براك حين تقوم) أي هو معتك بك كما قال تعالى [فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا] قال ابن عباس (الذي براك حين تقوم) يعني إلى الصلاة ، وقال عكرمة هوي قيامه وركوعه وسجوده ، وقال الحسن (الذي براك حين تقوم) اذا صليت وحدك ، وقال الضحاك (الذي براك حين تقوم) أي من فراشك أو مجلسك ، وقال قتادة (الذي براك) قائما وجالسا وعلى حالانك . وقوله تعالى (وتقلبك في الساجدين) قال قتادة (الذي براك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) قال في الصلاة براك وحدك وبراك في الجمع . وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري ، وقال مجاهد كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه . وبشهد لهذا ما صح في الحديث

وقال مقاتل والكلبي أي مع المصلين في الجماعة . يقول براك حين تقوم وحدك للصلاة وبراك اذا صليت مع المصلين في الجماعة . وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لأراكم من وراء ظهري » قال الحسن وتقلبك في الساجدين أي تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين . وقال سعيد بن جبيرة يعني وتصرفك

« سووا صفوفكم فاني أراكم من وراء ظهري » وروى البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني قلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبيا »
وقوله تعالى (انه هو السميع العليم) أي السميع لاقوال عباده العليم بمركاتهم وسكناتهم كما قال تعالى [وما تكون في شأن وما تنلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه] الآية

هل أنبئكم دلي من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢) يلتون

السمع وأكثرهم كذبون (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاؤون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون مالا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)

يقول تعالى مخاطبا ان زعم من المشركين أن ماجاء به الرسول ﷺ ليس بحق وأنه شيء افعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به رأي من الجنان فغره الله سبحانه وتعالى جناب رسوله عن قولهم واقترائهم ونبيه أن ماجاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبل الشياطين فانهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم وإنما ينزلون على من يشاكلهم وبشابههم من الكهان الكذبة . ولهذا قال تعالى (هل أنبئكم) أي أخبركم (على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) أي كذوب في قوله وهو الافاك أثيم وهو الفاجر في أفعاله ، فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضا كذبة فسقة (يلقون

في أحوالك كما كانت الانبياء من قبلك والساجدين هم الانبياء . وقال عطاء عن ابن عباس أراد تنقلبك في أصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى أخرجك في هذه الامة (إنه هو السميع العليم * هل أنبئكم) هل أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب قولهم تنزل عليهم الشياطين ، ثم بين فقال (تنزل) أي تنزل (على كل أفاك) كذاب (أثيم) فاجر قال قتادة هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون الى أوليائهم من الانس وهو قوله عز وجل (يلقون السمع) أي يستمعون من الملائكة مسترقين فيلقون الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لأنهم يخلطون به كذبا كثيرا

قوله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ وذكر مقاتل أسماءهم فقال ومنهم عبد الله بن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومشافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأمية بن أبي الصلت

(السمع) أي يسترقون السمع من السماء، فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الانس فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء. كما صح بذلك الحديث، كما رواه البخاري من حديث الزهري أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير أنه سمع عروة بن الزبير يقول: قالت عائشة رضي الله عنها: سألت ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال «انهم ليسوا بشي» قالوا يا رسول الله فأنهم يحدثون بالشئ. يكون حقا، فقال النبي ﷺ «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقرقها في أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة»

وروى البخاري أيضا حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن النبي ﷺ قال «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفون فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض — وصفه سفيان بيده فخرها وبدد بين أصابعه — فيسمع الكلمة فيأقياها إلى من تحته ثم يلقياها الآخر إلى من تحته حتى

الثقي تكلموا بالكذب على رسول الله ﷺ وبالباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه وبروون عنهم، وذلك قوله والشعراء يتبعهم الغاؤون) هم الرواة الذين يروون هجاء النبي ﷺ والمسلمين وقال قتادة ومجاهد الغاؤون هم الشياطين وقال الضحاك نهجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين ومع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية. وهي رواية عطية عن ابن عباس «ألم تر أنهم في كل واد من أودية الكلام يهيمون» حاثرون وعن طريق الحق جاثرون. والهاثم الذهاب على وجهه لا مقصده. قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية في كل لغو يخوضون. وقال مجاهد في كل فن يفتنون وقال قتادة يدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل. قالوا دي مثل لغو الكلام كما يقال أنا في واد وأنت في واد. وقيل في كل واد يهيمون أي على كل حرف من حروف الهجاء بصوغون القوا في «وأنهم يقولون ما لا يفعلون» أي يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن الأعمش عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لأن يمتلي جوف أحدكم قيعا يريه خير من أن يمتلي شعرا» ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيئون شعراء الجاهلية ويهجون الكفار وينافخون عن النبي ﷺ وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو الحسين علي بن عبد الله بن بشران أنا

يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » تفرد به البخاري . وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الانصار قريبا من هذا وسيأتي عند قوله تعالى في سبأ [حتى اذا فزع عن قلوبهم] الآية . وقال البخاري وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال « ان الملائكة تحدث في العنان — والعنان الغمام — بالامر في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزبدون معها مائة كذبة » ورواه البخاري في موضع آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبي زيد عن الليث عن عبدالله بن أبي جعفر عن أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه وقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الكفار يتبعهم ضلال الانس والجن ، وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وقال عكرمة كان الشاعر ان يتهاجيان فيتنصر لهذا فنام من الناس ولهذا فنام من الناس فأزل الله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون)

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهاد عن يحنس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال النبي ﷺ « خذوا الشيطان — او — امسكوا الشيطان ، لان يمتلي جوف أحدكم فيحايخه له من أن يمتلي شعرا » وقوله تعالى [ألم تر أنهم في كل واد يهيمون] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل

اسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه انه قال قال النبي ﷺ ان الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ﷺ « ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسي بيده لكان ما ترومونهم به نضح النبل » أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني انا ابو القاسم علي بن احمد الخزازي انا الهيثم بن كليب انا ابو عيسى الترمذي ثنا اسحاق بن منصور انا عبد الرزاق انا جعفر بن سليمان ثنا ثابت عن انس ان النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزبل الهام عن مقبله * ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال النبي ﷺ « خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل » أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة اخبرني عدي

أفوه بخوضون . وقال الضحاك عن ابن عباس في كل فن من الكلام ، وكذا قال مجاهد وغيره ، وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها صرة في شقمة فلان ومرة في مدية فلان .
وقل قتادة الشاعر يمدح قوما يبطل ويذم قوما يبطل .

وقوله تعالى [وأنهم يقولون ما لا يفعلون] قال العوفي عن ابن عباس كان رجلان على عهد رسول الله أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وانهما تها جيا فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله تعالى [والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون]

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الامر ، فان الشعراء يتبعون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم ، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما اذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدا هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ على قولين

وقد ذكر محمد بن إسحاق ومحمد بن سعد في الطبقات والزيبر بن بكار في كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنم

إذا شئت غنتني دهاقين قربة ورقاصة تحدو على كل مبسم

فان كنت ندماني فبالاً كبير اسقني ولا تسقني بالاصفر المتلثم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أي والله انه ليسوئي ذلك ومن اقية فليخبره

انه سمع البراء قال قال رسول الله ﷺ لحسان « اهيجهم - او - هاجهم وجبريل معك » اخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا اسمعيل بن موسى الفزاري وعلي ابن حجر - المعنى واحد - قالنا ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح عن رسول الله ﷺ ويقول رسول الله ﷺ « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله » أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني أبي عن جدي ثنا خالد بن زيد حدثني سعيد بن أبي هلال عن عمارة بن غزية عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ان رسول الله ﷺ

أني قد عزلته، وكتب إليه عمر (بسم الله الرحمن الرحيم ثم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير) (أما بعد) فقد بلغني قولك لعل أمير المؤمنين بسوءه تنادينا بالجوسق المهتمدم

وايم الله انه ليسوءني وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله بأمر المؤمنين ماشربتها قط، وما ذاك الشعر إلا شيء طفع على لساني . فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملاً أبداً وقد قلت ماقلت . فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون ما لا يفعلون ولكن ذمه عمر رضي الله عنه ولا ملامه على ذلك وعزله به، ولهذا جاء في الحديث «لأن يمتلي جوف أحدكم قبحاً يره خير له من أن يمتلي شعراً» والمراد من هذا أن الرسول ﷺ الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله مناف لحالم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وقال تعالى (انه نقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين) وهكذا قال ههنا (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين - إلى أن قال - وما نزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون أنهم عن السمع لمعزولون - إلى أن قال - هل أنبئكم على من نزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمم وأثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون؟ وإنهم يقولون ما لا يفعلون)

وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الداري قال: لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاؤون) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فلا النبي ﷺ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال «أنتم» (وذكروا الله كثيراً) قال «أنتم» (واتصروا من بعد ما ظلموا) قال «أنتم» رواه ابن

قال «اهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل» فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجم فجهاهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه . ثم أدلهم أسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لا فريتهم بلساني فري الأديم فقال رسول الله ﷺ «لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريشاً بأنسابهم وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي» فأناه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد خلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لا سلنك منهم كما نسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان «إن روح القدس لا يزال يؤبدك ما ناخث عن الله ورسوله» وقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «هجام حسان فشتني واشتني» قال حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق

وقد روى ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن الوليد بن أبي كثير عن يزيد بن عبد الله عن أبي الحسن مولى نوفل أن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول الله ﷺ حين أنزلت هذه الآية والشعراء يتبعهم الغاوون (يبيكان فقال رسول الله ﷺ وهو يقرؤهما عليهما (والشعراء يتبعهم الغاوون - حتى بلغ - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال « أنتم » وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا أبو ميمون حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال لما نزلت [والشعراء يتبعهم الغاوون - إلى قوله - وأنهم يقولون ما لا يفعلون] قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله أني منهم فأنزل الله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم. ولا شك أنه استثناء. ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الانصار؟ وفي ذلك نظر. ولم يتقدم الا مرسلات لا يعتمد عليها والله أعلم. ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الانصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبساً من شعراء الجاهلية بدم الاسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ. فان الحسنات يذهبن السيئات. وامتدح الاسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه، كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم:

يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ أنا بور

اذ أجاري الشيطان في سنن الفري ومن مال ميسله مشبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه وأكثرهم له هجواً، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله ﷺ بعد ما كان يهجوهم، ويقولاه بعد ما كان قد عاداه. وهكذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس ان أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال « نعم » قال: معاوية تجعله كاتباً

هجوت محمداً برا تقيماً رسول الله شيمته الوفاء

فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وجسربيل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو اليان أنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن أن مروان بن الحكم أخبره أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره أن أبي بن كعب أخبره أن رسول الله ﷺ قال « إن من الشعر لحكمة » قالت عائشة رضي الله عنها: الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح. قال الشعبي كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول الشعر وكان عمر رضي الله تعالى عنه

بين يديك قال « نعم » قال وتوهم في حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال « نعم » وذكر الثانية ولهذا قال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً) قيل معناه ذكروا الله كثيراً في كلامهم وقيل في شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق

وقوله تعالى [وانتصروا من بعد ما ظلموا] قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان « اهجم - أو قال - هاجهم وجبريل معك » وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ ان الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ « ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لساكن ما رمونهم به نضح النبل »

وقوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) كقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) الآية . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يا أيكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » قال قتادة ابن دعامة في قوله تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) يعني من الشعراء وغيرهم . وقال أبو داود الطيالسي حدثنا إياس بن أبي نيمة قال حضرت الحسن ومر عليه بجزيرة نصراني فقال (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وقال عبد الله بن أبي رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وقال ابن وهب أخبرنا ابن سريج الاسكندراني عن بعض المشيخة أنهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتون عليها أو يصطاون إذا بركان قد أقبلوا فقاموا اليهم فاذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم - قال - وصاحب لنا قائم يصلي حتى مر بهذه الآية (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخرجون البيت . وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم كما قال ابن أبي حاتم : ذكر عن يحيى بن زكريا ابن يحيى الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الحبر حدثنا هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كتب أبي في وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا يقول الشعر وكان علي رضي الله تعالى عنه أشعر الثلاثة ، وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشد فروي أنه دعا عمر بن ربيعة الخزومي فاستنشد القصيدة التي قالها فقال :

أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم رائح فهجرج

فأنشده ابن أبي ربيعة القصيدة الى آخرها وهي قريية من سبعين بيتاً ، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها بمرّة واحدة ﴿ وذكروا الله كثيراً ﴾ أي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ﴿ وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ قال مقاتل انتصروا من المشركين لانهم بدوا بالهجرة ، ثم أوعده شعراء

(تفسير ابن كثير والبقوي) (٣٣) (الجزء السادس)

ما وصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر وبصدق الكاذب
إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب
(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

(آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين)

تفسير سورة النمل وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (١) هدى وبشرى للمؤمنين (٢) الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (٣) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة
زيناهم أعمالهم فهم يعمهون (٤) أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الآخسرون
(٥) وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (٦)

قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور ، وقوله تعالى [تلك آيات]
أي هذه آيات [القرآن وكتاب مبين] أي بين واضح [هدى وبشرى للمؤمنين] أي إنما تحصل
الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقته وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة
المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرا والجنة والنار

المشركين فقال ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ أشركوا وهجروا رسول الله ﷺ ﴿ أي منقلب ينقلبون ﴾
أي مرجع يرجعون بعد الموت . قال ابن عباس رضي الله عنهما إلى جهنم والسعير والله أعلم

﴿ سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طس ﴾ قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى . وقد سبق الكلام في حروف الهجاء ﴿ تلك ﴾
آيات القرآن ﴿ أي هذه آيات القرآن ﴾ وكتاب مبين ﴿ يعني وآيات كتاب مبين ﴾ هدى وبشرى
للمؤمنين ﴿ يعني هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة ﴾ الذين يقيمون الصلاة
أي يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ يعطون ما وجب عليهم من زكاة أموالهم

كما قال تعالى [قل هو الذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر] الآية وقال تعالى [لتبشروا بالمتقين وتذكروا ما كانوا يعملون] ولهذا قال تعالى ههنا [ان الذين لا يؤمنون بالآخرة] أي يكذبون بها ويستبعدون وقوعها [زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون] أي حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة كما قال تعالى [ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة] الآية [أولئك الذين لهم سوء العذاب] أي في الدنيا والآخرة (وهم في الآخرة هم الاخسرون) أي ليس بخسر انفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر وقوله تعالى (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أي وانك يا محمد لتلقى أي لتأخذ القرآن من لدن حكيم عليم أي من عند حكيم عليم أي حكيم في امره ونبيه عليم بالامور جليلها رقيقها خبيرها هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى (ومنت كلمة ربك صدقا وعدلا)

إذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سأتليكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم

تصطلون (٧) فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين

(٨) يموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم (٩) وألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى

مدبراً ولم يعقب يموسى لا تخف انى لا يخاف لى المرسلون (١٠) الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد

سوء فاني غفور رحيم (١١) وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى

فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين (١٢) فلما جاءتهم آيتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (١٣)

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٤)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مذكراً له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله

لأربابها ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم ﴿ القبيحة حتى رأوها حسنة ﴾ فهم يعمهون ﴿ أي يترددون فيها متعبرين ﴾ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴿ شدة العذاب في الدنيا بالقتل والامر بيدر ﴾ وهم في الآخرة هم الاخسرون ﴿ لانهم خسروا أنفسهم وأهليهم وصاروا إلى النار ﴾ وانك لتلقى القرآن ﴿ أي تؤتى القرآن ﴾ من لدن حكيم عليم ﴿ أي وحيا من عند الله الحكيم العليم

قوله عز وجل ﴿ إذ قال موسى لأهله ﴾ أي واذكر يا محمد إذ قال موسى لأهله في مسيره من مدين

وكلمه ونجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والادلة القاهرة وابتعثه إلى فرعون وملئه فجدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والافتقار له . فقال تعالى (اذ قال موسى لاهله) أي اذ ذكر حين سار موسى بأهله فأضل الطريق وذلك في ليل وظلام فآتس من جانب الطور ناراً أي رأى ناراً تاجج وتضطرم فقال (لاهله اني آتست ناراً سآتيكم منها بخبر) أي عن الطريق (أو آتيكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون) أي تستدفنون به وكان كما قال . فانه رجع منها بخبر عظيم ، واقتبس منها نوراً عظيماً ولهذا قال تعالى (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) أي فلما أراها ورأى منظرها هائلاً عظيماً حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقداً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فاذا نورها متصل بعنان السماء .

قال ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وإنما كانت نوراً يتوهج ، وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوق موسى متعجباً مما رأى (فنودي أن بورك من في النار) قال ابن عباس تقدس (ومن حولها) أي من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وتادة

إلى مصر ﴿ إني آتست ناراً ﴾ أي أبصرت ناراً ﴿ سآتيكم منها بخبر ﴾ أي أمكشوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق أو النار وكان قد ضل الطريق ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتثنية جعلوا القبس نعماً للشهاب ، وقرأ الآخرون بلاثنية على الإضافة وهو إضافة الشيء إلى نفسه لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى ، وهو العود الذي في أحد طرفيه نار وليس في الطرف الآخر نار . وقال بعضهم الشهاب هو شيء ذو نور مثل العمود والعرب تسمي كل أبيض ذي نور شهاباً والقبس القطعة من النار ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ تستدفنون من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء ﴿ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ أي بورك على من في النار أو في من في النار . والعرب تقول باركة الله وبارك فيه وبارك عليه بمعنى واحد . وقال قوم البركة راجعة إلى موسى والملائكة . معناه بورك من في طلب النار وهو موسى عليه السلام ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار . ومعناه بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار . وهذا نحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً ، ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها ، وقيل من في النار ومن حولها جميعاً الملائكة ، وقيل من في النار موسى ومن حولها الملائكة ، وموسى وإن لم يكن في النار كان قريباً منها كما يقال بنة فلان المنزل اذا قرب منه وإن لم يبلغه بعد . وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار . وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال معناه بورك في النار

وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا شعبة والمسعودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، ينفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » زاد المسعودي « وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » ثم قرأ أبو عبيدة أن يورك من في النار ومن حولها (وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة . وقوله تعالى (وسبحان الله رب العالمين) أي الذي يفعل ما يشاء ، ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الأرض والسموات بل هو الواحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات

وقوله تعالى (يا موسى) أنا الله العزيز الحكيم (أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم في أقواله وأفعاله ، ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ليظهر له دليلا واضحا على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء ، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ، ولهذا قال تعالى (فلما رآها نهز كأنها جان) والجان ضرب من الحيات أسرع حركة وأكثر اضطرابا

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : سمعت أبا يقرأ أن يورك النار ومن حولها . ومن قد يأتي بمعنى ما كقول الله تعالى [فمنهم من يمشي على بطنه] وما قد يكون صلة في الكلام كقوله (جند ما هنالك) ومعناه يورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام وسمى النار مباركة كما سمي البقرة مباركة فقال (في البقرة المباركة)

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن في قوله (يورك من في النار) يعني قدس من في النار وهو الله عز وجل ، على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها ، كما روي أنه مكتوب في التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران . فمعينه من سيناء بعثه موسى منها ، ومن ساعير بعثه المسيح منها ، ومن جبال فاران بعثه المصطفى منها وفاران مكة قبل كان ذلك نوره عز وجل . قال سعيد بن جبيرة كانت النار بعينها . والنار إحدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث « حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » ثم زه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء . وعيب فقال جل ذكره ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ ثم تعرف إلى موسى بصفاته فقال ﴿ يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ﴾ والهاء في قوله (إنه) حماد وليس بكنية ، وقبل هي كناية عن الأمر والشأن أي الأمر والشأن أي المعبود أنا ثم أرى موسى آية على قدرته فقال ﴿ وألقى عصاك فلما رآها نهز ﴾ تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ وهي الحية الصغيرة التي يكثر

وفي الحديث نهى عن قتل حياة البيوت فلما عاين موسى ذلك (ولى مدبراً ولم يعقب) أى لم يلتفت من شدة فرقه (ياموسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) أى لا تخف مما ترى فاني أريد أن أصطفيك رسولا وأجعلك نبيا وجيها . وقوله تعالى (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سيئ ثم أقلع عنه ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه كما قال تعالى (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه) الآية والآيات في هذا كثيرة جداً

وقوله تعالى (وأدخل يدك في جيبك تخرج يدياً من غير سوء) هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده في جيب درعه فإذا أدخلها وأخرجها خرجت يدياً بيضاء ساطعة كأنها قطعة قر لها لمعان تتلأأ كالبرق

اضطرابها (ولى مدبراً) وهرب من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع يقال يعقب فلان إذا رجع وكل راجع معقب ، وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله عز وجل (ياموسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) يريد إذا أمنتهم لا يخافون ، أما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أخشاك الله» وقوله (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم) واختلف في هذا الاستثناء قبل هذا إشارة الى أن موسى حين قتل القبطي خاف من ذلك ثم تاب فقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له . قال ابن جرير قال الله تعالى لموسى إنما أخفكتك لتتلك النفس وقال معنى الآية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فإن أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله (الا من ظلم) ثم ابتداء الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة ، وفي الآية متروك استغني عن ذكره بدلالة الكلام عليه تقديره فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم . قال بعض العلماء ليس هذا باستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك في الكلام معناه لا يخاف لدي المرسلون إنما الخوف على غيرهم من الظالمين الا من ظلم ثم تاب وهذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف فإن تاب وبذل حسنا بعد سوء فإن الله غفور رحيم يعني يغفر الله له ويزيل الخوف عنه . وقال بعض النحويين الا هنا بمعنى ولا يعني لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء . يقول لا يخاف لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى [لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم] يعني ولا الذين ظلموا ثم أراه الله آية أخرى فقال

(وأدخل يدك في جيبك) والجيب حيث جيب من القميص أي قطع . قال أهل التفسير كانت عليه مدرعة من صوف لآكم لها ولا أزرار فأدخل يده في جيبه وأخرجها فإذا هي تبرق مثل

الحافظ . وقوله تعالى (في نسم آيات) أي هاتان اثنتان من نسم آيات أؤيدك بهن وأجعلن برهانا لك الى فرعون وقومه (أنهم كانوا قوما فاسقين) وهذه هي الآيات النسم التي قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى نسم آيات بينات) كما تقدم تقرير ذلك هنالك

وقوله تعالى (فلما جاءهم آياتنا مبصرة) أي بينة واضحة ظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) وأرادوا معارضته بسحرم فقلبوا واقلبوا صاغرين وجحدوا بها أي في ظاهر أمرهم (واستيقنتها أنفسهم) أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكبروها ظلما وعلوا أي ظلما من أنفسهم سجية ملعونة وعلوا أي استكباراً عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) أي انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم في اهلاك الله اياهم واغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة وغرى الكلام يقول احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الاولى والاخرى فان محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آناه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشماله وماسبقه من البشارات من الانبياء به وأخذ المواثيق له ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين (١٥) وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين (١٦) وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون (١٧) حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون (١٨) فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (١٩)

البرق فذلك قوله (تخرج بيضاء من غير سوء) من غير برص (في نسم آيات) يقول هذه آية مع نسم آيات أنت مرسل بهن (الى فرعون وقومه أنهم كانوا قوما فاسقين * فلما جاءهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة يبصر بها (قالوا هذا سحر مبين) ظاهر (وجحدوا بها) أي أنكروا الآيات ولم يقرروا أنها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) يعني علموا أنها من عند الله . قوله (ظلما وعلوا) يعني شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) قوله عز وجل (ولقد آتينا داود وسليمان علما) يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجليلة وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)

قال ابن أبي حاتم ذكر عن ابراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال: كتب عمر بن عبد العزيز ان الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمة لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل . قال الله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) فأني نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام

وقوله تعالى (وورث سليمان داود) أي في الملك والنبوة وليس المراد وراثته المال اذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود فإنه قد كان لداود مائة امرأة ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة فان الانبياء لا ورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله « نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة » وقال (يأبىها الناس علمنا منطلق الطير وأوتينا من كل

الشياطين وتسبيح الجبال) وقالوا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس على كثير من عباده المؤمنين * وورث سليمان داود نبوة وعلمه وملكه دون سائر أولاده ، وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين . وقال مقاتل كان سليمان أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان داود أشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى (وقال يأبىها الناس علمنا منطلق الطير) سمى صوت الطير منطلقا لحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس . روي عن كعب قال : صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا ، قال انه يقول : لدوا الموت وابنوا للخراب ، وصاحت فاختة فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا ، قال انها تقول : ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاوس فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول كما تدين تدان . وصاح هدهد فقال : أتدرون ما يقول هذا ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم . وصاح صرد فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين . قال وصاحت طيطوى فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاح خطاف فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول قدموا خير آئجهوده . وهدرت حمامة فقال : أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى - ملء سمائه وأرضه . وصاح قري فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار ، والحدأة تقول كل شيء هالك الا الله . والقطة تقول من سكت سلم والبيضاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والضفدع يقول سبحان ربي القدوس ، والبازي يقول سبحان ربي

شيء) أي أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى أنه سخر له
الانس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً ، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما
علمناه مما أخبر الله به ورسوله ، ومن زعم من الجهالة والرعاع أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني
آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم ، ولو كان الامر كذلك لم يكن
لتخصيص سليمان بذلك فائدة اذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس الامر كما زعموا
ولا كما قالوا بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت الى زماننا هذا على هذا الشكل
والمنوال ، ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات
على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى (علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) أي مما يحتاج اليه
الملك (إن هذا هو الفضل المبين) أي الظاهر البين لله علينا

وبحمده ، والصفحة تقول سبحان المذكور بكل اسان . وعن مكحول قال : صاح دراج عند سليمان
فقال أندرون ما يقول ؟ قالوا لا ، قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى . وعن فرقد السبجي
قال : مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أندرون ما يقول هذا
البلبل ؟ قالوا الله ونبيه أعلم ، قال يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء

وروي أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة أشياء فان أخبرتنا آمنة
وصدقنا ؟ قال سلوا تفقهوا ولا تسألوا نعمنا ، قالوا أخبرنا ما يقول القبر في صغيره والديك في صغيره
والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله ، وماذا يقول الزرور والدراج ؟ قال نعم أما
القبر فيقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد ، وأما الديك فيقول اذكروا الله يا غافلون ، وأما الضفدع
فيقول سبحان المعبود في لجج البحار ، وأما الحمار فيقول اللهم العن العشار ، وأما الفرس فيقول اذا
التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، وأما الزرور فيقول اللهم اني أسألك قوت يوم
يوم يارزاق ، وأما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى . قال فأسلم اليهود وحسن اسلامهم .
وروي عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي قال : اذا صاح النسر قال
يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت ، واذا صاح العقاب قال في البعد من الناس انيس ، واذا صاح
القبر قال الهي الهي مبغضي آل محمد ، واذا صاح الخطاف قرأ (الحمد لله رب العالمين) ويمد
الضالين كما يمد القاري .

قوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) يؤتاه الانبياء والملوك . قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة
وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والسياطين والرياح (إن لهذا هو الفضل المبين) الزيادة
الظاهرة على ما أعطى غيرنا ، وروي أن سليمان عليه السلام أعطي مشارق الارض ومغاربها
(تفسير ابن كثير والبغوي) (٣٤) (الجزء السادس)

قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع ، قال فخرج ذات يوم وأغلقت الابواب فأقبلت امرأة تطلع الى الدار فاذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت ؟ من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة ؟ والله لنفتضحن بداود . فجاء داود عليه السلام فاذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت ؟ فقال الذي لا بهاب للملوك ولا يمتنع من الحجاب . فقال داود أنت اذا والله ملك الموت مرحباً بأمر الله فنزل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير أظلي على داود فظالت عليه الطير حتى أظلمت عليه الارض ، فقال لها سليمان اقضي جناحاً جناحاً . قال أبو هريرة يا رسول الله كيف فعلت الطير ؟ فقضى رسول الله ﷺ يده وغلبت عليه يومئذ المصراحة . قال أبو الفرج بن الجوزي : المصراحة هي الذنور الحمراء .

وقوله تعالى (وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الانس وكانوا هم الذين يولونه والجن وهم بعدهم في المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه ، فان كان حراً أظلمته منه بأجنحتها . وقوله (فهم يوزعون) أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له ، قال مجاهد - جعل على كل صف وزعة يردون أولها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير كما يفعل الملوك اليوم وقوله (حتى إذا أتوا على وادي النمل) أي حتى اذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش

فلك سبعائة سنة وستة أشهر ملك جميع أهل الدنيا من الجن والانس والدواب الطير والسباع وأعطى على ذلك منطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة

قوله عز وجل (وحشر سليمان) وجمع لسليمان (جنوده من الجن والانس والطير) في مسيره (فهم يوزعون) فهم يكفون . قال قتادة كان على كل صف من جنوده وزعة ترد أولها إلى آخرها لئلا يتقدموا في المسير . والوازع الحابس وهو النقيب ، وقال مقاتل (يوزعون) يساقون وقال أسدي يوقفون ، وقيل يجمعون وأصل الوزع الكف والمنع . قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الحشب فيها ثلثمائة منكوبة وسبعائة سرية يأمر الزعيم العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء الا جأت الريح فأخبرتك

قوله عز وجل (حتى إذا أتوا على وادي النمل) روي عن وهب بن منبه عن كعب قال : كان كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابر يحمل فيها تنانير الحديد

والجنود على وادي النمل (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أورد ابن عساکر من طريق إسحاق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه النملة حرس وأنها من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب . أي خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها (فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

وقدور عظام يسم كل قدر عشر جزائر ، وقد اتخذها يادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون ونجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوي بهم ، فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله ﷺ فقال سليمان : هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه . ورأى حول البيت أضناماً تعبد من دون الله ، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله إلى البيت ما يبكيك ؟ فقال يارب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يبطوا ولم يصلوا عندي والاضنام تعبد حولي من دونك . فأوحى الله إليه أن لا تبك فاني سوف أملؤك رجوها سجداً وأنزل فيك قرآناً جديداً ، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي ، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني ، وأفرض على عبادي فريضة يدفون اليك ديف النسر إلى وكرها ، ويحنون اليك حنين الناقة إلى ولدها والحماة إلى بيضتها ، وأطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين ، ثم مضى سليمان حتى مروا بوادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل . هكذا قال كعب انه واد بالطائف ، وقال قتادة ومقاتل هو أرض بالشام ، وقيل واد كان يسكنه الجن وأولئك بوادي النمل مرا كبهم ، وقال نوف الجيزي كان نمل ذلك الوادي أمثال الذباب ، وقيل كالبعخان والمشهور أنه النمل الصغير ، وقال الشعبي كانت تلك النملة ذات جناحين ، وقبل كانت نملة عرجاء فنادت (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم تقل ادخلن لأنه لما جعل لهم قولاً كالأدبين خوطبوا بخطاب الآدبين (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم (سليمان وجنوده) والحطام الكسر (وهم لا يشعرون) فسمع سليمان قولها وكان لا يتكلم خلق الا حملت الريح ذلك فألقته في مسام سليمان ، قال مقاتل سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال . قال الضحك كان اسم تلك النملة صاحبة ، قال مقاتل كان اسمها خرمي (١) فان قيل كيف يتصور الحطام من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والأرض اقل كانت جنوده ركباناً وفيهم مشاة على الأرض تطوى لهم ، ويحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح لسليمان . قال أهل التفسير علم النمل أن سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم . ومعنى الآية انكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطوكم ولم يشعروا بكم . وروي أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم قوله عز وجل (فتبسم ضاحكاً من قولها) قال الزجاج : أكثر ضحكك الانبياء انتبهم ، وقوله

(١) في ابن كثير حرس

وأن أعمل صالحاً ترضاه (أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي من تعليمي) منطق الطير والحيوان وعلى والذي بالاسلام لك ، والايمان بك (وأن أعمل صالحاً ترضاه) أي عملاً تحبه وترضاه (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك ، ومن قال من المفسرين إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الاقوابل فلا حاصل لها

وعن نوف البكالي أنه قال كان نمل سليمان أمثال الذناب ، هكذا رأيته مضبوطاً بالياء المثناة من تحت وإنما هو بالياء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم . والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكاً من ذلك وهذا أمر عظيم جداً . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا مسعر عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود عليها السلام يستسقي فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنا خلقنا من خلقك ولا غنى لنا عن سقياك ، وإلا نسقنا هلكنا . فقال سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

وقد ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قرصت نبيا من الانبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله اليه : أفني أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الامم تسبح فيها نملة واحدة ؟ »

(ضاحكاً) أي متبسماً قبل كان أوله التبسم وآخره الضحك

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن سليمان حدثني بن وهب أنا عمرو وهو ابن الحارث أنا أبي النصر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت : مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهوآه إنما كان يتبسم .

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث بن جرو قال : مارأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ . قال مقاتل كان ضحك سليمان من قول النملة تعجباً لأن الانسان إذا رأى مالا عهد له به تعجب وضحك . ثم حمد سليمان ربه على ما أنعم عليه ﷺ وقال رب أوزعني (ألهمني) أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (أي أدخلني في جهنم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشرني في زميرهم قال ابن عباس : يريد مع ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين ، وقبل أدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين

وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين (٢٠) لأعذبه عذاباً

شديداً أولاً ذبحه أوليائتي بسلاطين ميين (٢١)

قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدد مهندساً يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض فإذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبت الماء من قراره ، فنزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدد فلم يره (فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) حدث يوماً عبد الله بن عباس بنحو هذا وفي القوم رجل من الخوارج يقال له نافع بن الأزرق وكان كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قف يا ابن عباس غلبت اليوم قال ولم ؟ قال أنك تخبر عن الهدد أنه يرى الماء في تخوم الأرض ، وأن الصبي يضع له الحبة في الفخ ويحشو على الفخ تراباً فيجيء الهدد ليأخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس : لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبتهم قال له ويحك أنه إذا نزل القدر عني البصر وذهب الحذر ، فقال له نافع : والله لا أجادلك في شيء من القرآن أبداً

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله البرزي من أهل برزة من غوطة دمشق وكان من الصالحين يصوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين . فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي

قوله عز وجل ﴿ وتفقد الطير ﴾ أي طلبها وبحث عنها والتفقد طلب ما فقد ومعنى الآية طلب ما فقد من الطير ﴿ فقال مالي لا أرى الهدد ﴾ أي ما للهدد لا أراه تقول العرب مالي أراك كئيباً أي مالك . والهدد طائر معروف . وكان سبب تفقد الهدد وسؤاله عنه قيل إخلاله بالنوبة . وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلاً يظله وجنده جناح الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدد فنظر فرآه خالياً وروى عن ابن عباس أن الهدد كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاج ، ويعرف قربه وبهذه فينقر الأرض ثم ينجي الشياطين فيسأله عن موضع الماء . قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق يا وصاب انظر ما تقول إن الصبي منا يضع الفخ ويحشو عليه التراب فيجيء الهدد ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه ، فقال له ابن عباس ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر ، وفي رواية إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر . فنزل سليمان منزلاً فاحتاج إلى الماء فطلبوا فلم يجدوا فتفقد الهدد ليدل على الماء . فقال مالي لا أرى الهدد على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك في غيبته فقال ﴿ أم كان من الغائبين ﴾ يعني أكان من الغائبين والميم صلة وقيل أم بمعنى بل ثم أوعده على غيبته فقال

سليمان بن زيد أنه سأله عن سبب عوره فامتنع عليه فألح عليه شهوراً فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة وسألاه عن واد بها فأريتهما إياه فأخرجاهما وأوقدا فيهما بخوراً كثيراً حتى عجمج الوادي بالدخان، فأخذ بعزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما فلا يلبثان إلى شيء منها، حتى أقبلت حية نحو الدراع وعيناها تتوقدان مثل الدينار، فاستبشرا بهما عظيماً وقالوا الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا الحمار وأخذوا الحية فأدخلوا في عينها ميلاً فاكتمحلا به، فساءلتهما أن يكحلاني فأبيا فألححت عليهما وقلت لا بد من ذلك وتوعدتهما بالدولة فكحلاني عيني الواحدة اليمنى فحين وقم في عيني نظرت إلى الأرض تحتي مثل المرأة أنظر ما تحتها كما ترى المرأة. ثم قال لي: سر معنا قليلاً فسررت معهما وهما يحدثنني حتى إذا بعدت عن القرية أخذاني فكتفاني وأدخل أحدهما يده في عيني ففقاها ورعى بها ومضيا، فلم أزل كذلك ملقى مكتوفا حتى مر بي نفر ففك وثاقي، فهذا ما كان من خبر عيني وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو الغساني حدثنا عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن قال: اسم هدهد سليمان عليه السلام غيره. وقال محمد بن اسحاق: كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدد (فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) أخطأه بصري من الطير أم غاب فلم يحضر؟ وقوله (لأعذبه عذاباً شديداً) قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد عن ابن عباس يعني تف

﴿لأعذبه عذاباً شديداً﴾ واختلّفوا في العذاب الذي أوعده به فأظهر الأقارب أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً لا يمنع من المل ولا من هوام الأرض، وقال مقاتل بن حيان لأطليته بالقطران ولا شمس، وقيل لأودغنه القفص، وقيل لافرقن بينه وبين الغة، وقيل لأحبسه مع ضده ﴿أو لأذبحنه﴾ لأقطعن حلقه ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ بحجة بينة في غيبته وعذر ظاهر قرأ ابن كثير ليأتيني بنونين الأولى مشددة، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة وكان سبب غيبته على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز المسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معه مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وكان ينجر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف كبش، وقال لمن حضره من أشراف قومه إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناراه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سرّاء، لا تأخذه في الله لومة لائم. قالوا فأي دين يدين يابني الله؟ قال يدين بدين الخنيفية البيضاء فطوبى لمن أدركه وآمن به. فقالوا كم بيننا وبين خروجه يابني الله؟ قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل. قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه

ربشه ، وقال عبد الله بن شداد تنف ربشه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف أنه تنف ربشه وتركه ملقى يأكله الذر والنمل . وقوله (أو لأذبحنه) يعني قتله (أو ليأتيني بسلطان مبين) بعذر بين واضح ، وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد : لما قدم الهدهد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر

ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء ترهو خضرها فأحب النزول بها ليصلي ويتقدي . فلما نزل قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر الى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا بلقيس فقال الى الخضره فوقع فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه ، وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفبر فقال يعفبر اليمن ليعفور سليمان من أين أقبلت وأين تريد ؟ قال : أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود . فقال ومن سليمان ؟ قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت ؟ قال أنا من هذه البلاد . قال ومن ملكها ؟ قال امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل ، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر ملكها ؟ قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء قال الهدهد اليمني ان صاحبك يسره أن تأتبه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها وما رجع الى سليمان إلا في وقت العصر . قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير الماء فسأل الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا فتفقد الطير ففقد الهدهد ، فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلحك الله ما أدري أين هو وما أرسلته الى مكان . فغضب عند ذلك سليمان (وقال لأعذبه عذابا شديدا) الآية ثم دعا العقاب سيد الطير فقال عليّ بالهدهد الساعة فرفم العقاب نفسه دون السماء حتى التزق بالهوا . فنظر الى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه بريده فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء . فناداه فقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتي ولم تعرض لي بسوء . قال فولى عنه العقاب وقال له وياك تكلمتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك . ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتبها إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له وياك أين غبت في يومك هذا واقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال فقال الهدهد : أو ما استثنى رسول الله ؟ قالوا بلى قال (أوليأتيني بسلطان مبين) قال فنجوت إذا . ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فده اليه وقال له أين كنت ؟ لاعذبتك عذابا شديدا فقال الهدهد يا نبي الله اذكرو قوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ، ثم سأله فقال له ما الذي أبطأ

سليمان دمك، فقال هل استثنى؟ قالوا نعم قال (لا عذبه عذاباً شديداً أو لا ذبحنه أو لا أتيني سلطان
مبين) قال نجوت إذا ، قال مجاهد انما دفم الله عنه يبره بأمه

فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين (٢٢) إني

وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (٢٣) وجدتها وقومها يسجدون

لشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (٢٤)

ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (٢٥)

الله لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم (٢٦)

يقول تعالى (فكث) الهدد (غير بعيد) أي غاب زمانا يسيرا ثم جاء ، فقال سليمان (أحطت
بما لم تحط به) أي اطاعت على ما لم تطاع عليه أنت ولا جنودك (وجئتك من سبأ نبأ يقين) أي بخبر
صدق حق يقين ، وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن ، ثم قال (إني وجدت امرأة تملكهم) قال الحسن
البصري وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وقال قتادة . كانت أمها جنية وكان مؤخر قدمها
مثل حافر الدابة من بيت مملكة . وقال زهير بن محمد هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان
وأما فارة الجنية ، وقال ابن جرير بلقيس بنت ذي شرخ وأما بلنعة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب
عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاعبة سليمان مائة الف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل ، وقال

بك عنى فقال الهدد ما أخبر الله عنه في قوله (فكث) قرأ أعاصم ويعقوب فكث بفتح الكاف وقرأ الآخرون
بضمها وهما لغتان (غير بعيد) أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) والاحاطة العلم بالشيء . من جميع جهاته
يقول علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك (وجئتك من سبأ) قرأ أبو عمرو والبزي عن ابن كثير
من سبأ وسبأ في سورة سبأ مفتوحة الهمزة ، وقرأ القواسم عن ابن كثير ساكنة بلا همزة وقرأ الآخرون
بالجر فمن لم يجره جعله اسم البلد ومن جره جعله اسم رجل ، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ
سئل عن سبأ فقال « كان رجلا له عشرة من البنين تيمان منهم ستة وتشام أربعة » (نبأ) بخبر
(يقين) فقال سليمان وما ذاك قال (إني وجدت امرأة تملكهم) وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل
من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان
يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس احد منكم كعوالي واني ان يزوج فيهم فزوجوه

الاعمش عن مجاهد كان تحت يدي ملكة سبا اثنا عشر الف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل ، وقال عبيد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى (اني وجدت امرأة تملكهم) كانت من بيت ملكة وكان اولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بارض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء ، وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة اليمن والله أعلم وقوله (وأوتيت من كل شيء) أي من متاع الدنيا مما يحتاج اليه الملك المتمكن (ولها عرش عظيم) يعني سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر والآلات . قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد ، طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا ، وقال محمد بن إسحاق كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان انما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلي الخدمة

قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرق ومثلها من مغرب ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب امرأة من الجن يقال لها ريمانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها . وجاء في الحديث « إن أحد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها قوم آخرون فملكوا عليهم رجلا واقترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من ارض اليمن ، ثم إن الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأته بلقيس ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابذل لك بالخطبة الا اليأس «نك قالت لا ارغب عنك كفؤ كريم فاجم رجال قومي واخطبني اليهم . فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال لهم إنما ابذل انني فاحب ان نسمعوا قولها فجاوبوها فذكروا لها فقالت نعم احببت الولد فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في أناس كثير من حشمها فلما جاءت سقته الخمر حتى سكر ثم حزت راسه وانصرفت من الليل الى منزله ، فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها فلما رأوه علموا أن تلك المناكحة كانت مكرًا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا أنت بهذا الملك أحق من غيرك فملكوها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عثمان بن الهيثم أنا عوف عن الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال لما بلغ رسول الله ﷺ ان اهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال « لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة »

قوله تعالى ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ يحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ سرير ضخم كان مضروبا من الذهب مكلا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من (تفسير ابن كثير والبغوي) (٣٥) (الجزء السادس)

من مقابلتها فيسجدون لها صباحاً ومساءً ولهذا قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل) أي عن طريق الحق [فهم لا يهتدون]
 وقوله (ألا يسجدوا لله) أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) وقرأ بعض القراء (ألا يا يسجدوا لله) جعلها ألاً للاستفتاحية وبالإهداء ، وحذف المنادي تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا لله . وقوله (الذي يخرج الخبء في السموات والأرض)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيثة في السماء والأرض ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقنادة وغير واحد ، وقال سعيد بن المسيب الخبء الماء . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق . المطر من السماء والنبات من الأرض ، وهذا مناسب من كلام المدهد الذي جعل الله فيه من الخاصة ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض وداخلها . وقوله (وبعلم ما تخفون وما تعلنون) أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال ، وهذا كقوله تعالى (سواء منكم من أمر القول ومن جهر به

الباقيات والزمرد عليه سبعة آيات على كل بيت باب مفلق قال ابن عباس : كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً . وقال مقاتل كان طوله ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً . وقيل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا) قرا أبو جعفر والكسائي ألا يسجدوا بالتخفيف وإذا وقفوا يقولون الأياهم يبتدون اسجدوا على معنى ألا يا هؤلاء اسجدوا جعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً وحذفوا هؤلاء اكتفاً بدلالة يا عليها وذكر بعضهم سماعاً من العرب ألا يا أرحمونا يريدون ألا يا قوم قال الأخطل

ألا يا أسلمي يا هند هند بني بكر وإن كان حياناً غداً آخر الدهر

يريد ألا يا هند أسلمي وعلى هذا يكون قوله ألا كلاماً معرضاً من غير انقصة أما من الهدد وأما من سليمان . قال أبو عبيدة هذا أمر من الله مستأنف يعني ألا أيها الناس اسجدوا ، وقرأ الآخرون ألا يسجدوا بالتشديد بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم ألا يسجدوا (الله الذي يخرج الخبء) أي الخفي الخبأ (في السموات والأرض) أي ما خبأت . قال أكثر المفسرين خبء السماء المطر وخبء الأرض النبات ، وفي قراءة عبد الله (يخرج الخبء من السموات والأرض) ومن وفيه ما قبلان تقول العرب لاستخرجن العلم فيكم يريد منكم ، وقيل معنى الخبء الغيب يريد يعلم غيب السموات والأرض (وبعلم ما تخفون وما تعلنون) قرا الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء فيهما لأن أول الآية خطاب على

ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقوله (الله لا إله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المدعو الله وهو الذي لا إله الا هو رب العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه. ولما كان الهدهد داعياً الى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الامام احمد وابو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد واسناده صحيح

قال سنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (٢٧) اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (٢٨) قالت يا أيها المأثور اني ألقى الي كتاب كريم (٢٩) انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) ألا تدلوا علي وأتوني مسلمين (٣١)

يقول تعالى مخبراً عن قبل سليمان للهدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم (قال سنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) أي أصدقت في اخبارك هذا (أم كنت من الكاذبين) في مقالتيك لتخلص من الوعيد الذي أوعدتك (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتاباً الى بلقيس وقومها ، وأعطاه ذلك الهدهد فحمله ، قبل في جناحه كما هي عادة الطير ، وقيل بمنقاره ، وذهب الى بلادهم فجاء الى قصر بلقيس الى الخلوۃ التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه اليها من كوة هنالك بين يديها ثم نولى ناحية أدبا ورياسة فتحيرت ممرأت

قراءة الكسائي بتخفيف الأ وقرأ الآخرون بالياء (الله لا إله الا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل . ثم ههنا كلام الهدهد ، فلما فرغ الهدهد من كلامه

(قال) سليمان للهدهد (سنظر أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) فدلهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركابا وروى الناس والدواب ثم كتب سليمان كتاباً من عبد الله سليمان ابن داود الى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تدلوا علي وأتوني مسلمين . قال ابن جرير لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه ، وقال قتادة وكذلك كل الانبياء كانت تكتب جملاً لا يطيلون ولا يكثرون ، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه فقال للهدهد (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) قرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة ساكنة الماء ويخلصها أبو جعفر ويعقوب وقالون كسراً والآخرون بالاشباع كسراً (ثم تول عنهم) تنح عنهم فكن قريباً منهم (فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب . وقال ابن زيد في الآية تقديم وتأخير مجازاً : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم . أي انصرف إلي فأخذ الهدهد الكتاب فأتى به

وهالها ذلك ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه (إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم * أن لا تعولوا علي واثنوني مسلمين) فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها وملكيتها ثم قالت لهم (يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم) تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون طائر جاء به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدبا وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ، ولا سبيل لهم إلى ذلك ثم قرأته عليهم (إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعولوا علي واثنوني مسلمين) فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام ، وأنه لا قبل لهم به وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها

قال العلماء لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام ، وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا في تفسيره حيث قال : حدثنا أبي حدثنا هارون بن الفضل أبو يعلى الخياط حدثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبي أمية عن ابن بريدة عن أبيه قال : كنت أمشي مع

إلى بلقيس وكانت بارض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب ، وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأنها الهدد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها . هذا قول قتادة ، وقال مقاتل حمل الهدد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون إليه حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها

وقال ابن منبه وابن زيد كان لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها . فجاء الهدد الكوة فسددها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم ، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب إليها أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل . وعن ابن عباس قال : كان مع بلقيس مائة ألف قبل مع كل مائة ألف والقبيل الملك دون الملك الأعظم . وقال قتادة ومقاتل كان أهل مشورتها ثلثائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف ، قال فجاءوا وأخذوا مجالسهم ﴿ قالت ﴾ لهم بلقيس ﴿ يا أيها الملأ ﴾ وهم أشرف الناس وكبرؤهم ﴿ إني ألقى إلي كتاب كريم ﴾ قال عطاء ، والضحاك سمته كريما لأنه كان مختوما . وروى ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « كرامة الكتاب ختمه » وقال قتادة ومقاتل (كتاب كريم) أي حسن وهو اختيار الزجاج وقال حسن مافيه . وروى عن ابن عباس كريم أي شريف لشرف صاحبه ، وقيل سمته كريما لأنه كان مصدراً بيسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت الكتاب فقالت ﴿ إنه من سليمان ﴾ وبينت المكتوب

رسول الله ﷺ فقال « اني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود » قالت يا نبي الله أي آية ؟ قال « سأعلمكما قبل أن أخرج من المسجد » قال فانتهي الى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت لذي ثم التفت إلي وقال « إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » هذا حديث غريب واسناده ضعيف . وقال ميمون بن مهران كان رسول الله ﷺ يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)

وقوله (أن لا تعولوا علي) قال قتادة يقول لا تجبروا علي [واثنوني مسلمين] وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا تمتنعوا ولا تتكبروا علي واثنوني مسلمين . قال ابن عباس موحد بن ، وقال غيره مخلصين ، وقال سفيان بن عيينة طائعين

X

قالت يا أيها الملأ أفنوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (٣٢) قالوا نحن

ألو قوة وألو بأس شديد والأمر إليك فانظري ما ذا تأمرين (٣٣) قالت إن الملوك إذا

دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (٣٤) وإني مرسله إليهم

بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (٣٥)

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها وما قد نزل بها ولهذا قالت [يا أيها الملأ أفنوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون] أي حتى نحضرون وتشيرون [قالوا نحن ألو قوة وألو بأس شديد] أي منوا اليها بعددكم وعددهم وقوتهم ثم فوضوا اليها بعد ذلك الامر فقالوا : والامر إليك (فانظري ماذا تأمرين) أي نحن ليس لنا عاقبة ولا بنا بأس ان شئت أن نقصديه ونحاريه فما لنا عاقبة عنه ، وبعد هذا فالامر إليك مري فينا رأيك نمثله ونطيعه

فكانت « وانه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعولوا علي » قال ابن عباس أي لا تتكبروا علي ، وقيل لا تعظموا ولا ترفعوا علي ، وقيل معناه لا تمتنعوا علي من الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر « واثنوني مسلمين » مؤمنين طائعين قيل هو من الاسلام وقيل هو من الاستسلام قوله « قالت يا أيها الملأ أفنوني في أمري » أشيروا علي فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه « ما كنت قاطعة » قاضية وفاصلة « أمرا حتى تشهدون » أي نحضرون « قالوا » مجيبين لها « نحن ألو قوة » في القتال « وألو بأس شديد » عند الحرب . قال مقاتل وأرادوا بالقوة كثرة العدد وبالبأس الشديد الشجاعة . وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا « والامر إليك » أي أيتها الملكة في القتال وتركه « فانظري » من الرأي « ماذا تأمرين » نحددنا لأمرك مطيعين « قالت »

قال الحسن البصري رحمه الله فوضوا أمرهم إلى علة تضطرب ثدياها فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي أحزم رأيا منهم وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سخر لها من الجن والانس والطير ، وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدد أمراً عجيباً بديها فقلت لهم اني أخشى أن نحاربه ونعتمد عليه فيقصدنا بجنوده وبهـلـكنا بمن معه ويخلص الي واليكم الهلاك والدمار دون غيرنا ، ولهذا قالت [إن الملك إذا دخلوا قرية أفسدوها]

بلفيس محببة لهم عن التعريض للقتال [إن الملك إذا دخلوا قرية] عنوة [أفسدوها] خربوها [وجعلوا أعزة أهلها أذلة] أي أهانوا أشرفها وكبرائها كي يستقيم لهم الامر وتحذرهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وتناهي الخبر عنها ههنا فصدق الله قولها فقال [وكذلك يفعلون] أي كما قالت هي يفعلون ثم قالت

[وإني مرسله اليهم بهدية] والهدية هي العطية على طريق الملاطفة وذلك أن بلفيس كانت امرأة لينة قد سيست وساست فقالت للملأ من قومها (إني مرسله اليهم) أي إلى سليمان وقومه (بهدية) أصانعه بها عن ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف ، وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه . فذلك قوله تعالى [فناظره بم يرجع المرسلون] فأهدت اليه وصفا ، ووصائف . قال ابن عباس ألبستم لباسا واحداً كي لا يعرف الذكر من الانثى ، وقال مجاهد ألبس الغلمان لباس الجوارى وألبس الجوارى لبسة الغلمان واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة ، وقال مجاهد ومقاتل مائتا غلام ومائتا جارية ، وقال قتادة وسعيد بن جبير أرسلت اليه بلينة من ذهب في حرير وديباج ، وقال ثابت البناني أهدت اليه صفائح الذهب في أوعية الديباج ، وقيل كانت أربع لبنات من ذهب ، وقال وهب وغيره عمدت بلفيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب ، وفي آذانهم أقراطا وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر وألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق ، وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشيتها من الديباج الملون وبعثت اليه خمسمائة لينة من ذهب وخمسمائة لينة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه المسك والعنبر والعود الانجوج وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معه كتابا بنسخة الهدية وقالت فيه إن كنت نبيا فيز لي بين الوصائف والوصفا ، وأخبرني بما في الحقة قبل أن تفتحها وانثب الدر ثقباً مستويا وأدخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلفيس الغلمان فقالت اذا كلمكم سليمان فكلموه

قال ابن عباس أي إذا دخلوا بلاداً عنوة أفسدوه أي خربوه [وجعلوا أعزة أهلها أذلة] أي وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان أما بالقتل أو بالأسر . قال ابن عباس قالت بلقيس [إن الملك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة] قال الرب عز وجل [وكذلك يفعلون] ثم عدت إلى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمحادعة والمصانعة فقالت [وإني مرسل اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون] أي سأبعث اليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فاعله

بكلام تأنيت وتخييت يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت للرسول انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهوانك منظره فأنا أعز منه ، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر كله . فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضة ، ثم قال أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر ؟ قالوا يا نبي الله انا رأينا دواب في بحر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص ، فقال علي بها الساعة فأتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وأتوا لها علوفتها فيها ، ثم قال للجن علي بأرلادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثله عن يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثلهما روث على ابن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا

وفي بعض الروايات أن سليمان لما أسر بفرض الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر موضع اللبنة التي معهم فلما رأى الرسل موضع اللبنة خاليا وكانت الأرض مفروشة خافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان ، فلما رأوا الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففرغوا . فقالت لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمدحون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والهوام والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان ، فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجه طلق ، وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا له وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال : إني الحق فإني بها فخر كما وجاء جبريل فأخبره بما في الحق فقال : إن فيها درة ثمينة غير منقوبة وجزعة منقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فأنقب الدرة وادخل الخيط في الخرز . فقال سليمان من لي بثقبها فقال سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ، ثم سأل الشياطين

قبل ذلك منا ويكف عنا أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه في كل عام ولننزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا . قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها في إسلامها وشركها علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك ففأتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه فلما جاء سليمان قال أتمدون ؟ بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أتم بهديتكم

تقرحون (٣٦) ارجع إليهم فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم

صغرون (٣٧)

ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولا لي . وغير ذلك ، وقال بعضهم أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب . قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أرسلت جوارى في زي الغلمان وغلمانا في زي الجوارى فقالت إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فتوضوا فجعلت الجارية تفرغ على يديها من الماء وجعل الغلام يعترف فبزمهم بذلك ، وقيل بل جعلت الجارية تغسل باطن يديها قبل ظاهرها والغلام بالعكس ، وقيل بل جعلت الجوارى يغسلن من أكتفهن إلى مرفقهن ، والغلمان من مرفقهن إلى كفوفهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم . وذكر بعضهم أنها أرسلت إليه بقدر ليلالة ما رواه فقالوا أرسل إلى الأرض فجاءت الأرض فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك ؟ فقالت نصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك ، وروي أنه جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت أنا أدخل الخيط في الثقب على أن يكون رزقي في الصفصاف فجعل لها ذلك فأخذت الخيط بفيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر ثم قال : من لهذه الخرزة فيسلكها في الخيط ؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك ؟ فقالت تجعل رزقي في الفواكه ، قال لك ذلك ، ثم ميز بين الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه ، والغلام يأخذه من الآنية يضرب به وجهه ، وكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صباً ، وكانت الغلام يحذر الماء على يديه حذراً فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال الله تعالى

(فلما جاء سليمان قال أتمدون بمال) قرأ حمزة وبعقوب أتمدوني بنون واحدة مشددة واثبات الياء ، وقرأ الآخرون بنونين خفيفتين ويثبت الياء . أهل الحجاز والبصرة والآخرون يحذفونها (فما آتاني الله) أعطاني الله من النبوة والدين والحكمة والملك (خير) أفضل (مما آتاكم بل أنتم

لا من السماء ولا من الارض ، فأجرى الخيل حتى عرقت ثم ملأه من ذلك ، وبخززة وسلك ليجعله فيها ففعل ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره ، أخذ من الأسر اثيليات ، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكيفية ولا اعتنى به بل أعرض عنه ، وقال منكر آ عليهم (أتمدون بمال) أي أنصاهوني بمال لا تركمكم على شرككم وملككم (فما آتاني الله خير مما آتاكم) أي الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أي أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الاسلام أو السيف

قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه: أمر سليمان الشياطين فمروا له الف قصر من ذهب وفضة ، فلما رأت رسلها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا ، وفي هذا جواز تهيو الملوك وإظهارهم الزينة للرسول والقصاص (أرجع إليهم) أي بهديتهم (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي لاطاقة لهم بمقاتلتهم (ولنخرجهم منها أذلة) أي ولنخرجهم من بلدتهم من أذلة (وهم صاغرون) أي مهانون مدحورون. فلما رجعت إليها رسلها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة اسليمان ناوية متابعتها في الاسلام ، ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه ووفودهم إليه فرح بذلك وسره

بهديتكم تفرحون) لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون بأهداء بعضكم إلى بعض ، فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي . لأن الله تعالى قد مكنتني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحداً ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد (أرجع إليهم) بالهدية (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم) لاطاقة لهم (بها ولنخرجهم منها) أي من أرضهم وبلادهم وهي سبأ (أذلة وهم صاغرون) ذليون إن لم يأتوني مسلمين

قال وهب وغيره من أهل الكتب فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت . قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به . طاقة فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم أمرت بعرضها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها ثم أغلقت دونه الابواب ووكت به حراساً يحفظونه ، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسربر ملكي لا يخلص إليه أحد ولا يقربه حتى آتيك . ثم أمرت منادياً ينادي في أهل مملكته يؤذنه بالرحيل وشخصت إلى سليمان في اثني عشر الف قبل من ملوك اليمن تحت يدي كل قيل الوف كثيرة . قال ابن عباس وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه ، فخرج يوماً فجلس على سربر ملكه فرأى رهجاً قريباً منه فقال ما هذا ؟ قالوا بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان . قال ابن عباس وكان بين السكوة والحيرة مسيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان حينئذ على جنوده

قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتيني مسلمين؟ (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكره ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)

قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال : فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقه وما نصنع بمكابرته شيئا ، وبعثت إليه أني قادمة عليك بملوك قومي لا نظر ما أمرك وما تدعونا إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه ، وكان من ذهب منصص بالياقوت والزرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الابواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يربنه أحد حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبل من ملوك الجن تحت يدي كل قبل الوف كثيرة فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى اذا دنت جمع من عنده من الجن والانس ممن تحت يده فقال (يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتيني مسلمين) وقال قتادة لما بلغ سليمان أنها جائية وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه ، وكان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر ، وكان مسترا بالدياج والحريز ، فكانت عليه تسعة معاليق فكره أن يأخذه بعد اسلامهم . وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال (يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتيني مسلمين) وهكذا قال عطاء الخراساني والسدي وزهير بن محمد (قبل أن يأتيني مسلمين) فتحرم علي أموالهم باسلامهم (قال عفريت من الجن) قال مجاهد أي ماردم من الجن . قال شعيب الجبائي وكان اسمه كوزن ، وكذا قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وكذا قال ايضا

قوله تعالى ﴿ قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتيني مسلمين ﴾ أي مؤمنين . وقال ابن عباس طائفتين واختلفوا في السبب الذي لاجله أمر سليمان باحضار عرشها فقال أكثرهم لان سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذها باسلامها ، وقيل ليربها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها ، وقال قتادة لانه أعجبه صفته لما وصفه الهدد فأحب أن يراه . قال ابن زيد أراد أن يأمر بتكبيره وتغييره ليختبر بذلك عقلها

قوله ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ وهو المارد القوي ، قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان ، قال ابن عباس العفريت الداهية ، وقال الضحاك هو الخبيث ، وقال الربيع الغليظ ، قال الفراء القوي الشديد

وهب بن منبه قال ابو صالح وكان كأنه جبل (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك)
قال ابن عباس يعني قبل أن تقوم من مجلسك ، وقال مجاهد مقعدك ، وقال السدي وغيره
كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من اول النهار إلى أن تزول الشمس (وإني عليه لقوي
أمين) قال ابن عباس اي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجوهر . فقال سليمان عليه السلام اريد
أعجل من ذلك ، ومن ههنا يظهر أن سليمان أراد باحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من
الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لاحد من بعده ، وليتخذ ذلك حجة
على نبوته عند بلقيس وقومها لان هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا
عليه ، هذا وقد حجته بالاعلاق والاقفال والحفظة . فلما قال سليمان اريد أعجل من ذلك (قال الذي
عنده علم من الكتاب) قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان ، وكذا روى محمد بن إسحاق عن
يزيد بن رومان أنه آصف بن برخيا ، وكان صديقاً يعلم الاسم الاعظم ، وقال قتادة كان مؤمناً من
الانس واسمه آصف ، وكذا قال ابو صالح والضحاك وقتادة انه كان من الانس زاد قتادة من بني
اسرائيل ، وقال مجاهد كان اسمه أسطرم

وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا ، وقال زهير بن محمد هو رجل من الانس يقال له
ذوالنور ، وزعم عبدالله بن لهيعة أنه الخضر وهو غريب جداً . وقوله (أنا آتيك به قبل أن يرتد

وقيل هو صخر الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من
مقامك ﴾ أي من مجلسك الذي تقضي فيه ، قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى
متسع النهار ﴿ وإني عليه ﴾ أي على حمله ﴿ لقوي أمين ﴾ على ما فيه من الجوهر ، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا
قوله ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل ، وقيل هو ملك
من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان ، وقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا وكان صديقاً يعلم اسم
الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب ، واذا سئل به أعطى . وروى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن
ابن عباس قال: ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه فنظر
نحو اليمن فدعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يحدون به خدأ حتى انخرقت
الارض بالسرير بين يدي سليمان . وقال الكلبي خر آصف ساجداً ودعا باسم الله الاعظم ففسار
عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسي سليمان . وقيل كانت المسافة مقدار شهرين واختلفوا في الدعاء
الذي دعا به آصف ، فقال مجاهد ومقاتل يا ذا الجلال والاكرام ، وقال الكلبي يا حي يا قيوم ، وروي
ذلك عن عائشة ، وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم الكتاب يا لهنا وإله كل شيء . إلهوا واحداً
لإله الا أنت انتني بعرشها ، وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل آتاه
الله علماً وفهما ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ قال سليمان هات ، قال أنت النبي بن النبي

قال نكروا لها عرشها ننظر أتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون (٤١) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنّا مسلمين (٤٢) وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (٤٣) قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتّه لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (٤٤)

لما جئنا سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال (نكروا لها عرشها ننظر أتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون) قال ابن عباس نزع منه فصوصه ومرافقه، وقال مجاهد أمر به فغير ما كان فيه أحمر جعل أصفر وما كان أصفر جعل أحمر، وما كان أخضر جعل أحمر غير كل شيء عن حاله، وقال عكرمة زادوا فيه ونقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه ونقصوا (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) أي عرض عليها عرشها وقد غيروا نكر وزيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات وعقل، ولها لب ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعده مسافته عنها ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وإن غير

قوله تعالى ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ يقول غيروا سربرها إلى حال تنكره إذا رآته. قال قتادة ومقاتل هو أن يزداد فيه وينقص منه، وروي أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر ﴿ ننظر أتهدي ﴾ إلى عرشها فتعرفه ﴿ أم تكون من ﴾ الجاهلين ﴿ الذين لا يهتدون ﴾ إليه وإنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى إليه أمر الجن وذلك أن أمها كانت جنية وإذا ولدت له ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته ومن بعده فاساوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئا وإن رجلاً كحافر الحمار وإنها شعراء السابقين فأراد سليمان أن يخبر عقلها بتكبير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح

قوله ﴿ فلما جاءت قيل ﴾ لها ﴿ أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ﴾ قال مقاتل عرفته ولكنها شبت عليهم كما شبها عليها، وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل نعم خوفاً من أن تكذب ولم تقل لا خوفاً من التكذيب (قالت كأنه هو) فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر، وقيل اشتبه عليها أمر العرش لأنها زرته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما

وبدل ونكر فقالت (كأنه هو) أي يشبهه ويقاربه ، وهذا غاية في الذكاء ، والحزم وقوله (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) قال مجاهد يقوله سليمان ، وقوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم كافرين) هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعيد بن جبير رحمهما الله أي قال سليمان (أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وهي كانت قد صدها أي منعها من عبادة الله وحده (ما كانت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم كافرين) وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد وحسن وقاله ابن جرير أيضا ، ثم قال ابن جرير ويحتمل أن يكون في قوله (وصدها) ضمير يعود إلى سليمان أو إلى الله عز وجل تقديره ومنعها (ما كانت تعبد من دون الله) أي صدها عن عبادة غير الله (أنها كانت من قوم كافرين) [قلت] وبؤيده قول مجاهد أنها إنما أظهرت الاسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتي

وقوله (قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبتها جنة وكشفت عن ساقها) وذلك ان سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير أي من زجاج وأجرى تحته الماء ، فالذي لا يعرف أمره يحسب انه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه . واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذ فقيل انه عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها ولكن في ساقها هلف عظيم ومؤخر أقداسها كؤخر الدابة . فساء ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته هذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره ، فلما دخلت وكشفت عن ساقها رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما ولكن رأى على رجلها شعرا لأنها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له الموسى فقالت لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير الموسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا

أغنى عنك اعلاق الابواب فقالت (وأوتينا العلم) بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسول (من قبلها) من قبل الاية في العرش (وكنا مسلمين) متقادين طائعين لأمر سليمان وقيل قوله (وأوتينا العلم من قبلها) قاله سليمان يقول وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة (وكنا مسلمين) هذا قول مجاهد . وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين لله

قوله عز وجل (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) أي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس أن تعبد الله أي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله . فعلى هذا التأويل يكون مافي محل الرفع ، وقيل معناه ما صدها عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن ان في عقلها شيئا ، بل ما كانت تعبد من دون الله ، وقيل معناه صدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل مانعها (أنها كانت من قوم كافرين) هذا استئناف أخبر الله تعالى

له النورة وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والسدي وابن جرير وغيرهم

وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلي الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رآه حسبه لجة وكشفت عن ساقها لانتشك أنه ماء تخوضه فقيل لها أنه صرح ممر من قوارير، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادة الشمس من دون الله، وقال الحسن البصري: لما رأت العليجة الصرح عرفت والله أن قد رأت ملكا أعظم من ملكها، وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال: أمر سليمان بالصرح وقد علمته له الشياطين من زجاج كأنه الماء، بياضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال لها ادخلي الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رآه حسبه لجة وكشفت عن ساقها لانتشك أنه ماء تخوضه قبل لها أنه صرح ممر من قوارير، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله عز وجل وحده وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت وسجد منه الناس فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال ويحك ماذا قلت؟ قالت أنسيت ما قلت؟ فقالت (رب أني ظلمت نفسي وأسألت مع سليمان لله رب العالمين) فأسألت وحسن إسلامها

— وقد روى الامام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثر أغريبا عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن علي عن زائدة حدثني عطاء بن السائب حدثنا مجاهد ونحن في الازد قال حدثنا ابن عباس قال: كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم توضع كراميه حوله فيجلس عليها الانس ثم يجلس الجن ثم

أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس قوله ﴿ قيل لها ادخلي الصرح ﴾ الآية وذلك أن سليمان أراد أن ينظر الى قدميها وساقها من غير أن يسألها كشفهما لما قالت الشياطين ان رجليها كعافر الحمار وهي شعراء الساقين أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج وقيل بيتا من زجاج كأنه الماء بياضا وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرها ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس. وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الخيتان والضفادع فكان الواحد إذا رآه ظنه ماء. وقيل إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصيفات فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح ﴿ فلما رآته حسبه لجة ﴾ وهي معظم الماء ﴿ وكشفت عن ساقها ﴾ لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدما وساقا إلا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان

الشياطين ثم تأتي الريح تفرقهم ثم تظلم الطير ثم يغدون قدر ما يشتهي الراكب أن ينزل شهر أو رواحها شهرا ، قال فيبينما هو ذات يوم في مسير له إذ تفقد الطير ففقد الهدد فقال (مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين * لا عذبه عذابا شديدا أو لا يذبحه أولياؤني بسلطان ميين) قال وكان عذابه إياه أن ينفقه ثم يلقيه في الأرض فلا يمتنع من غلة ولا من شيء من هوام الأرض

قال عطاء ، وذكر سعيد بن جبيرة عن ابن عباس مثل حديث مجاهد (فسكت غير بعيد — فقرأ حتى انتهى إلى قوله — سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا) وكتب بسم الله الرحمن الرحيم إلى بلفيس (أن لا تلعوا علي واثقوني مسلمين) فلما ألقى الهدد الكتاب إليها ألقى في روعها انه كتاب كريم وانه من سليمان وأن لا تلعوا علي واثقوني مسلمين قالوا نحن أولو قوة قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها واني مرسل اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ، فلما جاءت الهدية سليمان قال أمدوني بمال ارجع اليهم فلما نظر إلى الغبار أخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبا ومن معها حين نظر الى الغبار كما بيننا وبين الخيرة ، قال عطاء ومجاهد حينئذ في الازد . قال سليمان أيكم يأتي بعرشها ؟ قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر الى الغبار مسيرة شهرين ، قال عفريت من الجن (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال وكان سليمان مجلس مجلس فيه للناس كما يجلس الامراء ثم يقوم فقال (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) قال سليمان أريد أعجل من ذلك ، فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فنظر اليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره فنبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسي كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد الى السرير ، قال فلما رأى سليمان عرشها قال (هذا من فضل ربي) الآية (قال نكروا لها عرشها) فلما جاءت قيل أهكذا

ذلك صرف بصره عنها وناداهما (قال إنه صرح بمرد) مجلس مستو (من قوارير) وليس بما ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت و (قالت رب إني ظلمت نفسي) بالكفر وقال مقاتل لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فقالت (رب إني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد وقيل إنها لما بلغت الصرح فظننته لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد أن يفرقني وكان القتل علي أهون من هذا فقولها (ظلمت نفسي) تعني بذلك الظن واختلوا في أمرها بعد اسلامها فقال عون ابن عبد الله سأل رجل عبد الله بن عتبة هل تزوجها سليمان ؟ فقال انتهى أمرها الى قولها (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) يعني لا علم لنا وراء ذلك . وقال بعضهم تزوجها ولما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقها فسأل الانس ما يذهب هذا قالوا الموسى فقالت المرأة لم تخني حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقها قال الحسن فآل الجن فقالوا لا ندري ثم

عرشك قالت كأنه هو ، قال فسأته حين جاءته عن أمرين قالت لسليمان أريد ماء ليس من أرض ولا سماء ، وكان سليمان إذا سئل عن شيء سأل الانس ثم الجن ثم الشياطين . قال فقالت الشياطين هذا حين أجر الخيل ثم خذ عرقها ثم املاً منه الآية ، قال فأمر بالخيل فاجريت ثم أخذ عرقها فملاً منه الآية ، قال وسألت عن لون الله عز وجل ، قال فوثب سليمان عن سريره فخر ساجداً فقال يا رب لقد سألتني عن أمر انه ليتعظم في قلبي أن أذكره لك ، فقال ارجع فقد كفيتمكم قال فرجع الى سريره قال ما سألت عنه ؟ قالت ما سألتك الا عن الماء فقال الجنوده ما سألت عنه ؟ فقالوا ما سألتك الا عن الماء ، قال ونسوه كلهم . قال وقالت الشياطين ان سليمان يريد أن يتخذها لنفسه فان اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم ننفعك من عبوديته ، قال فجعلوا صرحاً عمداً من قوارير فيه السمك قال فقيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها فاذا هي شعراء ، فقال سليمان هذا قبيح فما يذهبه ؟ قالوا يذهبه المومسي فقال أثر المومسي قبيح قال فجعلت الشياطين النورة ، قال فهو أول من جعلت له النورة ، ثم قال ابو بكر بن ابي شيبة ما حسنه من حديث [قالت] بل هو منكر غريب جداً ولعله من اوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله اعلم

والاقرب في مثل هذه السياقات انها متلقة عن اهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب وروهب ساعهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من اخبار بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبذل ونسخ ، وقد اغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو اصح منه وأنفع وأوضح وبلغ والله الحمد والمنة

اصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع ، قال الله سبحانه وتعالى اخباراً عن فرعون لعنه الله انه قال لوزيره هامان (ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب) الآية . والصرح قصر في اليمن عالي البناء ، والمراد المبني بناء محكما أماس (من قوارير) أي زجاج ، وتريد البناء بتليسه ، وما رد سأل الشياطين فقالوا إنا نختال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً وهي سنجين وبينون وغمدان . ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر . وروي عن وهب قال زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلاً من قومك أزوجه . قالت ومثلي يا بني الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان ؟ قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك ، فقالت زوجني ان كان لابد من ذلك ذاتبع ملك همدان فزوجها إياه ثم ردها إلى اليمن وسلط زوجها ذاتبع على اليمن ودعا زوجة أمير الجن باليمن فقال اعمل لذي تبع ما استعملك

حصن بدومة الجندل . وانغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه ، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره اتقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، وأسلمت لله عز وجل وقالت (رب أني ظلمت نفسي) أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء . فقدره تقديرًا

ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون (٤٥) قال يسقم

لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ؟ لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؟ (٤٦) قالوا اطيرونا بك

وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفتنون (٤٧)

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له (فإذا هم فريقان يختصمون) قال مجاهد : مؤمن وكافر كقوله تعالى (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أنعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) أي لم تدعوا بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمة ولهذا قال (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون * قالوا اطيرونا بك وبمن معك) أي مارأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرًا ، وذلك أنهم لشقائهم كان لا يصيب أحداً منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصعابه ، قال مجاهد تشاء مواجهم وهذا كما قال الله تعالى إخباراً عن قوم فرعون (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن فيه فم بزل بها ملكا يعمل له فيها ما أراد حتى مات سليمان ، فلما أن حال الحول وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فملك نهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يامعشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم . فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع سليمان ، وقيل إن الملك وصل إلى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة

قوله عز وجل (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن) أي بأن (اعبدوا الله) وحدوه (فإذا هم فريقان) مؤمن وكافر (يختصمون) في الدين . قال مقاتل واختصاصهم ما ذكر في سورة الاعراف (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم — إلى قوله — يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين) (قال) لهم صالح (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) العافية والرحمة (لولا) هلا (تستغفرون الله) بالتوبة من كفركم (لعلكم ترحمون * قالوا اطيرونا) أي تشاء منا وأصله اطيرونا (بك وبمن معك) قيل إنما قالوا ذلك لتفريق كلمتهم وقيل

تصيبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه (الآية وقال تعالى) وان تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله (أي بقضائه وقدره ، وقال تعالى مخبراً عن أهل القرية اذ جاءها المرسلون) قالوا انا تطيرنا بكم اثن لم تنتهوا لرجنكم ولیمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائرکم معکم (الآية وقال هؤلاء .) اطيرنا بك وبمن معك قال طائرکم عند الله (أي يجازيكم على ذلك) بل أنتم قوم تفتنون (قال قتاده تبتلون بالطاعة والمعصية . والظاهر أن المراد بقوله [تفتنون] أي تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال

وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون (٤٨) قالوا تقاسموا بالله لنبيتهن وأهلهن ثم لنقولن لوليها ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون (٤٩) ومكرنا ومكرهم ومكرنا مكرآ وهم لا يشعرون (٥٠) فانظر كيف كان عقبة مكرهم أنا دمرهم وقومهم أجمعين (٥١) فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون (٥٢) وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٣)

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهما يقتل صالح أيضاً بأن يبيتوه في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه أنهم ما علموا بشيء من أمره وأنهم لصادقون فيما أخبرهم به من أنهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى [وكان في المدينة] أي مدينة ثمود [تسعة رهط] أي تسعة نفر (يفسدون في الارض ولا يصلحون) وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساهم . قال

لانه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا أصابنا هذا الضرر والشدة من شوؤمك وشوؤم أصحابك (قال طائرکم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمره وهو مكتوب عليكم . سمي طائراً لسرعة نزوله بالإنسان فانه لا شيء أسرع من قضاء محتوم ، قال ابن عباس الشوؤم أناكم من عند الله لكفركم ، وقيل (طائرکم) أي حملكم (عند الله) سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تخبرون بالخير والشر نظيره قوله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال محمد بن كعب القرظي تعذبون

قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة رهط) من أبناء أشرافهم (يفسدون في الارض ولا يصلحون) وهم الذين انفقوا على عقر الناقة وهم غواة قوم صالح ورؤسهم قدار بن سالف وهو الذي تولى عقرها كانوا يعملون بالمعاصي (قالوا تقاسموا بالله) تحالفوا يقول

العوفي عن ابن عباس: هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أي الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم قبهم الله ولعنهم ، وقد فعل ذلك

وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: كان أسماء هؤلاء التسعة زعمي وزعيم وهرم وهرم وداب وصواب ورباب وسطيع وقدار بن سالف عافر الناقة أي الذي بأمر ذلك بيده، قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) وقال تعالى (إذ انبعث أشقاها) وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء - هو ابن أبي رباح - يقول (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون) قال كانوا يقرضون الدراهم يعني أنهم كانوا يأخذون منها ، وكانهم كانوا يتعاملون بها عدداً كما كان العرب يتعاملون

وقال الامام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال قطع الذهب والورق من الفساد في الارض ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس

والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الافساد في الارض بكل طريق يقدرُونَ عليها فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك . وقوله تعالى (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) أي تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام ، فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم ، قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين ، وقال قتادة توافقوا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه . وذكر لنا أنهم بينهم معانيق إلى صالح ليقتلوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأنهدهم ، قال العوفي عن ابن عباس: هم الذين عقروا الناقة قالوا حين عقروها لنبيتين صالحاً وأهله فنقتله ثم نقول لا وليا، صالح ما شهدنا من هذا شيئاً وما لنا به من علم فدمرهم الله أجمعين .

بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم ، وموضع تقاسموا اجزم على الامر ، وقال قوم بحمله نصب على الفعل الماضي يعني أنهم تحالفوا وتوافقوا . تقديره قالوا متقاسمين بالله ﴿ لنبيتنه ﴾ أي لنقتله ببيان أي ليلا ﴿ وأهله ﴾ أي قومه الذين أسلموا معه . وقرأ الاعمش وحزمة والكسائي لنبيتنه ولنقولن بالنا . فهما وضم لام الفعل على الخطاب ، وقرأ الآخرون بالنون فيها وفتح لام الفعل ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ أي لولي دمه ﴿ ما شهدنا ﴾ ما حضرنا ﴿ مهلك أهله ﴾ أي اهلاكم ولا ندري من قتله ومن فتح الميم فعناه هلاك أهله ﴿ وأنا لصادقون ﴾ في قولنا ما شهدنا ذلك

قوله ﴿ ومكروا مكراً ﴾ غدروا غدراً حين قصدوا تبليت صالح والفتك به ﴿ ومكرنا مكراً ﴾ جزيناهم على مكرمهم بتعجيل عقوبتهم ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ فانظر كيف كان عاقبة مكرم أنا ﴿ قرأ أهل الكوفة أنا بفتح الالف ردأ على العاقبة أي كانت العاقبة أنا دمرناهم ، وقرأ الآخرون إنا بالكسر على الاستئناف ﴿ دمرناهم ﴾ أي أهلكناهم التسعة واختافوا في كيفية هلاكهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح بحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمهم الملائكة

وقال محمد بن إسحاق قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فإن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوه منشدين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشرينه دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبداً وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا ، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة قال لهم صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه فخرجوا إلى كهف أي غار هناك ليلا فقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم ، فبعث الله عليهم صخرة من المصطب حياهم فخشوا أن تشدهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم . فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ
﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾ فانظر كيف كان عاقبة مكرم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ أي فارغة ليس فيها أحد ﴿ بما ظلموا ﴾ ، ان في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴿ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفحشة وأنتم تبصرون ؟ (٥٤) أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (٥٥) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم لأنهم أناس يتطهرون (٥٦) فأنجينه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين (٥٧) وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين (٥٨)

بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم ، قال مقاتل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فحتم عليهم الجبل فأهلكهم ﴿ وقومهم أجمعين ﴾ أهلكهم الله بالصيحة ﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ نصب على الحال أي خالية ﴿ بما ظلموا ﴾ أي بظلمهم وكفرهم ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ لهبرة ﴿ لقوم يعلمون ﴾ قدرتنا ﴿ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يقال كان الناجون منهم أربعة آلاف

قوله تعالى ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ﴾ وهي الفعل القبيحة ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أي

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه انذر قومه نعمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم اليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكور دون الاناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال (أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) أي يرى بعضكم بعضاً وتأتون في ناديتكم المنكر (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) أي لا تعرفون شيئاً لاطعياً ولا شرعاً كما قال في الآية الاخرى (أتأتون الذكور من دون النساء) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون) أي يتخرجون من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، قال الله تعالى (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) أي من المهالكين مع قومها لانها كانت ردة لهم على دينهم وعلى طريقهم في رضاها بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قوماً على ضيغان لوط ليأتوا اليهم لا أنها كانت تفعل الفواحش تسكرمة لبني الله ﷺ لاكرامتها وقوله تعالى (وأمرنا عليهم مطراً) أي حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وماهي من الظالمين يبعيدوهذا قال (فساء مطر المندرين) أي الذين قامت عليهم الحجة ووصل اليهم الانذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهما باخراجه من بينهم

قل الحمد لله وسلم على عباده الذين اصطفى آلله خير أمّا يشركون؟ (٥٩) أمن خلق

السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن

تنبؤوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون (٦٠)

يقول تعالى أمراً رسول الله ﷺ أن يقول [الحمد لله] أي على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما انصف به من الصفات العلى والامناء الحسنى ، وأن يسلم على عباد الله الذين

تعلمون أنها فاحشة ، وقيل معناه يرى بعضكم بعضاً وكانوا لا يستترون عتوا منهم (أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها) قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا (من الغابرين) أي الباقين في العذاب (وأمرنا عليهم مطراً) وهو الحجارة (فساء) فيئس (مطر المندرين)

قوله تعالى (قل الحمد لله) هذا خطاب لرسول الله ﷺ أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل على جميع نعمه (وسلام على عباده الذين اصطفى) قال مقاتل هم الانبياء والمرسلون

اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبيأوه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام ، هكذا قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغيره ان المراد بعباده الذين اصطفى هم الانبياء قال وهو كقوله (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

وقال الثوري والسدي هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم أجمعين وروى نحوه عن ابن عباس أيضاً ولا منافاة فانهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالانبياء بطريق الاولى والاخرى . والقصد ان الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل باوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والذكال والقهر ، أن يحمده على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الاخيار . وقد قال ابو بكر البزار حدثنا محمد بن عمار بن صبيح حدثنا طلق بن غنام حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي إن شاء الله عن أبي مالك عن ابن عباس (وسلام على عباده الذين اصطفى) قال هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه رضي الله عنهم

وقوله تعالى (آله خير أم ما يشركون) استفهام انكار على المشركين في عبادتهم مع الله آله أخرى ، ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى (أمن خلق السموات) أي خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفائها ، وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والافلاك الدائرة ، وخلق الارض في استيفائها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والاطراد والسهول والاورعار ، والفيافي والقفار ، والزروع والاشجار ، والثمار والبحار ، والحيوان على اختلاف الاصناف والاشكال والالوان وغير ذلك . وقوله تعالى (وأنزل لكم من السماء ماء) أي جعله رزقا للعباد (فأنبتنا به حدائق) أي بساتين (ذات بهجة) أي منظر حسن وشكل بهي (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي لم تكونوا تقدرون على انبات أشجارها ، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المنفرد به دون ما سواه من الاصنام والانداد كما يعرف به هؤلاء المشركون كما قال تعالى في الآية الاخرى

دليله قوله عز وجل (وسلام على المرسلين) وقال ابن عباس في رواية أبي مالك : هم أصحاب محمد ﷺ وقال الكلبي هم أمة محمد ﷺ ، وقبلهم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آله خير أم ما يشركون) قرأ أهل البصرة وعاصم بشر كون باباء ، وقرأ الآخرون بالتاء يخاطب أهل مكة وفيه إزام الحجة على المشركين بعد هلاك الكفار يقول : آله خير لمن عبده أم الاصنام خير لمن عبدها والمعنى أن الله نجى من عبده من الهلاك ، والاصنام لم تكن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب . (أمن خلق السموات والارض) معناه آلهتم خير أم الذي خلق السموات والارض (وأنزل لكم من السماء ماء) يعني المطر (فأنبتنا به حدائق) بساتين جمع حديقة . قال الفراء الحديقة البستان الحاط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أي منظر حسن والبهجة الحسن بفتح به من براء (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أن ما ينبغي لكم لانكم لا تقدرون عليها (آله مع الله)

٢٩٦ اقرار الكفار بان الله خلقهم وخلق السموات والارض (تفسير ابن كثير والبقوي)

(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله — ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجيبا به الارض من بعد موتها ليقولن الله) اي هم معترفون بانه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون انه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة ، من هو المتفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى (أإله مع الله) أي أإله مع الله يعبد ، وقد تبين اسم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضاً انه الخالق الرازق ، ومن المفسرين من يقول معنى قوله (أإله مع الله) فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الاول لان تقدير الجواب انهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه بل هو المتفرد به فيقال فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟ كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) الآية . وقوله تعالى ههنا (أمن خلق السموات والارض) (أمن) في هذه الآيات كلها تقديره أمن يفعل هذه الاشياء كمن لا يقدر على شيء منها هذا معنى السياق وان لم يذكر الآخر لان في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك ، وقد قال الله تعالى (الله خير أم ما يشركون) ثم قال في الآية الاخرى (بل هم قوم عدلون) أي يجعلون الله عدلاً ونظيراً وهكذا قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) اي أمن هو هكذا كمن ليس كذلك ولهذا قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب * أمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) وقال تعالى (أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي أمن هو شهيد على أفعال الخلق حر كلهم وسكناتهم يعلم الغيب جليله وحقيقه كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الاصنام التي عبدوها ولهذا قال [وجعلوا لله شركاء قل سموم] وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها

أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين

حاجزاً أهله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون (٦١)

يقول (أمن جعل الارض قراراً) أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها وترجف بهم فانها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لا تنزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الاخرى (الله الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناءً) (وجعل خلالها أنهاراً) أي جعل فيها الانهار العذبة الطيبة شقها في خلالها وصرها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم

استهانهم على طريق الإنكار أي هل معه معبود سواه يعينه على صنعه ، بل ليس معه إله (بل هم قوم) يعني كفار مكة (يعدلون) بشر كون

قوله (أم من جعل الارض قراراً) لا تميد بأهلها (وجعل خلالها) وسطها (أنهاراً) تطرد

حيث ذرأهم في أرجاء الارض وسير لهم ارزاقهم بحسب ما يحتاجون اليه (وجعل لها رواسي) أي جبلا شامخة ترمي الارض ونثبثها لئلا تميد بكم (وجعل بين البحرين حاجزا) أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا أي مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا فان الحكمة الالهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه فان البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالا يسقى الحيوان والنبات والثمار منها ، والبحار المالحة هي المحيطة بالارعاء والاقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون مأوها ملحا اجاجا لئلا يفسد الهواء بريحها كما قال تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) ولهذا قال تعالى (أله مع الله؟) أي فعل هذا أو يعبد على القول الاول والآخر وكلاهما متلازم صحيح (بل أكثرهم لا يعلمون) أي في عبادتهم غيره

أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أله مع

الله ؟ قليلا ما تذكرون (٦٢)

ينبه تعالى انه هو المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل كما قال (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، وقال تعالى (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) وهكذا قال ههنا (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا اليه ، والذي لا يكشف ضر المضر وربن سواء قال الامام احمد أنبأنا عفان أنبأنا وهيب أنبأنا خالد الخذاء عن أبي تيممة الهجيمي عن رجل من بلهيم قال قلت يارسول الله الي ما تدعو قال « أدعو إلى الله وحده الذي ان مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي ان أضلت بارض كفر فدعوته رد عليك ، والذي ان أصابك سنة فدعوته أنبت لك » قال قلت أوصني قال « لا تسبن أحدا ولا ترهقن في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستقي ، وانزري الى نصف الساق فان أبيت فإلى السكعين ، وإدبك وإسبال الازار فان إسبال الازار من الخيلة وان الله لا يحب الخيلة » وقد رواه الامام احمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا عبيدة الهجيمي عن أبيه عن أبي تيممة الهجيمي عن جابر بن سليم الهجيمي قال : أنبت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة وقد وقع هديها على قدميه فقلت أيكم محمد رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه فقلت يارسول الله أنا من أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني قال « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن بالماء (وجعل لها رواسي) جبلا ثوابت (وجعل بين البحرين) العذب والمالح (حاجزا) مانعا لئلا يختلط أحدهما بالآخر (أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وسلطانه قوله (أمن يجيب المضطر) المكروب المجهود (إذا دعاه ويكشف السوء) الضر (ويجعلكم)

تلقى أخاك ووجهك منبسك ولو أن تفرغ من دلوك في أنا المستقي ، وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فإنه يكون لك أجره وعليه وزره ، وإياك واسبال الأزار فإن اسبال الأزار من الحيلة وإن الله لا يحب الحيلة ، ولا تسب أحداً ، قال فما سببت بعده أحداً ولا شاة ولا بهيراً وقد روى أبو داود والنسائي لهذا الحديث طرقاً وعندهما طرف صالح منه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هشام حدثنا عبدة بن نوح عن عمر بن الحجاج عن عبيد الله بن أبي صالح قال : دخل علي طاوس يهودني فقلت له ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن فقال ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقال وهب بن منبه قرأت في الكتاب الأول أن الله تعالى يقول : بعزتي أنه من اعتصم بي فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن فإني أجعل له من بين ذلك مخرجاً ، ومن لم يعتصم بي فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء ، فأكله إلى نفسه ، وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالذقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكره علي بن أبي طالب من دمشق إلى بلد الربداني فركب معي ذات مرة رجل فررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في هذه فإنها أقرب فقلت لا خيرة لي فيها ، فقال بل هي أقرب فسلكناهما فأتيناه إلى مكان وعرواد عميق وفيه قلى كثيرة فقال لي أمسك رأس البغل حتى أزل فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكيناً معه وقصدي ففررت من بين يديه وتبعني فناشدته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لي وإنما أريد قتلك . فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت إن رأيت أن تتركني حتى أن أصلي ركعتين فقال عجل فقامت أصلي فارتج علي القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول هيه افرغ فاجري الله على لساني قوله تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فإذا أنا بفارس قد أقبل من قم الوادي ويده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صرباً فتملقت بالفارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً . وذكر في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية قالت : هزم الكفار يوماً المسلمين في غزاة فوق جواد جيد بصاحبه وكان من ذوي اليسار ومن الصلحاء فقال للجواد مالك ويلك إنما كنت أعدك لمثل هذا اليوم فقال له الجواد ومالي لا أقصر وأنت تسكل العلوقة إلى السواس فيظلموني ولا يطعموني إلا القليل ؟ فقال لك علي عهد الله أني لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا في حجر جري فجري الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا في حجره ، واشتهر أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك ، وبلغ ملك الروم أمره فقال : ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها ، واحتمل ليحصله في بلدة فبعث إليه رجلاً من المرتدين عنده فلما انتهى إليه أظهر له أنه

خلفاء الأرض ﴿ ساكنها يهلك قرناً وينشيء آخر ، وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم ، وقيل يجعلكم خلفاء

قد حسنت نيته في الاسلام وقدمه حتى استوثق ثم خرجا يوما يمشيان على جنب الساحل وقد واعد شخصاً آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسرهما فلما اكتنفاه لياخذاه رفع طرفه الى السماء وقال : اللهم انه انما خدعني بك فاكفنيهما بما شئت. قال فخرج سبعان فأخذاهما ورجع الرجل سالماً. وقوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الارض) أي يخلف قرناً لقرن قبلهم وخلفاً لسلف كما قال تعالى (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) وقال تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وقال تعالى ' وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة) أي قوما يخلف بعضهم بعضاً كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية (ويجعلكم خلفاء الارض) أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل وقوما بعد قوم ولو شاء لا وجدكم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يمت أحدٌ حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكانت تضيق عنهم الارض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة وينذرهم في الارض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأما بعد أمم حتى ينقضي الاجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عدأً ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى (أمن يحيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) ويجعلكم خلفاء الارض (أله مع الله) أي يقدر على ذلك أو أله مع الله بعد هذا ؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له (قليلاً ما نذكرون) أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم الى الحق ويهديهم الى الصراط المستقيم

أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أنه مع

الله ؟ تعالى الله عما يشركون (٦٣)

يقول تعالى (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي بما خلق من الدلائل السماوية والارضية كما قال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) وقال تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) الآية (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجدين الازليين القنطين (أله مع الله تعالى الله عما يشركون)

الجن في الارض ﴿ أله مع الله ؟ قليلاً ما نذكرون ﴾ قرأ أبو عمرو بالياء والآخرين بالتاء. قوله ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ﴾ اذا سافرت ﴿ ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي

أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤)

أى هو الذى بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى فى الآية الاخرى (إن بطش ربك لشديد * انه هو يبدى ويعيد) وقال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الارض كما قال تعالى (والسما ذات الرجم * والارض ذات الصدع) وقال تعالى (يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركاً فيسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والازاهير وغير ذلك من الوان شتى (كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) ولهذا قال تعالى (إله مع الله) أى فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا [قل هاتوا برهانكم] على ضجة مائدة عن من عبادة آلهة أخرى [إن كنتم صادقين] فى ذلك، وقد علم أنه لا حاجة لهم ولا برهان كما قال تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون)

قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب إلا الله وما يشعرون أياں يُبعثون (٦٥)

بل ادرك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها نمون (٦٦)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق انه لا يعلم أحد من أهل السموات والارض الغيب إلا الله. وقوله تعالى (إلا الله) استثناء منقطع أى لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فانه المنفرد بذلك وحده لا شريك له كما قال تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآية وقال تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) إلى آخر السورة. والآيات فى هذا كثيرة

وقوله تعالى (وما يشعرون أياں يبعثون) أى وما يشعر الخلائق الساكنون فى السموات والارض بوقت الساعة كما قال تعالى (ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم إلا بغتة) أى ثقل عليها على أهل

رحمته * أى قدام المطر * إله مع الله؟ تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده * بعد الموت * ومن يرزقكم من السماء والارض * أى من السماء المطر ومن الارض النبات * إله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم * حجتكم على قولكم ان مع الله إلهاً آخر * إن كنتم صادقين * قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب إلا الله * نزلت فى المشركين حيث سألو رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة * وما يشعرون أياں * متى * يبعثون * بل ادرك علمهم * قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو

السموات والارض . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو جعفر الرازي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : من زعم انه يعلم — يعني النبي ﷺ — ما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية لان الله تعالى يقول (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقال قتادة انما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ، وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة ، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الا هجر والاسود والقصير والطويل والحسن والدميم ، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشي . من الغيب ، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله وما يشعرون أياهم يعلمون . رواه ابن أبي حاتم عنه بحرفه وهو كلام جليل متين صحيح وقوله (بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها) أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون (بل ادرك علمهم) أي تساوى علمهم في ذلك تكافي الصحيح لمسلم أن رسول الله ﷺ قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة «المستأول عنها بأعلم من السائل» أي تساوى في العجز عن درك ذلك علم المستأول والسائل . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [بل ادرك علمهم في الآخرة] أي غاب ، وقال قتادة [بل ادرك علمهم في الآخرة] يعني يجهلهم بربهم يقول لم ينفعهم علم في الآخرة . هذا قول وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس [بل ادرك علمهم في الآخرة] حين لم ينفع العلم ، وبه قال عطاء الخراساني والسدي ان علمهم انما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) وقال سفيان عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه كان يقرأ [بل أدرك علمهم] قال اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة

وقوله تعالى [بل هم في شك منها] عائد على الجنس والمراد الكافرون كما قال تعالى (وعرضوا

أدرك على وزن أفعل أي بالغ ولحق كما يقال أدركه علمي اذا لحقه وبلغه يريد ما جهلوا في الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه في الآخرة ، وقال مجاهد يدرك علمهم (في الآخرة) ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم ، قال مقاتل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ماشكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله [بل هم في شك منها] يعني هم اليوم في شك من الساعة ، وقرأ الآخرون (بل ادرك) موصولا مشدداً مع الالف بعد الدال المشدد يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق ، وقيل معناه اجتمع علمهم حين عاينوها في الآخرة انها كائنة وهم في شك منها في وقتهم فيكون بمعنى الاول . وقيل هو على طريق الاستفهام معناه هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة يعني لم يتتابع وضل وغاب

على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) أي الكافرون منكم وهكذا قال ههنا (بل هم في شك منها) أي شاكون في وجودها ووقوعها (بل هم منها عمون) أي في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها

وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآبأؤنا أننا لمخرجون (٦٧) لقد وعدنا هذا نحن وآبأؤنا من قبل إن هذا إلا أسطير الاولين (٦٨) قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عقبة المجرمين (٦٩) ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون (٧٠)

يقول تعالى مخبراً عن منكري البعث من المشركين أنهم استبعدوا إعادة الاجساد بعد صيرورتها عظاماً ورفاً وتراباً ثم قال (لقد وعدنا هذا نحن وآبأؤنا من قبل) أي مازلنا نسمع بهذا نحن وآبأؤنا ولا نرى له حقيقة ولا وقوعاً ، وقولهم (إن هذا إلا أسطير الاولين) يعنون ما هذا الوعد بإعادة الابدان [إلا أسطير الاولين] أي أخذه قوم عن قبلهم من كتبهم يتلقاه بعضهم عن بعض وليس له حقيقة قال الله تعالى عجيباً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد [قل] يا محمد لهؤلاء [سيروا في الارض فانظروا كيف كان عقبة المجرمين] أي المكذبين بالرسول وبما جاءهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم عقبة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ، ثم قال تعالى مسلياً لنبيه ﷺ (ولا تحزن عليهم) أي

علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه لان في الاستفهام ضرباً من الجحد يدل عليه قراءة ابن عباس بلى باثبات الياء ادراك بفتح الالف على الاستفهام يعني لم يدرك وفي حرف أبي (أم تدارك علمهم) والعرب تضع بل موضع أم وأم موضع بل ، وجلة القول فيه أن الله أخبر أنهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا . وذكر علي بن عيسى أن معنى بل ههنا لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكوا بل هم في شك منها بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة ﴿ بل هم منها عمون ﴾ جمع عم وهو الاعى القلب ، قال الكلبي يقول هم جهلة بها

قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ أئذا كنا تراباً وآبأؤنا أننا لمخرجون ﴾ من قبورنا أحياء . قرأ أهل المدينة اذا غير مستفهم أثنا بالاستفهام ، وقرأ ابن عامر والكسائي أثنا بهمزتين اثنا بنونين ، وقرأ الآخرون باستفهامها ﴿ لقد وعدنا هذا ﴾ أي هذا البعث ﴿ نحن وآبأؤنا من قبل ﴾ أي من قبل محمد وليس ذلك بشيء ﴿ ان هذا ﴾ ما هذا ﴿ الا أسطير الاولين ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها قوله ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عقبة المجرمين ﴾ ولا تحزن عليهم ﴿ على تكذيبهم

المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات [ولا تكن في ضيق مما يمكرون] أي في كيدك ورد ما جئت به فان الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ (٧١) قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون (٧٢) وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون (٧٣) وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٧٤) وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتب مبين (٧٥)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟) قال الله تعالى مجيباً لهم [قل] يا محمد [عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون] قال ابن عباس أن يكون قرب أو أن يقرب لكم بعض الذي تستعجلون ، وهكذا قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ، وهذا هو المراد بقوله تعالى (ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً) وقال تعالى : ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وإنما دخلت اللام في قوله [ردف لكم] لانه ضمن معنى عجل لكم كإقال مجاهد في رواية عنه [عسى أن يكون ردف لكم] عجل لكم

ثم قال الله تعالى (وإن ربك لذو فضل على الناس) أي في إشباعه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم (إن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أي يعلم الضمائر والسرأمر كما يعلم الظواهر (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به — يعلم السر وأخفى — ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه فقال تعالى [وما من غائبة] قال ابن عباس

إياك واعراضهم عنك ﴿ ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ * قل عسى أن يكون ردف ﴿ أي دنا وقرب ﴾ لكم ﴿ وقيل تبعكم والمعنى ردفكم أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله ﴿ لربهم يرهبون ﴾ قال الفراء اللام صلة زائدة كما تقول تقدته مائة وتقدت له ﴿ بعض الذي تستعجلون ﴾ من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله تعالى ﴿ إن ربك لذو فضل على الناس ﴾ قال مقاتل على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ ذلك ﴿ وإن ربك ليعلم ما تكن ﴾ تخفي ﴿ صدورهم وما يعلنون ﴾ وما من غائبة ﴿ أي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي أمر وشي غائب ﴾ في السماء والأرض إلا في

٤٣٠ القرآن يبين ما اختلف فيه بنو اسرائيل وهدى ورحمة للمؤمنين (تفسير ابن كثير والبغوي)

يعني وما من شيء [في السماء والارض إلا في كتاب مبين] وهذه كقوله [ألم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله بسير]

ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (٧٦) وإنه لهدى

ورحمة للمؤمنين (٧٧) إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم (٧٨) فتوكل على الله

إنك على الحق المبين (٧٩) إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين

(٨٠) وما أنت بهدي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآيتنا فهم مسلمون (٨١)

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان انه يقص على بني اسرائيل وهم حملة التوراة والانجيل (أكثر الذي هم فيه يختلفون) كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه فاليهود اقتروا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل انه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسوله الكرام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، كما قال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) وقوله (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) أي هدى لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم في العمليات ثم قال تعالى (إن ربك يقضي بينهم) أي يوم القيامة (بحكمه وهو العزيز) أي في انتقامه (العليم) بأفعال عباده وأقوالهم (فتوكل على الله) أي في جميع أمورك وبلغ رسالة ربك (إنك على الحق المبين) أي أنت على الحق المبين وإن خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة [وحقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية] ولهذا قال تعالى [إنك لا تسمع الموتى] أي لا تسمعهم شيئاً ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وقر الكفر ولهذا قال [ولا تسمع الصم الدعاء إذا

كتاب مبين] أي في الألواح المحفوظة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) أي يبين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من أمر الدين . قل الكافي ان أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وإنه) يعني القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين * ان ربك يقضي) بفصل (بينهم) أي بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) الحق (وهو العزيز) المنيع لا يرد له أمر (العليم) بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء (فتوكل على الله إنك على الحق المبين) البين

قوله (إنك لا تسمع الموتى) يعني الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء) قرأ ابن كثير لا يسمع بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم ، وقرأ الباقون بالتاء وضما وكسر الميم الصم نصب (إذا ولوا مدبرين) معرضين ، فان قيل مامعنى قوله (ولوا مدبرين) وإذا كانوا صما

ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون [أي إنما يستجيب لك من هو سميع بصير السمع والبصر النافع في القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على السنة الرسل عليهم السلام

وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا

لا يوقنون (٨٢)

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق بخروج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك قال ابن عباس والحسن وقتادة وبيروى عن علي رضي الله عنه تكلمهم كلاماً أي مخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراساني تكلمهم فتقول لهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وبيروى هذا عن علي واختاره ابن جرير وفي هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم

وقال ابن عباس في رواية تخرجهم ، وعنه رواية قال كلا تفعل يعني هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم ، وقد ورد في ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر والله المستعان قال الامام احمد حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه لا يسمعون سواء ، ولوا أو لم يولوا قيل ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة ، وقيل الأصم إذا كان حاضراً فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة فإذا ولي لم يسمع ولم يفهم ، قال قتادة الأصم إذا ولي مدبراً ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الإيمان ، ومعنى الآية أنهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه كليت الذي لا سبيل الى اجماعه والأصم الذي لا يسمع ﴿ وما أنت بهادي العمي ﴾ قرأ الأعشى وحمزة نهدى بالثاء وفتحها على الفعل العمي بنصب الياء ههنا وفي الروم ، وقرأ الآخرون بهادي بالياء على الاسم العمي بكسر الياء ﴿ عن ضلالتهم ﴾ أي ما أنت بمُرشد من أعماء الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان ﴿ إن تسمع ﴾ ما تسمع ﴿ إلا من يؤمن بآياتنا ﴾ إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله ﴿ فهم مسلمون ﴾ مخلصون

قوله تعالى ﴿ وإذا وقع القول عليهم ﴾ وجب العذاب عليهم وقال قتادة إذا غضب الله عليهم ﴿ أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ﴾ واختلفوا في كلامها فقال السدي تكلمهم بيطلان الأديان سوى دين الاسلام . وقال بعضهم كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر وقيل كلامها ما قال الله تعالى

السلام والدجال . وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات الفزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة مرفوعا ، وقال الترمذي حسن صحيح ، ورواه مسلم أيضا من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفا قاله أعلم

(طريق أخرى) قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجري بن حازم ، فاما طلحة فقال أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير اللبني أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي مريجة وأما جري فقال عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود . وحدث طلحة أتم وأحسن قال ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرجة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكن زمنا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلوذ كرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة - قال رسول الله ﷺ - ثم يئس الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي تدنو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى ومعا ، وبقيت عصاة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرّي ، وولت في الأرض لا يدركها طاب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق وبشرك الناس في الأموال وبصاحبون في الأمصار يعرف المؤمن من

(أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قال مقاتل تكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث . قرأ أهل الكوفة أن الناس بفتح الالف أي بأن الناس قرأ الباقون بالكسر على الاستئناف أي ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها قال ابن عمر وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ، وقرأ سعيد بن جبير وعاصم الجعدي وأبو رجاء العطاردي تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلام وهو الجرح قال أبو الجوزاء سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية تكلمهم أو نكلمهم قال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا اسمعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال ودابة الأرض وخاصة أحدكم وأمر العامة »

أخبرنا اسمعيل بن عبد الله أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا محمد بن بشر عن أبي حبان عن

الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي ، وحتى إن الكافر ليقول يا مؤمن اقضني حقي »
ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً والله أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن
اليمان مرفوعاً ، وإن ذلك في زمان عيسى بن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن اسناده لا يصح

(حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي
حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد سمعت
رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس
ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فلاخرى على أثرها قريباً »

(حديث آخر) روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة
عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستة طلوع الشمس
من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به وله من حديث قتادة عن
الحسن عن زياد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستة الدجال
والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويفية أحدكم »

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث
وابن طهيرة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال
« بادروا بالأعمال ستة طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة والدجال وخويفية أحدكم
وأمر العامة » تفرد به

زرعة عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجاً طلوع
الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فلاخرى على أثرها قريباً »
وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن فنجويه
أنا أبو بكر بن خزيمة أنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا هشيم بن حماد أنا عمرو بن محمد
العقري عن طلحة عن عمرو بن عبد الله بن عمير القتيبي عن أبي شريحة الانصاري عن النبي ﷺ
قال « يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجة بأقصى اليمن فيفشو ذكراها في البادية
ولا يدخل ذكراها القرية — يعني مكة — ثم تكث زمننا طويلاً ثم تخرج خروجة أخرى قريباً من مكة فيفشو
ذكراها في البادية ويدخل ذكراها القرية — يعني مكة — فبينما الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة
وأكرمها على الله عز وجل — يعني المسجد الحرام — لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو — كذا
قال عمرو — ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فافرض
الناس عنها وثبت لها عصاة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت
بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا

(حديث آخر) قال ابو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن اويس بن خالد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تخرج دابة الارض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليها السلام فتخطم أنف الكافر بالعصا وتجلو وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر » ورواه الامام احمد عن بهز وعفان وبزيد بن هارون ثلاثهم عن حماد بن سلمة به ، وقال « فتخطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يأمؤمن ويقول هذا يا كافر » ورواه ابن ماجه عن ابي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا ابو غسان محمد بن عمرو حدثنا ابو نميلة حدثنا خالد بن عبيد حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال ذهب بي رسول الله ﷺ الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله ﷺ « تخرج الدابة من هذا الموضع » فاذا فر في شهر قال ابن بريدة فخرجت بعد ذلك بسنين فأرانا عصا له فاذا هو بعصاي هذه كذا وكذا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة ان ابن عباس قال : هي دابة ذات زغب لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية نهامة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال : قال عبد الله تخرج الدابة من صدع من الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج نثها ، وقال محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح قال : سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال

يفونها هارب حتى إن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فقسمه في وجهه فيتجاوز الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم وبشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن ويقال للكافر يا كافر »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد أنا أبو بكر بن مالك العطفي أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا ابي ثنا بهز ثنا حماد هو ابن أبي سلمة أنا علي بن زيد عن أوس بن خالد عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر » وروي عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها حية كأنه يشير الى أنه رجل . والا كثرون على أنها دابة وروى ابن جرير عن الزبير أنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكته في مسجده بعصا موسى نكته أيضا ، يضي بها وجهه ولا يبقى كافر إلا نكته وجهه بخاتم سليمان فيسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في الاسواق بكم

الدابة تخرج من تحت صخرة بحباد والله لو كنت معهم أو لو شئت بعصاي الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها. قيل فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصبح بمسكان قيل ثم ماذا قال ثم لا أعلم ، وعن عبد الله بن عمر أنه قال: تخرج الدابة ليلة جمع. رواه ابن أبي حاتم وفي إسناده ابن بيلعان. وعن وهب بن منبه أنه حكى من كلام عذرة عليه السلام أنه قال: وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل بسمها، وتضع الحبال قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجا ويتعادي الاخلاء وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الأرض التي تليها، وفي ذلك الزمان يبرجوا الناس مالا يبلغون، ويتعبون فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون. رواه ابن أبي حاتم عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن أبي مريم أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إن الدابة فيها من كل لون ما بين قرنها فرسخ لراكب، وقال ابن عباس هي مثل الحربة الضخمة ، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب ولها لحية ، وأنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جريج عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخصرها خاصرة

يامؤمن بكم يا كافر؟ ثم تقول لهم الدابة يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار» فذلك قوله عز وجل (وإذا قم القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض) الآية
أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه أنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي أنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أنا أبو كريب أنا الأشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وبه عن محمد بن جرير الطبري قال حدثني عصام بن داود بن الجراح ثنا أبي ثناسفيان بن سعيد أنا منصور بن المعتمر عن ربيعة بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج؟ قال «تخرج من أعظم المساجد حرمة على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتمهم وتشق الصفا مما يلي المشعر وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وریش لن يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسمي الناس مؤمنا وكافرا أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتترك بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر» وروي عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسم قرع عصاي هذه وعن عبد الله بن عمرو قال: تخرج

هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فنفشوا تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فنفشوا تلك النكتة حتى يسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في الاسواق بكم ذا يأمؤمن بكم ذا يا كافر ؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدة فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة ؟ ويا فلان أنت من أهل النار . فذلك قول الله تعالى (وإذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن النامن كانوا بآياتنا لا يوقنون)

ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣) حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ؟ (٨٤) ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون (٨٥) ألم يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ؟ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٨٦)

يقول تعالى مخبر أعن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسوله إلى بين يدي الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا تقريرا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا فقال تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي من كل قوم وقرن فوجا أي جماعة (ممن يكذب بآياتنا) كما قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال تعالى [وإذا النفوس زوجت] وقوله تعالى (فهم يوزعون) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يدفعون . وقال قتادة : وزعة ترد أولهم على آخرهم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون [حتى إذا جاءوا] ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المسألة (قال أكذبتم بآياتي الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرجنا فتمر بالإنسان بصلي فتقول : ما الصلاة من حاجتك فتخطمه وعن ابن عمر قال : تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسرون إلى منى . وعن سهيل بن صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « بُس الشعب شعب جياد » مرتين أو ثلاثا قبل ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال « تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين » وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون

قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا) وليس من ههنا للتبعض لأن جميع المكذبين يحشرون (فهم يوزعون) يجلس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار (حتى إذا جاءوا) يوم القيامة (قال) الله لهم (أكذبتم بآياتي

ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ؟) أي فيستلون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم [فلا صدق ولا صلي * ولكن كذب وتولى] فخينذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى (هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون) الآية وهكذا قال ههنا [ووقع القول عليهم بما عملوا فهم لا ينطقون] أي بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته والالتقياد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا يحيد عنه فقال تعالى (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) أي في ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم [والنهار مبصر] أي منيراً مشرقاً فبسبب ذلك يتصرفون في المعاش والمكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون إليها [ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون]

ويوم يُنفخ في الصور فزع من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين (٨٧) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون (٨٨) من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون (٨٩) ومن جاء بالسيسة فكُتبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ؟ (٩٠)

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه . وفي حديث الصور ان إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع وبطولها

ولم تحيطوا بها علما) ولم تعرفوها حق معرفتها) أم ماذا كنتم تعملون حين لم تفكروا فيها ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالمين بها ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين (ووقع القول) وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) بما أشركوا (فهم لا ينطقون) قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وقيل لا ينطقون لأن أفواههم محتومة قوله عز وجل (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصر) مضيقا ليصر فيه (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بصدقون فيعتبرون

قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن الصور هي الصور وأول بعضهم كلامه ان الارواح نجم في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب الارواح الى الاجساد فتحيا بالاجساد

وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الاحياء فيفزع من في السموات ومن في الارض [إلا من شاء الله] وهم الشهداء فانهم احياء عند ربهم يرزقون
قال الامام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان ابن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: ماهذا الحديث الذي تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال سبحانه الله أو لا إله الا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً انما قلت انكم سنرون بعد قليل أمراً عظيماً يخرب البيت ويكون ويكون - ثم قال - قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً - فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة ابن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان الا قبضته حتى لو أن أحداً دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى يقبضه » قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال « فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا نستجيبون؟ فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى لينا ورفع لينا - قال - وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل - أو قال الظل شعبة

قوله ﴿ فزع من في السموات ومن في الارض ﴾ أي فصعق كما قال في آية أخرى (فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا. والمعنى أنه يلقي عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ امرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين
قوله ﴿ الا من شاء الله ﴾ اختلفوا في هذا الاستثناء. روي عن أبي هريرة ان النبي ﷺ سأل جبريل عن قوله (الا من شاء الله) قال هم الشهداء المقلدون أسياهم حول العرش. وروى سعيد بن جبير وعطاء عن ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم. وفي بعض الآثار الشهداء ثلثا الله أي الذين استثناهم الله تعالى. وقال الكلبي ومقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فلا يبقى بعد النفخة إلا هؤلاء الاربعة ثم يقبض الله روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت ثم روح جبريل فيكون آخرهم موتاً جبريل، ويروى ان الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول من بقي يا ملك الموت؟ فيقول سبحانه ربّي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيأخذ نفسه فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي؟ فيقول سبحانه ربّي تباركت وتعاليت بقي جبريل وملك الموت فيقول مت باملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي؟ فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك

الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم وقفروهم انهم مسؤولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم ؟ فيقال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال فذلك يوم يجمل الولدان شيئا وذلك يوم يكشف عن ساق ، وقوله ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصفى لينا ورفع لينا . الايت هو صفحة العنق أي أمال عنقه ليستمعه من السماء جيداً فهذه نفخة الفزع ، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع الخلائق ولهذا قال تعالى (وكل أتوه داخرين) قرئ بالمد وبغيره على الفعل وكل بمعنى واحد وداخرين أي صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى [يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده] وقال تعالى [ثم اذا دعاكم دعوة من لارض اذا أنتم تخرجون]

وفي حديث الصور انه في النفخة الثالثة يأمر الله الارواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ امرأفيل فيه بعد ما تنبت الاجساد في قبورها وأما كنهها فاذا نفخ في الصور طارت الارواح تتوهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لترجمن كل روح الى جسدها فتجبي الارواح الى أجسادها فتدب فيها كما يدب السم في اللدغ ثم يقومون ينفضون التراب من قبورهم قال الله تعالى [يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون]

وقوله تعالى [وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب] أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب أي نزول عن أماكنها كما قال تعالى [يوم تمور السماء مورا وتسير

الباقي الدائم وجبريل الميت الثاني قال فيقول يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كالماء والعظيم على الظرب من الظراب . ويروى أنه يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل وميكائيل ثم أرواح حملة العرش ثم روح امرأفيل ثم روح ملك الموت أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن علي الجوهري أنا أحمد بن علي الكشمييني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر أنا محمد بن عمرو ثنا علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا . الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يرفع رأسه فاذا مرسي آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان من استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ، وقال الضحاك هم رضوان والخور ومالك والزبانية ، وقبل عقارب النار وحياتها . قوله عز وجل (وكل) أي كل الذين أحبوا بعد الموت (أتوه) قرأ الاعمش وحزمة وحفص (أتوه) مقصوراً بفتح التاء على الفعل أي جاءوه ، وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى (وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) (داخرين) صاغرين

قال الله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب) أي تسير (تفسير ابن كثير والبغوي) (٤٠) (الجزء السادس)

الجبال سيرا [وقال تعالى] ويسألونك عن الجبال فقل يذهبها ربنا نسفا * نيزرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا [وقال تعالى] ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة [وقوله تعالى] صنع الله الذي أتقن كل شيء [أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة] [الذي أتقن كل شيء] أي أتقن كل ماخلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع (انه خبير بما يفعلون) أي هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء . ثم بين تعالى حال السعداء والاشقياء . يومئذ فقال (من جاء بالحسنة فله خير منها) قال قتادة بالاخلاص وقال زين العابدين هي لإله الا الله وقد بين تعالى في الموضع الآخر ان له عشر أمثاله (وهم من فرع يومئذ آمنون) كما قال في الآية الاخرى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) وقال تعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ؟) وقال تعالى (وهم في الغرفات آمنون)

وقوله تعالى (ومن جاء بالسينة فكبت وجوههم في النار) أي من لقي الله مسيئا لا حسنة له أو قد رجحت سيئاته على حسناته كمل بحسبه ولهذا قال تعالى (هل نجزون إلا ما كنتم تعملون) وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة

سير السحاب حتى تقم على الأرض فتسوي بها وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتيه وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة أعظمها كما أن سير السحاب لا يرى أعظمه وهو سائر (صنع الله) نصب على المصدر (الذي أتقن كل شيء) يعني أحكم (انه خبير بما تعملون) قرأ ابن كثير وأهل البصرة بالياء والباقيون بالياء . قوله (من جاء بالحسنة) بكلمة الاخلاص وهي شهادة أن لا إله الا الله . قال أبو معشر كان ابراهيم يخلف ولا يستثني أن الحسنة لإله الا الله ، وقال قتادة بالاخلاص ، وقيل هي كل طاعة (فله خير منها) قال ابن عباس فمنها يصل الخير اليه يعني له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب ، أما أن يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه ليس شيء خير من قول لا إله الا الله ، وقيل (فله خير منها) يعني رضوان الله ، قال تعالى (ورضوان من الله أكبر) وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن ابن زيد (فله خير منها) يعني الاضعاف أعطاء الله تعالى بالواحدة عشر أضعافا وهذا حسن لان للاضعاف خصائص منها أن العبد يستل عن عمله ولا يستل عن الاضعاف ، ومنها أن للشيطان سبيلا إلى عمله وليس له سبيل إلى الاضعاف ولا مطمع للخصوم في الاضعاف ، ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم الرب تبارك وتعالى (وهم من فرع يومئذ آمنون) قرأ أهل الكوفة من فرع بالتنوين يومئذ بفتح الميم ، وقرأ الآخرون بالاضافة لانه أعم فانه يقتضي الامن من جميع فزع ذلك اليوم وبالتنوين كأنه فزع دون فرع وفتح أهل المدينة الميم من يومئذ (ومن جاء بالسينة) يعني الشرك (فكبت وجوههم في النار) يعني أقوا على وجوههم يقال كبت الرجل اذا ألقبته على وجهه

ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو وائل وأبو صالح ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم والزهري والسدي والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد في قوله [ومن جاء بالسيئة] يعني بالشرك

إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون

من المسلمين (٩١) وأن أنلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من

المنذرين (٩٢) وقل الحمد لله سيريكم آياته فتمرفونها وما ربك بغافل عما تعملون (٩٣)

يقول تعالى مخبراً رسوله وأمره له أن يقول [إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء] كما قال تعالى [قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم] وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى [فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف]

وقوله تعالى [الذي حرّمها] أي الذي أنما صارت حراما شرعا وقدرنا بتحرّمه لها كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة «أن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة» لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلالها» الحديث بتمامه. وقد ثبت في الصحيح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع كما هو مبين في موضعه من كتاب الأحكام والله الحمد والمنة

وقوله تعالى [وله كل شيء] من باب عطف العام على الخاص أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء. ومليكه لإله الأهل [وأمرت أن أكون من المسلمين] أي الموحدين المخلصين المتقدين لأمره المطيعين له. وقوله [وأن أنلو القرآن] أي على الناس أبلغهم إياه كقوله تعالى [ذلك نلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم] وكقوله تعالى [تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق] الآية أي أنا مبلغ ومنذر [فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين] أي لي أسوة بالرسول الذين انذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وخلصوا من عهدتهم وحساب أمهم على الله

فانكب وأكب وتقول لهم خزنة جهنم ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الشرك قوله تعالى ﴿إنما أمرت﴾ يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ قل إنما أمرت ﴿أن أعبد رب هذه البلدة﴾ يعني مكة ﴿الذي حرّمها﴾ يعني جعلها الله حراما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلالها ﴿وله كل شيء﴾ خلقها وملكا ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ الله ﴿وأن أنلو القرآن﴾ يعني وأمرت أن أنلو القرآن ﴿فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه﴾ أي فمع اهتدائه يرجع إليه ﴿ومن ضل﴾ عن الإيمان وأخطأ عن طريق الهدى ﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ من المخوفين

٣١٦ كون الرسل لا يطلب منهم إلا البلاغ والحساب على الله (تفسير ابن كثير والبغوي)

تعالى كقوله تعالى [فأنما عليكم البلاغ وعلينا الحساب] وقال [انما انت نذير والله على كل شيء وكيل] [وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها] أي الله الحمد الذي لا يعذب احدا الا بعد قيام الحجة عليه ، والانذار اليه ، ولهذا قال تعالى [سيريكم آياته فتعرفونها] كما قال تعالى (سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)

وقوله تعالى [وما ربك بغافل عما تعملون] اي بل هو شهيد على كل شيء ، قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن بعلى الثقفي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس لا يفتن أحدكم بالله فان الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة والحرذلة والذرة » وقال ايضا حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر بن علي قال ابي أخبرني عن خالد بن قيس عن مظهر عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان الله مغفلا شيئا لأغفل ما تعني الرياح من أثر قديمي ابن آدم ، وقد ذكر عن الامام أحمد رحمه الله تعالى انه كان ينشد هذين البيتين إما له وإما لغيره

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يفتل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

(آخر تفسير سورة النمل والله الحمد والمنة)

تفسير سورة القصص وهي مكية

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن أبي إسحاق عن معمر بن بكرب قال أتينا عبد الله فأسأله أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال ما هي هي ولكن ليحكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الارت قال فأتينا خباب بن الارت فقرأها علينا رضي الله عنه

فليس علي الا البلاغ نسختها آية القتال ﴿ وقل الحمد لله ﴾ على نعمه ﴿ سيريكم آياته ﴾ يعني يوم بدر من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوهمهم وأدبارهم نظيره قوله عز وجل ﴿ سأريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾ وقال مجاهد : سيريكم آياته في السماء والارض وفي أنفسكم كما قال (سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) ﴿ فتعرفونها ﴾ يعني تعرفون الآيات والدلالات ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم .

﴿ سورة القصص مكية ﴾

الا قوله عز وجل (الذين آتيناهم الكتاب — إلى قوله — لا نبتغي الجاهلين) وفيها آية نزات بين مكة والمدينة وهي قوله عز وجل (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (١) تلك آيت الكتاب المبين (٢) نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق
لقوم يؤمنون (٣) إن فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح
أبنائهم ويستحيي نساءهم لأنه كان من المفسدين (٤) وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٥) ونمكن لهم في الارض وزر فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٦)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة ، وقوله (تلك) أي هذه (آيات الكتاب المبين) أي
الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الامور وعلم ما قد كان وما هو كائن . وقوله (نتلوا عليك من نبأ
موسى وفرعون بالحق) الآية كما قال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) أي نذكر لك الامر
على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر ثم قال تعالى (ان فرعون علا في الارض) أي تكبر وتجبر
وطغى [وجعل أهلها شيعاً] أي أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته

وقوله تعالى (يستضعف طائفة منهم) أي بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم
هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار القبيح يستعبد لهم في أخس الاعمال ، ويكدهم ليلاً ونهاراً في
أشغاله وأشغال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد
منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل عائلته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب
دولته على يديه . وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من قول ابراهيم
الخليل عليه السلام حين ورد الدبار المصرية وجرى له مع جبارها ماجرى حين أخذ سارة ليتخذها
جارية فصانها الله منه ومنعها منه بقدرته وسلطانة فبشر ابراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه

بسم الله الرحمن الرحيم

(طسم * تلك آيات الكتاب المبين * نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق) بالصدق (لقوم
يؤمنون) يصدقون بالقرآن (ان فرعون علا) استكبر وتجبر وتعظم (في الارض) أرض مصر
(وجعل أهلها شيعاً) فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) أراد بالطائفة بني
إسرائيل ثم فسر الاستضعاف فقال (يذبح أبنائهم ويستحيي نساءهم) سمي هذا استضعافاً لأنهم

وذريته من يكون هلاك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل وإن ينفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى (وزيد أن آمن على الذين استضعفوا في الأرض - إلى قوله - يحذرون) وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى [وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون - إلى قوله - يعرشون] وقال تعالى [كذلك وأورثناها بني إسرائيل]

أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخاف أمره القدري ولا يقاب بل نفذ حكمه وجرى قلبه في التقدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك وغذاؤه من طعامك وأنت بزيه وتدله وتتفدها وحنتك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه لتعلم أن رب السموات والأرض هو القاهر الغالب العظيم القوي العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا نرادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨) وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون (٩)

عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (انه كان من المفسدين * وزيد أن آمن على الذين استضعفوا في الأرض) يعني بني إسرائيل (ونجعلهم أئمة) قادة في الخير يقتدى بهم ، وقال قتادة ولادة وملوكا دليله قوله عز وجل (وجعلكم ملوكا) وقال مجاهد دعاة إلى الخير (ونجعلهم الوارثين) يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم (ونمكن لهم في الأرض) نوطن لهم في أرض مصر والشام ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه (ونري) قرأ الأعمش وحمة والكسائي يرى بالياء وفتحها (فرعون وهامان وجنودهما) مرفوعات على أن الفعل لهم ، وقرأ الآخرون بالنون وضمها وكسر الراء ونصب الياء ونصب ما بعده بوقوع الفعل عليه (منهم ما كانوا يحذرون) والحذر هو التوقي من الضرر وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون

قوله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى) وهو وحي إلهامي لا وحي نبوة . قال قتادة فذفنا في قلبها

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط أن يفنى بني إسرائيل فيلون هم ما كانوا يلوونه من الاعمال الشائنة فقالوا لفرعون انه يوشك ان استمر هذا الحال أن يموت شيوعهم وغلمانهم يقتلون، ونساؤهم لا يمكن أن يقمن بما تقوم به رجالهم من الاعمال فيخلص الينا ذلك فأمر بقتل الولدان عاما وتركهم عاما، فولد هارون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان، وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان، وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدورون على النساء فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها، فاذا كان وقت ولادتها لا يقبلها الا نساء القبط فان ولدت المرأة جارية تركنها وذهب، وان ولدت غلاما دخل اولئك الدباحون بأيديهم الشغار المرهفة فقتلوه ومضوا قبضهم الله تعالى. فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ولم تغطن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكرأ ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديدا وأحبته حبا زائدا وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه فالسعيد من أحبه طبعاً وشرعاً

وأما موسى يوحاند بنت لاوي بن يعقوب ﴿ أن أرضعه ﴾ واختلفوا في مدة الرضاع قيل ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك ﴿ فاذا خفت عليه ﴾ يعني من الذبح ﴿ فألقه في اليم ﴾ واليم البحر وأراد ههنا النيل ﴿ ولا تخافي ﴾ قيل لا تخافي عليه من الفرق، وقيل من الضيعة ﴿ ولا تحزني ﴾ على فراقه ﴿ انارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان بني إسرائيل لما كثروا بمصر واستطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفهم الى أن أنجاهم الله على يدي نبيه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكاهن فرعون محبالي بني إسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها فقالت قد نزل بي منزل فلينفعي حبك إياي اليوم، قالت فعالجت قبالتها فلما أن وقع موسى بالأرض هالما نور بين عيني موسى فالتفت كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ماجئت اليك حين دعوتيني الا ومرادي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يأما هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقه فوضعه في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما صنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها ابن فقالوا لها ما أدخل عليك القابلة ؟ قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عتقها فقالت لاخت موسى فأين الصبي قالت لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه برداً وسلاماً فاحتملته. قال ثم إن أم موسى لما رأت الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها

قال الله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) فلما ضاقت به ذرعا ألمت في سرها وألقي في خلدتها ونفث في روعها كما قال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل فالتذت تابوتا ومهدت فيه مهداً وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد من تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت وسيرته في البحر وربطته بحبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجواري فاحتلمته فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه وخشين أن يفتن عليهما في فتحه دونها فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأباهاء فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه وذلك لسعادتهما ما أراد الله من كرامتهما وشقاوة بهلها ولذا قال (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) الآية

فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتا فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليم وهو النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيراً فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت؟ قالت ابن لي أخبئه في التابوت وكرهت الكذب، قال ولم؟ قالت أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحماته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأس أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الامناء ما يقول، فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضاً يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً فضربوه وأخرجوه فوق في واد يهوي فيه حيران، فجعل الله عليه أن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه بحفظه حينما كان. فعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر الله ساجداً فقال: يارب دلي على هذا العبد الصالح فله الله عليه فخرج من الوادي قائماً به وصدقه وعلم أن ذلك من الله عز وجل

وقال وهب بن منبه: لما حملت أم موسى بموسى كتبت أمرها جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيها يموت فرعون القوايل وتقدم اليهن يفتشن النساء فتفتش لم يفتشن قبل ذلك مثله وحمات أم موسى فلم يبتأ بطمها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها فكانت القوايل لا تعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قاله ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم فأوحى الله اليها (أن أرضعيه فإذا خفت عليه) الآية فكتمته أمه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت عليه عملت تابوتا له مطبقاً ثم ألقته في البحر ليلاً. قال ابن عباس وغيره وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن

قال محمد بن إسحاق وغيره اللام هنا لام العاقبة لالام التعليل لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه ولكن إذا نظر الى معنى السياق فإنه تبقى اللام للتعليل لأن معناه أن الله تعالى قبضهم لالتقاطه ليجعله عدواً لهم وحزناً فيكون أبان في ابطال حذرهم منه ولهذا قال تعالى (أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن العزيز رضي الله عنه أنه كتب كتاباً الى قوم من القدرية في تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق وموسى في علم الله السابق لفرعون عدو وحزن قال الله تعالى (وزري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وقلم انتم لو شاء فرعون أن

له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها الى فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت ابنة فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج ، فقال فرعون ان هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجرة اثتوني به ، فابتعدوه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه ، فندت منه آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمصها لبناء ، فألقى الله لموسى المحبة في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا ربي به في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله ، فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها ، وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه . قال رسول الله ﷺ « لو قال فرعون يومئذ هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها » فقبل لا آسية سميه فقالت قد سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر فهو هو الماء ومسى هو الشجر فذلك قوله عز وجل ﴿ فالتقطه آل فرعون ﴾ والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب ﴿ ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ، ولكن صار عاقبة أمرهم الى ذلك . قرأ حمزة والكسائي حزناً بضم الحاء وسكون الزاي ، وقرأ الاخرون بفتح الحاء والزاي وهما لفتان ﴿ ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ عاصين آثمين

يكون لموسى ولياً وناصراً والله تعالى يقول (ليكون لهم عدواً وحزناً) وقوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك) الآية يعني ان فرعون لما رآه هم يقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذب دونة وتجيئه إلى فرعون فقالت (قرة عين لي ولك) فقال فرعون أملك فنعم وإمالي فلا فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه وقد تقدم في حديث الفتون في سورة طه هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعاً عند النسائي وغيره . وقوله (عسى أن ينفعنا) وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه . وقوله (أو نتخذ ولدأ) اي أرادت أن تتخذ ولدأ وتتبناه وذلك انه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) اي لا يدرون ما أراد الله منه بالنقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة

وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من

المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١)

وحرمتنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم

له ناصحون؟ (١٢) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن

أكثرهم لا يعلمون (١٣)

قوله تعالى ﴿ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ﴾ قال وهب لما وضم التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجدوا فيه موسى ، فلما نظر إليه قال عبراني من الاعداء فغاضه ذلك وقال : كيف اخطأ هذا الغلام الذبيح وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الانبياء وكانت أما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك ﴿ لا تقتلوه ﴾ وروي أنها قالت له انه أتاننا من أرض أخرى ليس من بني اسرائيل ﴿ عسى أن ينفعنا أو نتخذ ولدأ وهم لا يشعرون ﴾ أن اهلاكم على يديه فاستجابه فرعون وألقى الله عليه محبته وقال لامرأته عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أريد نفعه . قال وهب قال ابن عباس رضي الله عنهما لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكننه أبي للشقاء الذي كتبه الله عليه

وقوله تعالى ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ﴾ أي خالياً من كل شيء الا من ذكر موسى وهم

يقول تعالى مخبراً عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر انه أصبح فارغاً أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والضحاك والحسن البصري وقتادة وغيرهم (إن كادت لتبدي به) أي ان كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر انه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها قال الله تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين * وقالت لاخته قصيه) أي أمرت ابنتها وكانت كبيرة نعي ما يقال لها فقالت لها (قصيه) أي اتبعي أثره وخذي خبره وتطلبي شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك فبصرت به عن جنب . قال ابن عباس عن جانب . وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعيد

وقال قتادة جعلت تنظر اليه وكأنها لا تريده وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل منها ثدياً وأبى أن يقبل شيئاً من ذلك فخرجوا به الى السوق لعلمهم بمجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما رأته بأيديهم عرفته ولم

هذا قول أكثر المفسرين ، وقال الحسن فارغاً أي ناسياً للوحي الذي أوحى الله اليها حين أمرها أن تلقيه في البحر ولا تخاف ولا تحزن والعهد الذي عهد أن يردّه اليها ويجعله من المرسلين . فجاءها الشيطان فقال كرهت أن يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقيته في البحر وأغرقتة فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النبل قالت انه وقع في يد عدوه الذي فررت منه فأناهاها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها . وقال أبو عبيدة (فارغاً) أي فارغاً من الحزن لعلمها بصدق وعد الله تعالى . وأنكر القتيبي هذا وقال كيف يكون هذا والله تعالى يقول (إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) والاول أصح

قوله عز وجل ﴿إن كادت لتبدي به﴾ قيل الهاء في به راجعة الى موسى أي كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها ، وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول وا ابناء ، وقال مقاتل لما رأت التابوت يرفعه موج وبضعه آخر خشيت عليه الفرق فكادت تصيح من شفقتها ، وقال الكلبي كادت تظهر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعبد ماشب موسى بن فزعون فشق عليها . وكادت تقول بل هو ابني ، وقال بعضهم الهاء عائدة الى الوحي أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله اليها أن يردّه اليها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالعصمة والصبر والتثبت ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين لوعده الله حين قال لها انا رادوه اليك ﴿وقالت لاخته﴾ أي لمريم أخت موسى ﴿قصيه﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أي عن بعد . وفي القصة أنها كانت تمشي جانباً وتنظر اختلاسا تري أنها لا تنظره ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته وأنها ترقبه . قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان هها من الدنيا أن تجده مرضعة وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك قوله عز وجل

تظهر ذلك ولم يشعروا بها . قال الله تعالى (وحرمتنا عليه المراضع من قبل) أي تحريماً قدراً وذلك لكرامته عند الله وصيانيته له أن يرتضع غير ثدي أمه ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة بعد ما كانت خائفة فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه (قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون)

قال ابن عباس فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها وقالوا لها وما يدريك بنصحه لهم له وشفتهم عليه ؟ فقالت لهم نصحه لهم وشفتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعة فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك خلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى وأحسن إليها وأعطتها عطاء جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق ثديها ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت : إن لي بعلاً وأولاداً ولا أقدر على المقام عندك ، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوي والاحسان الجزيل فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عز وجاه ورزق دار ، ولهذا جاء في الحديث « مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعة الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل يوم ليلة أوتى نوحه والله أعلم فسبحان من بيده الأمر ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيق مخرجاً ، ولهذا قال تعالى (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها) أي به (ولا تحزن) أي عليه (ولتعلم أن وعد الله حق) أي فيما وعدها من

﴿ وحرمتنا عليه المراضع ﴾ والمراد من التحريم المنع والمراضع جمع المرضع ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل مجيء أم موسى فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك قالت لهم هل أدلكم . وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثدياً ويصيح وهم في طلب مرضعة له ﴿ فقالت ﴾ يعني أخت موسى ﴿ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه ﴾ أي بضم نونه ﴿ لكم ﴾ وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن نجد صغيراً ترضعه ﴿ وهم له ناصحون ﴾ والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من شوائب الفساد قالوا نعم فائتينا بها . قال ابن جريج والسدي لما قالت أخت موسى وهم له ناصحون أخذوها وقالوا أنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه وقالت هم للملك ناصحون ، وقيل إنها قالت إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك وانصالي به ، وقيل إنها لما قالت هل أدلكم على أهل بيت قالوا لها من ؟ قالت أي ، قالوا ولأملك ابن ؟ قالت نعم هارون وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها الولدان قالوا صدقت فائتينا بها . فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه رياً . قال السدي كانوا يعطونها كل يوم ديناراً فذلك قوله تعالى

﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ﴾ برد موسى إليها ﴿ ولا تحزن ﴾ أي لئلا تحزن ﴿ ولتعلم أن

رده اليها وجعله من المرسلين فحينئذ تحتمت برده اليها انه كائن منه رسول من المرسلين فعاملته في زيبته ما ينبغي له طبعاً وشرعاً

وقوله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة فربما يقع الامر كرهاً الى النفوس ، وعاقبته محمودة في نفس الامر كما قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)

ولما بلغ أشده واستوى آتيت به حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين (١٤) ودخل

المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى فقضى عليه ، قال هذا من

عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين (١٥) قال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي فقفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦) قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين (١٧)

لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكر انه لما بلغ أشده واستوى آناه الله حكماً وعلماً قال مجاهد يعني النبوة [وكذلك نجزي المحسنين] ثم ذكر تعالى سبب وصوله الى ما كان تعالى قدره له من النبوة والتكليم في قضية قتله ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية الى بلاد مدين فقال تعالى [ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها] قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن

وعد الله حق ﴿ برده اليها ﴾ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿ أن الله وعدھا رده اليها ﴾ ولما بلغ أشده ﴿ قال الكلبي الأشد ما بين ثمانين سنة الى ثلاثين سنة ، وقال مجاهد وغيره ثلاث وثلاثون سنة ﴾ واستوى ﴿ أي بلغ أربعين سنة ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس . وقيل استوى انتهى شبابه ﴾ آتيناها حكماً وعلماً ﴿ أي الفقه والعقل والعلم في الدين فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبياً ﴾ وكذلك نجزي المحسنين ﴿

قوله تعالى ﴿ ودخل المدينة ﴾ يعني دخل موسى المدينة ، قال السدي هي مدينة منف من أرض مصر ، وقال مقاتل كانت قرية يقال لها حانين على رأس فرسخين من مصر ، وقيل مدينة عين شمس ﴿ على حين غفلة من أهلها ﴾ وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقلولة ، وقال محمد بن كعب القرظي دخلها فيما بين المغرب والعشاء . واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت قال السدي وذلك أن موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه

عباس وذلك بين المغرب والعشاء . وقال ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقناة فوجد فيها رجلين يقتتلان (أي يتضاربان ويتنازعان) هذا من شيعته (أي اسرائيل) وهذا من عدوه (أي قبطي) قاله ابن عباس وقناة والسدي ومحمد بن إسحاق ، فاستغاث الاسرائيلي بموسى عليه السلام فوجد موسى فرصة وهي غفلة الناس فعمد الى القبطي (فوكزه موسى ففضى عليه) قال مجاهد فوكزه أي طعنه بجميع كفه وقال قناة وكزه بعصا كانت معه ففضى عليه أي كان فيها حشفة فأت (فقال) موسى (هذا من عمل الشيطان

فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقييل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرفها أحد فذلك قوله عز وجل (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) قال محمد بن إسحاق كان لموسى شيعه من بني اسرائيل يستمعون منه ويقتدون به ، فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه يخالفهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية الا خائفا أو مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها . وقال ابن زيد : لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر بأخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا بعد أن كبر وبلغ أشده فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى أي من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعده عنهم به . وروي عن علي في قوله (على حين غفلة) كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان ﴾ يختصمان ويتنازعان ﴿ هذا من شيعته ﴾ من بني اسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ من القبط ، قيل الذي كان من شيعته السامري والذي من عدوه من القبط طباطخ فرعون اسمه قليثون ، وقيل هذا من شيعته وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر . وكان القبطي يسخر الاسرائيلي ليحمل الخطب الى المطبخ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني والاستغاثه طلب الغوث فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا أنه من قبل الرضاة من أم موسى فقال للفرعوني خل سبيله فقال إنما أخذته ليحمل الخطب الى مطبخ أهلك فنارعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أجعله عليك وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش ﴿ فوكزه موسى ﴾ وقرأ ابن مسعود فلكزه موسى ومعناها واحد وهو الضرب بجميع الكف ، وقيل الوكز الضرب في الصدر واللكز في الظهر ، وقال الفراء معناها واحد وهو الدفم قال أبو عبيدة الوكز الدفم بأطراف الاصابم

انه عدو مضل مبين * قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت علي (أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة) (فلن أكون ظهيراً) أي معيناً [للمجرمين] أي الكافرين بك ، المخالفين لأمرك

فأصبح في المدينة خائفاً يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى

إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن

تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ ان تريد إلا أن تكون جباراً في الارض وما تريد أن

تكون من المصالحين (١٩)

يقول تعالى مخبراً عن موسى لما قتل ذلك القبطي انه أصبح (في المدينة خائفاً) أي من معرفة ما فعل [يترقب] أي يتقلب يتوقع ما يكون من هذا الامر فمر في بعض الطرق فاذا ذلك الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقابل آخر فلما مر موسى استصرخه على الآخر فقال له موسى [إنك لغوي مبين] أي ظاهر الغواية كذير الشر ثم عزم على البطش بذلك القبطي فاعتقد الاسرائيلي

وفي بعض التفاسير عقد موسى ثلاثاً وعشرين وضربه في صدره ﴿ ففضى عليه ﴾ أي قتلته وفرغ من أمره وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه في الرمل ﴿ قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ﴾ أي بين الضلالة ﴿ قال رب اني ظلمت نفسي ﴾ بقتل القبطي من غير أمر ﴿ فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم ﴾ قال رب بما أنعمت علي ﴿ بالمغفرة ﴾ (فلن أكون ظهيراً) عونا ﴿ للمجرمين ﴾ قال ابن عباس للكافرين وهذا يدل على أن الاسرائيلي الذي أعاناه موسى كان كافراً وهو قول مقاتل . قال قتادة ان أعين بعدها على خطيئة . قال ابن عباس لم يستثن فابتلى به في اليوم الثاني

قوله ﴿ فأصبح في المدينة ﴾ أي في المدينة التي قتل فيها القبطي ﴿ خائفاً ﴾ من قتله القبطي ﴿ يترقب ﴾ ينتظر سواً والترقب انتظار المكروه ، قال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به ﴿ فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ﴾ يستغيثه ويصيح به من بعد . قال ابن عباس أي فرعون قتل له ان بني اسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بمقتله ، فقال ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فلا يستقيم أن يقضى بشير بينة . فينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقابل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي ﴿ قال له موسى ﴾ للاسرائيلي ﴿ انك لغوي مبين ﴾ ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر ونستغيثني

٣٢٨ اثنتا عشرة فرعون بموسى وخروجه من المدينة خائفاً يترقب (تفسير ابن كثير والبغوي)

لخوره وضعفه وذلك ان موسى انما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه [ياموسى
أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالامس؟] وذلك لانه لم يعلم به الا هو وموسى عليه السلام فلما سمعها
ذلك القبطي لقفها من فيه ثم ذهب بها الى باب فرعون وألقاها عنده فعلم فرعون بذلك فاشتد حنقه
وعزم على قتل موسى فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك

وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملا يأمرون بك ليقتلوك
فاخرج اني لك من النصحين (٢٠)

قال تعالى [وجاء رجل] وصفه بالرجولية لانه خالف الطريق فسلك طريقاً أقرب من طريق
الذين بعثوا وراءه فسبق الى موسى فقال له ياموسى [ان الملا يأمرون بك] أي يتشاورون فيك
[ليقتلوك فاخرج] أي من البلد [اني لك من النصحين]

نخرج منها خائفاً يترقب قال رب انجني من القوم الظالمين (٢١) ولما توجه تلقاء مدين
قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل (٢٢) ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من
الناس يسقون، ووجد من دونهم امراأتين تزدودان، قال ما خطبكما؟ قالتا لانسقي حتى

عليه، وقيل انما قال موسى للفرعونى انك لغوي مبين بظلمك، والاول أصوب وعليه الاكترون انه
قال ذلك للاسرائيلى ﴿ فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ وذلك أن موسى أدركته الرقة
فد يده ليطش بالفرعونى فظن الاسرائيلى أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضبه وسمع قوله انك
لغوي مبين ﴿ قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالامس، ان تريد ﴾ ما تريد ﴿ إلا أن تكون
جباراً في الارض ﴾ بالقتل ظلماً ﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ فلما سمع القبطي ما قال
الاسرائيلى علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى فرعون وأخبره بذلك وأمر فرعون
بقتل موسى قال ابن عباس فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الاعظم

قوله ﴿ وجاء رجل ﴾ من شيعه موسى ﴿ من أقصى المدينة ﴾ أي من آخرها قال أكثر أهل
التأويل اسمه حزقيل مؤمن من آل فرعون، وقيل اسمه شمعون وقيل سمعان ﴿ يسى ﴾ أي يسرع
في مشيه فأخذ طريقاً قريباً حتى سبق الى موسى فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر ﴿ قال ياموسى
ان الملا يأمرون بك ﴾ يعني أشرف قوم فرعون يتشاورون فيك ﴿ ليقتلوك ﴾ قال الزجاج بأمر
بعضهم بعضاً بقتلك ﴿ فاخرج ﴾ من المدينة ﴿ إني لك من النصحين ﴾ في الامر لك بالخروج ﴿ فخرج
منها ﴾ موسى ﴿ خائفاً يترقب ﴾ أي ينتظر الطلب ﴿ قال رب انجني من القوم الظالمين ﴾ الكافرين .

يصدر الرءاء وأبو ناسخ كبير (٢٣) فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير (٢٤)

لما أخبره ذلك الرجل بما أتاه عليه فرعون ودولته في أمره خرج من مصر وحده ولم يألف ذلك قبله بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة (فخرج منها خائفاً يترقب) أي يتلفت (قال رب نجني من القوم الظالمين) أي من فرعون وملئه فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث اليه ملكاً على فرس فأرشده إلى الطريق فأنه أعلم (ولما توجه تلقاء مدين) أي أخذ طريقاً سالكا مهيباً فرح بذلك (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي الطريق الأقوم ففعل الله به ذلك وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة فجعله هادياً مهنياً (ولما ورد ماء مدين) أي لما وصل إلى مدين وورد ماءها وكان لها بئر يرد به الماء (وجد عليه أمة من الناس يسقون) أي جماعة يسقون (ووجد من دونهم امراًتين تزدودان) أي تكفان تكفان غنمهما أن رد مع غنم أولئك الرعاة لئلا يؤذيا فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما (قال ما خطبكما) أي ما خبركما لا تردان مع هؤلاء (قالنا لا نسقي حتى يصدر

وفي القصة أن فرعون بعث في طلبه حين أخبر به فقال اركبوا بنيات الطريق فانه لا يعرف كيف الطريق قوله (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحوها ماضياً اليها يقال داره تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها وأصله من التقاء. قال الزجاج يعني ذلك الطريق التي يلتقي مدين فيها ومدين هو مدين بن ابراهيم سميت البلدة باسمه وكان موسى قد خرج خائفاً بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق إلى مدين قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها قيل فلما دعا جاهد ملك ويده عنزة فانطلق به إلى مدين. قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى إنه يرى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه. قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى (ولما ورد ماء مدين) وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) يعني سوى الجماعة وقيل بعيداً عن الجماعة (امراًتين تزدودان) يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر قال الحسن تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس وقال قتادة تكفان الناس عن أغنامهما، وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تشد وتذهب. والقول الاول أصوبهما لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى لمرأتين (ما خطبكما) ما شأنكما لا نسقيان مواشيكما مع الناس (قالنا لا نسقي) أغنامنا (حتى يصدر الرعاة) قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر يصدر بفتح الياء (تفسير ابن كثير والبعوي) (٤٢) (الجزء السادس)

الرعاء) أي لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء (وأبونا شيخ كبير) أي فهذا الحال الملهجي لنا إلى ما ترى قال الله تعالى (فسقى لها) قال أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبيد الله أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطبق رفعها إلا عشرة رجال فإذا هو بأمرأتين تذودان قال ما خطبكما؟ فحدثناه فأتى الخبجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوباً واحداً حتى رويت الغنم . إسناده صحيح

وقوله تعالى (ثم تولى إلى الظل فقال رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير) قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر وكان حافياً فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه اللاصق بظهوره من المروع وإن خضرة البقل ل ترى من داخل جوفه وأنه محتاج إلى شق ثمرة

وقوله (إلى الظل) قال ابن عباس وابن مسعود والسدي جلس تحت شجرة : وقال ابن جرير : حدثني الحسين بن عمرو العنقزي حدثنا أبي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حدثت علي بن جهم ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى فإذا هي شجرة خضراء ترف فأهوى إليها جهمي وكان جائعاً فأخذها جهمي فعاالجها ساعة ثم

وضم الدال على اللزوم أي حتى يرجع الرعاء عن الماء ، وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء . والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار ، ومعنى الآية لا نسقي مواشينا حتى يصدر الرعاء . لانا امرأتان لا نطبق أن نستسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم . واختلفوا في اسم أيهما فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن هو شعيب النبي عليه السلام ، وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير هو يثرون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم ، وقيل رجل ممن آمن بشعيب ، قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطبق رفعها إلا جماعة من الناس ، وقال ابن إسحاق أن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين . وبروي أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين ، ويقال إنه نزع ذنوباً واحداً ودعا فيه بالبركة فروي منه جميع الغنم فذلك قوله (فسقى لها) ثم تولى إلى الظل (ظل سمرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع) فقال رب اني لما أنزلت إلي من خير (من طعام) فقير (قال أهل اللغة اللام بمعنى إلى يقال هو فقير له وفقير إليه يقول إنني لما أنزلت إلي من خير أي طعام فقير محتاج كان بطالب الطعام لجوعه ، قال ابن عباس سأل الله تعالى

لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرف ، وفي رواية عن ابن مسعود انه ذهب الى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سيأتي ان شاء الله فالتفت اليه . وقال السدي كانت الشجرة من شجر السمر ، وقال عطاء بن السائب لما قال موسى (رب اني لما أنزلت الي من خير فقير) أسمع المرأة

خفاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .

فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (٢٥) قالت إحداهما

يا أبت استعجره ان خير من استعجرت القوي الأمين (٢٦) قال اني أريد أن أنكحك

أحدى ابنتي هتين على أن تأجرني ثمني حجج فإن أنمت عشرافن عندك وما أريد أن

أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (٢٧) قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين

قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل (٢٨)

لما رجعت المرأتان سريعا بالغنم الى أبيهما أنكر حالهما بسبب مجيئهما سريعا فسألها عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى عليه السلام فبعث إحداهما اليه لتدعوه الى أبيهما قال الله تعالى [فجاءته إحداهما تمشي على استحياء] أي مشي الخرائر كما روي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه انه قال : جاءت مستورة بكم درعها

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : قال عمر رضي الله عنه جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع من النساء ولا حاجة خراجه . هذا اسناد صحيح . قال الجوهرى : السلفع من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليطة ومن النوق الشديدة . قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه

فلقة خبز يقيم بها صلبه . قال محمد الباقر لقد قالها وأنه محتاج إلى شق ثمرة ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى (رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير) وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق ثمرة ، قال مجاهد ما سأله الا الخبز ، قالوا فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنامهما قبل بطان قال لهما ما أعجلكما ؟ قانتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا أغنامنا ، فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي

قال الله تعالى (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليست بسلفع من النساء خراجه ولا حاجة ولكن جاءت مستورة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء . قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا قال أبو حازم سلمة بن دينار : لما سمع ذلك موسى أراد

طلباً مطلقاً لئلا يؤم ريبة بل قالت ان ابني يدعوك ليجزيك اجر ماسقيت لنا يعني ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي ذكر له ما كان من أمره وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده قال (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يقول طب نفساً وقر عيناً فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا، ولهذا قال (نجوت من القوم الظالمين) وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال أحدها أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل الى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد

ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز الأزدي حدثنا مالك بن أنس انه بلغه أن شعيباً هو الذي قص عليه موسى القصص قال (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) وقد روى الطبراني عن سلمة ابن سعد الغزي أنه وفد على رسول الله ﷺ فقال له «مرحبا بقوم شعيب واختان موسى هديت» وقال آخرون بل كان ابن أخي شعيب وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه (وما قوم لوط منكم بعيد) وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعين سنة كما ذكره غير واحد، وما قيل ان شعيباً عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الاشكال ثم من المعوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لا وشك أن ينص على اسمه في القرآن ههنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده كما سنذكره قريباً إن شاء الله، ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل ان هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ثيرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام وعن أبي حمزة عن ابن عباس قال الذي استأجر موسى يثري صاحب مدين رواه ابن جرير به ثم قال الصواب ان هذا لا يدرك الا بخبر ولا خبر تجب به الحجة في ذلك، وقوله تعالى (قالت احداها يا أبت استأجره ان

أن لا يذهب ولكن كان جائعاً فلم يجد بداً من الذهاب فشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق ان أخطأت ففعلت ذلك، فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهياً فقال اجلس يا شاب فتعش، فقال موسى أعوذ بالله، فقال شعيب ولم ذاك ألدت بجائع؟ قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وانا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي قري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى وأكل

قوله تعالى ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ يعني أمره أجمع من قتل القبطي وقصد فرعون قتله ﴿ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ يعني فرعون وقومه وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين ﴿ قالت احداها يا أبت استأجره ﴾ اتخذته أجيراً أي رعى أغنامنا ﴿ ان خير من

خير من استأجرت القوي الامين) أي قالت احدى ابنتي هذا الرجل قبل هي التي ذهبت وراء موسى عليه السلام قالت لايبها (ياأبت استأجره) أي لرعيه هذه الغنم قال عمر وابن عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقنادة ومحمد بن اسحاق وغير واحد لما قالت (ان خير من استأجرت القوي الامين) قال لها أبوها وماعلمك بذلك ؟ قالت له انه رفع الصخرة التي لا يطبق حملها إلا عشرة رجال واني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي كوني من ورائي فاذا اختلف علي الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي اليه . وقال سفيان الثوري عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين تفرس في عمر وصاحب يوسف حين قال اكرمي مثواه وصاحبة موسى حين قالت (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين) قال (اني أريد ان أنكحك احدى ابنتي هاتين) أي طلب اليه هذا الرجل الشيخ الكبير ان يرعى غنمة ويزوجه احدى ابنتيه هاتين قال شعيب الجبائي وهما صفورا ولبا وقال محمد بن اسحاق صفورا وشرقا ويقال لبا ، وقد استدلل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما اذا قال بعثك أحد هذين العبدین بمائة فقال اشتريت أنه يصح والله أعلم ، وقوله (على أن تأجرني ثمانى حجج فان آتممت عشرأ فـن عندك) أي على أن ترعى غنمي ثمانى سنين فان تبرعت بـ يادة سنتين فهو اليك وإلا ففي الثمان كفاية (وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين) أي لا أشاقت ولا أؤاذيك ولا أماريك وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة للمذهب الاوزاعي فيما إذا قال بعثك هذا بعشرة نقداً أو بعشرين نسيئة أنه يصح ويختار المشري بايهما أخذه صح . وحمل الحديث المروي في سنن أبي داود « من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا » على هذا المذهب ، وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذا المذهب نظر ليس هذا موضع بسطه لطوله والله أعلم . ثم قد استدلل أصحاب الامام أحمد ومن تبعهم في صحة استئجار الاجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله

استأجرت القوي الامين) يعني خير من استعملت من قوي على العمل واداء الامانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته ؟ قالت أما قوته فانه رفع حجراً من رأس البئر ليرفعه الا عشرة ، وقيل إلا أربعون رجلاً ، وأما أمانته فانه قال لي امشي خافي حتى لانصف الريح بدنك (فقال) شعيب عند ذلك (اني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) واسمهما صفورا ولبا في قول شعيب الجبائي ، وقال ابن اسحاق صفورة وشرقا ، وقال غيرهما الكبرى صفراء والصغرى صفراء ، وقيل زوجه الكبرى ، وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفورة وهي التي ذهبت لطلب موسى (على أن تأجرني ثمانى حجج) يعني أن تكون أجيراً لي الى ثمان سنين . قال الفراء يعني اجعل ثوابي من زواجها أن ترعى غنمي ثمانى حجج تقول العرب أجرك الله بأجرك أي أثابك والحجج السنون واحدها حجة (فان آتممت عشرأ فـن عندك) أي ان آتممت عشر سنين فذلك بفضل منك وتبرع

محمد بن يزيد بن ماجه في كتابه السنن حيث قال باب استنجار الاجير على طعام بطنه حدثنا محمد بن المصنف حدثنا بقية بن الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي يقول كنا عند رسول الله ﷺ فقرأ طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال «ان موسى آجر نفسه ثمانين سنين أو عشرة سنين على عفة فرجه وطعام بطنه» وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف لان مسلمة بن علي وهو الحشني الدمشقي البلاطي ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن قد روي من وجه آخر وفيه نظر أيضا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله ﷺ يحدث ان رسول الله ﷺ قال «ان موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه» وقوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام (قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل) يقول ان موسى قال لصهره الامر على ما قلت من انك استأجرتني على ثمان سنين فان أتممت عشرا فمن عندي فأنا مني فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ولهذا قال (أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي) أي فلا حرج علي مع ان الكامل وان كان مباحا لكنه فاضل من جهة أخرى بدليل من خارج كما قال تعالى (فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه) وقال رسول الله ﷺ لحزرة بن عمرو الاسلمي رضي الله عنه وكان كثير الصيام وسأله عن الصوم في السفر فقال «ان شئت فصم وان شئت فافطر» مع ان فعل الصيام راجح من دليل آخر هذا وقد دل الدليل على ان موسى عليه السلام انما فعل أكل الاجلين وأنهما

وقال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى

وليس بواجب عليك ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ أن ألزمك تمام العشر إلا أن تبرع ﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ قال عمر يعني في حسن الصحبة والوفاء بما قلت ﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك بيني وبينك﴾ يعني هذا الشرط بيني وبينك فما شرطت علي فلك ، وما شرطت من تزويج إحداهما فلي والامر بيننا ثم الكلام ثم قال ﴿أيما الاجلين قضيت﴾ يعني أي الاجلين وما صلة قضيت يعني أتممت وفرغت من الثمان أو العشر ﴿فلا عدوان علي﴾ لا ظلم علي بأن أطالب بأكثر منهما ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن عبد الرحيم أنا سعيد بن سليمان أنا مروان بن شجاع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال : سألني يهودي من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى ؟ قلت لا أدري حتى أقدم علي

فقلت لا أدري حتى أقدم على جبر العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس رضي الله عنه فسأته فقال
 قضى أكثرهما وأطيبهما ان رسول الله إذا قال فعل : هكذا رواه حكيم بن جبير وغيره عن سعيد بن
 جبير ، ووقع في حديث الفتون من رواية القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير أن الذي سأله رجل
 من أهل النصرانية والاول أشبه والله أعلم ، وقد روي من حديث ابن عباس مرفوعا قال ابن جبر
 حدثنا أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن
 الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال « سألت جبريل أي الاجلين قضى
 موسى قال أنهما وأكملهما » ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحميدي عن سفيان وهو ابن عيينة حدثني
 ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب وكان من أسناني أو أصغر مني فذكره . وفي اسناده قلب و ابراهيم هذا
 ليس بمعروف . ورواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن أعين عن
 الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ثم قال لا نعرفه مرفوعا عن ابن
 عباس الا من هذا الوجه . ثم قال ابن أبي حاتم قرى . على بنونس بن عبد الاعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا
 عمرو بن الحارث عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن يوسف بن تيرح ان رسول الله ﷺ سئل أي
 الاجلين قضى موسى قال « لا علم لي » فسأل رسول الله ﷺ جبريل فقال جبريل لا علم لي فسأل جبريل
 ملكا فوقع فقال لا علم لي فسأل ذلك الملك ربه عز وجل عما سأله منه جبريل عما سأله عنه محمد ﷺ
 فقال الرب عز وجل قضى أبرهما وأبقاهما أو قال أزكاهما . وهذا مرسل وقد جا . مرسلا من وجه آخر
 وقال سنيد حدثنا حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان النبي ﷺ سأل جبريل أي الاجلين
 قضى موسى فقال سوف أسأل امراة فقال سوف أسأل الرب عز وجل فسأله فقال أبرهما وأوقاهما
 (طريق أخرى مرسله أيضا) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيم حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب
 القرظي قال سئل رسول الله ﷺ أي الاجلين قضى موسى قال « أو فاهما وأنهما » فهذه طرق متعاضدة

جبر العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس فأسأله فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله ﷺ
 إذا قال فعل . وروي عن أبي ذر مرفوعا « اذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما
 واذا سئلت بأي المرأتين تزوج موسى فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا أبت استأجره
 فتزوج صغرها وقضى أو فاهما » وقال وهب أنكحه الكبرى . وروي عن شداد بن أوس مرفوعا « بكى
 شعيب النبي ﷺ حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى
 عمي فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكا . ؟ أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار ؟ فقال لا يارب
 ولكن شوقا إلى لقائك فأوحى الله اليه إن يكن ذلك فحينئذ لك لقائي يا شعيب لذلك أخذتكم موسى
 كليتي » ولما تعاقدوا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه
 واختلفوا في تلك العصا قال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه

ثم قد روي هذا مرفوعا من رواية أبي ذر رضي الله عنه قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا اسحاق بن ادريس حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل أي الاجلين قضى موسى؟ قال «أوفاهما وأبرهما قال وان سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما». ثم قال البزار لا نعلم يروي عن أبي ذر الا بهذا الاسناد. وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران وهو ضعيف ثم قد روي أيضا نحوه من حديث عتبة بن المنذر بزيادة غريبة جدا فقال أبو بكر البزار حدثنا عمر ابن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر يقول ان رسول الله ﷺ سئل أي الاجلين قضى موسى قال «أبرهما وأوفاهما» ثم قال النبي ﷺ «ان موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمر امرأته ان تسأل أباهما ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالب لون قال فما مرت شاة الا ضرب موسى جنبها بعصاه فولدت قوالب ألوان كلها وولدت ثنتين وثلاثا كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كيشة تفوت الكف ولا تعول» وقال رسول الله ﷺ «اذا افتحتم الشام فانكم ستجدون بقايا منها وهي السامرية» هكذا أورده البزار. وقد رواه ابن أبي حاتم بأيسر من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة وحديثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله ﷺ يحدث أن رسول الله ﷺ قال «ان موسى عليه السلام آجر نفسه بهمة فرجه وطعمة بطنه فلما وفي الأجل - قيل يا رسول الله أي الاجلين؟ قال - أبرهما وأوفاهما فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته ان تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه من قبالة لون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى

حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه ، وقال آخرون كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء. وكان لا يأخذها غير نبي الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب وكانت عصي الانبياء عنده فأعطاه موسى ، وقال السدي كانت تلك العصا استودعها إياه ملك في صورة رجل فأمر ابنه أن تأتبه بعصا فدخلت فأخذت العصا فأتته بها ، فلما رآها شعيب قال لها ردي هذه العصا واثني بغيرها فألقها وأرادت أن تأخذ غيرها فلا تقم في يدها إلا هي حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فأعطتها موسى فأخرجها موسى معه ، ثم إن الشيخ ندم وقال كانت ودبة فذهب في أثره وطلب أن يرد العصا فأبى موسى أن يعطيها وقال هي عصاي فرفض أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في صورة آدمي لحكم أن تطرح العصا فن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها فأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ ، ثم إن موسى لما أتم الاجل وسلم

عليه السلام الى عصا، فسمها من طرفها ثم وضعا في أدنى الحوض ثم أوردتها فستأها ورقف موسى بازاء الحوض فلم تصدر منها شاة الا وضرب جنبها شاة شاة قال فأثمت وأبنت ووضعت كلها قواالب ألوان الا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش قال بجبي ولا ضبوب وقال صفوان ولا صبوب قال أبو زرعة الصواب طنرب ولا عزوز ولا ثغول ولا كعبشة نفوت الكف قال النبي ﷺ لو افترقتهم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية وحدثنا أبو زرعة أنبأنا صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن لهيعة ما الفشوش قال التي تفش بلبنها واسعة الشخب قلت فما الضبوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قلت فما الثغول قال التي ليس لها ضرع الا كهيئة حلمتين قلت فما الكعبشة قال التي نفوت الكف كعبشة الضرع صغير لا يدركه الكف مدرار. هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء وأخشى ان يكون رفعه خطأ والله أعلم. وينبغي ان يروى ليس فيها فشوش ولا عزوز ولا ضبوب ولا ثغول ولا كعبشة لتذكر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفا عليه ما يقارب بعضه باسناد جيد قال حدثنا محمد بن المنثري حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه الى الاجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على لونها فلك ولدا فعمد موسى فرفع حبالا على الماء فلما رأت الحبال فزعت فجالت جولة فولدن كاهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولادهن كاهن ذلك العام

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا

إني آنست نارا علي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (٢٩) فلما أنها

نودي من شطى الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يعصى إني أنا الله رب المسلمين

(٣٠) وأن ألقى عصاك فما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبر اولم يعقب يعصى موسى أقبل ولا تخف

شعيب ابنته اليه قال موسى لامرأة اطلي من أهلك أن يحمل لما بعض الغنم فطلبت من أيها فقال شعيب لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها، وقيل أراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيته إكراما له وصلة لابنته فقال له إني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الاغنام فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الاغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلا وضعت حملا ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل إلى موسى وامرأته فوفى له شرطه وسلم الاغنام اليه

قوله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) يعني أنه وفرغ منه (وسار بأهله) قال مجاهد:

(تفسير ابن كثير والبغوي) (٤٣) (الجزء السادس)

إِنَّكَ مِنَ الْآمَنِينَ (٣١) اسألك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك

جناحك من الرهب فذللك برهـ... من ربك إلى فرعون وولائه إنهم كانوا قومًا فاسقين (٣٢)

قد تقدم في تفسير الآية قبلها أن موسى عليه السلام قضى أمم الاجلين وأرفاها وأبرها وأكلها وأبقاها وقد استمداد هذا ايضا من الآية الكريمة حيث قال فلما قضى موسى الاجل أي الاكل منها والله أعلم ، وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد قضى عشر سنين وبعدها عشرًا آخر ، وهذا القول لم أره لغيره ، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير قاله أعلم ، وقوله (وسار بأهله) قالوا كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه فتجمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره فملك بهم في ليلة مطيرة باردة فزل منزلا فجعل كلما أوردى زنده لا يضي شيئا فتعجب من ذلك فبينما هو كذلك (آنس من جانب الطور نارا) أي رأى نارا نضي على بعد (قال لأهله امكثوا اني آنست نارا) أي حتى أذهب اليها (العلي آتيكم منها بخبر) وذلك لانه قد أضل الطريق أو جذوة من النار أي قطعة منها (العليكم نصطلون) أي تستدفئون بها من البرد قال الله تعالى (فلما آتاهما نودي من شاطي الواد الايمن) أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الامر) فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه ، والنار وجددها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي فوق باهتا في أمرها فناداه ربه (من شاطي الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : رأيت الشجرة التي نودي منها موسى عليه السلام سمرة خضراء ترف إسناده

لما قضى موسى الاجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرًا آخر فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العودة إلى مصر فأذن له فخرج بأهله إلى جهة مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور نارا) وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق لانه كان قد أخطأ الطريق (أو جذوة من النار) يعني قطعة وشعلة من النار وفيها ثلاث لغات قرأ عاصم جذوة بفتح الجيم وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسر ها ، قال قتادة ومقاتل هي العود الذي قد احترق بعضه وجمعها جذى (العليكم نصطلون) تستدفئون (فلما آتاهما نودي من شاطي الواد الايمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) لموسى جعلها الله مباركة لان الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا . وقال عطاء يريد المقدسة (من الشجرة) من ناحية الشجرة قال ابن مسعود : كانت سمرة خضراء تبرى . وقال قتادة

مقارب ، وقال محمد بن إسحاق عن بعض من لا ينهم عن وهب بن منبه قال : شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول أنها من العوسج وقال قتادة هي من العوسج وعصاه من العوسج وقوله تعالى (أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين) أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء ، لا إله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه . وقوله (وأن ألق عصاك) أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى (وما تلك بيمينك ياموسى ؟ قال هي عصاي أتروا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها (أنها فألقاها فإذا هي حية تسعى) فعرف وتحقق أن الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه

وقال ههنا (فلما رآها تهتز) أي تضطرب (كأنها جان ولي مدبراً) أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها وقوائها واتساع فها واصططبك أنيابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعها تنحدر في فيها تنقعع كأنها حادرة في واد فعند ذلك (ولي مدبراً ولم يعقب) أي ولم يكن يلتفت لان طبع البشرية ينفر من ذلك فلما قال الله له (ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) رجع فوقف في مقامه الاول ثم قال الله تعالى (اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أي اذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فأنها تخرج تتلألاً كأنها قطعة قر في لمعان البرق ، ولهذا قال (من غير سوء) أي من غير برص

وقوله تعالى (واضمم اليك جناحك من الريح) قال مجاهد من الريح ، وقال قتادة من الريح وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير مما حصل لك من خوفك من الحية ، والظاهر ان المراد

ومقاتل والسكبي كانت عوسجة . قال وهب من العليق وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها العناب ﴿ أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين ﴾ وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز ﴿ تنحرك ﴾ كأنها جان وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿ ولي مدبراً ﴾ هاربا منها ﴿ ولم يعقب ﴾ لم يرجع فنودي ﴿ ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴿ برعن فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس ﴾ واضمم اليك جناحك من الريح ﴿ قرأ أهل الكوفة والشام بضم الراء وسكون الهاء ويفتح حنص الراء ، وقرأ الآخرون بفتحها وكلها لغات بمعنى الخوف ومعنى الآية : إذا هلك أمر يدك وما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الاولى والجناح اليد كلها وقيل هو العضد . وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : أمره الله أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية . وقال : ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه . وقال مجاهد كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع . وقيل المراد من ضم الجناح السكون يعني سكن روعك واخفض عليك جأشك لان من شأن الخائف أن

أعم من هذا وهو انه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم اليه جناحه من الرهب وهو يده
فاذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع
يده على فؤاده فانه يزول عنه ما يجده أو يخف إن شاء الله تعالى وبه الثقة

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الربيع بن ثعلب الشيخ صالح أخبرنا أبو اسماعيل
المؤدب عن عبد الله بن مسلم عن مجاهد قال : كان موسى عليه السلام قد ملي قلبه رعباً من فرعون
فكان إذا رآه قال : اللهم اني أدرك بك في نحري وأعوذ بك من شره فزع الله ما كان في قلب موسى
عليه السلام وجعله في قلب فرعون فكان إذا رآه بال كما يقول الحمار

وقوله تعالى (فذانك برهانان من ربك) يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى ، وادخاله يده في
جيبه فتخرج بيضا من غير سوء دليلان قاطعان واضحيان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من
جرى هذا الحارق على يديه ولهذا قال تعالى (الى فرعون وملئه أي وقومه من الرؤساء والكبراء
والاتباع) انهم كانوا قوما فاسقين [اي خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه

قال رب إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون (٣٣) وأخي هارون هو أفصح مني

لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون (٣٤) قال سنشد عضدك بأخيك

ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآيتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون (٣٥)

لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون الذي انما خرج من ديار مصر فراراً منه خوفاً من سطوته
[قال رب إني قتلت منهم نفساً] يعني ذلك القبطي [فأخاف أن يقتلون] اي إذا رأوني [وأخي
هارون هو أفصح مني لساناً] وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لغة بسبب ما كان تناول
تلك الحجر حين خير بينها وبين التمرة أو الدرة فأخذ الحجر فوضعهما على لسانه فحصل فيه شدة في

يضطرب قلبه وبرئته بدنه ومثله قوله (واخفض لها جناح الذل من الرحمة) يريد الرفق . وقوله
(واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي ارفق بهم وأن جانبك لهم . وقال الفراء : أراد
بالجناح العصا معناه : اضمم اليك عصاك

وقيل الرهب الكم بلغة حمير . قال الاصمعي : سمعت بعض الاعراب يقول : اعطني ما في رهبك
أي في كمك . معناه اضمم يدك وأخرجها من الكم لانه تناول العصا ويد في كمه (فذانك) يعني العصا واليد
البيضا . (برهانان) آيتان (من ربك) إلى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين * قال رب اني
قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخي هارون هو أفصح مني لساناً * وانما قال ذلك للعقدة التي

التعبير ولهذا قال (واحل عقدة من لساني يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشرِكْ في أمري) أي يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ولهذا قال (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً) أي وزيراً ومعيناً ومقرباً لأمري بصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لأن خبر الاثنين أنجح في النفوس من خبر الواحد ولهذا قال (أني أخاف أن يكذبون) وقال محمد بن إسحاق (رداً يصدقني) أي يبين لهم عني ما أكلهم به فانه يفهم عني ما لا يفهمون فلما سأل ذلك موسى قال الله تعالى (سنشد عضدك بأخيك) أي سنقوي أمرك ونعزز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكون نبياً معك كما قال في الآية الأخرى (قد أوتيت سؤالك يا موسى) وقال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) ولهذا قال بعض السلف ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام فانه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً معه الى فرعون وملئه ولهذا قال تعالى في حق موسى (وكان عند الله وجيباً) وقوله تعالى (ونجعل لك سلطاناً) أي حجة قاهرة (فلا يصلون اليكما بآياتنا) أي لا سبيل لهم الى الوصول الى أذاكما بسبب ابلاغكما آيات الله كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك — الى قوله — والله يعصمك من الناس) وقال تعالى (الذين يبلغون رسالات الله — الى قوله — وكفى بالله حسيباً) أي وكفى بالله ناصرًا ومعيناً ومؤيداً ولهذا أخبرهما ان العاقبة لهما ولن اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى (أنما ومن اتبعكما الغالبون) كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله لقوي عزيز)

وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) الى آخر الآية ووجه ابن جرير على أن المعنى ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليكما ثم يبتدىء فيقول (بآياتنا أنما ومن اتبعكما الغالبون) تقديره أنما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا ، ولا شك ان هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الاول فلا حاجة الى هذا والله أعلم

كانت في لسانه من وضع الجرة في فيه (فأرسله معي رداً) عونا . يقال رد أنه أي أغنته . قرأ نافع رداً بفتح الدال من غير همز طلباً للخفة ، وقرأ الباقون بسكون الدال مهموزاً (بصدقني) قرأ ابن عمرو وعامر وحمة برفع القاف على الحال أي رداً مصداقاً . وقرأ الآخرون بالحزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون في قول الجميع . قال مقاتل لكي يصدقني فرعون (أني أخاف أن يكذبون) يعني فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) أي نقويك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر (ونجعل لك سلطاناً) حجة وبرهاناً (فلا يصلون اليكما بآياتنا) أي لا يصلون اليكما بقتل ولا سوء لمساكن آياتنا . وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره : ونجعل لك سلطاناً بآياتنا بما نعطيكم من المعجزات فلا

فلما جاءهم موسى بآيئنا بينت قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آباءنا
الاولين (٣٦) وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه
لا يفلح الظالمون (٣٧)

يخبر تعالى عن محبي موسى وأخيه هارون الى فرعون وملكه وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات
الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل من توحيده واتباع اوامره فلما عابن
فرعون وماؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وأيقنوا انه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيبهم الى العناد والمباينة
وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا (ما هذا الا سحر مفترى) اي مفترى مصنوع وأرادوا
معارضته بالحيلة والجاه فماعد منهم ذلك وقوله (وما سمعنا بهذا في آباءنا الاولين) يعنون عبادة الله
وحده لا شريك له يقولون ما رأينا أحداً من آباءنا على هذا الدين ، ولم نر الناس الا يشركون مع الله
آلهة أخرى . فقال موسى عليه السلام محبيي اهلهم (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يعني مني
ومنكم ، وسيفصل بيني وبينكم ولهذا قال [ومن تكون له عاقبة الدار] أي من النصر والظفر والتأييد
[انه لا يفلح الظالمون] أي المشركون بالله عز وجل

وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يهيم على الطين
فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع الى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين (٣٨) واستكبر هو
وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم اينالا يرجعون (٣٩) فأخذته وجنوده فنبذتهم
في اليم فانظر كيف كان عقبة الظالمين (٤٠) وجعلتهم آئمة يدعوون الى النار ويوم القيمة
لا ينصرون (٤١) وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين (٤٢)

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه واقترائه في دعواه الالهية لنفسه القبيحة لعنه الله كما قال

يصلون اليكما ﴿ أنما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ أي لكما ولا تباعكما الغلبة على فرعون وقومه ﴿ فلما جاءهم
موسى بآياتنا بينات ﴾ واضحات ﴿ قالوا ما هذا الا سحر مفترى ﴾ مختلق ﴿ وما سمعنا بهذا ﴾ بالذي
ندعونا اليه ﴿ في آباءنا الاولين ﴾ وقال موسى ﴿ قرأ أهل مكة بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم ﴾ ربي أعلم
بمن جاء بالهدى من عنده ﴿ بالحق من المبطل ﴾ ومن تكون له عاقبة الدار ﴿ يعني العقبى المحموده في الدار
الآخرة ﴾ انه لا يفلح الظالمون ﴿ يعني الكافرون ﴾ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد

الله تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) الآية وذلك لانه دعاهم إلى الاعتراف له بالالهية فأجابوه الى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ولهذا قال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) وقال تعالى اخباراً عنه (فخر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذ الله نكال الآخرة والاولى * ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) يعني انه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحاً لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة وحتى انه واجه موسى السكبر بذلك فقال (لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين)

وقوله (فأرقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع الى اله مرسي) يعني أمر وزيره هامان ومدير رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين يعني يتخذ له آجرأ لبناء الصرح وهو القصر المنيف الرفيع العالي كما قال في الآية الاخرى (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون لا في تباب وذلك لان فرعون بنى هذا الصرح الذي لم يرفى في الدنيا بناء اعلى منه انما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى اله غير فرعون ولهذا قال (واني لأظنه من الكاذبين) أي في قوله ان ثمربا غيري لا أنه كذبه في أن الله تعالى أرسله لانه لم يكن يعرف بوجود الصانع جل وعلا فانه قال (وما رب العالمين ؟) وقال (لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين) وقال (يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) وهذا قول ابن جرير وقوله تعالى (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم اليئالا يرجعون) أي طغوا وتجبروا وأكثروا في الارض الفساد واعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد فصب عليهم ربك سوطاً

لي يا هامان على الطين) يعني فاطبخ لي الآجر وقبل انه أول من اتخذ الآجر وبنى به (فاجعل لي صرحاً) قصرأ عاليأ وقيل منارة ، قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء ومن بطبخ الآجر والجص وينجر الخشب وبضرب المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق أراد الله عز وجل أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دماً فقال قد قتلت إله موسى ، وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل جنحاً غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم الف رجل ، ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد ممن عمل فيه بشي الا هلك فذلك قوله تعالى (فأرقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً) (لعلي أطلع الى اله موسى) انظر اليه واقف على حاله (واني لأظنه) يعني موسى (من الكاذبين) في زعمه ان للارض وللخلق الها غيري وانه رسوله (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم اليئالا يرجعون) قرأ نافع وحزرة

عذاب ان ربك لبالمرصاد ولهذا قال تعالى ههنا [فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم] أي أغرقناهم في البحر في صيحة واحدة فلم يبق منهم أحد [فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أمة يدعون الى النار] أي لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع (ويوم القيامة لا ينصرون) أي فاجتمع عليهم خزى الدنيا موصولا بذل الآخرة كما قال تعالى (أهلكناهم فلا ناصر لهم) وقوله تعالى (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسوله كما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الانبياء ، وأتباعهم كذلك (ويوم القيامة هم من المقبوحين) قال قتادة : وهذه الآية كقوله تعالى (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة يئس الرفض المرفود)

ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (٤٣)

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم ، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ، من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه . وقوله تعالى (من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) يعني أنه بعد انزال التوراة لم يعذب أمة بهامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين كما قال تعالى (وجا فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذرة) وقال ابن جرير حدثنا ابن شاذان حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا عرف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعد ما بعذاب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسحوا قردة بعد موسى ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) الآية ورواه ابن أبي حاتم من حديث عوف بن أبي جميلة الاعرابي بنحوه

والكسائي ويعقوب بن جعفر بفتح اليا . وكسر الجيم واليا وفتح الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أمة (قادة ورؤساء) يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون (لا يمنعون من العذاب) وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة (خزبا وعذابا) ويوم القيامة هم من المقبوحين (من المبعدين الملعونين) وقال ابو عبيدة من المهاجرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون يقال قبحه الله وقبحه اذا جمعه قبيحا ، ويقال قبحه قبيحا وقبوحا إذا أبغده من كل خير

قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى (بصائر للناس) يعني ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به (وهدى)

وهكذا رواه أبو بكر البرزاني في مسنده عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد موقفاً ثم رواه عن نصر بن علي عن عبد الأعلى عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد رفعه إلى النبي ﷺ قال « ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى » ثم قرأ (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الآية

وقوله (بصائر للناس وهدى ورحمة) أي من العمى والغي والضلال إلى الحق ورحمة أي إرشاداً إلى العمل الصالح (لهم يتذكرون) أي لعل الناس يتذكرون به ويهتدون بسبيله

وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين (٤٤)
ولكننا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آيتنا
ولكننا كنا مرسلين (٤٥) وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر
قوماً أتاهم من نذير من قبلك لهم يتذكرون (٤٦) ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت
أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلنا رسولا فنتبع أو نستك ونكون من المؤمنين (٤٧)

يقول تعالى منبهاً على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كأن سامعه شاهد وراء لما تقدم وهو رجل أي لا يقرأ شيئاً من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها قال تعالى (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون) الآية أي وما كنت حاضراً لذلك ولكن الله أوحاه إليك ، وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان من انجاء الله له وإغراق قومه ثم قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) الآية وقال في آخر السورة (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك) وقال بعد ذكر قصة يوسف (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) الآية وقال في سورة طه (كذلك قصص عليك من أنباء ما قد سبق) الآية وقال ههنا بعد ما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكيف كان ابتداء إيماء الله إليه وتكليمه له (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى

من الضلال لمن عمل به » ورحمة « لمن آمن به » لهم يتذكرون « بما فيه من الموعظ والبصائر » وما كنت « يا محمد » بجانب الغربي « يعني بجانب الجبل الغربي قاله قتادة والسدي وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي . قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد حيث ناجى موسى ربه » إذ قضينا إلى موسى (تفسير ابن كثير والبقوي) (٤٤) (الجزء السادس)

الامر) يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي (وما كنت من الشاهدين) لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى اليك ذلك ليكون حجة وبرهاناً على قرون قد تطاول عهدا ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين وقوله تعالى (وما كنت ثابراً في أهل مدين تملو عليهم آياتنا) أي وما كنت مقبلاً في أهل مدين تملو عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيها شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه (ولكننا كنا مرسلين) أي ولكن نحن أوحينا اليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولا (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه أخبرنا علي بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) قال نودوا أن: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن نسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة وهو ابن حبيب الزيات عن الأعمش ورواه ابن جرير من حديث وكيع وبجيب بن عيسى عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي زرعة وهو ابن عمرو بن جرير انه قال ذلك من كلامه والله أعلم

وقال مقاتل بن حيان (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) أمتك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك اذا بعثت . وقال قتادة (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى وهذا والله أعلم أشبه بقوله

الامر) يعني عهدنا اليه وأحكامنا الامر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك (ولكننا أنشأنا قروناً) خلقنا أمماً من بعد موسى عليه السلام (فتطاول عليهم العمر) أي طال عليهم المهلة ففسدوا عهد الله وميثاقه وتركوا أمره ، وذلك ان الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد ﷺ والايمان به ، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت ثابراً) مقبلاً (في أهل مدين) مقام موسى وشعيب فيهم (تملو عليهم آياتنا) نذكرهم بالوعد والوعيد . قال مقاتل يقول لم تشهد أهل مدين فنقرأ على أهل مكة خبرهم (ولكننا كنا مرسلين) أي أرسلناك رسولا وأزلنا عليك كتاباً فيه هذه الاخبار فتتلوها عليهم ، ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها (وما كنت بجانب الطور) بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى (اذ نادينا) قيل اذ نادينا موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرني محمداً قال انك ان تصل الى ذلك وان شئت ناديت أمتي وأسمعتك أصواتهم قال بلى يارب قال الله تعالى يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم

وقال أبو زرعة ابن عمرو بن جرير نادى: يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتم قبل أن تسألوني . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ورفعهم بعضهم قال الله يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والمالك لاشريك لك. قال الله تعالى

تعالى (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر) ثم أخبرهمنا بصيغة أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى (وإذ نادى ربك موسى) وقال تعالى (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) وقال تعالى (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا)

وقوله تعالى (ولكن رحمة من ربك) أي ما كنت مشاهداً لشيء من ذلك ولكن الله تعالى أوحاه اليك وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد بارسالك اليهم (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) أي لعلهم يهتدون بما جئتهم به من الله عز وجل (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلنا رسولا) الآية أي وأرسلناك اليهم لتقيم عليهم الحجة وليقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير كما قال تعالى بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن [ان تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة] وقال تعالى [رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] وقال تعالى [يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير] الآية والايات في هذا كثيرة

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي

موسى من قبل ؟ قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كفرون (٤٨) قل فأتوا بكتب من عند

الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صدقين (٤٩) فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون

يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتمكم من قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تستغفروني من جاءني يوم القيامة بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي دخل الجنة وإن كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر

قوله تعالى (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن رحمتك رحمة بارسالك وبالوحي اليك وإطلائك على الاخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعصية (فيقولوا ربنا لولا) هلا (أرسلنا إلينا رسولا فتنبأ آياتك ونكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف أي لعاجلناهم بالعقوبة يعني لولا أنهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكن بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمداً ﷺ (قالوا)

أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هونه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين (٥٠)
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون (٥١)

يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول انهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد ﷺ قالوا على وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والالحاد [لولا أوتي مثل ما أوتي موسى] الآية يعنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتقص الزروع والثمار مما يضيق على أعداء الله وكفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى الى غير ذلك من الآيات الباهرة، والحجج القاهرة، التي أجراها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام حجة وبرهاناً له على فرعون وملئه وبني اسرائيل، ومع هذا كله لم ينجم في فرعون وملئه بل كفروا بموسى وأخيه هارون كما قالوا لها [أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ونكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين] وقال تعالى [فكذبوها فساكنوا من المملكين] ولهذا قال ههنا [أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل؟] أي أولم يكفروا بالبشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة [قالوا ساحران تظاهرا] أي تعاونا (وقالوا انا بكل كافرون) أي بكل منهما كافرون، واشدة التلازم والتصاحب والمقاربة بين موسى وهارون دل ذكر أحدهما على الآخر كما قال الشاعر :

فما أدري اذا عمت أرضا أريد الخير أيهما يليني

أي فما أدري يليني الخير أو الشر . قال مجاهد : أمرت اليهود قريشاً أن يقولوا لمحمد ﷺ ذلك فقال الله (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا) قال يعني موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم (تظاهرا) أي تعاونا وتناصر اصدق كل منهما الآخر ، وبهذا قال سعيد بن جببر وأبو رزين في قوله (ساحران) يعنون موسى وهارون وهذا قول جيد قوى والله أعلم وقال مسلم بن يسار عن ابن عباس (قالوا ساحران تظاهرا) قال يعنون موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية الحسن البصري . وقال الحسن وقتادة : يعني عيسى ومحمداً صلى الله عليهما

يعني كفار مكة (لولا) هلا (أوتي) محمد (مثل ما أوتي موسى) من الآيات كاليد البيضاء، والعصا وقيل مثل ما أوتي موسى كتاباً جملة واحدة

قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد (قالوا ساحران تظاهرا) قرأ أهل الكوفة سمعان أي التوراة والقرآن تظاهرا يعني كل سحر يقوى الآخر نسب التظاهر الى السحرين على الانساع . قال السكبي كانت مقاتلتهم تلك حين بعثوا في أمر رسول الله ﷺ الى احبار اليهود بالمدينة فسألوه عن محمد فأخبرهم ان نعمته

وسلم وهذا فيه بعد لان عيسى لم يجر له ذكر ههنا والله أعلم . وأما من قرأ (سحران تظاهرا) فقال علي ابن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس يعنون التوراة والقرآن وكذا قال عاصم الجسدي والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال السدي : يعني صدق كل واحد منهما الآخر

وقال عكرمة : يعنون التوراة والانجيل وهو رواية عن أبي رزين واختاره ابن جرير . وقال الضحاك وقتادة : الانجيل والقرآن والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب والظاهر على قراءة (سحران) انهم يعنون التوراة والقرآن لانه قال بعده (قل فاثبتوا بكتاب من عند الله هو اهدي منهما أتبعه) وكثيراً ما يقرن الله بين التوراة والقرآن كما في قوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدي للناس - الى أن قال - وهذا كتاب أنزلناه مبارك) وقال في آخر السورة (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقالت الجن (انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه)

وقال ورقة بن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل على موسى . وقد علم بالضرورة لقوي الالباب ان الله تعالى لم ينزل كتاباً من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) والانجيل انما أنزل متمماً للتوراة ومحملاً لبعض ما حرم على بني اسرائيل ولهذا قال تعالى (قل فاثبتوا بكتاب من عند الله هو اهدي منهما أتبعه ان كنتم صادقين) أي فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل قال الله تعالى (فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق [فاعلم انما يتبعون أهواءهم] أي بلا دليل ولا حجة [ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله] أي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله [ان الله لا يهدي القوم الظالمين] وقوله تعالى (ولقد وصلنا لهم القول) قال مجاهد فصلاهم القول . وقال السدي بينا لهم القول

في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا سحران تظاهرا ، وقرأ الآخرون ساحران يعنون محمداً وموسى عليهما السلام لان معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب (وقالوا انا بكل كفرون قل) لهم يا محمد (فاثبتوا بكتاب من عند الله هو اهدي منهما) يعني من التوراة والقرآن (أتبعه ان كنتم صادقين) فان لم يستجيبوا لك (أي ان لم يأتوا بما طلبت) فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين * ولقد وصلنا لهم القول (قال ابن عباس رضي الله عنهما بينا قال الفراء أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً قال قتادة وصل لهم القول في هذا القرآن يعني كيف صنع بمن مضى . قال مقاتل بينا لكفار مكة بما في القرآن

وقال قتادة : يقول تعالى أخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع (لهمم يتذكرون) قال مجاهد وغيره [وصلنا لهم] يعني قريشاً وهذا هو الظاهر لكن قال حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعه — (١) رفاعه هذا هو ابن قرظلة القرظي ، وجعله ابن مندة : رفاعه بن شموال خال صفية بنت حيي وهو الذي طلق نيممة بنت وهب التي تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير بن باطا ، كذا ذكره ابن الأثير — قال نزلت [ولقد وصلنا لهم القول] في عشرة أنا أحدهم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديثه

(١) ما بين الخطين
زيادة في النسخة
الاميرية

الذين آتينهم الكتب من قبله هم به يؤمنون (٥٢) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (٥٣) أولئك يؤتُونَ أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقنهم ينفقون (٥٤) وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلم عليكم لا نبتغي الجاهلين (٥٥)

يخبر تعالى عن العلماء الاولياء من أهل الكتاب انهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) وقال تعالى (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله) وقال تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) وقال تعالى (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى — الى قوله — فاكتبنا مع الشاهدين)

من أخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم ، وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لهمم يتذكرون * الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزات في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ، وقال مقاتل بل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ وقال سعيد بن جبير هم اربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي ﷺ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يانبي الله ان لنا أموالاً فان أذنت لنا أنصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فأنصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم (الذين آتيناهم الكتاب — الى قوله تعالى — ومما رزقناهم ينفقون) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : نزات في ثمانين من أهل الكتاب . اربعون من نجران ، واثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من الشام ثم وصفهم الله فقال

قال سعيد بن جبير زلت في سبعين من التفسيرين بهشم النجاشي فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم (يس والقرآن الحكيم) حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أي موحدين مخلصين لله مستجيبين له . قال الله تعالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) أي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الاول ثم بالثاني ولهذا قال (بما صبروا) أي على اتباع الحق فان نجشتم مثل هذا شديد على النفوس . وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فزوجها »

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحي حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي امامة قال : أتني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح فقال قولاً حسناً جميلاً وقال فيما قال « من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله مالنا وعليه ما علينا » وقوله تعالى (ويدرون بالحسنة السيئة) أي لا يقابلون السيئة بمثله ولكن يعفون ويصفحون (وما رزقناهم ينفقون) أي ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة لاهليهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات

﴿ وإذا يتلى عليهم ﴾ يعني القرآن ﴿ قالوا آمنا به انه الحق من ربنا ﴾ وذلك أن ذكر النبي ﷺ كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴿ انا كنا من قبله مسلمين ﴾ أي من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ لأنهم بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ﴿ بما صبروا ﴾ على دينهم . قال مجاهد زلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد المرخمي أنا أبو علي زاهر بن احمد أنا أبو عبد الله محمد بن جعفر الجويني أنا أحمد بن سعيد الدارمي أنا عثمان أنا شعبة عن صالح عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وزوجها ، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لسيده »

قوله عز وجل ﴿ ويدرون بالحسنة السيئة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بشهادة أن لا إله الا الله الشرك ، قال مقاتل يدفعون ماسمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو

وقوله تعالى (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا) أي لا يخالطون أهله ولا يعاشر ونهم بل كما قال تعالى (وإذا مروا باللغو مروا كراما) (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبغى الجاهلين) أي إذا سفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ، ولهذا قال عنهم أنهم قالوا (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبغى الجاهلين) أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نجبها . قال محمد بن إسحاق في السيرة ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى - من بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديةهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خبيكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تريدون لهم لناؤهم بخير الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ما تعلم ركباً أحق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لانجأه لكم لنا مانحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً . قال ويقال ان النصراني من أهل نجران قاله أعلم أي ذلك كان . قال ويقال والله أعلم ان فيهم نزلت هذه الآيات (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون - إلى قوله - لا نبغى الجاهلين) قال وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت قال ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا - إلى قوله - فكتبنا مع الشاهدين)

انك لا تهدي من أحيت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (٥٦)

وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات

كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون (٥٧)

والمغفرة (وما رزقناهم ينفقون) في الطاعة (وإذا سمعوا اللغو) القبيح من القول (أعرضوا عنه) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة معناه سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والقبح من القول (لا نبغى الجاهلين) أي دين الجاهلين يعني لانحب دينكم الذي أنتم عليه ، وقيل لانريد أن نكون من أهل الجهل والسفه وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال

قوله تعالى (انك لا تهدي من أحيت) أي أحيت هدايته ، وقيل أحبته لقرابته (ولكن

يقول تعالى لرسوله ﷺ انك يا محمد (لا يهدي من أحببت) أي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) . وقال تعالى (وما أكره الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال (إنك لا يهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق التوبة

وقد ثبت في الصحيحين انها نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبها شديدا طبعيا لا شرعيا فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله ﷺ الى الايمان والدخول في الاسلام فسق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر والله الحكمة التامة . قال الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه وهو المسيب بن حزن الخزومي رضي الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ « يا عم قل لا إله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أرغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله الا الله فقال رسول الله ﷺ « والله لا تستغفرون لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) وأنزل في أبي طالب (انك لا يهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) أخرجه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال « يا عمه قل لا إله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال لولا أن تعيرني بها قريش يقولون ماحمله عليه الا جزع الموت لا قررت بهاعينك لا أقولها الا لقر بهاعينك فأنزل الله تعالى (إنك لا يهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يزيد بن كيسان ، ورواه الامام احمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حدثني أبو حازم عن أبي هريرة فذكره بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة انها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله الا الله فأبى عليه ذلك وقال اي ابن أخي ملة الاشياخ وكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال كان رسول قبصر جاء إلي قال كتب معي قبصر إلى رسول الله ﷺ قال له النبي ﷺ « قل لا إله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة » قال لولا أن تعيرني بها قريش يقولون (تفسير ابن كثير والبغوي) (٤٥) (الجزء السادس)

٣٥٤ اعتذار الكفار الكاذب عن عدم اتباعهم هدي النبي ﷺ (تفسير ابن كثير والبغوي)

ﷺ كتابا فاتيته فدفعت الكتاب فوضعه في حجره ثم قال « من الرجل ؟ » قلت من تنوخ قال « هل لك في دين أبيك إبراهيم الخنيفية ؟ » قلت اني رسول قوم وعلى دينهم حتى أرجع اليهم فضحك رسول الله ﷺ ونظر إلى أصحابه وقال « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقوله تعالى (وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا) يقول تعالى مخبراً عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ [ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا] اي نخشى ان اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمخاربة ويتخطفونا أينا كنا قال الله تعالى محيياً لهم (او لم يمكن لهم حرماً آمناً) يعني هذا الذي اعتدروا به كذب وباطل لان الله تعالى جعلهم في بلد أمين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمناً لهم في حال كفرهم ومشركتهم ولا يكون آمناً لهم وقد أسلموا واتبعوا الحق ؟ وقوله تعالى (يجبي اليه ثمرات كل شيء) أي من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والأمتعة (رزقا من لدنا) اي من عندنا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النسائي أبانا الحسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة قال : قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسمعه منه ان الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال (ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا)

وكم أهلكننا من قرية بطرت معيشتها فتلك مسكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا

وكننا نحن الوارثين (٥٨) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو

عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون (٥٩)

انما حمله على ذلك الجزع لا قررت بها عينك فأزل الله تعالى هذه الآية ﴿ وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا ﴾ أرض مكة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي ﷺ انا لنعلم أن الذي تقول حق ولكننا إن اتبعناك على دينك خفنا أن تخرجنا العرب من أرضنا مكة وهو معنى قوله (تتخطف من أرضنا) والاختطاف الانزعاع بسرعة قال الله تعالى ﴿ أولم يمكن لهم حرماً آمناً ﴾ وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا حرمة الحرم ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الظباء من الذئاب والحمام من الحداة ﴿ يجبي ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب نجبي بآناه لاجل الثمرات ، والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل أي يجلب ويجمع ﴿ اليه ﴾ يقال جبيت الماء في الخوض أي جمعته قال مقاتل يحمل إلى الحرم ﴿ ثمرات كل شيء ﴾ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿ ان ما نقوله حق قوله عز وجل ﴾ وكم أهلكننا من قرية ﴿ أي من أهل قرية ﴾ بطرت معيشتها ﴿ أي في معيشتها

يقول تعالى معرضاً باهل مكة في قوله تعالى (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أي طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيها أنعم به عليهم من الارزاق كما قال في الآية الاخرى (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان - إلى قوله - فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ولهذا قال تعالى (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً أي ذرت ديارهم فلا تروى المساكنهم وقوله تعالى (وكننا نحن الوارثين) أي رجعت خرابا ليس فيها أحد

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا عن ابن مسعود أنه سمع كعباً يقول لعمر: ان سليمان عليه السلام قال لهايمة - يعني البومة - مالك لا تأكلين الزرع؟ قالت: لانه أخرج آدم من الجنة بسببه، قال فتلك لا تنثر بين الميا.؟ قالت لان الله تعالى اغرق قوم نوح به، قال فتلك لا تأوين الا الى الخراب؟ قالت لانه ميراث الله تعالى ثم تلا (وكننا نحن الوارثين) ثم قال تعالى مخبراً عن عدله وانه لا يهلك أحداً ظالماً له وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم ولهذا قال (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها) وهي مكة (رسولاً يتلو عليهم آياتنا) فيه دلالة على ان النبي الامي وهو محمد ﷺ المبعوث من أم القرى رسول الى جميع القرى من عرب وأعجم كما قال تعالى (لننذر أم القرى ومن حولها) وقال تعالى [قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً] وقال [لأنذركم به ومن بلغ] وقال [ومن يكفر به من الاحزاب فانار موعده] وعام الدليل قوله تعالى [وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً] فأخبر تعالى انه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة وقد قال تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] فجعل تعالى بعثة النبي الامي شاملة لجميع القرى لانه مبعوث الى أمها وأصلها التي ترجع اليها

وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال «بعثت الى الاحمر والاسود» ولهذا ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول بل شرعه باق بقا الليل والنهار الى يوم القيامة وقيل المراد بقوله [حتى يبعث في أمها رسولا] أي أصلها وعظيمنتها كأهيات الرساتيق والاقاليم، حكاه الزنجشري وابن الجوزي وغيرهما وليس ببعيد

أي أشرت وطفعت، قال عطاء عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها إلا المسافرون وماروا الطريق يوماً أو ساعة معناه لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلاً، وقيل معناه لم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب ﴿وكننا نحن الوارثين﴾ كقوله (انا نحن نرث الارض ومن عليها) ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ أي القرى الكافر أهلها ﴿حتى يبعث في أمها رسولا﴾ يعني في أكبرها وأعظمها رسولا ينذرهم وخص الاعظم بعثة الرسول فيها لان الرسول يبعث الى الاشراف والاشراف يسكنون اللدائن والمواضع التي هي أم ساحولها ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ قال مقاتل يخبرهم الرسول ان العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون يريد أهلهم بظلمهم

وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون ؟

(٦٠) أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لآقيقه كمن تمتعه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم

القيامة من المحضرين ؟ (٦١)

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقال (وما عند الله خير للابرار) وقال (وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع) وقال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال رسول الله ﷺ « والله ما الحياة الدنيا في الآخرة الا كما يغمس أحدكم أصبعه في البيم فلينبظر ماذا يرجع اليه » وقوله تعالى (أفلا تعقلون ؟) أي أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة

وقوله تعالى (أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لآقيقه كمن تمتعه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) يقول تعالى أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الاعمال من الثواب الذي هو صائر اليه لا محالة كمن هو كافر مكذب بلفظ الله ووعدته ووعدته فهو ممتع في الحياة الدنيا أياماً قلائل [ثم هو يوم القيامة من المحضرين] قال مجاهد وقتادة من المعذنين . ثم قد قيل انها نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل . وقيل في حمزة وعلي وأبي جهل وكلاهما عن مجاهد والظاهر انها عامة وهذا كقوله تعالى اخباراً عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات وذلك في الدرجات فقال (ولولا نعم ربني لكننت من المحضرين) وقال تعالى [ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون]

ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (٦٢) قال الذين حق عليهم القول

ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغوينهم كما غويينا تبرأنا إليك ما كانوا إلا ناس يعبدون (٦٣) وقيل

قوله تعالى ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ﴾ تمتعون بها أيام حياتكم ثم هي الى فناء وانقضاء . ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ أفلا تعقلون ﴿ ان الباقي خير من الفاني قرأ عامة القراء تعقلون بالتاء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء . ﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً ﴾ أي الجنة ﴿ فهو لآقيقه ﴾ مصيبه ومدركه وصائر اليه ﴿ كمن تمتعه متاع الحياة الدنيا ﴾ ويزول عن قريب ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ النار . قال قتادة بعني المؤمن والكافر ، قال مجاهد نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل ، وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل ، وقال السدي نزلت في عمار والوليد بن المغيرة قوله تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ في الدنيا انهم شركائي

ادعوا شر كما قدعوه فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون (٦٤) ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (٦٥) فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون (٦٦)
فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين (٦٧)

يقول تعالى مخبراً عما يوجب به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول [أين شر كائي الذين كنتم زعمون؟] يعني أين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الاصنام والانداد هل ينصرونكم أو ينتصرون ، وهذا على سبيل التقرير والتهديد كما قال تعالى [ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شر كما لقد قطع بينكم وذل عنكم كنتم زعمون]

وقوله [قال الذين حق عليهم القول] يعني الشياطين والمردة والدعاة الى الكفر [ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويناهم كما غويانا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون] فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرؤا من عبادتهم كما قال تعالى [واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً] وقال تعالى [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] وقال الخليل عليه السلام لقومه [انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً] الآية وقال الله تعالى [اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب - الى قوله - وما هم بخارجين من النار] ولهذا قال [وقيل ادعوا شر كما هم] أي اخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا [فدعوه فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب] أي وتيقنوا أنهم صاترون الى النار لا محالة

وقوله [لو أنهم كانوا يهتدون] أي فودوا حين عابوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا وهذا كقوله تعالى [ويوم يقول نادرا شر كائي الذين زعمتم فدعوه فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موقفاً * ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً]

﴿ قال الذين حق عليهم القول ﴾ وجب عليهم العذاب وهم رؤوس الضلالة ﴿ ربنا هؤلاء الذين أغويانا اي دعوناهم الى الفبي وهم الاتباع ﴾ أغويناهم كما غويانا ﴿ اضللناهم كما ضللنا ﴾ تبرأنا اليك ﴿ منهم ﴾ ما كانوا ايانا يعبدون ﴿ برىء بعضهم من بعض وصاروا أعداء ﴾ كما قال تعالى [الاخلا، يومئذ بعضهم لبعض عدو] ﴿ وقيل ﴾ للكفار ﴿ ادعوا شر كما هم ﴾ اي الاصنام لتخلصكم من العذاب ﴿ فدعوه فلم يستجيبوا لهم ﴾ لم يجيبوهم ﴿ ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ وجواب لو محذوف على تقدير

وقوله [ويوم يناديه فيقول ماذا أجبت المرسلين] النداء الاول عن سؤال التوحيد وهذا فيه فيه اثبات النبوات ماذا كان جوابكم للمرسلين اليكم وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يسأل العبد في قبره : من ربك ومن نبيك وما دينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأما الكافر فيقول هاها. لا أدري ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت لان من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ولهذا قال تعالى [فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون] قال مجاهد فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالانساب

وقوله [فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً] أي في الدنيا [فعسى أن يكون من المقاحين] أي يوم القيامة وعسى من الله موجبة فان هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة

وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحن الله وتعالى عما يشركون (٦٨)

وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٦٩) وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى والآخرة

وله الحكم وإليه ترجعون (٧٠)

يخبر تعالى انه المنفرد بالخلق والاختيار ، وانه ليس له في ذلك منازع ولا معقب قال تعالى [وربك يخلق ما يشاء ويختار] أي ما يشاء فما شاء. كان وما لم يشأ لم يكن فالأمر كلها خيراً ما وشرها بيده ومرجعها اليه . وقوله [ما كان لهم الخيرة] نفى على أصح القولين كقوله تعالى [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم] وقد اختار ابن جرير أن [ما] ههنا بمعنى الذي تقديره : ويختار الذي لهم فيه خيرة ، وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعزلة على

لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب (ويوم يناديه) أي يسأل الله الكفار (فيقول ماذا أجبت المرسلين * فعميت) خفيت واشتبهت (عليهم الانباء) أي الاخبار والاعذار ، وقال مجاهد الحجج (يومئذ) فلا يكون لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) لا يجيبون ، وقال قتادة لا يتحدثون وقيل يسكتون لا يسأل بعضهم بعضاً (فأما من تاب وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المقاحين) من السعداء الناجين .

قوله عز وجل (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جواباً للمشركين حين قالوا [لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم] يعني الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى انه لا يبعث الرسل باختيارهم

قوله تعالى (ما كان لهم الخيرة) قبل ما لا اثبات معناه ويختار الله (ما كان لهم الخيرة) أي يختار ما هو الاصلح والخير ، وقبل هو للنفي أي ليس اليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كما قال

وجوب مراعاة الاصلح . والصحيح انها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً فان المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وانه لا نظير له في ذلك ولهذا قال (سبحان الله وتعالى عما يشركون) أي من الاصنام والانداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً ثم قال تعالى [وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون] أي يعلم ما تكن الضمائر وما تنطوي عليه السرائر ، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق [سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار] وقوله [وهو الله لا إله إلا هو] أي هو المنفرد بالالهية فلا معبود سواه ، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه [له الحمد في الاولى والاخرة] أي في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته [وله الحكم] أي الذي لا معقب له لظهوره وغلبته وحكمته ورحمته [واليه ترجعون] أي جميعكم يوم القيامة فيعجز كل عامل بعمله من خير وشر ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الاعمال

قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ (٧١) قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون؟ (٧٢) ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٧٣)

يقول تعالى ممثلاً على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار الذين لا قوام لهم بدونهما وبين انه لو جعل الليل دائماً عليهم سرمداً الى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولشتمته النفوس وانحصرت منه ولهذا قال تعالى [من اله غير الله يأتيكم بضياء] أي تبصرون به وتستأنسون بسببه [أفلا تسمعون؟]

تعالى [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة] والخيرة اسم من الاختيار يقام مقام المصدر وهي اسم للمختار أيضاً كما يقال محمد خيرة الله من خلقه ثم نزه نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون) وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴿ يظهرون ﴾ وهو الله لا إله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة ﴿ بحمده ﴾ أولياؤه في الدنيا وبحمدونه في الآخرة في الجنة ﴿ وله الحكم ﴾ فصل القضاء بين الخلق . قال ابن عباس رضي الله عنهما حكم لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاء ﴿ واليه ترجعون ﴾

قوله ﴿ قل أرأيتم ﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿ ان جعل الله عليكم الليل سرمداً ﴾ دائماً ﴿ إلى يوم القيامة ﴾ لانهار معه ﴿ من اله غير الله يأتيكم بضياء ؟ ﴾ بنهار نطلبون فيه المعيشة ﴿ أفلا تسمعون ؟ ﴾

٣٣٠ نزع الله من كل أمة شهيداً عليهم وعلمهم أن الحق لله يوم القيامة (تفسير ابن كثير والبغوي)

ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار مرمداً أي دائماً مستمراً إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم واتعبت الأبدان وكلت من كثرة الحركات والاشغال ولهذا قال تعالى [من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه] أي تستريحون من حركاتكم وأشغالكم [أفلا تبصرون؟ ومن رحمته] أي بكم [جعل لكم الليل والنهار] أي خلق هذا وهذا [لتسكنوا فيه] أي في الليل [ولتبتغوا من فضله] أي في النهار بالأسفار والترحال، والحركات والاشغال، وهذا من باب اللف والنشر وقوله [ولعلمكم تشكرون] أي تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار، ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى [وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً] والآيات في هذا كثيرة

ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (٧٤) ونزعنا من كل أمة شهيداً

فقلنا هاتوا برهانكم فاعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون (٧٥)

وهذا أيضاً نداء ثان على سبيل التوبيخ والتفريع لمن عبد مع الله إلهاً آخر يناديهم الرب تعالى على رؤوس الأشهاد فيقول [أين شركائي الذين كنتم تزعمون] أي في دار الدنيا [ونزعنا من كل أمة شهيداً] قال مجاهد: يعني رسولا [فقلنا هاتوا برهانكم] أي على صحة ما ادعيتهموه من أن الله شركاء [فاعلموا أن الحق لله] أي لا إله غيره فلم ينطقوا ولا يجبروا جواباً [وضل عنهم ما كانوا يفترون] أي ذهبوا فلم ينعومهم

ان قرؤن كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء

بالعبادة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين (٧٦) وابتغ فيما

صانع فهم وقبول ﴿قل أرأيتم﴾ أخبروني بأهل مكة ﴿إن جعل الله عليكم النهار مرمداً إلى يوم القيامة﴾ لا ليل فيه ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون؟﴾ ما أنتم عليه من الخطأ ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ أي في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالنهار ﴿ولعلمكم تشكرون﴾ نعم الله عز وجل ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التفريع والتوبيخ ﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يعني رسولهم الذي أرسل إليهم كما قال (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد) ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم بأن هي شركاء ﴿فاعلموا أن الحق﴾ التوحيد لله ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ في الدنيا قوله تعالى ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه لانه قارون بن بصير بن قهاث بن

آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (٧٧)

قال الاعمش عن المهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال [إن قارون كان من قوم موسى] قال كان ابن عمه ، هكذا قال ابراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام . قال ابن جريج هو قارون بن بصهب بن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث ، وزعم محمد بن اسحاق بن يسار أن قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام . قال ابن جريج وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله . وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولا نرفعا على قومه . وقوله (وآتيناه من الكنوز) أي الاموال (ماإن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) أي ليشغل حملها الغنم من الناس لكثرتها . قال الاعمش عن خيشمة كانت مفاتيح كنوز قارون

لاوى بن يعقوب عليه السلام وموسى بن عمران بن فاهث ، وقال ابن اسحاق كان قارون عم موسى كان أخا عمران وهما ابنا بصير ولم يكن في بني اسرائيل أقرأ للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) قبل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فكان يبغى عليهم ويظلمهم ، وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال ، وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك ، وقال ابن حوشب زاد في طول ثيابه شبرا . وروينا عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ماإن مفاتيحه) هي جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الباب . هذا قول قتادة ومجاهد وجماعة ، وقيل مفاتيح خزائنه كما قال (وعنده مفاتيح الغيب) أي خزائنه (لتنوء بالعصبة أولي القوة) لتثقلهم ، أي وتميل بهم إذا حملوها ثقلها . قال أبو عبيدة هذا من المقلوب تقديره ماإن العصبة لتنوء بها . يقال ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلا واختلجوا في عدد العصبة قال مجاهد ما بين العشرة إلى خمسة عشر ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وقال قتادة ما بين العشرة إلى الأربعين ، وقيل أربعون رجلا ، وقيل سبعون ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال . وقال جرير عن منصور عن خيشمة قال وجدت في الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقرستين بفلا مايزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز ، ويقال كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد ، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٤٦) (الجزء السادس)

من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانة على حدة فاذا ركب حملت على ستين بغلاغر
محبلا وقيل غير ذلك والله أعلم

وقوله (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) أي وعظه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا
على سبيل النصيح والارشاد: لا تفرح بما أنت فيه يعنون لا تبطر بما أنت فيه من المال [إن الله لا يحب
الفرحين] قال ابن عباس يعني المرحين ، وقال مجاهد يعني الاثريين البطرين الذين لا يشكرون الله على
ما أعطاهم . وقوله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي استعمل
ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب اليه بأنواع القربات التي
يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة [ولا تنس نصيبك من الدنيا] أي مما أباح الله فيها من
المأكل والمشرب والملابس والمسكن والمناكح فان لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك
عليك حقا ، ولزورك عليك حقا فآت كل ذي حق حقه (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن
إلى خلقه كما أحسن هو اليك (ولا تبغ الفساد في الارض) أي لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسده
في الارض وتسي . إلى خلق الله (إن الله لا يحب المفسدين)

على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا (إذ قال له قومه) قال لقارون قومه
من بني امرائيل (لا تفرح) لا تبطر ولا تأثر ولا تمرح (ان الله لا يحب الفرحين) الاثريين
البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم
وقوله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) اطلب فيما أعطاك الله من الاموال والنعمة الجنة
وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) قال مجاهد
وابن زيد لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من
الدنيا أن يعمل للآخرة . وقال السدي بالصدقة وصلة الرحم ، وقال علي لانس صحتك وشبابك
وغناك أن تطلب بها الآخرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن شاذان أنا أبو يزيد حامد بن محبوب
الشامي أنا الحسن المروزي أنا عبد الله بن المبارك أنا جعفر بن برقان عن زياد بن الجراح عن عمرو بن
ميمون الأزدي قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو بعظه « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك
قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »
الحديث صحيح مرسل قاله الحسن أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما بعثه . قال منصور بن زاذان في قوله (ولا
تنس نصيبك من الدنيا) قال قوتك وقوت أهلك (وأحسن كما أحسن الله اليك) أي أحسن بطاعة
الله كما أحسن الله اليك بنعمته ، وقيل أحسن إلى الناس كما أحسن الله اليك (ولا تبغ) لا تطلب
(الفساد في الارض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض (إن الله لا يحب المفسدين)

قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو

أشد منه قوة وأكثر جمعا؟ ولا يُسئل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨)

يقول تعالى مخبراً عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه الى الخير [قال انما أوتيته على علم عندي] أي أنا لا أفترق إلى ما تقولون فإن الله تعالى انما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولحجته لي فتقديره انما أعطيته لعلم الله في أني أهل له وهذا كقوله تعالى [واذا مسّ الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمه منا قال انما أوتيته على علم] أي على علم من الله بي ، وكقوله تعالى [ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي] أي هذا أستحقه . وقد روي عن بعضهم أنه أراد [انما أوتيته على علم عندي] أي أنه كان يعاني علم الكيمياء . وهذا القول ضعيف لان علم الكيمياء في نفسه علم باطل لان قلب الاعيان لا يقدر أحد عليها إلا الله عز وجل

قال الله تعالى [يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له] وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة » وهذا ورد في المصوريين الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعي أنه يحيل ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحال ، وجهل وضلال ، وانما يقدر على الصبغ في الصورة الظاهرة وهي كذب وزغل وتغويه وترويج أنه صحيح في نفس الامر وليس كذلك قطعا لاحالة ولم يثبت بطريق شرعي أنه صحيح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاطاها هؤلاء الجهلة الفسقة الا فاكون ، فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الاولياء من قلب بعض الاعيان ذهباً أو فضة أو نحو ذلك فهذا أمر لا ينكره مسلم ولا يردّه مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وانما هذا عن مشيئة رب الارض والسموات واختياره وفعله كما رري عن حيوة بن شريح المصري رحمه الله أنه سأله سائل فلم يكن عنده ما يعطيه ورأى ضرورته فأخذ حصاة من الارض فأجالها في كفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فاذا هي ذهب أحمر . والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً بطول ذكرها . وقال بعضهم ان قارون كان يعرف الاسم الاعظم فدعا الله به فتمول بسببه . والصحيح المعنى الاول ولهذا قال الله تعالى راداً عليه

قال « يعني قارون » انما أوتيته على علم عندي « أي على فضل وخير علمه الله عندي فآني أهلا لذلك فضلاني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره ، فقيل هو علم الكيمياء . قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم ، وعلم كالب بن يوفنا ثلثه ، وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه وكان ذلك سبب أمواله ، وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب

فما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال [أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا] أي قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان ذلك من محبة مناله وقد أهللكم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) أي لكثرة ذنوبهم . قال قتادة [على علم عندي] على خير عندي ، وقال السدي على علم أني أهل لذلك . وقد أجاد في تفسير هذه الآية الامام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فانه قال في قوله [قال انما أوتيته على علم عندي] قال لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال وقرأ [أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا] الآية وهكذا يقول من قل علمه اذا رأى من وسع الله عليه لولا أن يستحق ذلك لما أعطي

فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قرون

انه لذو حظ عظيم (٧٩) وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل

صالحا ولا يلقها الا الصبرون (٨٠)

يقول تعالى مخبرا عن قارون انه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من سراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا وبيل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي [قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم] أي ذو حظ وافر من الدنيا ، فلما سمع مقاتلهم أهل العلم النافع قالوا لهم [ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل

قوله تعالى ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون ﴾ الكافرة ﴿ من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ﴾ للاموال ﴿ ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد يعني لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم . قال الحسن لا يستلون سؤال استعلام وانما يستلون سؤال تقريع وتوبيخ ﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾ قال ابراهيم النخعي خرج هو وقومه في ثياب حر وصفر . قال ابن زيد في سبعين ألفا عليهم المعصفرات ، قال مجاهد على براذين بيض عليها سرج الارجوان ، قال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحر وهن على البغال الشهب ﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم ﴾ من المال ﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الاحبار من بني اسرائيل ، وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي قارون في الدنيا ﴿ ويلكم ثواب الله خير ﴾ يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير ﴿ لمن آمن ﴾ وصدق بتوحيد الله

صالحاً [أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خبر مما ترون . كافي الحديث الصحيح] يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقروا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقوله (ولا يلقاها إلا الصابرون) قال السدي ولا يلقى الجنة إلا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم ، قال ابن جرير ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعاً من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل واخبره بذلك

نخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (٨١) وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون (٨٢)

لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال « بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجملجل في الأرض إلى يوم القيامة » ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن اسماعيل أبو المغيرة القاص حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « بينا رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فانه ليتجملجل فيها إلى يوم القيامة » تفرد به أحمد واسناده حسن

(وعمل صالحاً) مما أوتي قارون في الدنيا (ولا يلقاها إلا الصابرون) قال مقاتل لا يؤتاها يعني الأعمال الصالحة ، وقال الكلبي لا يعطاها في الآخرة ، وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله (ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون) على طاعة الله وعن زينة الدنيا

قوله عز وجل (نخسفنا به وبداره الأرض) قال أهل العلم بالآخبار كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأقرأهم للتوراة وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطفى وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كل طرف خيطاً أخضر كلون السماء يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء ويعلمون أنني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراً فإن بني إسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال له رب يا موسى ان الصغير من أمري ليس بصغير فاذم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال ان الله يأمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطاً خضراً تكون

وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا ابو خزيمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد النميري يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « بينارجل من كان قبلكم خرج في دين فاختال فيها فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر في كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن مساحق قال رأيت شابا في مسجد نجران فجعلت أنظر اليه وأتعجب من طوله ونعامة وجهه فقال مالك تنظر إلي ؟ فقلت أعجب من جمالك وكالك . فقال إن الله ليعجب مني قال فما زال ينقص وينقص حتى صار بطول الشهر فأخذه بعض قرابته في كه وذهب به

وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام واختلف في سببه فعن ابن عباس والسدي أن قارون أعطى امرأة غنيا مالا على أن تبته موسى بحضرة الملأ من بني إسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى فتقول يا موسى انك فعلت بي كذا وكذا فلما قالت ذلك في الملأ لموسى عليه السلام أرعد من الفرق وأقبل عليها بعد ما صلى ركعتين ثم قال : أنشدك بالله الذي فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرني بالذي هلك على ما قالت فقالت اما اذا

السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها فعلت بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطمعه وقال إنما يفعل هذا الارباب بعبيدكم لكي يميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه ، فلما قطع موسى بيني إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رئاسة المذبح فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هارون فيضعه على المذبح فتزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك من نفسه وأتى موسى فقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لاصبر لي على هذا ، فقال له موسى ما أنا جعلتها في هارون بل الله جعلها له ، فقال قارون والله لا أصدقك حتى ترى بيانه فجمع موسى رؤوس بني إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فخرمها وألقاها في قبه التي كان يعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا ؟ فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى وأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يريد إلا اعتوا وتجبوا ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه وبضاحكونه . قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار ، وعن كل ألف درهم على درهم ، وعن كل ألف شاة على شاة ، وعن كل ألف شاة على شاة . ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني إسرائيل فقال لهم يا بني إسرائيل ان موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم ، فقالوا أنت كبرنا فرنا

نشدتني فان قارون أعطاني كذا وكذا على أن أقول ذلك لك وأنا استغفر الله وأتوب اليه، فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجداً وسأل الله في قارون فأوحى الله اليه ان قد أمرت الارض أن تطيعك فيه فأمر موسى الارض أن تبطلعه وداره فكان ذلك . وقيل ان قارون لما خرج على قومه في زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الارجوان المصبغة فر في محفله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله فلما رأى الناس قارون انصرف وجوههم نحوه ينظرون الى ما هو فيه فدعاه موسى عليه السلام وقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال يا موسى أما لئن كنت فضلت علي بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لتخرجن فلتدعون علي وادعوا عليك، فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام تدعوا او ادعوا أنا ؟ فدعا قارون فلم يجب له ثم قال موسى ادع ؟ قال نعم فقال موسى اللهم من الارض أن تطيعني اليوم فأوحى الله اليه اني قد فعلت فقال موسى يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أقدامهم . ثم قال خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم ثم قال اقبلي بكنوزهم وأموالهم قال فأقبلت بها حتى نظروا اليها ثم أشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بني لاوى فاستوت بهم الارض ، وعن ابن عباس قال : خسف بهم إلى الارض السابعة

بما شئت، فقال أمركم أن تحيوا بفلاة البقي فتجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج بنو اسرائيل عليه ورفضوه فدعاهم فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستاً من ذهب وقيل قال لها اني أموتك وأخلطك بنسائي على أن تقذف في موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فقال: يا بني اسرائيل من مرق قطعنا يده، ومن اقترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة رجما حتى يموت. فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال وإن كنت أنا قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ وعظم عليها القسم وسأها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وأنزل التوراة الا صدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤدي رسول الله ﷺ فقالت لا، كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي خر موسى ساجداً يبكي ويقول : اللهم ان كنت رسولاك فاغضب لي . فأوحى الله تعالى اليه : اني أمرت الارض أن تطيعك ففرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال يا موسى أرض خذهم فأخذت الارض بأقدامهم وفي رواية كان على سريره وفرشه فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم الى الركب ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه

وقال قتادة ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامه فهم يتجلبلون فيها إلى يوم القيامة ، وقد ذكر ههنا امريئيليات غريبة أضربنا عنها صفحا

وقوله تعالى (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) أي ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ، ولا دفعوا عنه نعمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو في نفسه منتصرا لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره

وقوله تعالى (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) أي الذين لما رأوه في زينته (قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون أنه لذو حظ عظيم) فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي ليس المال بدال على رضى الله عن صاحبه فإن الله يعطي ويمنع وبضيق وبوسع ويخفف ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود « ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم ، وان الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الايمان الا من يحب » (لولا ان من الله علينا لخسف بنا) أي لولا لطف الله بنا واحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به لآنا وددنا أن نكون مثله (ويكأنه لا يفلح الكافرون) يعنون أنه كان كافرا ولا يفلح الكافرون عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة

وقد اختلف النحاة في معنى قوله ههنا ويكأن فقال بعضهم معناه وبلك اعلم أن والسكن خفت قليل وبك ودل فتح ان على حذف اعلم ، وهذا القول ضعفه ابن جرير ، والظاهر أنه قوي ولا يشكل

في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى روي أنه ناشده سبعين مرة وموسى عليه السلام في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه . ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم الأرض فأوحى الله الى موسى : ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تقته أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة لأغثته . وفي بعض الآثار لا أجعل الأرض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلبل في الأرض كل يوم قامه رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال وأصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله عز وجل (نخسفنا به وبداره الأرض) (فما كان له من فئة) من جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعون من الله (وما كان من المنتصرين) الممتنعين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) صار أولئك الذين تمنوا ما رزقه الله من المال والزينة يتقدمون على ذلك التمني والعرب تعبر عن الصيرورة بأضحى وأمسى وأصبح تقول أصبح فلان عالما وأضحى معدوما وأمسى حزينا (يقولون ويكأن الله) اختلفوا في معنى هذه اللفظة قال مجاهد ألم تعلم وقال قتادة ألم تر قال الفراء هي كلمة تقرير كقول الرجل أما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر أنه أخبره من سمع اعراية تقول لزوجها ابن ابنك ؟ فقال ويكأنه وراء البيت يعني ما تريته

(سورة القصص ٢٨ جزء ٢٠) نعيم الدار الآخرة للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ٣٦٩

على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة ويكأن، والكتابة أمر وضعي اصطلاحى والمرجع إلى اللفظ العربى والله أعلم، وقيل معناها ويكأن أي ألم تر أن قاله قتادة، وقيل معناها ويكأن ففصلها وجعل حرف وي للتعجب أو للتنبيه وأن معنى أظن وأحتسب. قال ابن جرير وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة أنها بمعنى ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر

سالتني الطلاق اذ رأيتاني قل مالي قد جثمانى بنكر
ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعيش عيش ضر

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة

للمتقين (٨٣) من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات

إلا ما كانوا يعملون (٨٤)

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين (لا يريدون علواً في الأرض) أي ترفعاً على خلق الله وتعظماً عليهم وتجبيراً بهم ولا فساداً فيهم كما قال عكرمة العلو التجبر. وقال سعيد بن جبيرة العلو البغي وقال سفيان الثوري عن منصور عن مسلم البطين العلو في الأرض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق، وقال ابن جرير (لا يريدون علواً في الأرض) تعظماً وتجبيراً (ولا فساداً) عملاً بالمعامي

وراء البيت وعن الحسن أنه كلمة ابتداء تقديره إن الله ييسر الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة ألا وقال قطرب ويك ويك بمعنى حذفت اللام منه كما قال عنتر

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

أي ويك وإن منصوب باضمار أعلم أن الله وقال الخليل وي مفعولة من كان ومعناها التعجب كما يقول وي لم فعلت ذلك. وذلك أن القوم تندموا فقالوا وي متقدمين على ماسلف منهم وكان معناه أظن ذلك وأقدره كما تقول كأن الفرح قد أنك أي أظن ذلك وأقدره ﴿ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أي يوسع ويضيق ﴿لولا أن من الله علينا لحسف بنا﴾ قرأ حفص ويعقوب بفتح الحاء والسين وقرأ العامة بضم الحاء وكسر السين ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾

قوله تعالى ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ قال الكلبي ومقاتل استكباراً عن الإيمان وقال عطاء علواً استطالة على الناس ونهاونا بهم. وقال الحسن لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطان. وعن علي رضي الله عنه أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة ﴿ولا فساداً﴾ قال الكلبي هو الدعاء إلى عبادة غير الله وقال عكرمة أخذ أموال الناس بغير حق

(تفسير ابن كثير والبغوي) (٤٧) (الجزء السادس)

وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلام الأعرج عن علي قال :
ان الرجل ليعجبه من شرك نعله أن يكون أجود من شرك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى (تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) وهذا محمول على
ما إذا أراد بذلك الفخر والتعالي على غيره ، فإن ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه
قال « انه أوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد واما اذا أحب ذلك
لمجرد التجميل فهذا لا بأس به فقد ثبت أن رجلاً قال . يا رسول الله اني أحب أن يكون ردائي حسناً
ونعلي حسنة أفن السكير ذلك ؟ فقال « لاء ان الله جميل يحب الجمال »

وقال تعالى (من جاء بالحسنة) أي يوم القيامة (فله خير منها) أي ثواب الله خير من حسنة
العبد فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة وهذا مقام الفضل . ثم قال (ومن جاء بالسئنة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) كما قال في الآية الاخرى (ومن جاء بالسئنة فكبت وجوههم
في النار ، هل يجزون الا ما كنتم تعملون) وهذا مقام الفضل والعدل

إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربني أعلم من جاء بالهدى ومن هو
في ضلل مبين (٨٥) وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فاز
تكونن ظهيراً للكافرين (٨٦) ولا يصدنك عن آيت الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى
ربك ولا تكونن من المشركين (٨٧) ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء

هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون (٨٨)

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، ونخبراً
له بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال تعالى (إن
الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي افترض عليك أدائه الى الناس (لرادك إلى معاد)
أي الى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى (فلنساءن الذين أرسل اليهم ولنساءن المرسلين)
وقال تعالى (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم) وقال (وجي بالنبيين والشهداء)

قال ابن جرير ومقاتل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أي العاقبة الحمودة لمن اتقى عقاب الله
بأداء أمره واجتناب معاصيه قال قتادة الجنة للمتقين (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسئنة
فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون)

قوله تعالى (ان الذي فرض عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين
وقال عطاء أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك الى معاد) الى مكة وهي رواية العوفي عن ابن عباس

وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) يقول لرادك الى الجنة ثم سألته عن القرآن . قال السدي وقال ابو سعيد مثله ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (لرادك الى معاد) قال الى يوم القيامة ورواه مالك عن الزهري وقال الثوري عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لرادك الى معاد) الى الموت ولهذا طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي بعضها لرادك الى معدنك من الجنة وقال مجاهد يحبيك يوم القيامة وكذا روي عن عكرمة وعطاء . وسعيد بن جبير وأبي قزعة وأبي مالك وأبي صالح وقال الحسن البصري أي والله ان له لمعاداً فيبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة . وقد روي عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخاري في التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا بعلي حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس (لرادك الى معاد) قال الى مكة وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه وابن جرير من حديث بعلي وهو ابن عبيد الطنافسي به وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس (لرادك الى معاد) أي لرادك الى مكة كما أخرجك منها وقال محمد بن اسحاق عن مجاهد في قوله (لرادك الى معاد) الى مولدك بمكة . وقال ابن أبي حاتم وقد روى عن ابن عباس ويحيى بن الجزار وسعيد بن جبير وعطية والضحاك نحو ذلك . وحدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر قال قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فأنزل الله عليه (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) الى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وان كان مجموع السورة ميكياً والله أعلم

وقد قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى (لرادك الى معاد) قال هذه مما كان ابن عباس يكتنمها . وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله (لرادك الى معاد) قال الى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع الى قول من فسر ذلك بيوم القيامة لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب

ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك نارة برجوعه الى مكة وهو الفتح الذي

رضي الله عنهما وهو قول مجاهد قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك ان النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً الى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل وقال اشتاق الى بلدك ومولدك ؟ قال نعم قال فان الله تعالى يقول (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكة ولا مدنية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما لرادك الى معاد الى الموت وقال الزهري وعكرمة الى القيامة وقيل الى الجنة قل ربي أعلم من جاء بالهدى أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا قلنبي ﷺ انك اني

هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي ﷺ كما فسر ابن عباس سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة انه أجل رسول الله ﷺ في اليه ، وكان ذلك بمحضرة عمر بن الخطاب وواقفه عمر على ذلك وقال : لأعلم منها غير الذي تعلم . ولهذا فسر ابن عباس نارة أخرى قوله (لرادك إلى معاد) بالموت ونارة يوم القيامة الذي هو بعد الموت ونارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الانس والجن ، ولانه أكمل خلق الله وأنصح خلق الله وأشرف خلق الله على الاطلاق

وقوله تعالى (قل ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده ومن هو في ضلال مبين) أي قل لمن خالفك وكذبتك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ومن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى مذكراً لنبية نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله اليهم (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي ما كنت تظن قبل إنزال الوحي اليك أن الوحي ينزل عليك (ولكن رحمة من ربك) أي إنما أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك فإذا منعك بهذه النعمة العظيمة (فلا تكونن ظاهراً) أي معيناً (للكافرين) ولكن فارقمهم وناذهم وخالفهم (ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك) أي لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك لا تلوي على ذلك ولا تباليه فإن الله معك كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ما أرسلك به على سائر الاديان ولهذا قال (وادع إلى ربك) أي إلى عبادة ربك وحده لا شريك له (ولا تكونن من المشركين)

وقوله (ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا اله الا هو) أي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الالهية الا لعظمته . وقوله (كل شيء هالك الا وجهه) إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي يموت المخلوق ولا يموت كما قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله هنا [كل شيء هالك الا وجهه] أي إلا اياه

وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أصدق

ضلال فقال الله عز وجل قل لهم ربي أعلم من جاء بالهدى أي يعلم من جاء بالهدى يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبين) يعني المشركين والله أعلم بالفريقين

قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي يوحى اليك القرآن (الا رحمة من ربك) قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن ربك رحمتك فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظاهراً للكافرين) أي معيناً لهم على دينهم ، وقال مقاتل وذلك حين دعي إلى دين آبائه فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرهم على مام عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعني القرآن (بعد إذ أنزلت اليك وادع إلى ربك) إلى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس رضي الله

كلمة قالها الشاعر لبليد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وقال مجاهد والثوري في قوله [كل شيء هالك إلا وجهه] أي إلا ما أريد به وجهه ، وحكاه البخاري في صحيحه كاللقرر له ، قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي القول الاول فان هذا إخبار عن كل الاعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الاعمال الصالحة المطابقة للشريعة ، والقول الاول مقتضاه ان كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فانه الاول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء . قال أبو بكر عبد الله ابن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بكر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عمرو بن سلمة الباهلي حدثنا أبو الوليد قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلك ؟ ثم يرجع الى نفسه فيقول [كل شيء هالك إلا وجهه] وقوله [له الحكم] أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه [واليه ترجعون] أي يوم معادكم فيجزىكم بأعمالكم ان خيرا خيرا وان شرا فشر

(آخر تفسير سورة القصص والله الحمد والمنة)

عنهما الخطاب في الظاهر للذي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ﴿ ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ أي إلا هو ، وقيل إلا ملكه ، قال أبو العالية إلا ما أريد به وجهه ﴿ له الحكم ﴾ أي فصل القضاء ﴿ واليه ترجعون ﴾ تردون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم



تفسير سورة العنكبوت وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (٣) أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون (٤)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة . وقوله تعالى [أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون] استفهام انكار ومعناه ان الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء في الحديث الصحيح « أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل » يبتلي الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلاحة زيد له في البلاء « وهذه الآية كقوله [أم حسبتم أن تتركوا] وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ومثلها في سورة براءة وقال في البقرة [أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

﴿ سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم * أحسب الناس ﴾ أظن الناس ﴿ أن يتركوا ﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء ﴿ أن يقولوا ﴾ أي بأن يقولوا ﴿ آمنا وهم لا يفتنون ﴾ لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم . كلالنختبرنهم ليبين المحلص من المنافق والصادق من الكاذب . واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، قال الشعبي نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب رسول الله ﷺ انه لا يقبل فيكم الاقرار بالاسلام حتى نهجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فتيبهم المشركون فقاتلهم ففهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله هاتين الآيتين . قال ابن عباس رضي الله عنهما وأراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش ابن ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم ، وقال ابن جريج نزلت في عمار بن ياسر كان يعذب في الله عز وجل ، وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي ﷺ « سيد الشهداء مهجع بن عبد الله وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الامة » فخرج أبواه وأمرأته فأنزل الله فيهم هذه الآية . وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي

البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب [ولهذا قال ههنا (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) أي الذين صدقوا في دعوى الايمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه ، والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون . وهذا يحجم عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله (الا لنعلم) الا لئلا يرى وذلك لان الرؤية اما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فانه يتعلق بالمعدوم والموجود

وقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون) أي لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الايمان ، انهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فان من ورائهم من العقوبة والذكال ماهو أغلظ من هذا وأطم ولهذا قال (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أي يفوتونا (سوء ما يحكمون) أي بنس ما يظنون

من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم (٥) ومن جهده فأنما يجهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين (٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (٧)

يقول تعالى [من كان يرجو لقاء الله] أي في الدار الآخرة وعمل الصالحات ورجا ما عند الله من الثواب الجزيل فان الله سيعتق له رجاءه ويوفيه عمله كاملا موفرا فان ذلك كائن لا محالة لانه سميع الدعاء بصير بكل الكائنات ولهذا قال تعالى [من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو

وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم فأنزل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ يعني الانبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشأ ومنهم من قتل ، وابتلى بني اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا ﴾ في قولهم آمنا ﴿ وليعلمن الكاذبين ﴾ والله أعلم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية وليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه ، وقال مقاتل فليبرن الله وقيل ليميز الله كقوله [ليميز الله الخبيث من الطيب]

قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات ﴾ يعني الشرك ﴿ أن يسبقونا ﴾ يعجزونا ويفوتونا فلا تقدر على الانتقام منهم ﴿ سوء ما يحكمون ﴾ أي بنس ما حكموا حين ظنوا ذلك ﴿ من كان يرجو لقاء الله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف ، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه من كان بطمع في ثواب الله ﴿ فان أجل الله لآت ﴾ يعني

السميع العليم [وقوله تعالى] ومن جاهد فانما يجاهد نفسه [كقوله تعالى] من عمل صالحا فلنفسه [أي من عمل صالحا فانما يهود نفع عمله على نفسه فان الله تعالى غني عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا ولهذا قال تعالى (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لفي عن العالمين) قال الحسن البصري : ان الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف . ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم ومع بره واحسانه بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو انه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويمجزهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ويمجز على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح كما قال تعالى [ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما] وقال ههنا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون)

ووصينا الانسـن بوالديه حسنا وإن جاهدك لتشر لك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى

مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (٨) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين (٩)

يقول تعالى آمرا عباده بالاحسان الى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فان الوالدين هما سبب وجود الانسان ولهما عليه غاية الاحسان، فالوالد بالنفاق والوالدة بالاشفاق، ولهذا قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما

ما وعد الله من الثواب والعقاب ، وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ، ومعنى الآية أن من يخشي الله أو يأمله فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كما قال [فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا] الآية ﴿ وهو السميع العليم ﴾ ومن جاهد فانما يجاهد نفسه ﴿ له ثوابه والجهاد هو الصبر على الشدة ويكون ذلك في الحرب وقد يكون على مخالفة النفس ﴾ [ان الله لفي عن العالمين] عن أعمالهم وعبادتهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ لنبتلنها حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل فالتكفير اذهاب السيئة بالحسنة ﴿ ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴾ أي بأحسن أعمالهم وهو الطاعة ، وقبل نعتهم أكثر مما عملوا وأحسن كما قال [من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها]

قوله عز وجل ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ أي برأ بهما وعطفا عليهما معناه ووصينا الانسان أن يفعل بوالديه ما يحسن . نزلت هذه الآية والتي في سورة لقمان والاحزاب في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو سعد بن مالك أبو اسحاق الزهري وأمه حمزة بنت أبي سفيان بن أمية ابن عبد شمس لما أسلم وكان من السابقين الاولين وكان باراً بأمه قالت له أمه ما هذا الدين الذي

كما ربياني صغيرا) ومع هذه الوصية بالرفقة والرحمة والاحسان اليهما في مقابلة احسانهما المتقدم . قال (وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أي وان حرض عليك أن تتابعهما على دينهما اذا كانا مشركين فايك وايهما فلا تطعهما في ذلك فان مرجعكم الي يوم القيامة فأجزيك باحسانك اليهما وصبرك على دينك واحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وان كنت أقرب الناس اليهما في الدنيا فان المرء انما يحشر يوم القيامة مع من أحب أي حبا دينيا ولهذا قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين)

وقال الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن المنثي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ممالك بن حرب قال : سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال نزلت في أربع آيات فذكر قصته وقال : قالت أم سعد أليس الله قد أمرك بالبر والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت او تكفر قال فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهما فنزلت (ووصينا الانسان بوالديه حسنا * وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الآية وهذا الحديث رواه الامام احمد ومسلم وابو داود والنسائي أيضا وقال الترمذي حسن صحيح

ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن

جاء نصر من ربك ليقولنَّ إنا كنَّا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين (١٠)

وليعلمنَّ الله الذين آمنوا وليعلمنَّ المنافقين (١١)

أحدثت والله لا كل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فتغير بذلك أبد الدهر يقال يا قاتل أمه . ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل فاصبحت قد جهدت ، ثم مكثت يوما آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب ، فجاء سعد اليها وقال يا أمه لو كانت لك مائة نفس خرجت نفسا نفسا ما ركت ديني فكلتي وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أبست منه أكلت وشربت فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وأن لا يطعهما في الشرك فذلك قوله عز وجل ﴿ وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ جاء في الحديث « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ثم أوعد بالمصير اليه فقال ﴿ إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين ﴾ في زمرة الصالحين وهم الانبياء والاولياء ، وقيل في مدخل الصالحين وهو الجنة

قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أُوذِيَ في الله ﴾ أصابه بلاء من الناس افتتن

(تفسير ابن كثير والبغوي) (٤٨) (الجزء السادس)

يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين بدعوا الإيمان بالسننهم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الإسلام ، ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) قال ابن عباس يعني فتنة أن يريد عن دينه إذا أؤذي في الله وكذا قال غيره من علماء السلف ، وهذه الآية كقوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه — الى قوله — ذلك هو الضلال البعيد) ثم قال عز وجل (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) أي ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح ومغام ليقولن هؤلاء لسمك انا كنا معكم أي إخوانكم في الدين كما قال تعالى (الذين يترصدون بكم فإن كان لسمك فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ، وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين) وقال تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصيبحوا على ما أمسروا في أنفسهم نادمين) وقال تعالى مخبراً عنهم ههنا (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم) ثم قال الله تعالى (أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أي أو ليس الله بأعلم بما في قلوبهم وما تكنه ضمائرهم وإن أظهرنا لسمك الموافقة

وقوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) أي وليختبرن الله الناس بالضرأ والسراء ليميز هؤلاء من هؤلاء من يطيع الله في الضراء والسراء ، ومن إنا يطيعه في حفظ نفسه كما قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقال تعالى بعد وقعة أحد التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان (ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) الآية

﴿ جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ أي جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة أي جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه . هذا قول السدي وابن زيد قالوا هو المنافق إذا أؤذي في الله رجم عن الدين وكفر ﴿ ولئن جاء نصر من ربك ﴾ أي فتح ودولة للمؤمنين ﴿ ليقولن ﴾ يعني هؤلاء المنافقين المؤمنين ﴿ انا كنا معكم ﴾ على عدوكم وكننا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله وقال ﴿ أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ؟ ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا ﴾ صدقوا ثبتوا على الإسلام عند البلاء ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾ بترك الإسلام عند نزول البلاء واختلفوا في نزول هذه الآية قال مجاهد نزلت في أناس كانوا يؤمنون بالسننهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتنوا ، وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم في بدر وهم الذين نزلت فيهم [إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم] وقال قتادة نزلت في القوم الذين رددهم المشركون إلى مكة . قال الشعبي هذه الآيات العشر من أول السورة إلى ههنا مدنية وباقي السورة مكية

وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون (١٢) وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليستأن يوم القيمة عما كانوا يفترون (١٣)

يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى ارجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا (ولنحمل خطاياكم) أي وآثامكم إن كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول القائل افعل هذا وخطيئتك في رقبتي قال الله تعالى تكذيباً لهم (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) أي فيما قالوه أنهم يحتملون عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزراً أحد قال الله تعالى (وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وقال تعالى (ولا يستل حميم حميماً يبصرونهم)

وقوله تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزاراً آخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً كما قال تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) الآية وفي الصحيح «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً» ومن دعا إلى ضلال كان عليه من الأثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً»

وفي الصحيح «ما قتلت نفس ظمأ إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل» وقوله تعالى (وليستأن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أي يكذبون ويختلقون من البهتان، وقد ذكر ابن أبي حاتم هنا حديثاً فقال: حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان ابن حفص بن أبي العالية حدثني سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله

قوله ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ قال مجاهد هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم، وقال الكلبي ومقاتل قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش اتبعوا سبيلنا ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعه من الله تصديقكم فذلك قوله ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أوزاركم قال الفراء لفظه أمر ومعناه خبر مجازة أن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله (فليلقه اليم بالساحل) وقيل هو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عز وجل فقال ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون﴾ أي فيما قالوا من حمل خطاياهم ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم ﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم نظيره قوله

ﷺ بلغ ما أرسل به ثم قال « إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول : وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ثم ينادي مناد فيقول أين فلان بن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرحمن عز وجل ثم يأمر المنادي فينادي من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فليهم فيقبلون حتى يجتمعوا قياما بين يدي الرحمن فيقول الرحمن اقضوا عن عبادي فيقولون كيف تقضي عنه ؟ فيقول خذوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة وقد بقي من أصحاب الظلمات . فيقول اقضوا عن عبادي فيقولون لم يبق له حسنة فيقول خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه ثم نزع النبي ﷺ بهذه الآية السكرية (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه « أن الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ مال هذا وأخذ من عرض هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا لم يبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا أبو بشر الحذاء عن أبي حمزة الثماني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المؤمن يستل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه فلا ألفينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك »

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان

وهم ظالمون (١٤) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)

هذه تسليية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهاراً وسمراً وجهاراً ومع هذا ما زادهم ذلك الا فرارا عن الحق واعراضا عنه وتكديبا له وما آمن معه منهم إلا قليل ولهذا قال تعالى [فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون] أي بعد هذه المدة الطويلة مانعهم فيهم البلاغ والانداز فأنت يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء. ويبيده الأمر واليه ترجع الأمور [إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية] الآية واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك وينزل عدوك ويكتبهم ويجعلهم أسفل السافلين

عز وجل (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) (وليستلن يوم

القيامة عما كانوا يفترون) سؤال توبيخ وتقريع

قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان)

قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن وائل عن ابن عباس قال: بعث نوح وهو لأربعين سنة ولبث قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا، وقال قتادة يقال إن عمره كله ألف سنة إلا خمسين عاما لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين عاما وهذا قول غريب، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما

وقال عون بن أبي شداد إن الله تعالى أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وهذا أيضا غريب رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقول ابن عباس أقرب والله أعلم

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال: قال لي ابن عمر كم لبث نوح في قومه؟ قال قلت ألف سنة إلا خمسين عاما قال فإن الناس لم يزالوا في نقصان مع أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا، وقوله تعالى (فأنجيناه وأصحاب السفينة) أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا في سورة هود، وتقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته

وقوله تعالى (وجعلناها آية للعالمين) أي وجعلنا تلك السفينة باقية أماعينها كما قال قتادة أنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان كما قال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون — إلى قوله — ومتاعا إلى حين) وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) وقال ههنا (فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) وهذا من باب التدرج من الشخص إلى الجنس كقوله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) أي وجعلنا نوعها رجوما فإن التي برمى بها ليست هي زينة السماء، وقال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) ولم يذنا نظائر كثيرة وقال ابن جرير لو قيل إن الضمير في قوله (وجعلناها) عائد إلى العقوبة لكان وجهها والله أعلم

وأبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١٦)

ففرقوا (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون (فأنجيناه وأصحاب السفينة) يعني من الفرق (وجعلناها) يعني السفينة (آية) أي عبرة (للعالمين) فإنها كانت باقية على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالفرق عبرة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث نوح لأربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وكان عمره ألفا وخمسين سنة

قوله تعالى (وأبراهيم) أي وأرسلنا إبراهيم (إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أطيعوه وخافوه

إنما تعبدون من دون الله آوثناً وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون (١٧) وإن تكذبوا فقد

كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين (١٨)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم امام الخلفاء أنه دعا قومه الى عبادة الله وحده لا شريك له والاخلاص له في التقوى وطلب الرزق منه وحده لا شريك له ، وتوحيده في الشكر فانه المشكور على النعم لا يسدي لها غيره فقال لقومه (اعبدوا الله واتقوه) أي اخلصوا له العبادة والخوف (ذاكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أي اذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة وان دفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة ، ثم أخبر تعالى ان الاصنام التي يعبدونها لانضر ولا تنفع وانما اختلقتم انهم لها أسماء فسميتوها آلهة وانما هي مخلوقة مثلكم هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والسدي ، وروى الوابي عن ابن عباس وتصنعون افكا أي تنحتونها أصناما وبه قال مجاهد في رواية وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله وهي لانملك لكم رزقا (فابتغوا عند الله الرزق) وهذا أبلغ في الحصر كقوله (إياك نعبد وإياك نستعين - رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) ولهذا قال (فابتغوا) أي فاطلبوا (عند الله الرزق) أي لا عند غيره فان غيره لا يملك شيئا (واعبدوه واشكروا له) أي كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعم به عليكم (اليه ترجعون) أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله

وقوله تعالى (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي قبلكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) يعني انما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فاحرصوا لأنفسكم ان تكونوا من السعداء وقال قتادة في قوله (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) قال يعزي نبيه ﷺ وهذا من قتادة يقتضي انه قد انقطع الكلام الاول واعترض بهذا إلى قوله (فما كان جواب قومه) وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضاً ، والظاهر من السياق ان كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عليه السلام محتج عليهم لاثبات المعاد لقوله بعد هذا كله (فما كان جواب قومه) والله أعلم

﴿ ذاكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ * انما تعبدون من دون الله آوثناً ﴿ أصناما ﴾ وتخلقون افكا ﴿ تقولون كذبا ﴾ قال مقاتل تصنعون أصناما بأيديكم فتسمونها آلهة ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ﴾ لا يقدر أن يرزقكم ﴿ فابتغوا ﴾ فاطلبوا ﴿ عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ﴾ اليه ترجعون ﴿ وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ مثل عاد وثمود وغيرهم فأهلكوا ﴿ وما

أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ؟ ان ذلك على الله يسير (١٩) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير (٢٠) يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تُقْلَبُونَ (٢١) وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٢٢) والذين كفروا بآيت الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب اليم (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن الخليل عليه السلام انه أرشدهم الى اثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله اياهم بعد ان لم يكونوا شيئاً مذكوراً ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين فالذي بدأ هذا قادر على اعادته فانه سهل عليه يسير لديه ، ثم أرشدهم الى الاعتبار بما في الآفاق من من الآيات المشاهدة من خلق الله الاشياء السموات ، وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت والسيارات ، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال ، وأودية وبراري وقفار ، وأشجار وأنهار ، وثمار وبحار ، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الفاعل المختار ، الذي يقول للشيء كن فيكون ولهذا قال (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير) كقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ثم قال تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي يوم القيامة (إن الله على كل شيء قدير) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) وكقوله تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)

وقوله تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ، ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فله الخلق والأمر مضاف لفعول لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم

على الرسول الا البلاغ المبين * أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ؟ كيف يخلقهم ابتداء نقطة ثم علقه ثم مضغة (ثم يعيده) أي الخلق في الآخرة عند البعث (إن ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) فانظروا إلى ديارهم وآثارهم كيف بدأ خلقهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم الله الذي خلقها ينشئها نشأة ثانية بعد الموت فكما لم يتعذر عليه احداثها مبتدئاً لا يتعذر عليه انشاؤها معيداً . قرأ ابن كثير وأبو عمرو النشأة بفتح الشين ممدودة حيث وقعت ، وقرأ الآخرون بسكون الشين مقصورة نظيرها الرأفة والرافة (إن الله على كل شيء قدير * يعذب من يشاء

وهو غير ظالم لهم « ولهذا قال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون) أي ترجعون يوم القيامة وقوله تعالى (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) أي لا يعجزه أحد من أهل سمواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده فكل شيء خائف منه فقير إليه وهو الغني عما سواه (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير * والذين كفروا بآيات الله ولقائه) أي جحدوها وكفروا بالمعاد أولئك ينسوا من رحمتي [أي لا نصيب لهم فيها] وأولئك لهم عذاب أليم [أي موجع في الدنيا والآخرة

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون (٢٤) وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وماؤكم النار وما لكم

من نصرين (٢٥)

يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل أنهم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان [إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه] وذلك لأنهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم [فقالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين] وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحطوا حولها ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب إلى عنان السماء، ولم توقد نار قط أعظم منها ثم عمدوا إلى إبراهيم فكشفوه وألقوه في كفة المنجنيق ثم قذفوه فيها فجعلها الله عليه برداً

ويرحم من يشاء واليه تقلبون) تردون (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) فإن قيل ما وجه قوله ولا في السماء والخطاب مع الآدميين وهم ليسوا في السماء؟ قال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجز كقول حسان بن ثابت:

فمن يهجو رسول الله منك
وبعدته وينصره سواء

أراد من يمدحه ومن ينصره فأضر من يريد لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء، وقال قطرب معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول القائل ما يفوتني فلان ههنا ولا بالبصرة أي ولا بالبصرة لو كان بها (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي من ولي يمنعكم مني ولا نصير ينصركم من عذابي

قوله (والذين كفروا بآيات الله ولقائه) بالقرآن وبالبعث (أولئك ينسوا من رحمتي) جنتي (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم وهي معترضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم فقال جل ذكره (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه فأنجاه الله من

وسلاماً ، وخرج منها سالماً بعد ما مكث فيها أياماً ، وهذا وأمثاله جعله الله للناس اماماً ، فانه بذل نفسه للرحمن ، وجسده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الاديان . وقوله تعالى (فانجاه الله من النار) أي سلمه منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) وقال انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا (يقول لقومه مقرعاً لهم وموبخاً على سوء صنيعهم في عبادتهم للاوثان انما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة وألفة منكم بعضكم لبعض في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على أنه مفعول له ، وأما على قراءة الرفع فمعناه انما اتخذكم هذا لتحصل لكم المودة في الدنيا فقط ثم يوم القيامة ينعكس هذا الحال فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضاً وشنائاً (ثم يكفر بعضهم ببعض) أي تتجاهدون ما كان بينكم (ويلعن بعضهم بعضاً) أي يلعن الاتباع المتبوعين والمتبوعون الاتباع (كلما دخلت أمة لعنت أختها) وقال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقال ههنا (ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً ومأواكم النار) الآية أي ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة الى النار ومالككم من ناصر ينصركم ولا منقذ ينقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين ، وأما المؤمنون فبخلاف ذلك

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا ابو عاصم الثقفي ثنا الربيع بن اسماعيل ابن عمرو بن سعيد بن جعدة بن هبيرة الخزرجي عن أبيه عن جده عن أم هاني. أخت علي بن أبي طالب قالت قال لي النبي ﷺ « أخبرك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد فمن يدري أين الطرفين ؟ » قالت الله ورسوله أعلم - ثم ينادي مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيشرثون - قال ابو عاصم يرفعون رؤوسهم - ثم ينادي يا أهل التوحيد ، ثم ينادي الثالثة يا أهل

النار (وجعلها عليه برداً وسلاماً) (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) (يصدقون) (وقال) يعني ابراهيم لقومه (انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودة بينكم) (قرأ ابن كثير والكسائي وأبو عمرو ويعقوب مودة رفعا بلا تنوين بينكم خفضاً بالاضافة على معنى ان الذين اتخذتم من دون الله اوثاناً هي مودة بينكم (في الحياة الدنيا) ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة ، وقرأ حمزة وحفص مودة نصباً بغير تنوين على الاضافة بوقوع الانخاذ عليها ، وقرأ الآخرون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب معناه انكم انما اتخذتم هذه الاوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً) تتبرأ الاوثان من عابديها وتبترأ القادة من أتباعها وتلعن الاتباع القادة (ومأواكم) جميعاً العابدون والمعبودون (النار وما لكم من

التوحيد ان الله قد عفا عنكم - قال - فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا - يعني المظالم - ثم ينادي يا اهل التوحيد ليحف بعضهم عن بعض وعلى الله الثواب »

فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم (٢٦) ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب، وآتينه أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين (٢٧)

يقول تعالى مخبراً عن ابراهيم انه آمن له لوط يقال انه ابن أخي ابراهيم ، يقولون هو لوط بن هاران ابن آزر ، يعني ولم يؤمن به من قومه سواء وسارة امرأة ابراهيم الخليل . لكن يقال كيف الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد في الصحيح ان ابراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل ابراهيم عن سارة ما هي منه فقال أختي ، ثم جاء اليها فقال لها اني قد قلت له إنك أختي فلا تكذبي فانه ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك فأنت أختي في الدين ، وكان المراد من هذا والله أعلم انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيري وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه إلى بلاد الشام ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي

وقوله تعالى (وقال إني مهاجر إلى ربي) يحتمل عود الضمير في قوله (قال) على لوط لأنه هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده إلى ابراهيم . قاله ابن عباس والضحاك وهو المكني عنه بقوله (فأمن له لوط) أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ابتغاء اظهار الدين والتمكن من ذلك ولهذا قال (انه هو العزيز الحكيم) أي له العزة ورسوله وللمؤمنين به الحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه القدريّة والشرعية . وقال قتادة هاجرا جميعا من كوثى وهي من سواد الكوفة إلى الشام . قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « انها ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض إلى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها حتى تلفظهم أرضهم وتقدرهم روح الله عز وجل ونحشرهم النار مع القردة والخنزير تبیت معهم اذا باتوا ، وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل ما سقط منهم »

وقد أسند الامام أحمد هذا الحديث فرواه مطولا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي فجئته إذ جاء رجل فانتبذ الناس وعليه خميصة فاذا هو

ناصر بن « فأمن له لوط » يعني صدقه وهو أول من صدق ابراهيم وكان ابن أخيه « وقال » يعني ابراهيم « إني مهاجر إلى ربي » فهاجر من كوثى وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه

عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول « انها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر ابراهيم لا يبقى في الارض إلا شرار أهلها تلفظهم أرضهم تقذرهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتبيت معهم إذا باتوا ، وتقبل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف منهم » قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول « سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع - حتى عدوها زيادة على عشرين - مرة كلما خرج قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم » ورواه الامام أحمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائي عن قتادة به وقد رواه أبو داود في سننه فقال في كتاب الجهاد (باب ما جاء في سكنى الشام) حدثنا عبيد الله ابن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثني عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت النبي ﷺ يقول « ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الارض إليهم مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها يلفظهم أهلهم ، وتقذرهم نفس الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير » وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا أبو حباب يحيى بن أبي حبة عن شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق به من أخيه المسلم ، ثم لقد رأيتنا بآخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « اثن أنتم اتبعتم أذناب البقر وتبايعتم بالعينة وتركنتم الجهاد في سبيل الله ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم لا تنزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتوبوا إلى الله تعالى » وسمعت رسول الله ﷺ يقول « لتكون هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أيكم ابراهيم حتى لا يبقى في الارض إلا شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتقذرهم روح الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون وما سقط منهم فلها » ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يسيئون الاعمال يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم - قال يزيد لأعلمه الا قال - يحقر أحدكم علمه مع علمهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فاقتلوه ، ثم اذا خرجوا فاقتلوه ثم اذا خرجوا فاقتلوه فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فردد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا أبو الحسن بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب ابن سفيان حدثنا أبو النضر اسحاق بن ابراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيان قالا حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الاوزاعي عن نافع ، وقال أبو النضر عن حمزة عن نافع عن عبد الله بن عمر أن

لوط وامراته سارة وهو أول من هاجر . قال مقاتل هاجر ابراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة « انه هو العزيز الحكيم * ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » يقال

رسول الله ﷺ قال « سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة إلى مهاجر ابراهيم حتى لا يبقى إلا شرار أهلها تلفظهم الأرضون وتقذرم روح الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا لها ما سقط منهم » غريب من حديث نافع والظاهر أن الاوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء والله أعلم . وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب الى الحفظ

وقوله تعالى (ووهبنا له اسحاق ويعقوب) كقوله (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ، ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) أي انه لما فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح نبي في حياة جده وكذلك قال تعالى (ووهبنا له اسحاق ويعقوب) نافذة أي زيادة كما قال تعالى (فبشرناهما باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) أي يولد لهذا الولد ولد في حياتكما تقر به أعينكما وكون يعقوب ولد لاسحاق نص عليه القرآن وثبتت به السنة النبوية قال الله تعالى (أم كنتم شهداء) إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم وامماعيل واسحاق إله واحد) الآية وفي الصحيحين « ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام » فأما ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (ووهبنا له اسحاق ويعقوب) قال هما ولدا ابراهيم فعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد فان هذا الامر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس .

وقوله تعالى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما أن جعل في ذريته النبوة والكتاب فلم يوجد نبي بعد ابراهيم عليه السلام الا وهو من سلالة فجميع أنبياء بني اسرائيل من سلالة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم حتى كان آخرهم عيسى بن مريم فقام في ملتهم مبشرا بالذي العربي القرشي الهاشمي خاتم الرسل على الاطلاق ، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العرباء من سلالة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ولم يوجد نبي من سلالة اسماعيل سواه عليه أفضل الصلاة والسلام

وقوله (وآتيناه أجره في الدنيا) وانه في الآخرة لمن الصالحين (أي جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهني والمئول الرحب ، والمورد العذب ، والزوجة الحسنة الصالحة ، والثناء الجليل ، والذكر الحسن وكل أحد يحب ويتولاه كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه كما قال تعالى (وابراهيم الذي وفى) أي قام بجميع ما أمر وكل طاعة ربه ولهذا قال تعالى (وآتيناه أجره في الدنيا) وانه في الآخرة لمن

ان الله لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا من نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) وهو الثناء الحسن فكل أهل الاديان يتولونه ، وقال السدي هو الولد الصالح ، يقل هو أنه أرى مكانة في الجنة (وانه في الآخرة

الصالحين) وكما قال تعالى (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين — إلى قوله —
وانه في الآخرة لمن الصالحين)

ولو طأ اذ قال لقومه انكم لتأتون الفحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٢٨) أنكم
لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا
اتنا بعداب الله ان كنت من الصديقين (٢٩) قال رب انصرني على القوم المفسدين (٣٠)

يقول تعالى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من
قبیح الاعمال في اتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم وكانوا
مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم
ويأخذون أموالهم (وتأتون في ناديكم المنكر) أي يفعلون مالا يليق من الاقوال والافعال في مجالسهم
التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك فمن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضاً في الملا
قاله مجاهد ، ومن قائل كانوا يتضارطون ويتضاحكون قائلة عائشة رضي الله عنها والقاسم ، ومن قائل
كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا شراً من ذلك

لمن الصالحين) أي في زمرة الصالحين ، قال ابن عباس مثل آدم ونوح
قوله تعالى ﴿ ولو طأ اذ قال لقومه انكم ﴾ قرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي وأبو بكر أنكم
بالاستفهام ، وقرأ الباقر بلا استفهام واففقوا على استفهام الثانية ﴿ لتأتون الفاحشة ﴾ وهي اتيان
الرجال ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ﴿ وذلك أنهم
كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم ، وقيل تقطعون سبيل النسل
بإيثار الرجال على النساء ﴾ وتأتون في ناديكم المنكر ﴿ النادي والمنتدى مجلس القوم ومتحدثهم
أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو العباس بن سهل بن محمد المروزي أنا
جدي لآخي أبو الحسن المحمودي أنا محمد بن اسحاق بن خزيمة أن بشر بن معاذ حدثهم أنا يزيد بن
زريع أنا حاتم بن أبي صغيرة عن سماك بن حرب عن أبي صالح مولى أم هانيء بنت أبي طالب عن أم
هانيء قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله (وتأتون في ناديكم المنكر) قلت ما المنكر الذي كانوا
يأتونه ؟ قال « كانوا يخذفون أهل الطرق ويسخرون بهم » وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم
وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل خذفوه فأصيبهم أصابه كان أولى به ، وقيل
انه كانت يأخذ مامعه وينكحه وبقمره ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك . وقال القاسم بن محمد كانوا
يتضارطون في مجالسهم ، وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضاً في مجالسهم . وعن عبد الله بن سلام

وقال الامام أحمد حدثنا حماد بن أسامة أخبرني حاتم بن أبي صغيرة حدثنا سمالك بن حرب عن أبي صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (وتأتون في ناديكم المنكر) قال «مخطفون أهل الطريق ويسخرون منهم» وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه» ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة عن أبي يونس القشيري عن حاتم بن أبي صغيرة به . ثم قال الترمذي هذا حديث حسن لا نعرفه الا من حديث حاتم ابن أبي صغيرة عن سمالك .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن الحكم عن مجاهد (وتأتون في ناديكم المنكر) قال الصغير ولعب الحمام والجلاهيق والسؤال في المجلس وحل أزار القباء . وقوله تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال (رب انصرني على القوم المفسدين)

ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا

ظالمين (٣١) قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من

الغابرين (٣٢) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن

انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين (٣٣) انا منزلون على أهل هذه

القرية رجلا من السماء بما كانوا يفسقون (٣٤) ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون (٣٥)

لما استنصر لوط عليه السلام بالله عز وجل عليهم بعث الله لنصرة ملائكة فمروا على ابراهيم عليه السلام في

قال : كان يبرق بعضهم على بعض ، وعن مكحول قال : كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلق وتطريف الاصابم بالحناء ، وحل الازار والصغير والحذف والوطية (فما كان جواب قومه) لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح (الا أن قالوا) له استهزاء (ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال) لوط (رب انصرني على القوم المفسدين) بتحقيق قولي في العذاب

قوله (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) من الله سبحانه وبمقرب (قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية) يعني قوم لوط والقرية سدوم (ان أهلها كانوا ظالمين قال) ابراهيم للرسل

هيئة أضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى إبراهيم أنه لاهمة لهم إلى الطعام نكرهم وأوجس منهم خيفة فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هود والحجر فلما جاءت إبراهيم بالبشرى وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط أخذ يدافع عنهم بنظرون أهل الله أن يهديهم ، ولما قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية (قال ان فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) أي من المالكين لانها كانت تماثلهم على كفرهم وبقيهم وديرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شبان حسان فلما رأهم كذلك (سبيهم وضاق بهم ذرعا) أي اغتم بأمرهم إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه وإن لم يضيفهم خشي عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة (قالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الارض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم ، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيعد ، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتهة جعلهم عبرة إلى يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذابا يوم المعاد ، ولهذا قال تعالى (ولقد تركنا منها آية بيّنة) أي واضحة (لقوم يعقلون) كآل تعالى (وانكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون)

والى مدين أخاهم شعيبا ، فقال يقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا

في الأرض مفسدين (٣٦) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جثمين (٣٧)

(ان فيها لوطا قالوا) قالت الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد (وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا) ظن أنهم من الانس (مي بهم) حزن بهم (وضاق بهم) بمجيئهم (ذرعا وقالوا لا تخف) من قومك علينا (ولا تحزن) باهلاكنا إياهم (انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب منجوك بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد (انا منزلون) قرأ ابن عامر بالتشديد وقرأ الآخرون بالتخفيف (على أهل هذه القرية رجزا) عذابا (من السماء) قال مقاتل الخسف والحصب (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) من قريات لوط (آية بيّنة) عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البيّنة هي آثار منازلهم الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي أهلکوا بها أبقاها الله حتى أدرکها أوائل هذه الامة وقال مجاهد هي ظهور الماء الاسود على وجه الارض (والى مدين أخاهم شعيبا) أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا (فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام أنه أنذر قومه أهل مدين فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له وأن يخافوا بأس الله وتقمته وسطوته يوم القيامة فقال (يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) قال ابن جرير قال بعضهم معناه (اخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى (من كان يرجو الله واليوم الآخر) وقوله (ولا تعشوا في الارض مفسدين) نهم عن العيث في الارض بالفساد وهو السبي فيها والبغي على أهلها وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها، وعذاب يوم الظلة الذي أزحق الارواح من مستقرها انه كان عذاب يوم عظيم، وقد قدمت قصتهم مبسوبة في سورة الاعراف وهود والشعراء. وقوله (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال قتادة ميتين، وقال غيره قد أنقي بعضهم على بعض

وعادا وتمود وقد تبين لكم من مسكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وقرون وفرعون وهمن ولقد جاءهم موسى بالبينت فاستكبروا في الأرض وما كانوا سبقين (٣٩) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠)

يخبر تعالى عن هؤلاء الامم المكذبة لرسول كيف أبادهم وتنوع في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الاحقاف وهي قرية من حضر موت بلاد اليمن، وتمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريبا من وادي القرى. وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدا ونمر عليها كثيرا، وقارون صاحب الاموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة، وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره

أي واخشوا اليوم الآخر ﴿ولا تعشوا في الارض مفسدين﴾ فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ﴿وعادا وتمود﴾ أي وأهلكنا عادا وتمود ﴿وقد تبين لكم﴾ يا أهل مكة ﴿من مساكنهم﴾ منازلهم بالحجر واليمن ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدم﴾ عن السبيل ﴿عن سبيل الحق﴾ وكانوا مستبصرين ﴿قال مقاتل والكلبي﴾ وقتادة كانوا معجبين في دينهم وضلائلهم يحسبون أنهم على هدى وهم على الباطل والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين قال الفراء كانوا عقلاء ذوي بصائر وقارون وفرعون وهامان ﴿أي وأهلكنا هؤلاء﴾ ولقد جاءهم موسى بالبينات ﴿بالدلالات﴾ فاستكبروا في

هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله ﷺ (فكلما أخذنا بذنبه) أي كانت عقوبته بما يناسبه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم عاد وذلك أنهم قالوا من أشد منا قوة فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب جدا تحمل عليهم حصبا، الارض فتلقيها عليهم وتقتلهم من الارض قترفع الرجل منهم من الارض إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقهر (ومنهم من أخذته الصيحة) وهم نود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفطقت عنها الصخرة مثل ماسألوا سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم ونهتدوا نبي الله صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجوهم فجاءتهم صيحة أخذت الاصوات منهم والحركات (ومنهم من خسفنا به الارض) وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا وعصى الرب الاعلى ومشى في الارض مرحا وفرح ومرح وقاه بنفسه واعتقد أنه أفضل من غيره واختال في مشيته فخسف الله به وبداره الارض فهو يتجملجل فيها الى يوم القيامة (ومنهم من أغرقنا) وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صليحة واحدة فلم ينج منهم نجر (وما كان الله ليظلمهم) أي فيما فعل بهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب الف والنشر وهو أنه ذكر الامم المكذبة ثم قال (فكلما أخذنا بذنبه) أي من هؤلاء المذكورين وإنما نهت على هذا لانه قد روى ابن جريج قال : قال ابن عباس في قوله (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) قال قوم لوط (ومنهم من أغرقنا) قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس فان ابن جريج لم يدركه . ثم قد ذكر الله في هذه السورة اهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط بانزال الرجز من السماء وأطال السياق والفصل بين ذلك وبين هذا السياق ، وقال قتادة (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) قال قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) قوم شعيب وهذا بعيد أيضا لما تقدم والله أعلم

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن

البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء

وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثل نضربها للناس وما يعقلها الا العلماء (٤٣)

الارض وما كانوا سابقين) أي فائتين من عذابنا (فكلما أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قول لوط والحاصب الريح التي تحمل الحصى وهي الحصى الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني نود (ومنهم من خسفنا به الارض) يعني قارون واصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * مثل الذين اتخذوا من دون (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٥٠) (الجزء السادس)

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من ألتهم الا كن يتمسك ببيت العنكبوت فانه لا يجدي عنه شيئاً فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء . وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فانه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها ، ثم قال تعالى متوعداً لمن عبد غيره وأشرك به إنه تعالى يعلم ما هم عليه من الاعمال ويعلم ما يشركون به من الانداد وسيجزئهم وصفهم انه حكيم عليم ، ثم قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه

قال الامام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : عقلت عن رسول الله ﷺ ألف مثل . وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه حيث يقول الله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا ابن سنان عن عمرو بن مرة قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها الا أحزني لاني سمعت الله تعالى يقول (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) انل ما أوحى

الله أولياء ، أي الاصنام يرجون نصرها ونفعها ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ لنفسها تأوي اليه وان ييتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حراً ولا برداً فكذلك الاوثان لا تملك لعايديها نفعاً ولا ضرراً ﴿ وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ، وهو العزيز الحكيم ﴿ قرأ أهل البصرة وعاصم يدعون بالياء ، لذكر الامم قبلها وقرأ الآخرون بالياء ﴾ وتلك الامثال ﴿ الاشياء والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالاول . يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الامة بأحوال كفار الامم المتقدمة ﴾ نضربها ﴿ للناس ﴾ قال عطاء ومقاتل لكفار مكة ﴿ وما يعقلها الا العالمون ﴾ أي ما يعقل الامثال الا العلماء الذين يعقلون عن الله أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن ردة أنا الحارث ابن أبي أسامة أنا داود بن المحرر أنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء ، وأبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه

قوله عز وجل ﴿ خلق الله السموات والارض بالحق ﴾ أي بالحق واظهار الحق ﴿ ان في ذلك ﴾

اليك من الكتب وأقم الصلوة فإن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (٤٥)

يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه خلق السموات والأرض بالحق يعني لأعلى وجه العبث واللعب (لنجزى كل نفس بما تسعى - ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) وقوله تعالى (أن في ذلك لآية للمؤمنين) أي لدلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والالهية . ثم قال تعالى آمراً رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وإبلاغه للناس (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات أي مواظبتها بحمل على ترك ذلك ، وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعاً « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله إلا بعداً »

﴿ ذكر الآثار الواردة في ذلك ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون المحرمي الفلاس حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد حدثنا عمر بن أبي عثمان حدثنا الحسن بن عمران بن حصين قال سئل النبي ﷺ عن قول الله (أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قال « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له » وحدثنا

في خلفها ﴿ لا آية ﴾ لدلالة ﴿ للمؤمنين ﴾ على قدرته وتوحيده ﴿ اتل ما أوحى اليك من الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ الفحشاء ما قبح من الأعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدرجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً. وقال الحسن وقتادة من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه. وروي عن أنس قال كان فتى من الانصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبها فوصف لرسول الله ﷺ حاله فقال « إن صلاته تنهاه يوماً » فلم تلبث أن تاب وحسن حاله فقال رسول الله ﷺ « ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يوماً » وقال ابن عون معنى الآية أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر مادام فيها وقيل أراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى ولا نجهر بصلاتك أي بقراءتك وقيل أراد أنه يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رجل للنبي ﷺ أن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق قال « ستهلك قراءته » وفي رواية قيل يا رسول الله إن فلاناً يقرأ بالنهار ويسرق بالليل فقال « إن صلاته تردّه »

علي بن الحسين حدثنا يحيى بن أبي طلحة البربوعي حدثنا أبو معاوية عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً » رواه الطبراني من حديث أبي معاوية

وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن المسيب عن ذكره عن ابن عباس في قوله « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » قال فمن لم تأمره صلته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزد بصلته من الله إلا بعداً . فهذا موقوف . قال ابن جرير وحدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جوير عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال « لا صلاة لمن لم يطمع الصلاة » وطاعة الصلاة أن تنهه عن الفحشاء والمنكر . قال قال سفيان (قالوا يا شعيب أصلانك تأمرك) قال فقال سفيان إني والله تأمره وتنهه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن جوير عن الضحاك عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ وقال أبو خالد مرة عن عبد الله « لا صلاة لمن لم يطمع الصلاة وطاعة الصلاة تنهه عن الفحشاء والمنكر » والموقوف أصح كإرواه الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قيل لعبد الله ان فلاناً يطيل الصلاة قال ان الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها

وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا اسماعيل بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ « من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً » والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى أنبأنا جرير — يعني ابن عبد الحميد — عن الأعمش عن أبي صالح قال أراه عن جابر شك الأعمش قال قال رجل للنبي ﷺ ان فلاناً يصلي

قوله عز وجل « ولذكر الله أكبر » أي ذكر الله أفضل الطاعات . أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري أنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشران ببغداد أنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا أنا هارون بن معروف أنا أبو علي الضرير أنا أنس ابن عياض ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس عن أبي مخزومة عن أبي الدرداء رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى قال — ذكر الله —

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الاسود أنا ابن طبيعة عن دراج عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة قال

بالليل فاذا أصبح سرق . قال « سينها ما تقول » وحدثنا محمد بن موسى الجرجاني أخبرنا زياد بن عبد الله عن الاعمش عن أبي صالح عن جابر عن النبي ﷺ بنحوه ولم يشك ثم قال : وهذا الحديث قد رواه عن الاعمش غير واحد واختلفوا في اسناده فرواه غير واحد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو غيره وقال قيس عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال ابن جرير وزباد عن عبد الله عن الاعمش عن أبي صالح عن جابر

وقال الامام أحمد حدثنا وكيم أخبرنا الاعمش قال أرى أبا صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال إن فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال « انه سينها ما تقول »

وتشتمل الصلاة أيضاً على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر ولهذا قال تعالى (ولذكر الله أكبر) أي أعظم من الأول (والله يعلم ما تصنعون) أي يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم . وقال أبو العالية في قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) قال ان الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة الاخلاص والخشية وذكر الله ، فالخلاص يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه ، وقال ابن عون الانصاري اذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حيزتلك عن الفحشاء والمنكر والقي أنت فيه من ذكر الله أكبر

وقال حماد بن أبي سليمان (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) يعني ما دمت فيها ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) يقول ولذكر الله لعباده أكبر اذا ذكره من ذكرهم إياه وكذا روى غير واحد عن ابن عباس وبه قال مجاهد وغيره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس (ولذكر الله أكبر) قال ذكر الله عند طعامك وعند سنامك ، قلت فإن صاحباً لي في

« التذكرون الله كثيراً والذاكرات » قيل يا رسول الله والغاي في سبيل الله ؟ قال « لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً فإن التذكر لله أفضل منه درجة » وروينا ان اعراياً قال يا رسول الله اي الاعمال أفضل ؟ قال « ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله » أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج القشيري أنا أمية بن بسطام العبسي أنا يزيد بن زريع أنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فر على جبل يقال له جمدان فقال « سبروا هذا جمدان سبق المفردون » قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟ قال « التذكرون الله كثيراً والذاكرات »

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا خلاد بن أسلم ثنا النضر أنا شعبة عن

المنزل يقول غير الذي تقول ، قال وأي شيء يقول ؟ قلت قال يقول الله تعالى (فاذكروني أذكركم)
فلذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه ، قال صدق . قال وحدثنا أبي حدثنا النخعي حدثنا اسماعيل عن
خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) قال لها وجهان قال ذكر الله عند
ما حرمه قال وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه

وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن
ربيعة قال قال لي ابن عباس هل تدري ما قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) ؟ قلت نعم قال فهاهو ؟
قلت التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك ، قال لقد قلت قولاً عجيباً وما
هو كذلك ولكنه إنما يقول ذكر الله إياكم عند ما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم
إياه ، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وروى أيضاً عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان
الفارسي وغيرهم واختاره ابن جرير

ولا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا

بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦)

قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة بآية السيف ولم يبق معهم مجادلة وإنما هو الاسلام
أو الجزية أو السيف . وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين فيجادل
بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه كما قال تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية
وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون (فقولاً له قولاً إنا لعله يتذكر أو يخشى) وهذا
القول اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد
وقوله تعالى (إلا الذين ظلموا منهم) أي حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح الحق وعاندوا

أبي اسحاق قال : سمعت الأغر قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله
ﷺ قال « لا يقعد قوم يذكرون الله الاحفتم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده » وقال قوم معنى قوله (ولذكر الله أكبر) أي ذكر الله إياكم أفضل من
ذكركم إياه وبروي ذلك عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وبروي ذلك
مرفوعاً عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ وقال ابن عطاء في قوله (ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) قال ولذكر الله أكبر من ان تبقى معه معصية (والله
يعلم ما تصنعون) قال عطاء يريد لا يخفى عليه شيء

قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب » لا تخصموم « إلا بالتي هي أحسن » أي بالقرآن
والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه وأراد من قبل الجزية منهم « إلا الذين ظلموا منهم »

وكابروا حينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلال ويقانون بما يمنهم ويردعهم قال الله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد - إلى قوله - ان الله قوي عزيز) قال جابر : أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف قال مجاهد (الا الذين ظلموا منهم) يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية

وقوله تعالى (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) يعني اذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا تقدم على تكذيبه لانه قد يكون حقا ولا تصديقه فلهذا أن يكون باطلا ولكن نؤمن به ايمانا محلا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لا مبدلا ولا مؤولا . قال البخاري رحمه الله حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » وهذا الحديث تفرد به البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا عثمان بن عمرو أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني ابن أبي عملة الانصاري أخبره انه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنابة فقال رسول الله ﷺ « الله أعلم » قال اليهودي أنا أشهد انها تتكلم فقال رسول الله ﷺ « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم تصدقوهم » (قلت) وأبو عملة هذا هو عمارة وقيل عمار وقيل عمرو بن معاذ بن زرارة الانصاري رضي الله عنه . ثم ليعلم ان أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان لانه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحا

أى أبوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم بالسيف حتى يسلوا أو يعطوا الجزية . ومجاز الآية إلا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر . وقال سعيد بن جبير هم أهل الحرب ومن لا عهد له قال قتادة ومقاتل صارت منسوخة بقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) يريد اذا أخبركم واحد منهم من قبل الجزية بشي مما في كتبهم فلا تجادلوهم عليه ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) (وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن يسار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم »

قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عاصم أخبرنا سفيان عن سليمان بن عامر عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، أما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه نالفة تدعوه إلى دينه كماله المال

وقال البخاري حدثنا مومي بن سليمان حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرنا ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث تقرأونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم

وقال البخاري وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحمري فقال إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب (قلت) معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كذه الامة العظيمة ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الامة لا يعلمها إلا الله عز وجل ومن منحه الله تعالى علماً بذلك كل بحسبه والله الحمد والمنة

وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيتهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآيتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطئه يمينك إذ لا تراتب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآيتنا إلا الظالمون (٤٩)

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق بن إبراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أنا ابن أبي عملة الانصاري أن أباه أبا عملة أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاء رجل من اليهود ومعه بجنابة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنابة ؟ فقال رسول الله ﷺ « الله أعلم ؟ » فقال اليهودي إنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ « ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان باطلا لم تصدقوه وإن كان حقاً لم تكذبوه »
قوله تعالى ﴿ وكذلك ﴾ يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب ﴿ أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم

قال ابن جرير يقول الله تعالى كما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب ، وهذا الذي قاله حسن ومناسبه وارتباطه جيد . وقوله تعالى (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) أي الذين أخذوه فتلوه حق تلاوته من أخبارهم العلماء الأذكياء كهبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما

وقوله تعالى (ومن هؤلاء من يؤمن به) يعني العرب من قريش وغيرهم (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) أي ما يكذب بهاديجحد حقها إلا من يسخر الحق بالباطل ، ويفضي ضوء الشمس بالوصائل وهيات . ثم قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك) أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب . وهكذا صفة في الكتب المتقدمة كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) الآية وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرأ ولا حرفاً بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم . ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . فانما حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : ثم أخذ فكتب . وهذه محمولة على الرواية الأخرى : ثم أمر فكتب . ولهذا اشد التكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال يقول الباجي وتبروا منه وأنشدوا في ذلك أقوالاً وخطبوا به في محافلهم ، وإنما أراد الرجل — أعني الباجي — فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة لا أنه كان يحسن الكتابة كما قال ﷺ أخباراً عن الدجال « مكتوب بين عينيه كافر » وفي رواية « ك فر يقرؤها كل مؤمن » وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمض ﷺ حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له ، قال الله تعالى (وما كنت تتلو) أي تقرأ (من قبله من كتاب) لتأكيد النفي (ولا تخطه يمينك) تأكيد أيضاً وخرج مخرج الغالب كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه)

وقوله تعالى (إذا لارتاب المبطلون) أي لو كنت نحسبها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول

الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به) وهم مؤمنوا أهل مكة (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحدوا ، وقال قتادة الجحد إنما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلو) يا محمد (من قبله من كتاب) يعني من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب (ولا تخطه يمينك) يعني ولا تكتبه يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي (إذا لارتاب المبطلون) يعني لو

انما تعلم هذا من كتب قبله مأثورة عن الانبياء مع انهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة [وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي تملأ عليه بكرة وأصيلا] قال الله تعالى [قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض] الآية وقال ههنا [بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم] أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً يحفظه العلماء بسره الله عليهم حفظاً وتلاوة وتفسيراً كما قال تعالى (ولقد بسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال رسول الله ﷺ « مامن نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر . وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » وفي حديث عياض بن حماد في صحيح مسلم يقول الله تعالى « أني مبتليكم ومبتل بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظاناً » أي لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل لأنه قد جاء في الحديث الآخر « لو كان القرآن في اهاب ما أحرقته النار » ولأنه محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة مهيم على القلوب معجز افظاً ومعنى ولهذا جاء في صفة هذه الامة أناجيلهم في صدورهم . واختار ابن جرير ان المعنى في قوله تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً ولا تحطه بيمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . ونقله عن قتادة وابن جريج وحكي الاول عن الحسن البصري فقط ، قلت وهو الذي رواه العوفي عن ابن عباس وقاله الضحاك وهو الاظهر والله أعلم

وقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) أي ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها الا الظالمون أي المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويجحدون عنه كما قال تعالى [ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم]

وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠)

أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١)

كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة وقالوا انه يقرؤه من كتب الاولين وينسخه منها قاله قتادة وقال مقاتل المبطلون هم اليهود . ومعناه اذا لشكوا فيك واتهموك وقالوا ان الذي نجد نعتة في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت « بل هو آيات بينات » قال الحسن يعني القرآن آيات بينات « في صدور الذين أوتوا العلم » يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتلة بل هو يعني محمداً ﷺ ذوات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجحدونه بنعته وصفته في كتبهم « وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه « كما أنزل على الانبياء من قبل قرأ ابن كثير وحمة

قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض ، والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخسرون (٥٢)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعذّبهم وطلبهم آيات بعثون نوحدهم الى أن محمداً رسول الله كما أن صالح بنافته قال الله تعالى قل يا محمد (إنما الآيات عند الله) أي إنما أمر ذلك إلى الله فإنه لو علم انكم تهتدون لا جابكم الى سؤالكم لأن هذا سهل عليه يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم انكم اما قصدتم التعت والامتحان فلا يجيبكم الى ذلك كما قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون * وآتينا نوحاً الناقة مبصرة فظلموا بها) وقوله (وانما أنا نذير مبين) أي انما بعثت نذيراً لكم بين النذارة فعلي أن أبلغكم رسالة الله تعالى (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وقال تعالى (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء)

ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات نزلهم على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم ، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة اذ عجزت الفصحاح والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله بل عن معارضة سورة منه . فقال تعالى (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أي أولم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبأ ما بعدهم وحكم ما بينهم وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ولم نخالط أحداً من أهل الكتاب فجتهم بأخبار ما في الصحف الاولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي كما قال تعالى (أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني إسرائيل) وقال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) وقال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من الانبياء من نبي الا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » أخرجه من حديث الليث . وقد قال الله تعالى (ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) أي ان

والكسائي وابو بكر آية على التوحيد وقرأ الآخرون آيات من ربه

قوله عز وجل (قل إنما الآيات عند الله) وهو القادر على إرسالها اذا شاء أرسلها (وانما أنا نذير مبين) أنذر أهل المعصية بالنار وليس إنزال الآيات بيدي (أو لم يكفهم) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أولم يكفهم (أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) يعني أولم يكفهم من الآيات القرآن يتلى عليهم (ان في ذلك) في انزال القرآن (لرحمة وذكري لقوم يؤمنون)

في هذا القرآن لرحمة أي بياناً للحق وإزاحة للباطل وذكري بما فيه حلول النقات ونزول العقاب
بالمكذبين والعاصين لقوم يؤمنون

ثم قال تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) أي هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب
ويعلم ما أقول لكم من اخباري عنه بأنه أرسلني فلو كنت كاذبا عليه لا تنقم مني كما قال تعالى (ولو
تقول علينا بعض الافاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين)
وانما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات (يعلم
ما في السموات والارض) أي لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم
الخاسرون) أي يوم القيامة سيجزيهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا في تكذيبهم بالحق وانباءهم
الباطل كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم وآمنوا بالطواغيت والاثاث بلا دليل
فسيجزيهم على ذلك انه حكيم عليم

ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بفتنة وهم لا يشعرون

(٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) يوم يغشاهم العذاب من فوقهم

ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥)

يقول تعالى مخبراً عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم وبأس الله أن يحل
عليهم كما قال تعالى (واذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء
أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ههنا (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب) أي لولا
ما حتم الله من تأخير العذاب الى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريباً سريعاً كما استعجلوه ثم قال
(وليأتينهم بفتنة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين

أي تذكيراً وعظة لمن آمن وعمل به ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ﴾ أي رسوله وهذا القرآن
كتابه ﴿ يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل ﴾ قال ابن عباس بغير الله وقال
قتادة بعبادة الشيطان ﴿ وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾ ويستعجلونك بالعذاب ﴿ نزلت في
النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ ولولا أجل مسمى ﴿ قال ابن عباس
ما وعدتكم أني لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم يعني لانهم اذا ماتوا صاروا الى
العذاب وقيل يوم بدر ﴾ لجاءهم العذاب وليأتينهم ﴿ يعني العذاب وقيل الاجل ﴾ بفتنة وهم لا
يشعرون ﴿ بإتيانه ﴾ يستعجلونك بالعذاب ﴿ اعاده ناكدا ﴾ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿ جامعة

أي يستعجلون العذاب وهو واقع بهم لا محالة قال شعبة عن سماك عن عكرمة قال في قوله (وان جهنم المحيطة بالكافرين) قال البحر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عمر بن اسماعيل بن مجاهد حدثنا أبي عن مجاهد عن الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول (وان جهنم المحيطة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنثر السكاكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم

وقال الامام احمد حدثنا ابو عاصم أخبرنا عبدالله بن أمية حدثني محمد بن حبي أخبرني صفوان ابن يعلى عن أبيه ان النبي ﷺ قال « البحر هو جهنم » قالوا ليعلى فقال : ألا ترون أن الله تعالى يقول (ناراً أحاط بهم سرادقها) قال لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى. هذا تفسير غريب وحديث غريب جداً والله أعلم ثم قال عز وجل (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) وقال تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) وقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) الآية فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب الحسي

وقوله تعالى (ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) تهديد وتقريع وتوبيخ وهذا عذاب معنوي على النفوس كقوله تعالى (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر) وقال تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعاء هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسخر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا نصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

يعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإني فاعبدون (٥٦) كل نفس ذائقة الموت ثم

إلينا ترجعون (٥٧) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبوئتهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار

خلدين فيها نعم أجر العاملين (٥٨) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٥٩) وكأين من دابة

لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم (٦٠)

لهم لا يبقى احد منهم الا دخلها « يوم يغشاهم » يصيبهم « العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم » يعني اذا غشاهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) ويقول ذوقوا « قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء أي ويقول لهم الموكل بعذابهم ذوقوا وقرأ الآخرون بالنون لأنه لما كان بأمره نسب اليه « ما كنتم تعملون » أي جزاء ما كنتم تعملون « يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون » قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة

هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدر فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين بأن يوحّدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ولهذا قال تعالى [يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإني فاعبدون]

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبدربه حدثنا ببيعة بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثني أبو سعد الانصاري عن أبي بحر مولى الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ « البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيراً فأقم » ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليؤمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير الميزان هناك أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى فأوهم وأبدىهم بنصره وجعلهم سيوما ببلادهم ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ والصعابة الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة ثم قال تعالى [كل نفس ذائقة الموت ثم اليأس ترجعون] أي أينما كنتم يدر ككم الموت فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير لكم فإن الموت لا بد منه ولا محيد عنه ثم إلى الله المرجع والمآب فمن كان مطيعاً له جازاه أفضل الجزاء ووافاه أتم الثواب ولهذا قال تعالى [والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتنهم من الجنة غرافاً تجري من تحتها الأنهار] أي لنسكنهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء وخمر وعسل ولبن يصرفونها ويحرقونها حيث شاؤوا [خالدون فيها] أي ما كثر فيها أبداً لا يغيون عنها حولا [نعم أجر العاملين] نعمت هذه الغرف أجر على أعمال المؤمنين [الذين صبروا] أي على دينهم وهاجروا إلى الله وناذبوا الأعداء وفارقوا الأهل والأقرباء ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده وتصديق مواعده

يقول إن كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة ان أرضي يعني المدينة واسعة آمنة. قال مجاهد ان أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير اذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة وقال عطاء اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة. وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر إلى حيث تنهأ له العبادة وقيل لست في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج. وقال مطرف بن عبد الله أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ خوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة أي كل واحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿ ثم اليأس ترجعون ﴾ فنجزىكم بأعمالكم وقرأ أبو بكر يرجعون بالياء. ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوتنهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء ساكنة من غير همز يقال ثوى الرجل اذا أقام وأثويته اذا أنزلته منزلاً يقيم فيه وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أي لنزلنهم ﴿ من الجنة غرافاً ﴾ علالي ﴿ تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها نعم أجر العاملين ﴾ الذين صبروا ﴿ على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدّة

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية ابن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الاسود حدثني ابو معاوية الاشعري أن أبا مالك الاشعري حدثه أن رسول الله ﷺ حدثه أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام ، ونايع الصلاة والصيام ، وقام بالليل والناس نيام (وعلى ربهم يتوكلون) في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم . ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الاقطار والامصار ولهذا قال تعالى [وكأين من دابة لا تحمل رزقها] أي لا تطبق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئاً لقد الله [يرزقها وإياكم] أي الله يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث الى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الارض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء . قال تعالى [وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هارون حدثنا الجراح بن منهال الجزري - هو ابو العطوف - عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي يا ابن عمر : مالك لأنا كل ؟ قال قلت لا أشتهي به يا رسول الله قال « اكني أشتهي وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ، فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت

لحقتهم » وعلى ربهم يتوكلون » يعتمدون » وكأين من دابة لا تحمل رزقها » وذلك ان النبي ﷺ قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون : هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فن يطعمنا بها ويسقينا ؟ فانزل الله (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وكأين وكمن من دابة ذات حاجة الى غدا . لا تحمل رزقها اي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئاً لقد مثل البهائم والطير » الله يرزقها وإياكم » حيث كنتم » وهو السميع العليم » السميع لا قوالكم لا نجد ما تنفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم وقال سفيان عن علي بن الارقم (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) قال لا تدخر شيئاً لقد قال سفيان ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنملة

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي انا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني ابو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي انا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق انا محمد بن عبد العزيز انا اسمعيل بن زرارة الرقي انا ابو العطوف الجراح بن المنهال عن الزهري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ حائطا من حوائط الانصار فجعل رسول الله ﷺ يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال « كل يا ابن عمر » قلت لا أشتهي به يا رسول الله قال « لكنني أشتهي وهذه صبح رابعة منذ لم أطمع طعاما ولم أجده »

في قوم يخشون رزق سنتهم بضعف اليقين ؟ » قال فوالله ما يرحنا ولا أرمنا حتى نزلت [وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم] فقال رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز ديناه يريد بها حياة باقية فان الحياة بيد الله ، ألا واني لا أكنز ديناراً ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد » هذا حديث غريب وابل العطوف الجزري ضعيف وقد ذكروا ان الغراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش فيظل الفرخ فأنحأ فاه يتفقد أبوه فيقبض الله تعالى طير أصغارا كالبرغش فيغشاه فيتقوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه والابوان يتفقدانه كل وقت فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفوا عليه بالحنانة والرزق ولهذا قال الشاعر

بارازق النعاب في عشه وجابر العظم السكير المبيض

وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الاوامر كقول النبي ﷺ « سافروا تصحروا ورزقوا »

قال البيهقي أخبرنا املاء ابو الحسن علي بن احمد بن عبدان أخبرنا احمد بن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني محمد بن سنان أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن زداد شيخ من أهل المدينة حدثنا عبد الله ابن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا تصحروا وتغنموا » قال ورويناه عن ابن عباس ، وقال الامام احمد حدثنا قبيصة أخبرنا ابن لهيعة عن دراج عن عبد الرحمن بن حبيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « سافروا ترحبوا وصوموا تصحوا ، واغزوا تغنموا » وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا وعن معاذ بن جبل موقوفا ، وفي لفظ « سافروا مع

فقلت انا لله الله المستعان قال « يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقبصر اضا فامضاعفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر اذا عمرت وقيت في حثالة من الناس يخشون رزق سنة ويضعف اليقين » فنزلت هذه الآية (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أخبرنا عبد الواحد المليحي انا ابو محمد الحسين بن احمد المحلدي انا ابو العباس السراج انا قتيبة بن سعيد انا جعفر بن سليمان عن عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ كان لا يدخر شيئا لغد. وروينا ان النبي ﷺ قال « لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصا وتروح بطانا » أخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري انا ابو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه انا ابو نصر بن حمدونة المطوعي انا ابو الموجه محمد بن عمرو أنا عبدان عن أبي حمزة عن اسمعيل هو ابن ابي خالد عن رجلين احدهما زيد الياحي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ انه قال « ايها الناس ليس من شيء يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد امرنكم به ، وليس شيء يقربكم الى النار ويباعدكم عن الجنة الا وقد نهيتكم عنه ، وان الروح الامين قد نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها ، فانفقوا الله واجعلوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته » وقال

(سورة العنكبوت ٢٩ جز ٢١) اعتراف الكفار بان الله خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ٤٠٩

ذوي الجد والميسرة قال ورويناه عن ابن عباس وقوله (وهو السميع العليم) أي السميع لاقوال عباده العليم بمحركاتهم وسكناتهم

ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى

يؤفكون (٦١) الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم (٦٢)

ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (٦٣)

يقول تعالى مقررأ أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والارض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار ، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم ، واختلافها واختلاف أرزاقهم ، فغاوت بينهم فهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر ، فذكر أنه المستقل بخلق الاشياء المنفرد بتدبيرها ، فإذا كان الامر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل على غيره ؟ فكما انه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيراً ما يقرر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية ، وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما لك

وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا

يعلمون (٦٤) فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم الى البر اذا هم

يشركون (٦٥) ليكفروا بما آتيتهم وليتمتعوا فسوف يعلمون (٦٦)

هشيم عن اسمعيل عن زبيدة عن أخبره عن ابن م-هود قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم ﴾ يعني كفار مكة ﴿ من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ * الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم * ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله ﴾ على أن الفاعل لهذه الاشياء هو الله ﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة عليهم بل أكثرهم لا يعقلون يتكرون التوحيد مع اقرارهم ان الخالق لهذه الاشياء هو الله ﴿ وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ﴾ الله هو الاستمتاع

٤٩٥ كون الحياة الدنيا لعب ولهو والآخرة هي الحياة الدائمة (تفسير ابن كثير والبغوي)

يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها ، وأنها لا دوام لها ورغبة ما فيها لهو ولعب وان الدار الآخرة هي الحيوان أي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال له ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد . وقوله تعالى (لو كانوا يعلمون) أي لا تروا ما يبقى على ما يفنى ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له فهلا يكون هذا منهم دائماً (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كقوله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر اعرضتم) الآية وقال ههنا (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وقد ذكر محمد ابن اسحاق عن عكرمة بن أبي جهل انه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب فأرا منها فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال أهلها يا قوم اخلصوا ربكم الدعاء فانه لا ينجي ههنا إلا هو فقال عكرمة والله لئن كان لا ينجي في البحر غيره فانه لا ينجي في البر أيضاً غيره اللهم لك علي عهد لئن خرجت لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلا أجدهن ووفارحياً فكان كذلك وقوله تعالى (ليكفروا بما آتيناهم وليمتنعوا) هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول لام العاقبة لانهم لا يقصدون ذلك ولا شك انها كذلك بالنسبة إليهم وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه إياهم لذلك فهي لام التعليل ، وقد قدمنا تقرير ذلك في قوله (ليكون لهم عدوا وحزناً)

أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة

الله يكفرون ؟ (٦٧) ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في

بلذات الدنيا واللعب العبث سميت بهما لأنها فانية ﴿ وان الدار الآخرة هي الحيوان ﴾ أي الحياة الدائمة الباقية والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ فناء الدنيا وبقاء الآخرة قوله تعالى ﴿ فإذا ركبوا في الفلك ﴾ وخافوا الفرق ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ وتركوا الاصنام ﴿ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ هذا اخبار عن عنادهم وأنهم عند الشدائد يقولون ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فإذا زالت عادوا إلى كفرهم قال عكرمة كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فإذا اشتدت بهم الريح أقوهوا في البحر وقالوا يارب يارب ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ هذه لام الامر ومعناه التهديد والوعيد كقوله (اعملوا ما شئتم) أي ليحسدوا نعمة الله في أنجاهم إياهم ﴿ وليمتنعوا ﴾ قرأ حمزة والكسائي ساكنة اللام وقرأ الباقون بكسر ها نسقا على قوله ليكفروا ﴿ فسوف يعلمون ﴾ وقيل من كسر اللام جعلها لام كي وكذلك في ليكفروا . والمعنى لا فائدة لهم في الاشرار إلا الكفر والتمتم بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً

جهنم مثوى للكافرين؟ (٦٨) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين (٦٩)

يقول تعالى ممثلاً على قريش فيما أحلهم من حرمة الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمناً فهم في أمن عظيم والاعراب حوله ينهب بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً كما قال تعالى (لا يلاف قريش) إلى آخر السورة. وقوله تعالى [أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون] أي أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به وعبدوا معه غيره من الأصنام والانداد [وبدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار] فكفروا بنبي الله وعبدوا ورسوله فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله وأن لا يشركوا به وتصدق الرسول وتوحيده، فكذبوه فقاتلوه فأخرجوه من بين أظهرهم ولهذا سلبهم الله تعالى ما كان أنعم به عليهم وقتل من قتل منهم يدرثم صارت الدولة لله ورسوله وللمؤمنين ففتح الله على رسوله مكة وأرغم أنفهم وأذل رقابهم، ثم قال تعالى [ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه] أي لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله، وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه فالاول مفتر والثاني مكذب ولهذا قال تعالى [أليس في جهنم مثوى للكافرين] ثم قال تعالى [والذين جاهدوا فينا] يعني الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين [لنهديهم سبلنا] أي لنبصرهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري أخبرنا عباس الهمداني أبو أحمد من أهل عكا في قول الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) قال الذين يعملون بما يعلمون بهديهم الله لما لا يعلمون. قال أحمد بن أبي الحواري فحدثت به أبا سليمان يعني الداراني فأعجبه

ويتخطف الناس من حولهم يعني العرب بسبي بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون (أفبالباطل) بالأصنام والشيطان (يؤمنون وبنعمة الله) بمحمد والاسلام (يكفرون) ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً (كذباً) فزعم أن الله شريكاً وأنه أمر بالفواحش (أو كذب بالحق) بمحمد ﷺ والقرآن (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) استفهام بمعنى التقرير معناه أما هذا الكافر المكذب ماوى في جهنم (والذين جاهدوا فينا) الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا (لنهديهم سبلنا) لنثبتهم على ما قاتلوا عليه وقبل لنزيدهم هدى كما قال (وزيد الله الذين اهتدوا هدى) وقيل لنوفقهم لا صابة الطريق المستقيمة وهي التي يتوصل بها إلى رضا الله عز وجل. قال سفيان بن عيينة إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور. والثغور موضع الخفاة في بروج البلدان فإن الله قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقيل المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن أفضل الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به. وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في إقامة

وقال ليس ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر ، فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله حتى وافق ما في قلبه

وقوله (وإن الله لمع المحسنين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري حدثنا أبو جعفر الرازي عن المغيرة عن الشعبي قال : قال عيسى بن مريم إنما الأحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الأحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك . والله أعلم ﴿ آخر تفسير سورة العنكبوت والله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الروم وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦) يعلمون ظهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧)

نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى ألقاه إلى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي

السنة لتهديهم سبل الجنة وروي عن ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لتهديهم سبل ثوابنا (٨) وإن الله لمع المحسنين ﴿ بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقابهم

﴿ سورة الروم مكية وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم * غلبت الروم في أدنى الأرض ﴾ سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن أهل فارس كانوا مجوساً أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشاً إلى الروم

وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألم * غلبت الروم في أدنى الارض) قل غلبت وغلبت ، قال كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب، فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أما انهم سيفعلون » فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال « لا جعلنا إلى دون أراه قال - لعشر » قال سعيد بن جبير البضع مادن العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله [ألم * غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفعلون - الى قوله - وهو العزيز الرحيم] هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحاق الفزاري عن سفيان الثوري به . وقال الترمذي حديث حسن غريب أما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب . ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن معاوية بن عمرو به . ورواه ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن سعيد أو سعيد النخعي الذي يقال له أبو سعد من أهل طرسوس حدثنا أبو اسحاق الفزاري فذكره ، وعندهم قال سفيان فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر

(حديث آخر) قال ساجان بن مهران الاعشى عن مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله خمس قد مضين : الدخان ، والازام ، والبطشة ، والقمر ، والروم . أخرجه . وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيم حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر - هو الشعبي - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم فلما نزلت (ألم * غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين) قالوا يا أبا بكر ان صاحبك يقول ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين ، قال صدق قالوا هل لك أن تقامرك فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين فحضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين فذكر

واستعمل عليه رجلا يقال له شهر راز ، وبعث قيصر جيشا عليهم رجلا يدعى يحتمس فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم فباغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الروم وانكم ان قائلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآية . فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لنظهرن الروم على فارس على ما اخبرتنا بذلك نبينا . فقام إليه ابي بن خلف الجحفي فقال كذبت فقال

ذلك لاني ﷺ فقال « ما بضع سنين عندكم ؟ » قالوا دون العشر قال « اذهب فزايدهم وازدد سنين في الاجل » قال فما مضت السنن حتى جادت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى [الم غلبت الروم - الى قوله تعالى - وعد الله لا يخلف الله وعده]

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا مؤمل عن امراة عن أبي اسحاق عن البراء قال : لما نزلت (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون) قال المشركون لاني بكر ألا ترى الى ما يقول صاحبك يزعم ان الروم تغلب فارس قل صدق صاحبي قالوا هل لك أن نخاطرك فجعل يئنه وبينهم أجلا فل الاجل قبل أن تغلب الروم فارم فبلغ ذلك النبي ﷺ وساء ذلك وكرهه وقال لاني بكر « ما دعاك الى هذا ؟ » قال تصديق الله ولرسوله قال « تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله الى بضع سنين » فأنهم أبا بكر فقال هل لكم في العود فان العود أحمد ؟ قالوا نعم ، فلم تمض تلك السنين حتى غلبت الروم فارس ووربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية ، فجاء أبو بكر الى النبي ﷺ فقال هذا السمحت قال « تصديق به »

(حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا اسماعيل بن أبي أويس أخبرني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الاسلمي قال : لما نزلت (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين) فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم وايامهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى (يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم وايامهم ليسوا بأهل كتاب ولا ايمان يبعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصبح في نواحي مكة (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون في بضع سنين) فقال ناس من قريش لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان ، فارتعن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لاني بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فمم بيننا وبينك وسطا ننهي اليه قالوا فسموا بينهم ست سنين قال فمضت ست السنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر

أنت أكذب باعدوا الله فقال اجعل بيننا أجلا أنا حيك عليه - والمناجبة المراهنة - على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر رضي الله عنه الى النبي ﷺ فاخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فقال النبي ﷺ « ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل » خرج أبو بكر ولقي أيما فقال لعلك ندمت قال لا فتعال أزايدك في الخطر وامادك في الاجل فاجعل بمائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين

فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين قال لان الله يقول في بضع سنين قال فاسلم عند ذلك نام كثير . هكذا ساقه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وقد روي نحو هذا مرسل عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهري وغيرهم

ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الامام سنيد بن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن عكرمة قال : كان في فارس امرأة لاند إلا الملوك الا بطل فدعاها كسرى فقال اني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليه رجلاً من بنيك فأشيرني علي أيهم أستعمل ؟ فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب وأحذر من صقر ، وهذا فرخان وهو أفد من سنان ، وهذا شهربراز وهو أحلم من كذا تعني أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت ، قال فاني استمات المليم فاستعمل شهربراز فسار إلى الروم بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم ، قال أبو بكر ابن عبد الله فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أمارأيت بلاد الشام ؟ قلت لا ، قال أما انك لو رأيته لرأيت المدن التي خربت والزيتون الذي قطع فأنيت الشام بعد ذلك فرأيته

قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمر أن قيصراً بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهربراز فالتقيّا بين أذرعات وبصرى وهي أدنى الشام اليكم فالتقت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون ، قال عكرمة : ولقي المشركون أصحاب النبي ﷺ وقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب وانكم إن قائلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الارض — الى قوله — ينصر من يشاء) فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الله الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام اليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل ، فقال له أبو بكر أنت أكذب يا عدو الله فقال أنا حبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر الى النبي ﷺ فأخبره فقال « ما هكذا ذكرت إنما

قال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقيم لي كفيلاً فسكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر . فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه فقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً فاعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله ﷺ حين بارزه ، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناجبتهم وقبل كان يوم يدر . قال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناجبة بين أهل مكة وفيها صاحب قارهم أبي بن خلف وبين المسلمين وفيها صاحب

البضع ما بين الثلاث إلى النسع « فزايده في الخطر وماده في الاجل » فخرج أبو بكر فلقني أيما فقال لملك
ندمت ؟ فقال لا ، تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين قال
قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون .

قال عكرمة لما أن ظهرت فارس على الروم جالس فرخان يشرب وهو أخو شهربراز فقال لأصحابه
لقد رأيت كأنني جالس على سربر كسرى فبلغت كسرى فكتب كسرى إلى شهربراز اذا أتاك كتابي
فابعث إلي برأس فرخان فكتب اليه شهربراز أيها الملك انك ان تجد مثل فرخان له نكابة وصوت
في العدو فلا تفعل . فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فعجل إلي برأسه . فراجعهم فغضب كسرى
فلم يجبه وبعث برأساً إلى أهل فارس إني قد نزع عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم رفع إلى
البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال اذا ولي فرخان الملك وانتقاد له أخوه فأعطاه هذه ، فلما قرأ شهربراز
الكتاب قال سمعاً وطاعة ونزل عن سريره وجلس عليه فرخان ورفع اليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها
قال اثنتوني بشهربراز وقدمه ليضرب عنقه فقال شهربراز لا تعجل حتى أكتب وصيتي ، قال نعم فدعا
بالسيف فأعطاه الصحائف فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد
فرد الملك إلى أخيه شهربراز وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم إن لي اليك حاجة لأنحملها البرد
ولا تحملها الصحف فالقني ولا تلقني إلا في خمسين رومياً فاني لألقاك إلا في خمسين فارسياً . فأقبل
قيصر في خمسمائة رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به
حتى أتاه عيونه بأنه ليس معه الا خمسون رجلاً ، ثم بسط لهما والتميا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل
واحد منهما سكين فدعيا ترجمانا بينهما فقال شهربراز ان الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا
وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد ان أقتل أخي فأيتت ثم أمر أخي أن يقتلني فقد خلعتنا جميعاً
فنحن نقاتله معك . قال قد أصبنا ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فاذا جاوزاثنين فشا
قال أجل فنقلنا الترجمان جميعاً بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم
الحدبية ففرح والمسلمون معه . فهذا سياق غريب وبناء عجيب . ولنتكلم على كلمات هذه الآيات
الكريمات فقوله تعالى (الم * غلبت الروم) تد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السورة في

قارهم أبو بكر وذلك قبل تحريم الفهار حتى غلبت الروم فارس ووربطوا خيولهم بالمدان وبنوا الرومية ففهم
أبو بكر أيما وأخذ مال الخطر من ورثته فجاء به بحمله إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « تصدق به »
وكان سبب غلبة الروم فارس على ما قال عكرمة وغيره ان شهربراز بعد ما غلبت الروم لم يزل يطوهم ويخرب
مدائنهم حتى بلغ الخليج ، فبينما أخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه لقد رأيت كأنني جالس
على سربر كسرى فبلغت كسرى فكتب كسرى إلى شهربراز اذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان فكتب
اليه أيها الملك انك ان تجد مثل فرخان ان له نكابة وصوت في العدو فلا تفعل البتة . فكتب اليه ان في رجال

أول سورة البقرة ، وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم بنو الاصفر وكانوا على دين اليونان ، واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون السكواكب السيارة السبعة ويقال لها المتحيرة ، ويصلون الى القطب الشمالي وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها وفيه محاريب الى جهة الشمال فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح بنحو من ثلثمائة سنة وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له قيصر فكان أول من دخل في دين النصراني من ملوك الروم قسطنطين بن قسطنس وأمه مريم الهيلانية الغنداقية من أرض حران كانت قد تنصرت قبله فدعته الى دينها وكان قبل ذلك فيلسوفا فتابعها يقال تقيية واجتمعت به النصراني وتناظروا في زمانه مع عبدالله بن أريوس واختلفوا اختلافا كثيرا منتشرا مشتبها لا ينضبط الا أنه اتفق من جماعتهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفيا فوضعوها لقسطنطين العقيدة وهي التي يسمونها الامانة الكبيرة وانما هي الخيانة الحقيرة ، ووضعوا له القوانين يعنون كتب الاحكام امن تحريم وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون اليه ، وغيروا دين المسيح عليه السلام وزادوا فيه ونقصوا منه فصلوا الى المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير ، واتخذوا أعيادا أحدثوها كعيد الصليب والاقداص والغطاس وغير ذلك من البواعيث والشعائين ، وجعلوا له الباب وهو كبير ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الاساقفة والقساوسة ثم الشماسية ، وابتدعوا الرهبانية ، وبنى لهم الملك السكنايس والمعابد وأسست المدينة المنسوبة اليه وهي القسطنطينية يقال انه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة ، وبنى بيت لحم بثلاث محاريب وبنى أمه القمامة ، وهؤلاء هم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك ، ثم حدثت بعدهم اليعقوبية اتباع يعقوب الاسكافي ، ثم النسطورية أصحاب نسطورا وهم فرق وطوائف كثيرة كما قال رسول الله ﷺ أنهم افرقوا على اثنتين وسبعين فرقة والغرض أنهم استمروا على النصرانية كما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل ، وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهام وأبدهم غورا وأقصاهم رأيا فتملك عليهم في رياسة عظيمة وأهبة كثيرة فناوأه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالهراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو سابور ذو الاكتاف ، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر وله رياسة العجم وحمالة الفرس وكانوا يحوسا يعبدون النار ، فتقدم عن عكرمة أنه قال

فارس خلفا منه فعجل علي برأسه فراجعته ، فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس : إني قد نزعتم عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان . الملك ثم رفع الى البريد صحيفة صغيرة أمر فيها بقتل شهربراز وقال اذا ولي فرخان الملك واتقاد له اخوه فاعطاه . فلما قرأ شهربراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل من سريره وجلس فرخان ورفع اليه الصحيفة فقال ائتوني بشهربراز فقدمه ليضرب عنقه فقال لا تعجل علي حتى اكتب وصيتي قال نعم ، فدعا بالسفط فاعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت

(تفسير ابن كثير والبغوي) (٥٣) (الجزء السادس)

بعث اليه نوابه وجيشه فقاتلوه ، والمشهور ان كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية ، فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصارى تعظمه تعظيما زائدا ، ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لخصائنها لان نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هنالك . فلما طال الامر دبر قيصر مكيده ورأى في نفسه خديعة فطلب من كسرى أن يقلع من بلاده على مال يصالحه عليه ويشترط عليه ماشاء . فأجابته الى ذلك وطلب منه أموالا عظيمة لا يقدر عليها أحد من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر وأقمشة وجوار وخدام وأصناف كثيرة ، فطاوعه قيصر وأومعه أن عنده جميع ما طلب واستقل عقله لما طلب منه ما طلب ولو اجتمع هو وإياه لجهزت قدرتهما عن جمع عشره ، وسأل كسرى أن يمكنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم مملكته ليسعى في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائنه فاطلق مسراحه ، فلما غزم قيصر على الخروج من مدينة قسطنطينية جمع أهل ملته وقال : اني خارج في أمر قد أبرمته في جند قد عينته من جيشي فان رجعت اليكم قبل الحول فأناملكم وان لم أرجع اليكم قبلها فأنتم بالخيار إن شئتم استمررت على بيعتي وإن شئتم ولينتم عليكم غيري . فأجابوه بأنك ملكنا مادمت حيا ولو غبت عشرة أعوام ، فلما خرج من القسطنطينية خرج جريده في جيش متوسط هذا وكسرى مخيم على القسطنطينية ينتظره ليرجم فركب قيصر من فوره وسار مسرعا حتى انتهى إلى بلاد فارس فعاث في بلادهم قتلا لرجالها ومن بها من المقاتلة أولا فأولا ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى المدائن وهي كرسي مملكة كسرى فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله وأمر نساءه وحريمه وحلق رأس ولده وركبه على حمار وبعث معه من الاساورة من قومه في غاية الهوان والذلة وكتب الى كسرى يقول هذا ما طلبت فخذ فلما بلغ ذلك كسرى أخذه من الغم مالا يحصىه الا الله تعالى واشتد حنقه على البلد فجحد في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك ، فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون التي لا سبيل لقيصر إلى القسطنطينية إلا منها ، فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق اليها وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة وركب في بعض الجيش وأمر بأحمال من التبن والبر والروث فحملت معه وسار الى قريب من الماء مصعداً ثم أمر بالقاء تلك الاحمال في

فيك كسرى وأنت تريد ان تقتلني بكتاب واحد . فرد الملك الى أخيه وكتب شهريراز الى قيصر ملك الروم ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فاقني ولا تلقني الا في خمسين روميا فاني ألقاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضم العيون بين يديه في الطرق وخاف أن يكون قدمه مكر به حتى اتاه عيونه انه ليس معه الا خمسون رجلا ثم بسط لهم الفتيان في قبة ديباج ضربت لهما ومع كل واحد منهما سكين فدعوا بترجمان بينهما فقال شهريراز ان الذين خروا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا وأراد ان أقتل أخي فابيت ثم أمر أخي ان يقتلني فتد خلعه

النهر فلما مرت بكسرى وجنده ظن أنهم قد خاضوا من هنالك فركبوا في طلبهم فشغرت المحاضة عن
الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض والخوض فخاضوا وأسرعوا السير ففأثوا كسرى وجنوده ودخلوا
القسطنطينية فكان ذلك يوما مشهودا عند النصارى وبقي كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا
يصنعون لم يحصلوا على بلاد قيصر وبلادهم قد خربت الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذراريهم ونساءهم
فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب فارس للروم ، وكانت الواقعة
السكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرى على ما ذكره ابن عباس وعكرمة
وغيرهما وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز ، وقال مجاهد كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب
بلاد الروم من فارس قاله أعلم . ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسم فان البضم في
كلام العرب ما بين الثلاث الى التسع

وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما من حديث عبد الله بن
عبد الرحمن الجمحي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي
بكر في مناجاة [الم ، غلبت الروم] الآية « ألا احتطت بأبأ بكر فان البضم ما بين ثلاث إلى تسع ؟ »
ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه
قال ذلك والله أعلم

وقوله تعالى [الله الامر من قبل ومن بعد] أي من قبل ذلك ومن بعده فبني على الضم لما قطع
المضاف وهو قوله قبل عن الاضافة ونويت [ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله] أي للروم أصحاب
قيصر ملك الشام على فارس أصحاب كسرى وهم المجوس ، وكانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة
بدر في قول طائفة كثيرة من العلماء كابن عباس والثوري والسدي وغيرهم

وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبخاري من حديث الاعمش
عن عطية عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين ففرحوا
به وأزل الله [ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم] وقال الآخرون
بل كان نصر الروم على فارس عام الحديبية . قاله عكرمة والزهري وقنادة وغير واحد ، ووجه بعضهم

جميعا فنحن نقاتله معك . قال قد اصبتما ثم اشار احدهما الى صاحبه أن السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين
فشا فقتلا الترجمان معا بسكينهما فادبأت الروم على فارس عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم ومات كسرى
وجاء الخبر الى رسول الله ﷺ يوم الحديبية ففرح هو ومن معه فذلك قوله عز وجل (الم غلبت الروم في أدنى
الارض) أي أقرب ارض الشام الى ارض فارس قال عكرمة هي اذرعات وكسرك وقال مجاهد ارض
الجزيرة وقال مقاتل الاردن وفلسطين ﴿ وهم من بعد غلبهم ﴾ أي الروم من بعد غلبة فارس ايهاهم
والغلب والغلبة لغتان ﴿ سيفلبون ﴾ فارس ﴿ في بضع سنين ﴾ والبضم ما بين الثلاث الى التسع وقيل

هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى لميشين من حصص إلى إيليا وهو بيت المقدس شكرًا لله تعالى ففعل، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه مع دحية بن خليفة فأعطاه دحية لعظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر، فلما وصل إليه سأل من بالشام من عرب الحجاز، فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من كبار قريش وكانوا بغزة فجيء بهم إليه فجلسوا بين يديه، فقال أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان أنا فقال لأصحابه وأجلسهم خلفه، فاني سألت هذا عن هذا الرجل فان كذب فكذبوه، فقال أبو سفيان فوالله لولا أن يأتروا علي الكذب لكذبت فسأله هرقل عن نسبه وصفته فكان فيما سأله أن قال: فهل بقدر؟ قال قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها يعني بذلك الهدنة التي كانت قد وقعت بين رسول الله ﷺ وكفار قريش عام الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية لأن قيصر إنما وفي بنذره بعد الحديبية والله أعلم. ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت فتمكن من وفاء نذره حتى أصلح ما ينبغي له إصلاحه وتفقده بلاده ثم بعد أربع سنين من نصرته وفي بنذره والله أعلم. والامر في هذا سهل قريب إلا أنه لما انتصر فارس على الروم سا، ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك لأن الروم أهل كتاب في الجلة فهم أقرب إلى المؤمنين من المعجوس كما قال تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى — إلى قوله — ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وقال تعالى ههنا [ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثني أسيد الكلابي قال سمعت العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه قال رأيت غلبة فارس الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم كل ذلك في خمسة عشر سنة

ما دون العشرة. وقرأ عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر غلبت بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وفتح اللام، وقالوا نزلت حين أخبر النبي ﷺ عن غلبة الروم فارس. ومعنى الآية الم غلبت الروم فارس في أدنى الأرض اليكم وهم من بعد غلبهم سيفلهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم والأول اصح وهو قول أكثر المفسرين ﴿لله الامر من قبل ومن بعد﴾ من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فأبي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ الروم على فارس قال السدي فرح النبي ﷺ والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الرحيم﴾ بالمؤمنين ﴿وعند الله﴾ نصب على المصدر أي وعد الله وعدا

وقوله تعالى (وهو العزيز) أي في انتصاره وانتقامه من أعدائه (الرحيم) بعباده المؤمنين
وقوله تعالى (وعد الله لا يخلف الله وعده) أي هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أنا سننصر الروم على
فارس وعد من الله حق وخبر صدق لا يخلف ولا بد من كونه ووقوعه لأن الله قد جرت سنته أن ينصر
أقرب الطائفتين المقتلتين إلى الحق ويجعل لها العاقبة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي يحكم الله في
كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل

وقوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) أي أكثر الناس ليس
لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون
في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة ، قال الحسن البصري
والله ليبلغ من أحدهم بدنياء أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي . وقال ابن
عباس في قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعني الكفار
يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال

أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل
مسمى ؟ وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون (٨) أولم يسيرا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما
عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٩) ثم كان
عاقبة الذين أسسوا السواى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون (١٠)

يقول تعالى منبهاً على التفكير في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا اله غيره ولا
رب سواه فقال (أولم يتفكروا في أنفسهم) يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم
العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والاجناس المختلفة فيعملوا أنها ما خلقت سدى ولا

بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا)
يعني أمر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يفرسون وبزروعون وبحصدون وكيف يبنون ويعيشون
قال الحسن أن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره لينذكر وزنه ولا يخطئ . وهو لا يحسن أن يصلي
(وهم عن الآخرة هم غافلون) ساهون عنها جاهلون بها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها (أولم يتفكروا
في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي للحق وقيل لأقامة الحق (وأجل

باطلا بل بالحق وانها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ولهذا قال تعالى (وان كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون) ثم نبههم على صدق رساله فيما جاءوا به عنه بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات من اهلاك من كفر بهم ونجاة من صدقهم فقال تعالى (أولم يسيرا في الارض) أي بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ولهذا قال [فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة] أي كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منهم قوة أيها المبعوث اليهم محمد ﷺ وأكثر أموالا وأولاداً، وما أوتيتهم معشار ما أوتوا ومكنوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا اليه وعمرها فيها أعماراً طوالاً فعمرها أكثر منكم، واستغلوها أكثر من استغلالكم، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال [ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أي وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستوزوا بها وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم ولهذا قال تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) كما قال تعالى [وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون] وقال تعالى [فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم] وقال تعالى [فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم] وعلى هذا تكون السوأى منصوبة مفعولاً لأساءوا، وقيل بل المعنى في ذلك [ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى] أي كانت السوأى عاقبتهم لانهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون، فعلى هذا تكون السوأى منصوبة بخبر كان هذا توجيه ابن جرير ونقله عن ابن عباس وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم عنها وعن الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله أعلم لقوله [وكانوا بها يستهزئون]

مسمى أي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنية وهو القيامة (وان كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون * أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أولم يسافروا في الارض فينظروا الى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة واثاروا الارض) حرثوها وقلبوها للزراعة (وعمرها أكثر مما عمرها) أي أكثر مما عمرها أهل مكة قيل قال ذلك لانه لم يكن لأهل مكة حرث (وجاءتهم رسلهم بالبينات) فلم يؤمنوا فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) ينقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يبغض حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أي أساءوا العمل (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوأى اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة (أن كذبوا) أي لان كذبوا وقيل تفسير السوأى ما بعده وهو قوله أن كذبوا يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) قرأ أهل الحجاز والبصرة عاقبة بالرفع أي ثم كان آخر امرهم السوأى وقرأ الآخرون بالنصب على خبر كان

الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون (١١) ويوم تقوم الساعة يبأس المجرمون (١٢) ولم يكن لهم من شر كآتهم شفعاؤا وكانوا بشركآتهم كافرين (١٣) ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (١٤) فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون (١٥) وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون (١٦)

يقول تعالى (الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي كما هو قادر على بداءته فهو قادر على إعادته (ثم اليه ترجعون) أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله. ثم قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يبأس المجرمون) قال ابن عباس: يبأس المجرمون، وقال مجاهد يفتضح المجرمون وفي رواية يكتنّب المجرمون (ولم يكن لهم من شر كآتهم شفعاؤا) أي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا اليهم. ثم قال تعالى [ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون] قال قتادة هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها، يعني أنه إذا رفع هذا إلى عالمين وخفض هذا إلى أسفل سافلين فذلك آخر العهد بينهما ولهذا قال تعالى (فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) قال مجاهد و قتادة: ينعمون وقال يحيى بن أبي كثير يعني معاقبنا. والخبرة أعم من هذا كله قال العجاج فالحمد لله الذي أعطى الخير موالى الحق ان المولى شكر

وتقديره ثم كان السواى عاقبة الذين أساوا. قوله تعالى (الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء ولم يقل يعيدهم رده إلى الخلق (ثم اليه يرجعون) فيجزئهم بأعمالهم قرأ أبو عمرو وأبو بكر يرجعون بالياء والآخرون بالياء. (ويوم تقوم الساعة يبأس المجرمون) قال قتادة والكليبي يبأس المشركون من كل خير وقال الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم وقال مجاهد يفتضحون (ولم يكن لهم من شر كآتهم شفعاؤا) وكانوا بشركآتهم كافرين (جاحدين متبرئين يتبرءون منها وتبرأ منهم) يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (أي يتميز أهل الجنة من أهل النار، وقال مقاتل يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار فلا يجتمعون أبداً)

قوله تعالى (فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة) وهي البستان الذي في غاية النضارة (يحبرون) قال ابن عباس يكرمون، وقال مجاهد و قتادة ينعمون، وقال أبو عبيدة يسرون والخبرة السرور، وقيل الخبرة في اللغة كل نعمة حسنة والتجبير التحسين، وقال الازاعي عن يحيى ابن أبي كثير يحبرون هو السماع في الجنة، وقال الازاعي إذا أخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت. وقال ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من اسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون)

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (١٧) وله الحمد في السموات والأرض
وعشياً وحين تظهرون (١٨) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض
بعد موتها وكذلك تخرجون (١٩)

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الاوقات
المنعقدة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه وعند الصباح وهو
إسفار النهار بضياءه . ثم اعرض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد فقال تعالى (وله الحمد في
السموات والأرض) أي هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض ثم قال تعالى [وعشياً وحين
تظهرون] فالعشاء هو شدة الظلام والظهور قوة الضياء ، فسبحان خالق هذا وهذا فائق الاصباح
وجاعل الليل سكناً كما قال تعالى (والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها) وقال تعالى (والليل إذا
يفشى * والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجى) والآيات في هذا كثيرة
وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زياد بن قايذ عن سهل بن معاذ بن أنس

قوله تعالى ﴿ فسبحان الله ﴾ أي سبحوا الله ومعناه صلوا لله ﴿ حين تمسون ﴾ أي تدخلون في
المساء وهو صلاة المغرب والعشاء ﴿ وحين تصبحون ﴾ أي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح
﴿ وله الحمد في السموات والأرض ﴾ قال ابن عباس بحمده أهل السموات والأرض ويصلون له
﴿ وعشياً ﴾ أي صلوا لله عشياً يعني صلاة العصر ﴿ وحين تظهرون ﴾ تدخلون في الظهيرة وهو الظهر
قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد صلاة الخمس في القرآن ؟ قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال
جمعت الآية الصلاة الخمس ومواقيتها

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن
مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « من قال سبحان الله وبحمده في أول النهار وآخره مائة مرة حطت خطاياهُ وإن
كانت مثل زبد البحر »

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا
أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا السري بن خزيمة السوردي ثنا المعلى بن أسعد أنا عبد العزيز
ابن المختار عن سهيل عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من قال
حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا
أحد قال مثل ما قال أو زاد »

الجني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ألا أخبركم لمسمى الله إبراهيم خليله الذي ربي؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تطهرون »

وقال الطبراني حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي عن أبيه عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تطهرون الآية بكاملها أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته » اسناد جيد (١) ورواه أبو دارود في سننه

(١) في النسخة

المكية ضعيف

وقوله تعالى (يخرج الحي من الميت يخرج الميت من الحي) هو مانحن فيه من قدرته على خلق الاشياء المتعاقبة ، وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط فانه يذكر فيها خلقه الاشياء وأضدادها ليدل خلقه على كمال قدرته فمن ذلك إخراج النبات من الحب والحب من النبات ، والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ، والانسان من النطفة والنطفة من الانسان ، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن . وقوله تعالى (ويحيي الارض بعد موتها) كقوله تعالى (وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون - الى قوله - وفجرنا فيها من العيون) وقال تعالى [ونرى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج - الى قوله - وان الله

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا علي بن المديني أنا ابن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة قال سمعت كريبا أبا رشدين يحدث عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار أن النبي ﷺ خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله ﷺ ومماها جويرية وكره أن يقال خرج من عنده فخرج وهي في مسجد هاو رجم بعد ما تعالى النهار فقال « ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد ؟ » قالت نعم ، فقال - لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده مدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته)

قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون)

« تفسير ابن كثير والباقى »

« ٥٤ »

« الجزء السادس »

يبعث من في القبور) وقال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً - إلى قوله - لعلمكم تذكرون (ولهذا قل ههنا) وكذلك تخرجون

ومن آيته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (٢٠) ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١)

يقول تعالى [ومن آياته] الدالة على عظمته وكل قدرته أنه خلق أبائكم آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقه ثم مضغة ثم صار عظماً شكله على شكل الانسان، ثم كما أن الله تلك العظام لحماً ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير، ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدن والحصون ويسافر في أقطار الاقاليم ويركب متن البحور ويدور أقطار الارض ويكتسب ويجمع الاموال وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة، ولهذا قال تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد وغندر قالا حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ «ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الابيض والاحمر والاسود وبين ذلك، والخيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك» ورواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الاعرابي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

وقوله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي خلق لكم من جنسكم اناثاً تكون لكم أزواجا (لتسكنوا إليها) كما قال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الاقصر الابر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل اناثهم من جنس آخر من غيرهم اما من جان أو حيوان لما حصل هذا

قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء. ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ أي خلق أصلكم يعني آدم من تراب ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ تنبسطون في الارض ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ قيل من جنسكم من بني آدم، وقيل خلق حواء من ضلع آدم ﴿لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما

الاختلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس ، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهم مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة فان الرجل بمسك المرأة إما لمحبتته لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة اليه في الاتفاق أو اللافعة بينها وغير ذلك [ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون]

ومن آيته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين

(٢٢) ومن آيته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون (٢٣)

يقول تعالى [ومن آياته] الدالة على قدرته العظيمة [خلق السموات والارض] أي خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، وخلق الارض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار

وقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم) يعني اللغات فبؤلاء بلغة العرب وبؤلاء تترلم لغة أخرى وبؤلاء كرج وبؤلاء روم وبؤلاء إفرنج وبؤلاء بر وبؤلاء تكرر وبؤلاء حبشة وبؤلاء هنود وبؤلاء عجم وبؤلاء صقالبة وبؤلاء خزر وبؤلاء أرمن وبؤلاء أكراد الى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى من اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم وهي حلالهم لجميع أهل الارض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم الى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الاخر بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى ، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر (ان في ذلك لآيات للعالمين *) ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل والنهار فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الانتشار والسي في الاسباب والاسفار في النهار وهذا ضد النوم (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي يعون

قال الطبراني حدثنا حجاج بن عمران السدوسي حدثنا عمرو بن الحصين العقبلي حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان سمعت عبد الملك بن مروان يحدث عن أبيه عن زيد

يتوادلان ويتراحمان وما شئ أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في عظمة الله وقدرته

قوله (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم) يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما (وألوانكم) أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة (ان في ذلك لآيات للعالمين) قرأ حفص للعالمين بكسر اللام (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من

ابن ثابت رضي الله عنه قال : أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال « قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حي قيوم باحي باقيوم أم عيني واهدي أجلي » فقلتها فذهب عني

ومن آيته يريكم البرق خوفاً وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد

موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٢٤) ومن آيته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم

إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون (٢٥)

يقول تعالى (ومن آياته) الدالة على عظمته أنه (يريكم البرق خوفاً وطمعا) أي تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار زعجة وصواعق متلفة وتارة ترجون ومبضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه ، ولهذا قال تعالى (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) أي بعد ما كانت هامدة لانبثاق فيها ولا شيء ، فلما جاءها الماء اهزت وربت (وأنبئت من كل زوج بهيج) وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ولهذا قال (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

ثم قال تعالى (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) كقوله تعالى (وبمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه) وقوله (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في الدين قال : والذي تقوم السماء والأرض بأمره أي هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيرها إياها ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم ولهذا قال تعالى (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أي من الأرض كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون أن لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (فإنما هي زجرة واحدة) فإذا هم بالساهرة) وقال تعالى (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون)

فضله) أي منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار

قوله (ومن آياته يريكم البرق خوفاً) للمسافر من الصواعق (وطمعا) للمقيم في المطر (وينزل من السماء ماء فيحيي به) يعني بالمطر (الأرض بعد موتها) أي بعد يدها وجدوبتها (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره قال ابن مسعود قائما على غير عمد بأمره ، وقيل يدوم قيامها بأمره (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض) قال ابن عباس من القبور (إذا أنتم تخرجون) منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا أنتم تخرجون من

وله من في السموات والارض كل له قنتون (٢٦) وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده

وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٧)

يقول تعالى (وله من في السموات والارض) أي ملكه وعبيده (كل له قانتون) أي خاضعون خاشعون طوعا وكرها . وفي حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا « كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة »

وقوله (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أيسر عليه ، وقال مجاهد الاعادة أهون عليه من البداية والبداة عليه هينة ، وكذا قال عكرمة وغيره وروى البخاري حدثنا أبو اليان أخبرنا شعيب أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقله إن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته ، وأما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولدا ، وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » انفرد باخراجه البخاري كما انفرد بروايته أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به وقد رواه الامام احمد منفرداً به عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا ابو يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه أو مثله

وقال آخرون كلاهما بالنسبة الى القدرة على السواء ، وقال العوفي عن ابن عباس كل عليه هين وكذا قاله الربيع بن خثيم ومال اليه ابن جرير وذكر عليه شواهد كثيرة . قال ويحتمل أن يعود الضمير في قوله (وهو أهون عليه) الى الخلق أي وهو أهون على الخلق . وقوله (وله المثل الأعلى

الارض) (وله من في السموات والارض كل له قانتون) مطيعون . قال الكلبي هذا خاص لمن كان منهم مطيعاً عن ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العباداة (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) بخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) قال الربيع بن خثيم وقنادة والكلبي أي هو هين عليه وما شيء عليه بهزئ وهو رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجيء . أفعل بمعنى الفاعل كقول الفرزدق

ان الذي سمك السالك بني لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أي عزيزة طاب يلة ، وقال مجاهد وعكرمة وهو أهون عليه أي أيسر ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم فإن الذي يقع في عقول الناس أن الاعادة تكون أهون من الانشاء أي الابتداء ، وقيل هو أهون عليه عندهم ، وقيل وهو أهون عليه أي على الخلق يقومون

في السموات والارض) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى (ليس كمثل شي) وقال قتادة مثله انه لا إله الا هو ولا رب غيره ، وقال مثل هذا ابن جرير ، وقد أنشد بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعارف

إذا سكن القدير على صفا وجنب أن يحركه النسيم
يرى فيه السماء بلا امتراء كذلك الشمس تبدو والنجوم
كذلك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد غلب كل شيء وفهر كل شيء بقدرته وسلطانه الحكيم في أقواله وأفعاله شرعا وقدرًا ، وعن مالك في تفسيره المروي عنه عن محمد بن المنكدر في قوله تعالى (وله المثل الاعلى) قال لا إله الا الله

ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمنكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ؟ كذلك تفصل الآيت لقوم يعقلون (٢٨) بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من نصيرين (٢٩)

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الاصنام والانداد عبيد له ملك له كما كانوا يقولون: لييك لا شريك لك إلا شريكاهو لك، تملكه وما ملك. فقال تعالى (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) أي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم (هل لكم مما ملكت أيمنكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء) أي يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله فهو وهو فيه على السواء (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يقاسموكم بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفائهم علقائهم مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء وهذا معنى رواية ابن حبان عن السكاكي عن أبي صالح عن ابن عباس (وله المثل الاعلى) أي الصفة العليا (في السموات والارض) قال ابن عباس هي أنه ليس كمثل شي ، وقال قتادة هي أنه لا إله الا هو (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في خلقه

قوله تعالى (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) أي بين لكم شبيهاً بآلكم وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال (هل لكم مما ملكت أيمنكم) أي عبيدكم وأمائكم (من شركاء فيما رزقناكم) من المال (فأنتم) وهم (فيه سواء) أي شرع أي هل بشاركم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن بشاركم في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شرير يملكه

الاموال . قال ابو مجلز ان مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذلك ، كذلك الله لا شريك له ، والمعنى ان أحدكم يألف من ذلك فكيف نجعلون الله الانداد من خاتمه وهذا كقولہ تعالى (ويجعلون لله ما يكرهون) أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله وقد كان أحدهم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، فهم يأفون من البنات وجعلوا الملائكة بنات الله فتنسبوا اليه مالا يرتضونه لانفسهم فهذا أغلظ الكفر ، وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركا من عباده وخلقه وأحدهم يأبى غاية الإباء . ويألف غاية الانفة من ذلك أن يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقسامه عليه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

قال الطبراني حدثنا محمود بن الفرج الاصبهاني حدثنا اسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يابى أهل الشرك ليبيك اللهم ليبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فأنزل الله تعالى (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) ولما كان التنبيه بمثل هذا المثل على برا . ته تعالى ونزاعته عن ذلك بطريق الأولى والآخرى . قال تعالى (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ثم قال تعالى مبينا أن المشركين انما عبدوا غيره سفها من أنفسهم وجهلا (بل اتبع الذين ظلموا) أي المشركون (أهواهم) أي في عبادتهم الانداد بغير علم (فمن يهدي من أضل الله) أي فلا أحد يهديهم اذا كتب الله ضلالهم (وما لهم من ناصرين) أي ليس لهم من قدرة الله منفذ ولا مجبر ولا محيد لهم عنه لانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك

الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٠) منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلوة

الحرف في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمر دونه ، وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يجب أن ينفرد به ، قال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضهم بعضا فاذا لم تخافوا هذا من مما يليكم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي ومعنى قوله (أنفسكم) أي أمثالكم من الاحرار كقوله (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أي بأمثالهم (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) أشركوا بالله (أهواهم) في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدي من أضل الله) أي أضله الله (وما لهم من ناصرين) مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل قوله تعالى (فأقم وجهك للدين) أي اخالص دينك لله . قاله سعيد بن جبير ، وإقامة الوجه

ولا تكونوا من المشركين (٣١) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم

فرحون (٣٢)

يقول تعالى : فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة ابراهيم الذي هدك الله لها وكنها لك غاية الكمال وانت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما قدم عند قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى) وفي الحديث « إني خلقت عبادي حنفاً فاجتأ بهم الشياطين عن دينهم » وسند كوفي الأحاديث ان الله تعالى فطر خلقه على الاسلام ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وقوله تعالى [لا تبدل خلق الله] قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا والناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها فيكون خبراً بمعنى الطلب كقوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وهو معنى حسن صحيح ، وقال آخرون هو خبر على بابه ومعناه انه تعالى سارى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبل المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك ولا تفاوت بين الناس في ذلك ، ولهذا قال ابن عباس و ابراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد في قوله (لا تبدل خلق الله) أي لدين الله ، وقال البخاري قوله (لا تبدل خلق الله) لدين الله (خلق الأولين دين الأولين ، الدين والفطرة الاسلام . حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أخبرنا أبو نؤاس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاً هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم) ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به ، وأخرجه أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفي معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة فمنهم الأسود بن سريع النخعي . قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا يونس عن الحسن عن

أقامة الدين ، وقال غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه الانسان ودينه وعمله مما يتوجه اليه لتسديده (حنيفاً) ماثلاً اليه مستقيماً عليه (فطرة الله) دين الله وهو نصب على الاغراء أي الزم فطرة الله (التي فطر الناس عليها) أي خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة لدين وهو الاسلام ، وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الاسلام

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنبجي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر بن محمد ابن الحسين القطان أنا احمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا أبو

الاسود بن مريم قال: أتيت رسول الله ﷺ وغزوت معه فأصبت ظفرا فقاتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ؟ » فقال رجل يا رسول الله أمانا أبناء المشركين فقال « ألا إنما خياركم أبناء المشركين - ثم قال - لا تقتلوا ذرية لا تقتلوا ذرية - وقال - كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها » ورواه النسائي في كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشيم عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصري به

ومنه جابر بن عبد الله الانصاري قال الامام أحمد حدثنا هاشم ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه إما مشركاً وإما كفوراً »

ومنه عبد الله بن عباس الهاشمي قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم » أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس الشكري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً بذلك ، وقد قال الامام أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة أن أبا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : أتني علي زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين حتى حدثني فلان عن فلان أن رسول الله ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » قال فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي ومنهم عياض بن حمار المجاشعي قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف عن

هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من يولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم نجدعونها؟ » قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ورواه الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة من غير ذكر من يموت وهو صغير وزاد ثم يقول أبو هريرة أقرءوا إن شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قوله « من يولد يولد على الفطرة » يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله (أست بر بكم ؟ قالوا بلى) وكل مولود على الفطرة من هذا القبيل وكل مولود في العالم على ذلك الاقرار وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وإن عبد غيره كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقالوا (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ولكن لا عبرة بالايان الفطري في أحكام الدنيا وإنما يعتبر الايمان الشرعي المأمور به المكتسب بالارادة والفعل ألا ترى أنه يقول « فأبواه يهودانه » فهو مع وجود الايمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قوله ﷺ « يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء

عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته «ان ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جعلتم مما علمني في يومي هذا: كل ما خلقت عبادي حلالاً، واني خلقت عبادي حنفاء، كلهم، وأنتهم الشياطين فأضلّتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلّ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً. ثم أن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض ففقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال إنما بعثتك لا بتليك وأبتي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان ثم أن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت رب إذا تئاع رأسي فتدعه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم ففرك، وانفق فسدنفق عليك وابعث جيشاً نبعت خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك. قال- وأهل الجنة ثلاثة: ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة. الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق الاخانة، ورجل لا يصبح ولا يسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذو البخيل والكذاب والشنظير الفعاش» انفرد باخراجه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به و قوله تعالى (ذلك الدين القيم) أي التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فلهذا لا يعرفه أكثر الناس فهم عنه نا يكون كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى (وان تعلم أكثر من في الأرض بضلوك عن سبيل

فاجتألتهم الشياطين عن دينهم وبخسك هذا عن الاوزاعي وحامد بن سلمة، وحكي عن عبدالله بن المبارك أنه قال معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أي على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة إلى ما فطر عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها، فمن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيعملانه لشقائهما على اعتقاد دينهما، وقيل معناه أن كل مولود يولد في مبدأ الخلقة على الفطرة أي على الجبلية السليمة والطبع المتبهي. لقبول الدين فلو ترك عليها لا ستمر على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول، وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لآفة من آفات النشوء والتقليد، فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره، ثم يتمثل بأولاد اليهود والنصارى واتباعهم لا بائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة. ذكر أبو سليمان الخطابي هذه المعاني في كتابه

قوله ﴿ لا تبدل خلق الله ﴾ فنحل الفطرة على الدين قال معناه لا تبدل لدين الله وهو خير بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله، قال مجاهد و ابراهيم معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وقيل (لا تبدل خلق الله) أي ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة لا يبدل فلا يصير السعيد شقياً ولا الشقي سعيداً، وقال عكرمة ومجاهد معناه تحريم إخصاء البهائم

الله (الآية . وقوله تعالى (منيبين اليه) قال ابن زيد وابن جرير أي راجعين اليه (واتقوه) أي خافوه وراقبوه وأقيموا الصلاة وهي الطاعة العظيمة (ولا تكونوا من المشركين) أي بل كونوا من الموحدين المخلصين له العبادة لا يربدون بها سواه

قال ابن جرير حدثني يحيى بن واضح حدثنا يونس بن إسحاق عن يزيد بن أبي مريم قال مر عمر رضي الله عنه بمعاذ بن جبل فقال عمر ما قوام هذه الأمة ؟ قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهي الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها ، والصلاة وهي ائمة ، والطاعة وهي العصمة فقال عمر صدقت. حدثني يعقوب أنبأنا ابن علية أنبأنا أيوب عن أبي قلابة أن عمر رضي الله عنه قال لمعاذ ما قوام هذا الامر ؟ فذكر نحوه وقوله تعالى (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) أي لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وقرأ بعضهم فارقوا دينهم أي تركوه وراء ظهورهم وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعبد الاوثان وسائر أهل الاديان الباطلة ما عدا أهل الاسلام كما قال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . إنما أمرهم إلى الله) الآية فأهل الاديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة ، وكل فرقة منهم زعم أنهم على شيء . وهذه الامة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الاول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال « من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي »

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم

بربهم بشر كون (٣٣) أي كفروا بما آتاهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٣٤) أم أنزلنا عليهم

سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون (٣٥) وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن

قوله تعالى (منيبين اليه) أي فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين اليه لان مخاطبة للنبي ﷺ ويدخل معه فيها الامة كما قال (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) منيبين اليه أي راجعين اليه بالتوبة مقبلين اليه بالطاعة (واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى ، وقبل هم أهل البدع من هذه الامة) كل حزب بما لديهم فرحون (أي راضون بما عندهم

قوله تعالى (وإذا مس الناس ضر) فحط وشدة (دعوا ربهم منيبين اليه) مقبلين اليه بالدعاء

تصبيهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون (٣٦) أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن

يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٣٧)

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له وانه إذا أسبغ عليهم النعم اذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره . وقوله تعالى (ليكفروا بما آتيناهم) هي لام العاقبة عند بعضهم ولا م التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله (فسوف تعلمون) قال بعضهم والله لو توعدتني حارس درب لحفت منه فكيف والمتوعد ههنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون

ثم قال تعالى منكراً على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا رهان أم أنزلنا عليهم سلطاناً أي حجة فهو يتكلم أي ينطق بما كانوا به يشركون وهذا استفهام انكار أي لم يكن لهم شيء من ذلك . ثم قال تعالى (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وإن تصبيهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون) هذا انكار على الانسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه فان الانسان إذا أصابته نعمة بطر . وقال (ذهب السيئات عني انه لفرح غور) أي يفرح في نفسه ويفخر على غيره وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . قال الله تعالى (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) أي صبروا في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء . كما ثبت في الصحيح « عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ان أصابته مرء شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » وقوله تعالى (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي هو المتصرف الفاعل لذلك بمحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

﴿ ثم اذا أذاقهم منه رحمة ﴾ خصبها ونعمة ﴿ اذا فريق منهم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم ﴾ ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد فقال ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ حالكم في الآخرة ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً ﴾ قال ابن عباس حجة وعذراً ، وقال قتادة كتاباً ﴿ فهو يتكلم ﴾ بنطق ﴿ بما كانوا به يشركون ﴾ أي ينطق بشركهم ويأمرهم به ﴿ واذا أذقنا رحمة ﴾ أي الخصب وكثرة المطر ﴿ فرحوا بها ﴾ يعني فرح البطر ﴿ وإن تصبيهم سيئة ﴾ أي الجذب وقلة المطر ويقال الخوف والمبلاء ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ من السيئات ﴿ اذا هم يقنطون ﴾ ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فانه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾

فَاتِ ذَا الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لِّمَن يَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ
وَأَوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبٍّ لَّيْرٍ بَوْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُو عِنْدَ اللَّهِ
وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْمِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِّن شَرٍّ كَأَنَّكُمْ مِّن يَفْعَلُ مِّن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ ؟ سُبْحَنَهُ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)

يقول تعالى أمراً باعطاء ذي القربى حقه أي من البر والصلة [والمسكين] وهو الذي لا شيء له
ينفق عليه أو له شيء لا يقوم بكفايته [وابن السبيل] وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج اليه في
سفره [ذلك خير للذين يريدون وجه الله] أي النظر اليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى [وأولئك
هم المفلحون] أي في الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو
عند الله) أي من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله
بهذا فسرہ ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي . وهذا الصنيع مباح
وان كان لا ثواب فيه الا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة ، قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى
[ولا تمنن تستكثر] أي لا تعط العطاء تريد أكثر منه . وقال ابن عباس : الربا رباء ان فربا لا يصح ،

قوله تعالى ﴿ فَاتِ ذَا الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ من البر والصلة ﴿ والمسكين ﴾ وحقه أن يتصدق عليه ﴿ وابن
السبيل ﴾ يعني المسافر وقيل هو الضيف ﴿ ذلك خير للذين يريدون وجه الله ﴾ يطلبون ثواب الله
بما يعملون ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾

قوله عز وجل ﴿ وما آتيتم من ربا ﴾ قرأ ابن كثير آتيتم مقصوراً ، وقرأ الآخرون بالمد أي
أعطيتهم ومن قصر فعناه ما جئتم من ربا ومحبيهم ذلك على وجه الاعطاء كما يقول آتيت خطأ وأتيت
صوابا فهو يؤول في المعنى إلى قول من مد ﴿ ليربو في أموال الناس ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب
لتربوا بالياء وضمها وسكون الواو على الخطاب أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس
وقرأ الآخرون بالياء وفتحها ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله ﴿ فلا يربو عند الله ﴾ في أموال
الناس أي في اختطاف أموال الناس واجتذابها . واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير ومجاهد
وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين هو الرجل يعطي غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز
حلال ولكن لا ثواب عليها في القيامة وهو معنى قوله عز وجل ﴿ فلا يربو عند الله ﴾ وكان هذا حراما
على النبي ﷺ خاصة لقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) أي لا تعط وتطالب أكثر مما أعطيت ، وقال

يعني ربا البيع ، وربما لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها ، وأضعافها ثم تلا هذه الآية (وما آتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله) وإنما الثواب عند الله في الزكاة ولهذا قال تعالى (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء في الصحيح « وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن يمينه فيريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير التمرة أعظم من أحد »

وقوله عز وجل (الله الذي خلقكم ثم رزقكم) أي هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عربانيا لا علم له ولا سم ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والاملاك والمكاسب ، كما قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة وسوا ، ابني خالد قال دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئا فأعنتاه فقال « لا تأسا من الرزق ما نهزرت رؤوسكما فإن الانسان تلده أمه أحر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل »

وقوله تعالى (ثم يميتكم) أي بعد هذه الحياة (ثم يحييكم) أي يوم القيامة ، وقوله تعالى (هل من شر كائكم) أي الذين تعبدونهم من دون الله (من يفعل من ذلكم من شيء) أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والامانة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله (سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تعالى وتقدس وتنزه وتعظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليزيقتهم بعض الذي عملوا

لعلهم يرجعون (٤١) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان نقبة الذين من قبل كان

أكثرهم مشركين (٤٢)

النخعي هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله ولا يريد به وجه الله ، وقال الشعبي هو الرجل يلتزم بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل له ربح ماله التماس عون لا يريد به وجه الله فلا يربو عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى (وما آتيتكم من زكاة) أعطيتكم من صدقة (تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) فيضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الاضعاف من الحسنات تقول العرب القوم مهزولون ومسمونون اذا هزلت أو سمت ابلهم

قوله تعالى (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شر كائكم من يفعل من ذلكم من شيء) سبحانه وتعالى عما يشركون

قوله عز وجل (ظهر الفساد في البر والبحر) يعني قحط المطر وقلة النبات ، وأراد بالبر البوادي

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدي وغيرهم : المراد بالبر ههنا الغياطي وبالبحر الامصار والقرى ، وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة : البحر الامصار والقرى ما كان منها على جانب نهر ، وقال آخرون بل المراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر هو البحر المعروف . وقال زيد بن رفيع (ظهر الفساد) يعني انقطاع المطر عن البر بهقبه انقحط وعن البحر يعني دوابه . رواه ابن أبي حاتم وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن المقرئ عن سفيان عن حميد بن قيس الاعرج عن مجاهد (ظهر الفساد في البر والبحر) قال فساد البر قتل ابن آدم وفساد البحر أخذ السفينة غصباً . وقال عطاء الخراساني المراد بالبر مافيه من المدائن والقرى والبحر جزأه . والقول الاول أظهر وعليه الاكثرون ، وبؤيده ما قاله محمد بن اسحاق في السيرة أن رسول الله ﷺ صالح ملك ابلة وكتب اليه ببحره يعني ببلده . ومعنى قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) أي بان النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي . وقال أبو العالية : من عصى الله في الارض فقد أفسد في الارض ، لان صلاح الارض والسماء بالطاعة ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود « لحدّ يقام في الارض أحب الى أهلها من أن يطرأوا أربعين صباحاً » والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات وإذا تركت المعاصي كان سبباً في حصول البركات من السماء والارض . ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل الا الاسلام أو السيف ، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه وأجوج ومأجوج قيل للارض أخرجي بركتك فيأكل من الرمانة الغنم من الناس ويستظلون بقحفها ، ويكفي ابن اللقحة الجماعة من الناس وما ذاك الا ببركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير . ولهذا ثبت في الصحيحين أن الغاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب

والمفاوز ، وبالبحر المدائن والقرى التي هي على المياه الجارية ، قال عكرمة العرب تسمي المصر بحراً يقال أجذب البر وانقطعت مادة البحر ﴿ بما كسبت أيدي الناس ﴾ أي بشؤم ذنوبهم ، وقال عطية وغيره البر ظهر الارض الامصار وغيرها ، والبحر هو البحر المعروف ، وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو أجواف الاصداف لان الصدف اذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع فيه من المطر صار أولوئاً ، وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه ، وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة ، قال الضحاك كانت الارض خضرة موقنة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم ، فلما قتل قابيل هاويل اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا ، قال قتادة هذا قبل مبعث النبي ﷺ امتلأت الارض ظلما وضلالة ، فلما بعث الله محمدا

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا عوف عن أبي مخنف قال وجد رجل في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حب يعني من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل ، وروى مالك عن زيد بن أسلم أن المراد بالفساد ههنا الشرك وفيه نظر
وقوله تعالى (ليذيقهم بعض الذي عملوا) الآية أي يبتليهم بنقص الاموال والآنفس والثمرات اختباراً منهم ومجازاة على صنيعهم (لعلمهم يرجعون) أي عن المعاصي كما قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون) ثم قال تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أي من قبلكم (كان أكثرهم مشركين) أي فانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم

فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون

(٤٣) من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون (٤٤) ليجزي الذين آمنوا

وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين (٤٥)

يقول تعالى آمراً عباده بالمبادرة الى الاستقامة في طاعته والمبادرة الى الخيرات (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي يوم القيامة اذا أراد كونه فلا راد له [يومئذ يصدعون] أي يتفارقون ففريق في الجنة وفريق في السعير ولهذا قال تعالى (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون * ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي بمجازيتهم بمجازاة الفضل ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله (انه لا يحب الكافرين) ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يحور

ﷺ رجع راجعون من الناس بما كسبت أيدي الناس من المعاصي يعني كفار مكة (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي عقوبة بعض الذي عملوا من الذنوب (لعلمهم يرجعون) عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) فأهلكوا بكفرهم

قوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) المستقيم وهو دين الاسلام (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله (يومئذ يصدعون) أي يتفارقون فريق في الجنة وفريق في السعير (من كفر فعليه كفره) أي وبال كفره (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون) يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم (انه لا يحب الكافرين)

ومن آيته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الزلازل بأمره
ولتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون (٤٦) ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومه فجاءوهم
بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٤٧)

يذكر تعالى نعمه على خلقه في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها ولهذا
قال تعالى (وليذيقكم من رحمته) أي المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبسلا (ولتجري الزلازل
بأمره) أي في البحر وإنما سيرها بالريح (ولتبتغوا من فضله) أي في التجارات والمعايش والسير من
أقليم إلى إقليم وقطر إلى قطر ولعلمكم تشكرون أي تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة
والباطنة التي لا تعد ولا تحصى . ثم قال تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومه فجاءوهم بالبينات
فانتقمنا من الذين أجرموا) هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ بأنه وإن كذبه كثير
من قومه ومن الناس فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أمهم به من الدلائل الواضحات ،
ولكن انتقم الله ممن كذبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين بهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أي هو
حق أوجه على نفسه الكريمة تكمرا وتفضلا كقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة)

وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا موسى بن أعين عن ليث عن شهر بن
حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من

قوله عز وجل (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) تبشر بالمطر (وليذيقكم من رحمته)
نعمة بالمطر وهي الخصب (ولتجري الزلازل) في البحر بهذه الرياح (بأمره) ولتبتغوا من فضله (لتطلبوا
من رزقه بالتجارة في البحر) ولعلمكم تشكرون (رب هذه النعم
قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومه فجاءوهم بالبينات) بالدلائل الواضحات
على صدقهم (فانتقمنا من الذين أجرموا) عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)
انجأهم من العذاب في هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء ، قال الحسن
أنجاهم مع الرسول من عذاب الائم

أخبرنا أحمد بن عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن
أحمد بن عبد الجبار الرباني أنا أحمد بن زنجويه أنا أبو شيخ الخرافي أنا أبو موسى بن أعين عن ليث
ابن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ

امريء مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة « ثم تلا هذه الآية [وكان حقا علينا نصر المؤمنين]

الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون (٤٨) وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (٤٩) فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٥٠) ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلموا من بعده يكفرون (٥١)

يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء فقال تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) إما من البحر كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل (فيبسطه في السما كيف يشاء) أي بعمده فيكثره وينميه ويجعل من القليل كثيرا ينشي سحابة ترى في رأي العين مثل الترس ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الافق ، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءا ماء كما قال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشري بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت - إلى قوله - كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وكذلك قال ههنا (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السما كيف يشاء ويجعله كسفا) قال مجاهد وأبو عمرو بن العلاء ومطر الوراق وقتادة يعني قطعاً . وقال غيره منرا كما قاله الضحاك وقال غيره أسود من كثرة الماء تراه مدلهما ثقيلاً قريباً من الارض

وقوله تعالى (فترى الودق يخرج من خلاله) أي فترى المطر وهو القطر يخرج من بين ذلك السحاب (فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) أي لحاجتهم اليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله اليهم . وقوله تعالى (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) معنى الكلام أن

يقول « ما من مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » ثم تلا هذه الآية (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

قوله تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) أي ينشره (فيبسطه في السما كيف يشاء) مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) قطعاً متفرقة (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) وسطه (فإذا أصاب به) أي بالودق (من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) يفرحون بالمطر (وإن كانوا) وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) أي آيسين ، وقيل وإن

هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قانطين أزيين من نزول المطر اليهم قبل ذلك فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقهم منهم موقعاً عظيماً ، وقد اخاف النعمة في قوله (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) فقال ابن جرير هو تأكيد ، وحكاية عن بعض أهل العربية

وقال آخرون من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله أي الانزال لمبلسين ، وبمقتضى أن يكون ذلك من دلالة التأسيس ويكون معنى الكلام انهم كانوا محتاجين اليه قبل نزوله ، ومن قبله أيضاً قد فات عندهم نزوله وقتاً بعد وقت فترقبوه في ابانه فتأخروا ثم مضت مدة فترقبوه فتأخروا ثم جاءهم بفته بعد الاياس منه والقنوط فبعد ما كانت أرضهم مقشعة هامدة أصبحت وقد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى (فانظر الى آثار رحمة الله) يعني المطر (كيف يحيي الارض بعد موتها) ثم نبه بذلك على إحياء الاجساد بعد موتها وتفرقها وزفها فقال تعالى (إن ذلك لمحبي الموتى) أي ان الذي فعل ذلك لغادر على إحياء الاموات انه على كل شيء قدير . ثم قال تعالى (ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرة لظلوا من بعده يكفرون) يقول تعالى ولئن أرسلنا ريحاً يابسة على الزرع الذي زرعه ونبت وشب واستوى على سوقه فرأوه مصفرة أي قد اصفر وشرع في الفساد لظلوا من بعده أي بعد هذا الحال يكفرون أي يمجّدون ماتقدم اليهم من النعم كقوله تعالى (أفأرأيتم ما تحرثون - إلى قوله - بل نحن محرمون)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو قال : الرياح ثمانية أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب ، فأما الرحمة فالتناثرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ، وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر ، فإذا شاء سبحانه وتعالى حركة بحركة الرحمة فجعله رخا ، ورحمة وبشرى بين يدي رحمة ولا فحلاً - حاج تلحقه بحمله الماء كما يلقح الذكر الانثى بالحل ، وإن شاء بحركة العذاب فجعله عقيماً وأودعه عذاباً ألماً وجعله نعمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصرًا وعاتياً ومفسداً لما يمر عليه والرياح مختلفة في مهابها صبا ودبور وجنوب وشمال ، وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف فريح

كانوا أي وما كانوا الا لمبلسين وأعاد قوله من قبله تأكيداً ، وقيل الاولى ترجع إلى انزال المطر ، والثانية إلى انشاء السحاب ، وفي حرف عبد الله بن مسعود (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين) غير مكرر (فانظر إلى أثر رحمة الله) هكذا قرأ أهل الحجاز والبصرة وأبو بكر ، وقرأ الآخرون (إلى آثار رحمة الله) على الجمع أراد برحمة الله المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الارض قال مقاتل أثر رحمة الله أي أثر نعمته وهو النبت (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحبي الموتى) يعني أن ذلك الذي يحيي الارض لمحبي الموتى (وهو على كل شيء قدير * ولئن أرسلنا ريحاً باردة مضرّة فأنفدت الزرع) فرأوه مصفرة أي رأوا النبت والزرع مصفرة بعد الخضرة (لظلوا) لصاروا

أينة رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان وأخرى تجففه ، وأخرى تهلكه وتعطبه ، وأخرى تسيره وتصلبه ، وأخرى توهمه وتضعفه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عياش حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة في الثانية - يعني الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً فقال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ، قال له الجبار تبارك وتعالى : لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه (ماتذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم) هذا حديث غريب ورفعه منكرو والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

فأنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين (٥٢) وما أنت بهدي

العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٥٣)

يقول تعالى كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الاموات في أجدانها ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردم عن ضلالتهم بل ذلك إلى الله فإنه تعالى بقدرته يسمع الاموات أصوات الأحياء إذا شاء وبهدي من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لاحد سواه ، ولهذا قال تعالى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أي خاضعون مستجيبون مطيعون فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه وهذا حال المؤمنين ، والاول مثل الكافرين كما قال تعالى (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يعثم الله ثم اليه يرجعون) وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية (أنك لا تسمع الموتى) على توهم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين أقوا في قلب بدر بعد ثلاثة أيام ومعاينته إياهم وتقريعه لهم ، حتى قال له عمر يارسول الله ما تخاطب من قوم قد جيفوا ؟ فقال « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون » وتأولته عائشة على أنه قال « أنهم الآن ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق » وقال قتادة أحياء الله له حتى سمعوا مقالته ففرجها وتوبيخا وقمة ، والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له عن ابن عباس مرفوعاً « ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام »

« من بعده » أي من بعد اصفرار الزرع « يكفرون » يجحدون ماسلف من النعمة يعني أنهم يفرحون

عند الخصب ولو أرسلت عذاباً على زرعهم جحدوا مالف نعمتي

قوله « فأنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي

(١) ثبت عنه عليه السلام أنه إذا سلموا على أهل القبر أن يسلموا عليهم سلام من مخاطبونه فيقول المسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب إن يسمع ويعقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعلوم والجاهل ، والسلف مجمعون على هذا . وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر فروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا مر الرجل بقبر يعرفه فلم يرد عليه السلام

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصم الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت ؟ قال بلى ، قلت فأين أنت ؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا وفقر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم ، قال قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيات قد بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح ، قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا أياكم ؟ قال نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال لفضل يوم الجمعة وعظمته .

قال وحدثنا محمد بن الحسين ثنا بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت أغدو مع محمد بن واسم في كل غداة سبت حتى نأتي أهل الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعوا لهم ثم ننصرف فقلت ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين ؟ قال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها . قال ثنا محمد ثنا عبد العزيز بن أبان قال ثنا سفيان الثوري قال بلغني عن الضحاك أنه قال : من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته ، فقيل له وكيف ذلك ؟ قال لمكان يوم الجمعة . حدثنا خالد بن خدّاش ثنا جعفر بن سليمان عن أبي التياح يقول كان مطرف يغدو فإذا كان يوم الجمعة أدلىج . قال وسمعت أبا التياح يقول بلغنا أنه كان ينزل بغوطه فأقبل ليلة حتى إذا كان عند المقابر يقوم وهو على فرسه فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالسا على قبره فقالوا هذا مطرف يأتي الجمعة ويصلون عندهم يوم الجمعة ؟ قالوا نعم ونعلم ما يقول فيه الطير ، قلت وما يقولون ؟ قال يقولون سلام عليكم

حدثني محمد بن الحسن ثنا يحيى بن أبي بكر ثنا الفضل بن الموفق بن خال سفيان بن عيينة قال لما مات أبي جزعت عليه جزعا شديداً فكنت آتي قبره في كل يوم ثم قصرت عن ذلك ماشاء الله ثم إنني أتيت يوماً فبينما أنا جالس عند القبر غلبتني عيني فمتمت فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج وكأنه قاعد في قبره متوشح أكفانه عليه سحنة الموتى قال فكأنني بكيت لما رأيته قال يا بني ما أبطأ بك عني قلت وإنك لتعلم بمجيبتي ؟ قال ماجئت مرة إلا علمتها وقد كنت تأتيني فأمر بك وبسر من حولي بدعائك قال فكنت آتيه بعد ذلك كثيراً

عن ضلاتهم إن تسمع الأمن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون

حدثني محمد حدثنا يحيى بن بسطام ثنا عثمان بن سويد الطفاوي قال وكانت أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال : لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء . فقالت يا ذكري وذخيري ومن عليه اعتماد في حياتي وبعد موتي لا تخذلني عند الموت ولا توحشني . قال فانت فكنت آتيها في كل جمعة فادعو لها وأسئففر لها ولأهل القبور فرأيتها ذات يوم في منامي فقلت لها بأمي كيف أنت ؟ قالت أي بني إن للموت لكربة شديدة وإني بحمد الله أني برزخ محمود يفرش فيه الربحان وتوسد السندس والاستبرق إلى يوم النشور فقلت لها ألك حاجة ؟ قالت نعم ، قلت وما هي ؟ قالت لاندع ما كنت تصنع من زياراتنا والدعاء لنا فاني لا بشر بمجيئك يوم الجمعة اذا أقبلت من أهلك يقال لي ياراهبة هذا ابنك قد أقبل فأمر وبسر بذلك من حولي من الاموات

حدثني محمد ثنا محمد بن عبد العزيز بن سليمان ثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أسمى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتم ورحم غربتكم ، وتجاوز عن مسيتكم ، وقبل حسنانكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال فامسيت ذات ليلة وانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فادعوا كما كنت أدعو ، قال فينا أنا نائم اذا بخلق قد جاءوني فقلت ما أنتم وما حاجتكم ؟ قالوا نحن أهل المقابر ، قلت ما حاجتكم ؟ قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك ، قلت وما هي ؟ قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها ، قال قلت فاني أعود لذلك قال فما تركتها بعد . وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحي من أقاربه وأخوانه . قال عبد الله ابن المبارك حدثني ثور بن يزيد عن ابراهيم عن أيوب قال تعرض أعمال الأحياء على الموتى فاذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا ، وإن رأوا سوا قالوا اللهم راجع به

وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد بن أبي الحواري قال ثنا محمد أخي قال دخل عباد بن عباد على ابراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظمي ، قال بيم أعظك أصلحك الله ؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما تعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكي ابراهيم حتى أخضل لحيته . قال ابن أبي الدنيا وحدثني محمد بن الحسين ثنا خالد بن عمرو الاموي ثنا صدقة بن سليمان الجعفري قال : كانت لي شرة سمجة فمات أبي فنتبت وندمت على ما فرطت ثم زلت أيماءة فرأيت أبي في المنام فقال أي بني ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديداً فلا تخزني فيمن حولي من الاموات قال فكنت أسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان جاراً لي بالكوفة أم ألك إياية لارجعة فيها ولا حور يامصلح الصالحين وباهادي المضلين وبأرحم الراحمين

وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة ، وكان بعض الانصار من أقارب عبد الله بن رواحة يقول . اللهم إني أعوذ بك من عمل أخزى به عند عبد الله بن رواحة كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله . وقد شرع السلام على الموتى والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال

وقد علم النبي ﷺ أمته اذا رأوا القبور أن يقولوا سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا إن شا. الله بكم لاحقون برحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية. فهذا السلام والخطاب والنداء. لموجود يسمع ويخطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد والله أعلم

الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا

وشبهة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (٥٤)

ينبه تعالى على تنقل الانسان في أطوار الخلق حالا بعد حال فأصله من تراب ثم من نقطة ثم من علفه ثم من مضغة ثم يصير عظاما ثم تكسى العظام لحما وينفخ فيه الروح ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى ثم يشب قليلا قليلا حتى يكرن صغيرا ثم حدثا ثم مرهقا ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتشيب الامة وتنقر الصفات الظاهرة والباطنة، ولهذا قال تعالى (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشبهة يخلق ما يشاء) ويتصرف في عيده بما يريد (وهو العليم القدير)

قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن فضيل ويزيد حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي قال : قرأت على ابن عمر (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا) فقال (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا) ثم قال قرأت على رسول الله ﷺ كما قرأت علي فأخذ علي كما أخذت عليك. ورواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث فضيل به ورواه أبو داود من حديث عبد الله بن جابر عن عطية عن أبي سعيد بنحوه

ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون (٥٥)

وقال الذين أوتوا العلم والایمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث

ولكنكم كنتم لا تعلمون (٥٦) فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يُستعقبون (٥٧)

قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) قرئ: بضم الصاد وفتحها فالضم انة قرئش والفتح لغة تميم ومعنى من ضعف أي من نقطة بربد من ذي ضعف أي من ماء ذي ضعف كما قال تعالى (الم نخلقكم من ماء مهين) (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي من بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) هرما (وشبهة يخلق ما يشاء) من الضعف والقوة والشباب والشبهة (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء قوله (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) بخلاف المشركون (ما لبثوا) في الدنيا (غير ساعة)

ينخير تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الاوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا فلهذا إقسامهم بالله أنهم مالبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا حتى يعذر اليهم

قال الله تعالى (كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والايمن لقد لبئتم في كتاب الله الى يوم البعث) أي فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لم حين يحلفون مالبثوا غير ساعة (لقد لبئتم في كتاب الله) أي في كتاب الاعمال الى يوم البعث أي من يوم خلقتم الى أن بعثتم ولكنكم كنتم لا تعلمون قال الله تعالى (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) أي اعتذارهم عما فعلوا ولا هم يستعقبون أي ولا هم يرجعون الى الدنيا كما قال (وان يستعقبوا فاهم من المعقبين)

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون (٥٨) كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (٥٩) فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون (٦٠)

يقول تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي قد بينا لهم الحق ووضحناه لهم وضربنا لهم فيه الامثال ليستبينوا الحق ويتبعوه (ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم

إلا ساعة استقلوا أجل الدنيا لما عابنوا الآخرة ، وقال مقاتل والكلبي مالبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) كذلك كانوا يؤفكون * بصرفون عن الحق في الدنيا ، قال الكلبي ومقاتل كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا بعث والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فخفوا على شيء يتبين لاهل الجحيم أنهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وبقدره بدليل قوله (يؤفكون) أي بصرفون عن الحق ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال (وقال الذين أوتوا العلم والايمن لقد لبئتم في كتاب الله) أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من البعث في القبور ، وقيل في كتاب الله أي في حكم الله ، وقال قتادة ومقاتل فيه تقديم وتأخير تقديره وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والايمن لقد لبئتم الى يوم البعث يعني الذين يعلمون كتاب الله وقرأوا قوله تعالى (ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون) أي قالوا للمتكبرين لقد لبئتم (الى يوم البعث فهذا يوم البعث) الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقوعا في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم) يعني عذرهم (ولا هم يستعقبون) لا يطلب منهم العتبي والرجوع الى الدنيا ، قرأ أهل الكوفة لا ينفع بالياء ههنا وفي حم المؤمن ، وقرأ الباقر بالياء فهما قوله (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا

إلا مبطلون) أي لو رأوا أي آية كانت سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر وباطل كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) ولهذا قال ههنا (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق) أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك وإن اتبعك في الدنيا والآخرة (ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) أي بل أثبت على ما بعثك الله به فإنه الحق الذي لا مربة فيه ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هدى يقيم بل الحق كله منحصر فيه قال سعيد عن قتادة نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال : (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأنصت له علي حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال : حدثنا وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان عن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال : نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) (طريق أخرى) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال صلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)

﴿ ما روي في فضل هذه السورة الشريفة واستحباب قراءتها في الفجر ﴾

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شيبا أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح فقرأ فيها الروم فأوهم فلما انصرف قال « انه يلبس علينا القرآن فان أقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فنشهد منكم الصلاة معنا فليحسن الوضوء » وهذا إسناد حسن ومتن حسن ، وفيه مر عجيب ، ونبأ غريب وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من أتم به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعاقبة بصلاة الامام

(آخر تفسير سورة الروم والله الحمد والمنة)

إن أنتم إلا مبطلون) ما أنتم إلا على باطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) توحيد الله (فاصبر إن وعد الله حق) في نصرتك وإظهارك على عدوك (ولا يستخفنك) لا يستجملنك معناه لا يحملنك الذين لا يوقنون على الجهل واتباعهم في الغي ، وقيل لا يستخفن رأيك وحملك (الذين لا يوقنون) بالبعث والحساب

تفسير سورة لقمان وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) تلك آيات الكتاب الحكيم (٢) هدى ورحمة للمحسنين (٣) الذين يقيمون

الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك على هدى من ربهم
وأولئك هم المفلحون (٥)

تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة وهو انه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة بمحدودها وأوقاتها وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ، ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك لم يراءوا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكوراً ، فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى [أولئك على هدى من ربهم] أي على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي (وأولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة

ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً

أولئك لهم عذاب مهين (٦) وإذا تتلى عليه آيتنا ولي مستكبراً كان لم يسمعها كأن في أذنيه
وقراً فبشره بعذاب أليم (٧)

﴿ سورة لقمان مكية وهي وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم ، تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة ﴾ قرأ حمزة ورحمة بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة ، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال ﴿ للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث بن كعدة وكان يتجر

لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بجماعه كما قال تعالى (الله
 زل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
 إلى ذكر الله) الآية . عطف بذكر حال الاشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بجماع كلام الله وأقبلوا
 على استماع المرامير والغناء بالالحن وآلات الطرب كما قال ابن مـ هود في قوله تعالى (ومن الناس من
 يشتري لهُو الحديث ليضل عن سبيل الله) قال هو والله الغناء.

روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر
 عن أبي معاوية الجلي عن سعيد بن جبيرة عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل
 عن هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهُو الحديث ليضل عن سبيل الله) فقال عبد الله بن مسعود
 الغناء والله الذي لا إله الا هو ، يرددها ثلاث مرات

حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبيرة عن
 أبي الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله (ومن الناس من يشتري لهُو الحديث) قال الغناء وكذا
 قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن بديمة ،
 وقال الحسن البصري : نزلت هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهُو الحديث ليضل عن سبيل الله
 بغير علم) في الغناء والمزامير . وقال قتادة قوله (ومن الناس من يشتري لهُو الحديث ليضل عن سبيل

فيأتي الخيرة وبشئري أخبار العجم فيحدث بها قريشا ويقول ان محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا
 أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الاكامرة فيستمعون حديثه ويتروكون استماع القرآن فأنزل
 الله هذه الآية ، وقال مجاهد يعني شراء القيان والمغنيين . ووجه الكلام على هذا التأويل من بشئري
 ذات أو ذا لهُو الحديث

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحاق
 المزكي ثنا جدي محمد بن اسحاق بن خزيمة أنا علي بن حجر أنا مشعل بن ملحان الطائي عن مطروح
 ابن يزيد عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي عبد الرحمن عن أبي امامة قال :
 قال رسول الله ﷺ « لا يحل تعلم المغنيات ولا بيعهن وأعتانهن حرام ، وفي مثل هذا أنزلت هذه
 الآية (ومن الناس من يشتري لهُو الحديث ليضل عن سبيل الله) وما من رجل يرفع صوته بالغناء
 الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه
 بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت »

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجدي أنا أبو احمد
 بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي أنا محمد بن غالب بن تمام أنا خالد بن مرثد أنا حماد بن زيد عن

الله بغير علم) والله لهله لا ينفق فيه مالا ولكن شراؤه استعجابه ، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع ، وقيل أراد بقوله (يشترى لهو الحديث) اشتراء المغنيات من الجواري

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن خلاد الصفر عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال « لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أمانهن حرام ، وفيهن أنزل الله عز وجل علي (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) » وهكذا رواه الترمذي وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وضعف علي بن يزيد المذكور [قلت] علي وشيخه والراوي عنه كلهم ضعفاء والله أعلم ، وقال الضحاك في قوله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) قال يعني الشرك وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله وقوله (ليضل عن سبيل الله) أي إنما يصنع هذا للخالف للإسلام وأهله ، وعلى قراءة فتح اليا ، تكون اللام لام العاقبة أو تعليلا للأمر القدرى أي قيصوا لذلك ليكونوا كذلك

وقوله تعالى (ويتخذها هزوا) قال مجاهد ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزي بها ، وقال قتادة يعني ويتخذ آيات الله هزوا ، وقول مجاهد أولى ، وقوله (أولئك لهم عذاب مهين) أي كما استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر ، ثم قال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعهما كأن في أذنيه وقرا) أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت

هشام هو ابن حسان عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة . قال مكحول من اشترى جارية ضاربة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم أصل عليه أن الله يقول (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) الآية . وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا لهو الحديث هو الغناء والمزامير والمعازف على القرآن . قال أبو الصهباء (يشترى لهو الحديث) أي يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن . قال أبو الصهباء البكري سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله لا إله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغناء يفتب النفاق في القلب ، وكان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يخرقون الدفوف ، وقيل الغناء رقية الزنا ، وقال ابن جرير هو الطبل ، وغن الضحاك قال هو الشرك ، وقال قتادة هو كل لهو ولعب ﴿ ليضل عن سبيل الله بغير علم ﴾ يعني يفعله عن جهل ، قال قتادة بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق

قوله تعالى ﴿ ويتخذها هزوا ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب ويتخذها ينصب الذال عطفا على قوله (ليضل) وقرأ الآخرون بالرغم نسقا على قوله (يشترى) ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾

عليه الآيات القرآنية ولي عنها وأعرض وأدبر وتصام ومابه من صمم كأنه ماسمها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها (فبشره بعذاب أليم) أي يوم القيامة يؤلمه كما نألم بسماع كتاب الله وآياته

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنّات النعيم (٨) خلّدين فيها وعد الله حقا

وهو العزيز الحكيم (٩)

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الاعمال الصالحة التابعة لشريعة الله [لهم جنات النعيم] أي يتنعمون فيها بأنواع الملذات والمسار من المآكل والمشرب والملابس والمساكن والمراكب والنساء والنصرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد، وهم في ذلك مقيمون دائما لا يظعنون ولا ييغون عنها حولا

وقوله تعالى (وعد الله حقا) أي هذا كائن لا محالة لأنه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأنه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر على كل شيء [وهو العزيز] الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء. [الحكيم] في أقواله وأفعاله الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين (قل هو الذي آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى) الآية. وقوله (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)

خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم وبث فيها من كل

دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (١٠) هذا خلق الله فأروني ماذا

خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (١١)

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيها وما بينهما فقال تعالى (خلق السموات بغير عمد) قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية. وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد لها عمد لا ترونها. وقد تقدم تقرير هذه المسئلة في أول سورة الرعد بما أغني عن إعادته (وألقى في الأرض رواسي) يعني الجبال أرسى الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ولهذا قال [أن تمتد بكم] أي لئلا تمتد بكم

وقوله تعالى [وبث فيها من كل دابة] أي وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها

وإذا تلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعهما كأن في أذنيه وقرأ فبشره بعذاب أليم * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم * خلّدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم * خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من

والوانها الا الذي خلقها . ولما قرر سبحانه أنه الخالق فبه على انه الرازق بقوله (وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أي من كل زوج من النبات كريم أي حسن المنظر ، وقال الشعبي والناس أيضاً من نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم وقوله تعالى (هذا خلق الله) أي هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات والارض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقته وتقديره وحده لا شريك له في ذلك ولهذا قال تعالى (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي مما يعبدون ويدعون من الاصنام والانداد [بل الظالمون] يعني المشركين بالله العابدين معه غيره (في ضلال) أي جهل وعي (ميين) أي واضح ظاهر لا خفاء به

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر

فان الله غني حميد (١٢)

اختلف السلف في لقمان هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة ؟ على قولين الاكثر على الثاني ، وقال سفيان الثوري عن الاشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى اليكم من شأن لقمان ؟ قال كان قصيراً أفتس الانف من النبوة ، وقال يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة

وقال الاوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً ذا مشافر وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيم حدثنا أبي عن أبي الاشهب عن خالد الربيعي قال كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال اخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ماشاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال اخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج

السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴿ حسن ﴾ هذا ﴿ يعني الذي ذكرت مما تعابنون ﴾ ﴿ خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ من آلهتكم التي تعبدونها ﴿ بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور ، وقال محمد بن اسحاق هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر ، وقال وهب انه كان ابن أخت أيوب ، وقال مقاتل ذكر أنه كان ابن خالة أيوب ، قال الواقدي كان قاضياً في بني اسرائيل ، واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً ، الا عكرمة فإنه قال كان لقمان نبياً وتفرد بهذا القول ، وقال بعضهم خبر لقمان بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة ، وروى أنه كان نائماً نصف النهار فنودي باللقمان هل لك أن

الاسنان والقلب ، فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضعتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضعتين فيها فأخرجتهما ، فقال لقمان انه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا

وقال الاعمش قال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين ، وقال حكيم بن أسلم عن سعيد الزبيدي عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني اسرائيل ، وذكر غيره انه كان قاضيا على بني اسرائيل في زمان داود عليه السلام

وقال ابن جرير حدثنا بن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو في مجلس ناس يتحدثهم فقال له ألسنت الذي كنت ترعى معي الغم في مكان كذا وكذا ؟ قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال صدق الحديث والصمت عما لا يعني ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر قال : ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له ألسنت عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس ؟ قال بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟ قال قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وترك ما لا يعني . فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبيا ومنها ما هو مشعر بذلك لان كونه عبدا قد مسه الرق ينافي كونه نبيا لان الرسل كانت تبعث في احساب قومها ولهذا كان جمهور السلف على انه لم يكن نبيا وانما ينقل كونه نبيا عن عكرمة ان صح السند اليه فانه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا ، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف والله أعلم

وقال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عياش القتباني عن عمر مولى عفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بني الحسحاس ؟ قال نعم ، قال أنت راعي الغنم ؟ قال نعم قال أنت الاسود ؟ قال أما سوادى فظاهر فما الذى يعجبك من أمرى ؟ قال وطاء الناس بساطك ، وغشيم بابك ، ورضام بقولك ، قال يا ابن أخي ان صغيت الى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان

يجعلك الله خليفة في الارض لتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وإن عزم علي فسمعا وطاعة فاني أعلم إن فعل ذلك بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لابرهم لم ياللقمان ؟ قال لان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها بفشاء الظلم من كل مكان إن يعن كافيافا لبحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ، ومن تخير الدنيا على الآخرة تفقه الدنيا ولا يصيب الآخرة . فعجبت الملائكة من حسن منطقته فنام نومة فأعطى الحكمة فأنقذ وهو يتكلم بها ، ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترطه لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك بعفو الله عنه وكان لقمان يؤزره بحكمته ، وعن خالد

غضبي بهري وكفي لسانی وعفة طعمتي وحفظي فرجي وقولي بصدقي ووفائي بهدي وتكرمي ضبني وحفظي جاري وتركي مالا يعنيني، فذلك الذي صيرني الى ماترى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن أبي الدرداء ان قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتي ما أوتي عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمامة سكتا طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهرا قط ولم يره أحد قط يمزق ولا يتنخم ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقاً نظمه إلا أن يقول حكمة يستعبد بها إياه أحد ، وكان قد تزوج وولده أولاد فماتوا فلم ييك عليهم ، وكان يغشى السلطان وبأبي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فذلك أوتي ما أوتي

وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبي حاتم فقال حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال : خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأنه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة ، قال فأصبح ينطق بها ، قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟ فقال انه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب الي . فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فالله أعلم ، والذي رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أي الفقه في الاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح اليه

وقوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أي الفهم والعلم والتعبير (أن اشكر الله) أي أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آناه الله ومنحه ووجهه من الفضل الذي خصه به عن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ، ثم قال تعالى (ومن يشكر فأنا بشكر لنفسه) أي إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) وقوله (ومن كفر فإن الله غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الارض كلهم جميعا فإنه الغني عما سواه ، فلا اله الا الله ولا نعبد الا اياه

وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يسني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (١٣)

الرعي قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجاراً ، وقال سعيد بن المسيب كان خياطاً ، وقيل كان راعي غنم فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلانا الراعي فبم بلغت ما بلغت ؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وترك مالا يعنيني ، وقال مجاهد كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين قوله عز وجل ﴿ أن اشكر الله ، ومن يشكر فأنا بشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد * وإذ قال لقمان لابنه ﴾ واسمه أنعم ويقال أشكم ﴾ وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم

ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصله في عامين أن اشكر لي ولو الديك إلى المصير (١٤) وإن جهداك علي أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا

معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥)

يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون وأمهم ابنة ثاران في قول حكاه السهيلي . وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر وأنه آتاه الحكمة وهو بوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ثم قال محذراً له (إن الشرك لظلم عظيم) أي هو أعظم الظلم

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ « أنه ليس بذلك ألا تسمع إلى قول لقمان (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) » ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قرن بوصيته بإياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وكثيراً ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن ، وقال ههنا [ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن] قال مجاهد مشقة وهن الولد ، وقال قتادة جهداً على جهده ، وقال عطاء الخراساني ضعفاً على ضعفه ، وقوله [وفصله في عامين] أي تربيته وارضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى [والوالدات برضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة] الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى [وحمله وفصاله ثلاثون شهراً] وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في شهرها إيلاً ونهاراً ليذكر الولد بإحسانها المتقدم إليه كما قال تعالى [وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً] ولهذا قال [أن اشكر لي ولو الديك إلى المصير] أي فاني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء.

عظيم ﴿قرأ ابن كثير (يا بني لا تشرك بالله) باسكان الياء، وفتحها حفص ، والباقون بالكسر (يا بني انما) بفتح الياء حفص ، والباقون بالكسر (يا بني أقم الصلاة) بفتح الياء البزي عن ابن كثير وحفص وباسكانها القواس والباقون بكسرها

قوله تعالى ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾ قال ابن عباس شدة بعد شدة وقال الضحاك ضعفاً على ضعف ، قال مجاهد مشقة على مشقة ، وقال الزجاج المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة ، ويقال الحمل ضعف ، والطلاق ضعف ، والوضع ضعف ﴿وفصاله﴾ أي فطامه ﴿في عامين أن اشكر لي ولو الديك إلى المصير﴾ المرجع ، قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي شيبه ومحمود بن غيلان قالا حدثنا عبيد الله أخبرنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي ﷺ فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اني رسول رسول الله ﷺ اليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تطيعواي لا آلوكم خيراً ، وان المصير إلى الله إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا ظن و خلود فلا موت . وقوله [وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها] أي ان حرصاً عليك كل الحرص على أن تتابعها على دينها فلا تقبل منها ذلك ، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبها في الدنيا معروفاً أي محسناً اليهما [واتبع سبيل من أناب إلي] يعني المؤمنين ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (قال الطبراني في كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد ابن ايوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند أن سعد بن مالك قال أنزلت في هذه الآية [وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها] الآية قال : كنت رجلاً راءياً أي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيرني فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعل يا أمه فاني لا أدع ديني هذا شيء فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما ركت ديني هذا شيء . فان شئت فلكي وإن شئت لا تأكلني . فأكلت

يُنبئُ إنها ان تلك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض

الصلوات الخمس فقد شكر الله ، ومن دعا للوالدين في أديار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها وصاحبها في الدنيا معروفاً) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب إلي) أي دين من أقبل إلى طائفي وهو النبي ﷺ وأصحابه . قال عطاء عن ابن عباس يريد أبا بكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فأمنوا به ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا فمؤلاً لهم سابقة الاسلام أسلموا بأمره وأبي بكر قال الله تعالى (واتبع سبيل من أناب إلي) يعني أبا بكر (ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) وقيل نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمهم وقد مضت القصة . وقيل الآية عامة في حق كافة الناس

قوله تعالى (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) الكناية في قوله إنها راجعة إلى الخطيئة

يأت بها الله ان الله لطيف خبير (١٦) يَبْنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور (١٧) ولا تصعر خدك للناس ولا تمش
 في الأرض مَرَحًا ان الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد في مشيك واغضض من
 صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (١٩)

هذه وصايا نافعة قد حكها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمثلها الناس ويقتدوا بها فقال [يا بني
 انها ان تك مثقال حبة من خردل] أي ان المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل وجوز بعضهم
 أن يكون الضمير في قوله انها ضمير الشأن والقصة وجوز على هذا رفع مثقال والاول أولى . وقوله
 عز وجل [يأت بها الله] أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها إن
 خير أو خير وان شرا فشر كما قال تعالى [ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا]
 الآية . وقال تعالى [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره] ولو كانت
 تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والأرض فإن الله
 يأتى بها لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض . ولهذا قال
 تعالى [ان الله لطيف خبير] أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضائلت
 خبير بديب النمل في الليل البهيم ، وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله [فتكن في صخرة] انها صخرة
 تحت الارضين السبع ، وذكره السدي باسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من
 الصحابة ان صح ذلك ، ويروى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري والمنهال بن عمرو وغيرهم
 وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب

والظاهر والله أعلم أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله سيبديها
 وبظهرها بلطيف علمه . كما قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن
 أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس
 ذلك أن ابن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله ؟ فقال
 يا بني انها إن تك مثقال حبة من خردل « فتكن في صخرة » قال قتادة تكن في جبل ، وقال ابن عباس
 في صخرة تحت الارضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها ، قال السدي
 خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن (ن ، والقلم) والحوت في
 الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان

لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كأننا ما كان » ثم قال (يا بني أقم الصلاة) أي بحدودها وفروضها وأوقاتها (واثم بالمعروف وانه عن المنكر) أي بحسب طاقتك وجهدك (واصبر على ما أصابك) علم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله [ان ذلك من عزم الأمور] أي ان الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور . وقوله (ولا تصعرخك للناس) يقول لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك اليهم كما جاء في الحديث « ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منكسر ، وابك واسبال الأزار فانها من الخيلة والخيلة لا يحبها الله »

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله « ولا تصعرخك للناس » يقول لا تنكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك ، وكذا روى العوفي وعكرمة عنه ، وقال مالك عن زيد بن أسلم [ولا تصعرخك للناس] لا تنكلم وأنت معرض وكذا روي عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الأصم وأبي الجوزاء وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم ، وقال إبراهيم النخعي يعني بذلك التشديد في الكلام . والصواب القول الاول قال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الابل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها فشبه به الرجل المنكبر ومنه قول عمرو بن جني التغلبي

وكنا اذا الجبار صعر خده أقننا له من ميله فتقوموا

وقال أبو طالب في شعره

وكنا قديما لا نقر ظلامه اذا ما نوا صعر الروس تقيما

وقوله [ولا تمش في الأرض مرحا] أي خيلا متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك يفضك الله ولهذا قال [ان الله لا يحب كل مختال فخور] أي مختال معجب في نفسه فخور أي على غيره ، وقال تعالى [ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا] وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدد فيه فقال « إن الله لا يحب كل مختال فخور » فقال رجل من القوم والله يا رسول الله اني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراكتي نعلي وعلاقة سوطي ،

ليست في السماء ولا في الأرض والصخرة على الريح (أو في السموات أو في الأرض) أت بها الله إن الله لطيف (باستخراجها) خير (عالم بمكانها) قال الحسن معنى الآية هي الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها ، وفي بعض الكتب : إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت حرارته من هيبتها فأت رحمه الله

فقال « ليس ذلك الكبر إنما الكبر أن تسفه الحق وتغفط الناس » ورواه من طريق أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووحيته بعد موته

وقوله (واقصد في مشيك) أي امش مشياً مقتصداً ليس بالبطي، المتبط ولا بالسريع المفرط بل عدلاً وسطاً بين بين. وقوله (واغضض من صوتك) أي لاتبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال (إن أنكر الاصوات لصوت الخمر) وقال مجاهد وغير واحد إن أقبح الاصوات لصوت الخمر أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالخمر في علوه ورفعه، ومع هذا هو بفيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالخمر يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم لأن رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء العائد في هبته كالكلب بقيء » ثم يعود في قبته « وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إذا سمعتم صباح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الخمر فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطاناً » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة به ، وفي بعض الالفاظ بالليل قاله أعلم . فهذه وصايا نافعة جداً وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أئموذجاً ودستوراً إلى ذلك

قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أخبرنا ابن المبارك أخبرنا سفيان أخبرني نهشل بن مجمع الضبي عن قرعة عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال « إن لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئاً حفظه » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله ﷺ قال « قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني اياك والتقوى فانه مخوفة بالليل مذمة بالنهار » وقال حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا الثري بن يحيى قل : قال لقمان لابنه يا بني إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك . وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه يا بني اذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الاسلام يعني السلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم . وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير ابن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال : وضع لقمان جراباً من خردل إلى جانبها وجعل يعظ ابنه

قوله « يا بني أقم الصلاة واثم بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك » يعني من الاذى « إن ذلك من عزم الامور » يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى فيها من الامور الواجبة التي أمر الله بها أو من الامور التي يعزم عليها لوجوبها « ولا تصبر خذك للناس » قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ولا تصبر بتشديد العين من غير ألف ، وقرأ

وعظته ويخرج خردلة حتى نفذ الخردل فقال يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الخزاعي ثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي حدثنا أنس بن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن » قال الطبراني أراد الحبش

﴿ فصل في الخول والتواضع ﴾ وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتاباً مفرداً ونحن نذكر منه مقاصده قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن أسامة بن زيد عن حفص بن عبد الله بن أنس عن جده أنس بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول « رب أشعث ذي طمرين يصفح عن أبواب الناس اذا أقسم على الله لأبره » ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس عن النبي ﷺ فذكره وزاد « منهم البراء بن مالك » وروي أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « طوبى للاخفاء الاثرياء الذين اذا حضروا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا أولئك مصاييح مجردون من كل فتنه غبراء مشتتة » وقال أبو بكر بن سهل النيمي حدثنا ابن أبي هريرة حدثنا نافع بن يزيد عن عياش ابن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه أنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال له ما يبكيك يا معاذ ؟ قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول « إن البشير من الرباء شرك وإن الله يحب الاخفاء الاثرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصاييح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة » حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا غنام بن علي عن حميد بن عطاء الاعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الله الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً » وقال أيضاً حدثنا اسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قال رسول الله ﷺ « إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله ديناراً أو درهماً أو فلساً لم يعطه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأل الدنيا لم يعطه إياها ولم يمنعه إياها هو انه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » وهذا مرسل من هذا الوجه

الآخرون تصاعر بالالف يقال صعر وجهه وصاعر اذا مال وأعرض تكبراً ، ورجل أصعر أي مائل العنق . قال ابن عباس يقول لا تكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك ، وقال مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه ، وقال عكرمة هو الذي اذا سلم عليه لوي عنقه تكبراً ، وقال الربيع بن أنس وقتادة ولا تحقرن الفقراء . أيكن الفقير والغني عندك سواء

وقال أيضا حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال . قال أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان من ملوك الجنة من هو أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الدين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينكحرا ، واذا قالوا لم ينصف لهم حوائج أحدهم تتجامل في صدره ، لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم » قال وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال قال عبد الله بن المبارك :

الارب ذي طمرين في منزل غدا زرايه مبثوثة ومبارقة

قد اطردت أنواره حول قصره وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروي أيضا من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعا « قال الله : من أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذق ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه وأعطاه في السر ، وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ان صبر على ذلك » قال ثم أنفذ رسول الله ﷺ بيده وقال « عجبت منيته ، وقل ترائه ، وقلت بواكيه » وعن عبيد الله بن عمرو قال : أحب عباد الله الى الله الغرباء ، قيل ومن الغرباء ؟ قال الفرارون بدينهم بجمعون يوم القيامة الى عيسى بن مريم . وقال الفضيل ابن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم أسرك ؟ ألم ألم أجهل ذكرك . ثم قال الفضيل إن استطعت أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محبوبا عند الله . وكان ابن محيريز يقول اللهم اني أسألك ذكرا خاملا ، وكان الخليل ابن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك ، وعند الناس من أوسط خلقك .

ثم قال (باب ما جاء في الشهرة) حدثنا احمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمر بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال « حسب امرئ من الشر الا من عصم الله أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ، وان الله لا ينظر الى صوركم ولكن الى قلوبكم وأعمالكم » وروي مثله عن اسحاق بن البهلول عن ابن أبي فديك عن محمد بن عبد الواحد الاخنسي عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعا مثله ، وروي عن الحسن مرسل نحوه فقيل للحسن فانه يشار اليك بالاصابع ، فقال انما المراد من يشار اليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق . وعن علي رضي الله عنه قال : لا تبدي لان تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكنم ، واصمت تسلم ، تسر الابرار وتغيظ الفجار . وقال ابراهيم بن آدم رحمه الله ماصدق

﴿ ولا تش في الارض مراحا ﴾ خيلا . تكبرا ﴿ إن الله لا يحب كل مختال ﴾ في مشيه ﴿ فخور ﴾ على الناس ﴿ واقصد في مشيك ﴾ أى ليكن مشيك قصدا لا تخيلا ولا اسراعا ، وقال عطاء امش بالوقار والسكينة كقوله (يمشون على الارض هونا) ﴿ واغضض من صوتك ﴾ انقص من صوتك وقال مقاتل اخفض من

الله من أحب الشهرة ، وقال أيوب ماصدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه ، وقال محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس ، وقال سماك بن سلمة ايك وكثرة الاخلاء ، وقال أبان بن عثمان ان أحببت أن يسلم اليك دينك فأقل من المعارف ، وكان أبو العالية اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم ، وقال حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن عوف عن أبي رجاء قال رأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراش النار

وقال ابن ادريس عن هارون بن أبي عيسى عن سليم بن حنظلة قال بينما نحن حول أبي اذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال انها مذلة للتابع وفننه للمتبع . وقال ابن عون عن الحسن خراج ابن مسعود فاتبعه أناس فقال والله لو تعلمون ما أعلق عليه باي ما تبعني منكم رجالان ، وقال حماد بن زيد كنا اذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردأ شديدا فكان ذلك نعمة ، وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قيضه ف قيل له في ذلك فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص واليوم في تشميره ، واصطنع مرة نعلين على حذو نعلي النبي ﷺ فلبسهما أياما ثم خلعهما وقال لم أر الناس يلبسونهما ، وقال ابراهيم النخعي لا تلبس من الثياب ما يشهر في الفقهاء ولا ما يزدرىك السفهاء ، وقال الثوري كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم ، والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل دينه

وحدثنا خالد بن خداح حدثنا حماد عن أبي حسنة صاحب الزيادي قال كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار النفاق ، وقال الحسن رحمه الله ان قوما جعلوا الكبر في قلوبهم والتواضع في ثيابهم ، فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف بمطرفه ما لهم تفاقدوا . وفي بعض الاخبار أن موسى عليه السلام قال لبني اسرائيل مالكم تأتونني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم الذئاب البسوا ثياب الملوك وألبسوا قلوبكم بالخشية

(فصل في حسن الخلق) قال أبو التياح عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا . وعن عطاء عن ابن عمر قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقا » ومن نوح ابن عباد عن ثابت عن أنس مرفوعا « ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العباد وانه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد » وعن سيار بن هارون عن حميد عن أنس مرفوعا « ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » وعن عائشة مرفوعا « ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار »

صوتك (إن أنكر الاصوات) أقبح الاصوات (لصوت الحمار) أوله زفير وآخره شهيق وهما صوتا أهل النار . وقال موسى بن أعين سمعت سفيان الثوري يقول في قوله (إن أنكر الاصوات لصوت الحمار) قال صباح كل شيء تسبيح لله الا الحمار . وقال جعفر الصادق في قوله (إن أنكر الاصوات لصوت

وقال ابن أبي الدنيا حدثني ابو مسلم عبدالرحمن بن يونس حدثنا عبدالله بن ادريس أخبرني أبي وعمي عن جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال «الاجوفان الفم والفرج» وقال أسامة بن شريك كنت عند رسول الله ﷺ فجاهته الاعراب من كل مكان فقالوا يا رسول الله ما خير ما أعطي الانسان؟ قال «حسن الخلق»

وقال يعلى بن ممالك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغه به قال: ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن، وكذا رواه عطاء عن أم الدرداء به وعن مسروق عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً «ان من خياركم أحسنكم أخلاقاً» حدثنا عبدالله بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عيسى عن محمد بن أبي سارة عن الحسن ابن علي قال: قال رسول الله ﷺ «ان الله يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يقدو عليه الاجر وبروح» وعن مكحول عن أبي ثعلبة مرفوعاً «ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً، وان أبغضكم الي وأبعدكم مني منزلاً في الجنة مساويكم أخلاقاً الثمثارون المنشدقون المتفهبون» وعن أبي اويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً «ألا أخبركم بأكثركم إيماناً أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون اكنافاً الذين يؤلفون ويألفون»

وقال الليث عن يزيد بن عبدالله بن أسامة عن بكر بن أبي الفرات قال: قال رسول الله ﷺ «ما حسن الله خلق رجل وخلقته فتطعمه النار» وعن عبدالله بن غالب الحدادي عن أبي سعيد مرفوعاً «حصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق» وقال ميمون بن مهران عن رسول الله ﷺ «ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق» وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع في آخر. قال حدثنا علي بن الجعد حدثنا ابو المغيرة الاحمسي حدثنا عبدالرحمن بن إسحاق عن رجل من قریش قال: قال رسول الله ﷺ «ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق، ان الخلق الحسن لينيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد، وان الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»

وقال عبدالله بن ادريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعاً «انكم لاتسعون الناس بأموالكم واسكن بسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق» وقال محمد بن سيرين حسن الخلق عون على الدين ﴿فصل في ذم الكبر﴾ قال علقمة عن ابن مسعود رفعه «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان» وقال ابراهيم بن أبي عبلة عن أبي

الحخير (قال هي العطسة القبيحة المنكرة، قال وهب تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم. ومن حكمه قال خالد الربيعي كان لقمان عبداً حبشياً فدفع مولاه اليه شاة وقال اذبحها واتنني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب، ثم دفع اليه شاة أخرى وقال

سلمة عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أبكى الله على وجهه في النار» حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن إياس بن سلمة عن أبيه مرفوعاً «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب»

وقال مالك بن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات يوم البساط في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتاً لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسف به أبعد مما رفع. قال حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخطبنا فيذكر

بدن خلق الانسان حتى إن أحدنا ليقدر نفسه يقول: خرج من محرق البول مرتين. وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا (أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالامس ان تريد الا أن تكون جباراً في الارض) وقال الحسن عجباً لابن آدم يغسل الحرة بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات. قال حدثنا خالد بن خدّاش حدثنا حماد بن زيد عن علي بن الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم

وقال الحسن عن يحيى عن أبي قال ان مطعم ابن آدم ضرب مثلاً لدنيا وان قزحه وملحه. وقال محمد بن الحسين بن علي - من ولد علي رضي الله عنه - ما دخل قلب رجل شيء من كبر الا نقص من عقله بقدر ذلك. وقال يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق، ونظر طاروس الى عمر ابن عبد العزيز وهو يختال في مشيته وذلك قبل أن يستخلف فظعن طاروس في جنبه بأصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه خرم فقال له كالمعتذر اليه: يا عم لقد ضرب كل عضومي على هذه المشية حتى تعلمتها قال ابو بكر بن أبي الدنيا كان بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلمون هذه المشية

﴿فصل في الاختيال﴾ عن ابن أبي ايلي عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعاً «من جرثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه» ورواه عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعاً مثله. وحدثنا محمد بن بكر حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً «لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر إزاره، ويوماً رجل يتبختر في برديه أعجبته نفسه خسف الله به لارض فهو يتججل فيها الى يوم القيامة» وروى الزهري عن سالم عن أبيه يوماً رجل الى آخره

ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسنع عليكم نعمه ظهرة وباطنة

اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا

قوله تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسنع عليكم﴾ أنتم وأكل

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتب منير (٢٠) وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ؟ (٢١)

يقول تعالى منها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليالهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحب وأمطار وتليج وبرد وجعله إياها لهم سقفا محفوظا وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وغمار وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب وإزاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في الله أي في توحيدهِ وإرساله الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) أي مبين مضي . (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجادلين في توحيد الله (اتبعوا ما أنزل الله) أي على رسوله من الشرائع المطهرة (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أي لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين . قال الله تعالى (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) أي فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال تعالى (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير)

(نعمه) قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص (نعمه) بفتح العين وضم الهاء على الجهم ، وقرأها الآخرون منونة على الواحد ومعناها الجهم أيضا كقوله (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها) (ظاهرة وباطنة) قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام والقرآن ، والباطنة ماستر عليك من الذنوب ولم يجعل عليك بالنعمة ، وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الاعضاء ، والباطنة المعرفة ، وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة الايمان ، وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب ، وقيل الظاهرة الاقرار بالاسان ، والباطنة الاعتقاد بالقلب ، وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق ، وقال عطاء الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة ، وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء ، والباطنة الامداد بالملائكة ، وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة إلقاء الرعب في قلوب الكفار ، وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبته (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأميمة بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) وجواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير

ومن يُسلم وجهه الى الله وهو مُحسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة
الامور (٢٢) ومن كفر فلا يحزنك كفره اليانا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم
بذات الصدور (٢٣) نمتهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (٢٤)

يقول تعالى مخبرا عن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لامره واتبع شرعه ، ولهذا قال
(وهو محسن) أي في عمله باتباع ما به أمر وترك ما عنه زجر (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي فقد
أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه (وإلى الله عاقبة الامور *) ومن كفر فلا يحزنك كفره (أي
لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم بالله وبما جئت به فان قدر الله نافذ فيهم) والى الله مرجعهم فينبئهم
بما عملوا (أي فيجزيهم عليه) (إن الله عليم بذات الصدور) فلا تخفى عليه خافية
ثم قال تعالى (نمتهم قليلا) أي في الدنيا (ثم نضطرهم) أي نلجئهم (إلى عذاب غليظ) أي
فظيع صعب مشق على النفوس كما قال تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في
الدنيا ثم اليانا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنَّ الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم

لا يعلمون (٢٥) لله ما في السموات والارض إن الله هو الغني الحميد (٢٦)

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والارض وحده
لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركا ، يعرفون أنها خلق له وملك له ، ولهذا قال تعالى (ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنَّ الله قل الحمد لله) أي اذ قامت عليكم الحجة باعترافكم
(بل أكثرهم لا يعلمون) ثم قال تعالى (لله ما في السموات والارض) أي هو خلقه وملكه (إن الله
هو الغني الحميد) أي الغني عما سواه وكل شيء فقير اليه الحميد في جميع ما خلق له الحمد في السموات
والارض على ما خلق وشرع وهو المحمود في الامور كلها

قوله تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله ﴾ يعني الله أي بخلص دينه لله ويفوض أمره الى الله ﴿ وهو
محسن ﴾ في عمله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه
﴿ وإلى الله عاقبة الامور * ﴾ ومن كفر فلا يحزنك كفره اليانا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم
بذات الصدور * نمتهم قليلا ﴾ أي تمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا الى انقضاء آجالهم ﴿ ثم نضطرهم ﴾
ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة ﴿ إلى عذاب غليظ ﴾ وهو عذاب النار ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولنَّ الله ، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ لله ما في السموات والارض إن الله هو الغني الحميد ﴿

يوشك أن ينفذ فقال الله تعالى (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) أي لو كان شجر الارض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفذ عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه. وقال الزبيدي أنس أن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) الآية يقول لو كان البحر مداداً لكلمات الله والشجار كلها أقلاماً لانكسرت الاقلام وفي ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفتنها شيء. لان أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه ان ربنا كما يقول وفوق ما نقول. وقد روي أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود

قال ابن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة يا محمد أرايت قولك (وما أوتيت من العلم إلا قليلاً) أيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ كلا كما قالوا أرايت قولك (وما أوتيت من العلم إلا قليلاً) أيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ أنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم، وأنزل الله فيما سأله عنه من ذلك (ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام) الآية وهكذا روي عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية والله أعلم

وقوله (إن الله عزيز حكيم) أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤنه. وقوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة الجميع هين عليه (إننا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وما أمرنا إلا واحدة كالمح بالبصر) أي لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) وقوله (إن الله سميع بصير) أي كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) الآية

الم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسمخ الشمس والقمر كل يجري

وفي الآية اختصار تقديره ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر بمد من بعده سبعة أبحر يكتب بها كلام الله ما نفذت كلمات الله (أن الله عزيز حكيم) وهذه الآية على قول عطاء بن يسار مدنية وعلى قول غيره مكية، وقالوا إنما أمر اليهود وقد قرئ أن يسألوا رسول الله ﷺ ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة والله أعلم

قوله (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعذر عليه شيء. (إن الله سميع بصير) ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسمخ الشمس

إلى أجل مُسمى وأن الله بما تعملون خبير (٢٩) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون

من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير (٣٠)

يجري تعالى أنه (يولج الليل في النهار) يعني يأخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم بشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء (وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى) قيل إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رضي الله عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «يا أباذر أندري أين تذهب هذه الشمس؟» قلت الله ورسوله أعلم. قال «فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا بحبي بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: الشمس بمنزلة السافينة تجري بالنهار في السماء في فللكها فإذا غربت جرت بالليل في فللكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر اسناد صحيح وقوله (وإن الله بما تعملون خبير) كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية

وقوله تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أي الموجود الحق الإله الحق وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بأذنه ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلفوا ذبابا لعجزوا عن ذلك، ولهذا قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) وأن الله هو العلي الكبير أي العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي هو أكبر من كل شيء فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه

ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليرى لكم من آياته إن في ذلك لآية لكل

صابر شكور (٣١) وإذا غشيهم موج كالثقلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم إلى

البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور (٣٢)

والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير * ذلك بأن الله هو الحق أي ذلك الذي ذكرت لتعلموا أن الله هو الحق * وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير * ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله * يريد أن ذلك من نعمة الله عليكم * ليرىكم من آياته * عجائبه

يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره أي بلفظه وتسخيرها فانه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال (ليرىكم من آياته) أي من قدرته (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي صبار في الضراء شكور في الرخاء.

ثم قال تعالى (وإذا غشيم موج كالظلل) أي كالجبال والغمام (دعوا الله مخلصين له الدين) كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال تعالى (فإذا ركبوا في الفلك) الآية . ثم قال تعالى (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) قال مجاهد أي كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد كما قال تعالى (فلما نجاهم إلى البر إذا هم بشر كون) وقال ابن زيد هو المتوسط في العمل وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد) الآية فالمقتصد ههنا هو المتوسط في العمل ، ويحتمل أن يكون مراداً ههنا أيضاً ويكون من باب الانكار على من شاهد تلك الأحوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر ثم بعد ما أنعم الله عليه بالخلاص كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب في العبادة والمبادرة إلى الخيرات ، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا إلا كل خثار كفور) فالتخار هو الغدار

قاله مجاهد والحسن وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذي كلما عاهد نقض عهده والخثر أتم الغدر وأبلغه . قال عمرو بن معد يكرب

وانك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وخثر

وقوله (كفور) أي جمود للنعم لا يشكرها بل يقتاسها ولا يذكرها

يأياها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز

(ان في ذلك لآيات لكل صبار) على أمر الله (شكور) لنعمه

قوله (وإذا غشيم موج كالظلل) قال مقاتل كالجبال ، وقال الكلبي كالسحاب ، والظلل جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهي جمع لان الموج يأتي منه شيء بعد شيء . (دعوا الله مخلصين له الدين) فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد (أي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني ثبت على إيمانه ، قيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجم عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه ، وقال مجاهد (فمنهم مقتصد) في القول مضمر للكفر ، وقال الكلبي مقتصد في القول أي من الكفار لان بعضهم كان أشد قولاً وأعلى في الاقتراء من بعض (وما يجحد بآياتنا إلا كل خثار فخور) والخثر أسوأ الغدر قوله تعالى (يأياها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي) لا يقضي ولا يغني (والد عن ولده

عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٣٣)

يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد وأمرهم بتقواهم والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث (لا يجزي والد عن ولده) أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه ، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعني الشيطان . قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة فإنه يغري ابن آدم وبعده ويمنيه وليس من ذلك شيء . بل كان كما قال تعالى (يعدم ويمنيه وما يعدم الشيطان إلا غرورا) قال وهب بن منبه قال عزيز عليه السلام لما رأيت بلا قومى اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي فنضرت إلى ربي وصليت وصمت فانا في ذلك التضرع أبكي إذ أتاني الملك فقلت له خبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة أو الآباء لأبنائهم؟ قال ان القيامة فيها فصل القضاء وملاك ظاهر ليس فيه رخصة لا يتكلم فيه أحد إلا باذن الرحمن ، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتتم أحد به غيره ، ولا يحزن لحزنه ولا أحد برحمه كل مشفق على نفسه ، ولا يؤخذ انسان عن انسان كل يهتبه همه ويبيكي عوله ، ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره . رواه ابن أبي حاتم

إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا

تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير (٣٤)

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد الا بعد اعلامه تعالى بها فعمل وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب لا يجليها لوقتها إلا هو (وكذلك انزال الغيث لا يعلمه إلا الله) ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن بشا الله من خلقه وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقته تعالى سواء ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شا الله من خلقه ، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وأخرها

ولا مولود هو جاز (معن) عن والده شيئا (قال ابن عباس كل امرئ تهمة نفسه) ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (يعني الشيطان ، قال سعيد بن جبير هو أن يعمل المعصية ويتمنى المغفرة)

قوله (ان الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن (تفسير ابن كثير والبقوي) (٦٠) (الجزء السادس)

(وما تدري نفس بأي أرض تموت) في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان لا علم لاحد بذلك وهذه شبهة بقوله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب

قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن ربيعة سمعت أبي ربيعة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير) » هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوه

(حديث ابن عمر) قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) » انفرد باخراجه البخاري ورواه في كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان بن سعيد الثوري به ، ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال : قال النبي ﷺ « مفاتيح الزيب خمس » ثم قرأ (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام) انفرد به أيضاً . ورواه الامام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمرو بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس ، إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير »

(حديث ابن مسعود) رضي الله عنه قال الامام أحمد ثنا يحيى عن شعبة ثني عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : قال عبد الله أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره ، قال قلت له أنت سمعته من عبد الله ؟ قال نعم أكثر من خمسين مرة ، ورواه أيضاً عن وكيع عن مسهر عن عمرو بن مرة به وهذا اسناد حسن على شرط السنن ولم يخرجوه

(حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحاق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه

حفصة من أهل البادية أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها وقال : ان أرضنا أجذبت فتنى ينزل الغيث ؟ وزكت امرأتى حبلى فما تلد ؟ وقد علمت أن ولدت فبأي أرض أموت ؟ فأنزل الله هذه الآية

رجل يمشي فقال يا رسول الله : ما الايمان ؟ قال « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر » قال يا رسول الله ما الاسلام ؟ قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان » قال يا رسول الله ما الاحسان ؟ قال « ما الله أول أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه براك » قال يا رسول الله متى الساعة ؟ قال « ما لم يؤل عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها ، اذا ولدت الامة ربتها فذاك من أشراطها ، واذا كان الحفاة العراة رؤس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ، ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم مافي الارحام » الآية ثم انصرف ، الرجل فقال « ردوه علي » فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً فقال « هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم » ورواه البخاري أيضاً في كتاب الايمان ومسلم من طرق عن أبي حبان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من افراد مسلم

(حديث ابن عباس) قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا بهز حدثنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال . جلس رسول الله ﷺ مجلساً فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعاً كفيه على ركبتي النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الاسلام ؟ قال رسول الله ﷺ « الاسلام أن نعلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله » قال فاذا فعلت ذلك فقد أسلمت ؟ قال « اذا فعلت ذلك فقد أسلمت » قال يا رسول الله فخذني ما الايمان ؟ قال « الايمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره » قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال « اذا فعلت ذلك فقد آمنت » قال يا رسول الله فخذني ما الاحسان ؟ قال رسول الله ﷺ « الاحسان أن تعمل لله كأنك تراه فان كنت لا تراه فانه براك » قال يا رسول الله فخذني متى الساعة ؟ قال رسول الله ﷺ « هي - سبحانه الله - في خمس لا يعلمهن الا الله (ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الارحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير) ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لما دون ذلك - قال أجل يا رسول الله فخذني ، قال رسول الله ﷺ - اذا رأيت الامة ولدت ربتها - أو ربها - ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون في البنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة رؤس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها » قال يا رسول الله ومن أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة ؟ قال « العرب » حديث غريب ولم يخرجوه

(ان الله عنده علم الساعة) وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) وقرأ أبي بن كعب (بأية أرض) والمشهور بأي أرض لان الارض ليس فيها من علامات التأنيث شيء ، وقيل أراد بالارض الممكن

(حديث رجل من بني عامر) روى الامام احمد ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن منصور عن ربهى ابن خراش . عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ فقال ألبج ، فقال النبي ﷺ لخادمه « اخرجني اليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له فليقل السلام عليكم أدخل » قال فسمعتة يقول ذلك فقلت السلام عليكم أأدخل فأذن لي فدخلت فقلت بيم أتيتنا ؟ قال « لم آتكم الا بخير أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تدعوا اللات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ، وأن تصوموا من السنة شهراً ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم » قال فقال فهل بقي من العلم شيء . لا تعلمه ؟ قال « قد علمني الله عز وجل خيراً وان من العلم ما لا يعلمه الا الله عز وجل الخمس (ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام) » الآية وهذا إسناد صحيح وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتى حبلى فأخبرني ما تلد ، وبلادنا بمجدة فأخبرني متى ينزل الغيث ، وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله عز وجل (ان الله عنده علم الساعة — الى قوله — علم خير) قال مجاهد وهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير . وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)

وقوله تعالى (وما تدري نفس بأي أرض تموت) قال قتادة أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا (إن الله عنده علم الساعة) فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ايلاً أو نهراً (ويعلم ما في الارحام) فلا يعلم أحد ما في الارحام أذكر أم أنثى أحر أو أسود وما هو (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) أخير أم شر ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غداً لملك المصاب غداً (وما تدري نفس بأي أرض تموت) أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الارض أتى بحر أم بر أو سهل أو جبل

وقد جاء في الحديث « إذا أراد الله قبض عبداً راض جعل له إليها حاجة » فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة بن زيد حدثنا إسحاق بن ابراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « ما جعل الله ميتة عبد بارض إلا جعل له فيها حاجة »

وقال عبد الله بن الامام احمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابو داود الحفري عن سفیان

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد العزيز بن عبد الله أنا ابراهيم بن سعد أنا ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول

عن أبي إسحاق عن مطر بن عكلمس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قضى الله ميتة عبد بأرض جعل له إليها حاجة » وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر عن النبي ﷺ غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود في المراسيل قاله أعلم وقال الامام احمد حدثنا اممايل حدثنا أيوب عن أبي المليح بن اسامة عن أبي عزة قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها أو قال بها حاجة » وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيد الله ويقال ابن عبد الهذلي . وأخرجه الترمذي من حديث اممايل ابن ابراهيم وهو ابن عليّة وقال صحيح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن عصام الاصفهاني ثنا المؤمل بن اسماعيل حدثنا عبيد الله ابن أبي حميد عن أبي المليح عن أبي عزة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم يفته حتى يقدمها » ثم قرأ رسول الله ﷺ (إن الله عنده علم الساعة) — الى — عليم خير !

﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا احمد بن ثابت الجحدري ومحمد بن يحيى القطيعي قالا حدثنا عمر بن علي حدثنا اممايل عن قيس عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة » ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرفعه الا عمر بن علي المقدي . وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي شيخ قال أنشدني محمد بن الحكم لاعتشى همدان فما تزود مما كلف يجمعه سوى حنوط غداة البين مع خرق وغير نفحة أعواد تشب له وقل ذلك من زاد لمنطق لا تأسين على شيء فكل فتى الى منيته سيار في عنق وكل من ظن أن الموت بخطئه معلل بأعاليـل من الحق بآما بلدة تقدر منيته إلا يسير إليها طائعا شيق

أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو مزوج باخت الشعبي أيضاً ، وقد كان ممن طلب العلم والتفقه ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به ، وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا إذا كان أجل أحدكم بأرض أتت له إليها حاجة فاذا بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الارض يوم القيامة يارب هذا ما أوعدتني

قال الطبراني حدثنا إسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن اسامة أن رسول الله ﷺ قال « ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة » ﴿ آخر تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

الله ﷺ قال « مغاتيخ الغيب خمس (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت) ﴿ ان الله عليم خير ﴾

تفسير سورة الم السجدة وهي مكية

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عبد الرحمن ابن هرم عن الاعرج عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة (وهل أتى على الانسان) ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري به

وقال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الم سجدة وتبارك الذي بيده الملك تفرد به أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين (٢) أم يقولون افتريه بل هو

الحق من ربك لتنذر قوما ما أنتم من نذير من قبلك اعلمهم بهتدون (٣)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أعنى عن اعادته هنا، وقوله (تنزيل الكتاب لاريب فيه) أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل (من رب العالمين) ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أنتم من نذير من قبلك اعلمهم بهتدون) أي يتبعون الحق

الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكه

﴿ سورة الم السجدة مكية وهي ثلاثون آية ﴾

قال عطاء الا ثلاث آيات من قوله (أفن كان مؤمناً) الى آخر ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الم * تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ﴾ قال مقاتل لا شك فيه أنه تنزيل من رب العالمين ﴿ أم يقولون ﴾ بل يقولون ﴿ افتراه ﴾ وقبل الميم صلة أي يقولون افتراه استفهام توبيخ، وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه، وقيل فيه اضمار مجازه فبل يؤمنون أم يقولون افتراه ثم قال ﴿ بل هو ﴾ يعني القرآن ﴿ الحق من ربك لتنذر قوما ما أنتم ﴾ يعني لم يأتهم ﴿ من نذير من قبلك ﴾ قال قتادة كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ وقال ابن عباس ومقاتل ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ ﴿ اعلمهم بهتدون ﴾ الله الذي خلق السموات والارض وما

من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (٤) يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون (٥) ذلك علم الغيب والشهادة العزيز الرحيم (٦)

يخبر تعالى أنه الخالق للاشياء، فخلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وقد تقدم الكلام على ذلك (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي بل هو المالك لأزمة الامور الخالق لكل شيء، المدبر لكل شيء، القادر على كل شيء، فلا ولي لحلقه سواء، ولا شفيع إلا من بعد اذنه (أفلا تتذكرون) يعني أيها العابدون غيره المتوكلون على من عدا، تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل، لا اله الا هو ولا رب سواه، وقد أورد النسائي ههنا حديثا فقال: حدثنا ابراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا ابو عبيدة الخداد حدثنا الاخضر بن عجلان عن أبي جريج المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ بيدي فقال: ان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع، فخلق التربة يوم السبت، والجبال يوم الاحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر، وخلفه من آدم الارض احمرها وأسودها وطيبها وخبيثها من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والحديث هكذا أورد هذا الحديث اسنادا ومثناه وقد أخرج مسلم والنسائي أيضا من حديث حجاج ابن محمد الاور عن ابن جريج عن امما عبد بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق. وقد علاه البخاري في كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الاحبار وهو أصح وكذا علاه غير واحد من الحفاظ والله أعلم وقوله تعالى (يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه) أي ينزل أمره من أعلى السموات

بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون * يدبر الامر أي يحكم الامر وينزل القضاء والقدر من السماء إلى الارض وقيل ينزل الوحي مم جبريل من السماء إلى الارض (ثم يعرج) يصعد (إليه) جبريل بالامر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لان ما بين السماء والارض خمسمائة عام يقول لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه الا في ألف سنة والملائكة يقطعونه في يوم واحد هذا في وصف عروج الملك من الارض إلى السماء وأما قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أراد مدة

٤٨٥ نزول أمر الله من السماء الى الارض ورفع الاعمال اليه (تفسير ابن كثير والبغوي)

الى اقصى تخوم الارض السابعة كما قال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلن ينزل الامر بينهن) الآية وترفع الاعمال الى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة

وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى (في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون * ذلك عالم الغيب والشهادة) أي المدبر لهذه الامور الذي هو شهيد على أعمال عباده يرفع اليه جليلها وحقيقتها وصغيرها وكبرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودنت له العباد والرقاب الرحيم بهيادته المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته وهذا هو الكمال العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة فهو رحيم بلاذل

الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانس من طين (٧) ثم جعل نسله من

سُلالة من ماء مهين (٨) ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة

قليلًا ما تشكرون (٩)

المسافة من الارض الى سدره المنتهى التي هي مقام جبريل يقول بسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا. هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك وقوله (اليه) أي الى الله ، وقيل على هذا التأويل الى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل أن يعرج اليه ، وقال بعضهم ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر معناه يدبر الامر من السماء الى الارض مدة أيام الدنيا (ثم يعرج) أي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الامراء وحكم الحكماء في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة . وأما قوله (خمسين ألف سنة) فانه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة ، وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاحها في الدنيا . وقال ابراهيم التيمي لا يكون على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر ، ويجوز أن يكون هذا اخباراً عن شدته وهوله ومشقته

وقال ابن أبي مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس وسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله (خمسين ألف سنة) فقال له ابن عباس أيام سماها الله لأدري ما هي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والارض عالم ما غاب عن عيان الخلق وما حضر ﴿ العزيز الرحيم ﴾ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿ قرأ نافع وأهل الكوفة خلقه بفتح اللام على الفعل ، وقرأ الآخرون بسكونها أي

يقول تعالى مخبراً أنه الذي أحسن خلق الاشياء وأتقنها وأحكمها ، وقال مالك عن زيد بن أسلم (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال أحسن خلق كل شيء . كأنه جعله من المقدم والمؤخر ، ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والارض شرع في ذكر خلق الانسان فقال تعالى (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني خلق أبا البشر آدم من طين (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل ونرائب المرأة (ثم سواء) يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سوياً مستقيماً (ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعني العقول قليلاً ما تشكرون أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل

وقالوا أءذا ضللنا في الارض أءنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون (١٠) قل يتوفئكم مآك الموت الذي و كل بكم ثم إلى ربكم ترجمون (١١)

يقول تعالى مخبراً عن المشردين في استبعادهم المعاد حيث قالوا (أءذا ضللنا في الارض) أي تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الارض وذهبت (أءنا في خلق جديد) أي أءنا لنعود بعد تلك الحال ، يستبدون ذلك وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة لبالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول كن فيكون ولهذا قال تعالى [بل هم بلقاء ربهم كافرون] ثم قال تعالى [قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم] الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة ابراهيم وقد

أحسن خلق كل شيء ، قال ابن عباس أتقنه وأحكمه ، قال قتادة حسنه ، وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء ، من قولك فلان يحسن كذا إذا كان بعلمه ، وقيل خلق كل حيوان على صورته لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في خلقه حسن وكل عضو من أعضائه مقدر بما يصلح به معاشه (وبدأ خلق الانسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلالة) نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان (من ماء مهين) أي ضعيف وهو نطفة الرجل (ثم سواء) ثم سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) ثم عاد الى ذريته فقال (وجعل لكم) بعد أن كنتم نطفة (السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون) يعني لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه (وقالوا) يعني منكري البعث (أءذا ضلنا) هلكنا (في الارض) وصبرنا تراباً وأصله من قولهم ضل الماء في اللبن إذا ذهب (أءنا لفي خلق جديد) استفهام انكار قال الله عز وجل (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) يقبض أرواحكم (ملك الموت الذي وكل بكم) أي وكل يقبض أرواحكم وهو عزرائيل

سمي في بعض الآثار يعزرائيل وهو المشهور . قاله قتادة وغير واحد وله أعوان ، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت ، قال مجاهد حويت له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء . ورواه زهير بن محمد عن النبي ﷺ بنحوه مرسلًا ، وقاله ابن عباس رضي الله عنهما

وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقرئ حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر ابن محمد قال سمعت أبي يقول : نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ « يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن » فقال ملك الموت يا محمد طب نفساً وقر عيناً فاني بكل مؤمن رقيق ، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أنصفهم في كل يوم خمس مرات حتى اني أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم ، والله يا محمد لو اني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها . قال جعفر بلغني أنه انما يتصفهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضرهم عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنأ منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إله الا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة

وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهدًا يقول : ما على ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر الا وملك الموت بطوف به كل يوم مرتين ، وقال كعب الاحبار والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه . رواه ابن أبي حاتم ، وقوله تعالى [ثم إلى ربكم ترجعون] أي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم للجزاءكم

والتوفي استيفاء العدد المضروب للخلق في الازل معناه أنه يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت ، وروي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين . وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب . وقال مجاهد جعلت له الأرض مثل طست يتناول منها حيث يشاء . وفي بعض الاخبار ان ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فيزع أعوانه روح الانسان فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت . وروى خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت الا وملك الموت يتصفهم في كل يوم مرتين فإذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب بملك الحربة رأسه وقال الآن تنزل بك سكرات الموت قوله [ثم إلى ربكم ترجعون] أي تصيرون اليه أحياء فيجزىكم بأعمالكم

ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا
 نعمل صالحا إنا موقنون (١٢) ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني
 لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (١٣) فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم
 وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (١٤)

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل حقيرين ذليلين ناكسي رؤوسهم أي من الحياة والخلجل يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا) أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك كما قال تعالى [أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا] وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة اذا دخلوا النار بقولهم [لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير] وهكذا هؤلاء يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا) أي الى دار الدنيا (نعمل صالحا إنا موقنون) أي قد أيقنا وتحققنا فيها ان وعدك حق ولفاك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم انه لو أعادهم الى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالفون رسوله كما قال تعالى (ولو رى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الآية وقال ههنا (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) كما قال تعالى [ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا] (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من الصنفين فدارهم النار لا يحيد لهم عنها ولا يحبس لهم منها فعوذ بالله وكتابه التامة من ذلك (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي يقال لاهل النار على سبيل التقرير والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له (إنا نسيناكم) أي سنعاملكم معاملة النامى لانه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شيء ، بل من باب المقابلة كما قال تعالى [فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا]

وقوله تعالى (ولو ترى اذ المجرمون) المشركون (ناكسوا رؤوسهم) مطأطؤ رؤوسهم (عند ربهم) حيا. منه وندما (ربنا) أي يقولون ربنا (أبصرنا) ما كنا به مكذبين (وسمعنا) منك تصديق ما أنقنا به رسلك وقيل أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قبل فينا (فارجعنا) فاردنا الى الدنيا (نعمل صالحا إنا موقنون) وجواب لو مضى مجازة لرأيت العجب (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) رشدناها وتوفيقها للإيمان (والكن حق) وجب (القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهو قوله لا بليس (لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين) ثم يقال لاهل النار وقال مقاتل اذا دخلوا النار قالت لهم الحزنة (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الإيمان به في الدنيا (إنا نسيناكم) تركناكم

وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال في الآية الأخرى [لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلا حمياً وغساقاً] — إلى قوله — فإن نزيدكم العذابا

إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون (٥١) تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم

ينفقون (١٦) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (١٧)

يقول تعالى (إنما يؤمن بآياتنا) أي إنما يصدق بها (الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجداً) أي استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً (وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) أي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجحمة من الكفرة الفجرة قال الله تعالى [إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] ثم قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطينة ، قال مجاهد والحسن في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يعني بذلك قيام الليل ، وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبي حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين ، وعن أنس أيضاً هو انتظار صلاة العتمة . رواه ابن جرير بأسناد جيد ، وقال الضحاك هو صلاة العشاء في جماعة وصلاة الغداة في جماعة (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) أي خوفاً من وبال عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه (ومما رزقناهم ينفقون) فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعديّة ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قلنا واقم

بيد يجافي جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجع

﴿ وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ﴾ من الكفر والتكذيب

قوله تعالى (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سجداً) سقطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) قيل صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان والسجود له (تتجافى) ترتفع وتنبو (جنوبهم عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضم عليه يعني الفراش وهم المتجهدون بالليل الذين يقومون للصلاة واختلفوا في المراد بهذه الآية قال أنس نزلت فينا معشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي ﷺ وعن أنس أيضاً قال نزلت في ناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقالوا هي صلاة الاوابين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الملائكة تنحرف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال

وقال الامام احمد حدثنا روح وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « عجب ربنا من رجلين رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله تعالى فأنهزموا فعلم ما عليه من الفرار وماله في الرجوع فرجم حتى أهرق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ، فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدي رجم رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهرق دمه » وهكذا رواه ابو داود في الجهاد عن موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به بنحوه

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال « لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، وصلاة الرجل في جوف الليل - ثم قرأ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع - حتى بلغ - جزاء بما كانوا يعملون) ثم قال - ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ - فقلت بلى يا رسول الله فقال - رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله - ثم قال - ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » فقلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه ثم قال « كف عليك هذا » فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال « ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟ » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم من طرق عن معمر به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال : سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل أن

عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « من صلى العشاء في جماعة كان كمن قام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا » وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله ابن بشران أنا أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت

رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تكَفِّرُ الخطيئة وقيام العبد في جوف الليل » وتلا هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) ورواه أيضاً من حديث النوري عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه ، ومن حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعاً بنحوه . ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضاً عن النبي ﷺ في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال « قيام العبد من الليل » وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا قطرب بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جريز عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال « ان شئت نبأذك بأبواب الخير ، الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل » ثم تلا رسول الله ﷺ (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله ﷺ « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون وهم قليل »

وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال بلال لما نزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآية كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ثم قال لانعلم روى أسلم عن بلال سواء وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق

يوماً قريباً منه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال « لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تهدي الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت - ثم قال - ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تطفيء الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل - ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع - حتى بلغ - جزاء بما كانوا يعملون) ثم قال - ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه - قلت بلى يا رسول الله قال - رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد - ثم قال - ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ - قلت بلى يا نبي الله قال فأخذ بلسانه فقال - اكف عليك هذا - قال فقلت يا نبي الله وأنا مؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال - تكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » حدثنا أبو الفضل زياد ابن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الجلاوي أنا محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني

وقوله تعالى [فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين] الآية أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم والذات التي لم يطمع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقافان الجزاء من جنس العمل ، قال الحسن البصري أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر . رواه ابن أبي حاتم

قال البخاري قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال قال الله تعالى « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال أبو هريرة أقرأوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال الله مثله . قيل لسفيان رواية قال فأبي شي ؟ ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا اسحاق ابن نصر حدثنا أبو أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً ما أطلعتم عليه » ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة (قرأت أعين) انفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ « ان الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

أنا حميد بن زنجوبه أبو عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الأثم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجوبه أنا روح بن أسلم أنا حماد بن سلمة أنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته فيقول الله للملائكة انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع فقاتل حتى أهرق دمه فيقول الله للملائكة

وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد أحسبه عن النبي ﷺ قال « من يدخل الجنة ينعم لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به، وروى الامام احمد حدثنا هارون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله ﷺ مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه « فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم قرأ هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع — إلى قوله — يعملون) وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون بن معروف وهارون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به

وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا علي بن أسد حدثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ يروي عن ربه عز وجل قال « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » لم يخرجوه وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر وغيره حدثنا سفيان ثنمطرف بن طريف وعبد الملك ابن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على المنبر يرفعه الى النبي ﷺ قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أذن أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يحجي بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أرضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله معه ولك ما شئت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصادقه من كتاب الله

انظروا إلى عبيدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى أهرق دمه »
 أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراح أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا قتبية بن سعيد أنا أبو عوانة عن أبي بشر عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »
 أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو الحسين بن بشر أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد ابن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن ابن مغافق عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »
 أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل

عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرأة أعين) الآية ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح قال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن المدائني حدثنا أبو بدر بن شعاع الوليد حدثنا زياد بن خزيمة عن محمد بن جعدة عن عامر بن عبد الواحد قال : بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أتى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت ؟ فتقول أنا من المزيديمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد أتى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت ؟ فتقول أنا التي قال الله (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرأة أعين)

وقال ابن أبي شيبة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم وذلك قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرأة أعين) ويخبرون أن الله عنهم راض ، وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الهوزني أو غيره قال : الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وآبئها فضة وترباها المسك ، والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآبئها ذهب وترباها المسك ، والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وآبئها اللؤلؤ وترباها المسك ، وسبع وتسعون بعد ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) الآية وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا معتمر بن سليمان عن الحسن بن أبان عن الغطريف عن جابر

أنا أصبح أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن الهيثم بن أبي سنان أخبره أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول « ان أخاك لا يقول الرفث » يعني بذلك عبد الله بن رواحة قال :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
بيد يجاني جنبه عن فراشه
إذا استنقلت بالكافرين المضاجع

قوله عز وجل (بدعون ربهم خوفا وطعما) قال ابن عباس خوفا من النار وطعما في الجنة (وما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة ، وقيل عام في الواجب والنظير (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم) قرأ حمزة ويعقوب أخفي لهم ساكنة البيا أي أنا أخفي لهم ومن حجبته قراءة ابن مسعود نخفي بالنون وقرأ الآخرون بفتحها (من قرأة أعين) مما تقر به أعينهم (جزاء بما كانوا يعملون) (تفسير ابن كثير والبغوي) (٦٢) (الجزء السادس)

ابن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن الروح الامين قال « يؤتى بحبوبات العبد وسيئاته ينقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة واحدة وسم الله في الجنة قال فدخلت على بزاد فحدث بمثل هذا الحديث قال فقلت فاین ذهبت الحسنة (قال أرأيتك الذين نقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم) الآية قلت قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) قال العبد يعمل مراً أمره الى الله لم يعلم به الناس فأمر الله له يوم القيامة قرة أعين

أفمن كان مؤمناً مكن كان فاسقاً لا يستوون (١٨) أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون (١٩) وأما الذين فسدوا فمأوئهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون (٢٠)
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (٢١) ومن أظلم ممن
ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون (٢٢)

يخبر تعالى عن عدله وكرمه انه لا يساري في حكمه يوم القيامة من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسوله
من كان (فاسقاً) أي خارجاً عن طاعة ربه مكذباً لرسول الله اليه كما قال تعالى (أم حسب الذين
أجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محبيهم وممأثمهم ساء ما يحكمون)
وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال
تعالى (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) الآية ولهذا قال تعالى ههنا (أفمن كان مؤمناً
مكن كان فاسقاً لا يستوون) أي عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما أنها نزلت

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل
أنا اسحاق بن نصر أنا أبو أسامة عن الاعمش أنا ابو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يقول
الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ذخراً بله ما لم تعلم عليه » ثم قرأ (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال
ابن عباس هذا مما لا تفسير له ، وعن بعضهم قال أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم

قوله عز وجل (أفمن كان مؤمناً مكن كان فاسقاً لا يستوون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد
ابن عتبة بن أبي معيط أخي عثمان لانه وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد بن عتبة
لعلي أسكت فانك صبي وانا والله أنشط منك لساناً وأحد منك سنناً وأشجع منك جنناً وأملأ منك

في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات (فلهم جنات المأوى) أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية (نزلا) أي ضيافة وكرامة (بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن الطاعة فأوأهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) الآية قال الفضيل بن عياض والله ان الابدني لموثقة وان الارجل لمقيدة وان اللمب ليرفعهم والملائكة ترفعهم (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك تقربعا وتوبيخا

وقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر) قال ابن عباس يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما وما يحل بأهلها مما يتبلى الله به عباده ليتوبوا اليه ، وروي مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وابراهيم النخعي والضحاك وعلمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخفيف ، وقال ابن عباس في رواية عنه يعني به اقامة الحدود عليهم ، وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر

وقال النسائي أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن اسراييل عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص وأبي عبيدة عن عبد الله (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر) قال سنون أصابتهم ، وقال عبد الله ابن الامام احمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في هذه الآية (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر) قال المضمار والدخان قد مضيا والبطشة والزام ، ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفا نحوه ، وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه ، وقال عبد الله بن مسعود أيضا في رواية عنه العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر ، وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره لم يبق بيت بمكة الا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا ومنهم من جمع له الامران

حشوا في الكتبية فقال له علي اسكت فانك فاسق فأنزل الله تعالى (فمن كان مؤمنا مكن كان فاسقا لا يستورن) ولم يقل لا يستورن لانه لم يرد مؤمنا واحدا وفاسقا واحدا ، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) التي بأوي اليه المؤمنون (نزلا) بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا فأوأهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون * ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر (أي سوى العذاب الاكبر) (لعلهم يرجعون) قال أبي بن كعب والضحاك والحسن وابراهيم العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وهو رواية الوابي عن ابن عباس ، وقال عكرمة عنه الحدود ، وقال

وقوله تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضعها ثم بعد ذلك تركها وجمدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها. قال قتادة إياكم والاعراض عن ذكر الله فإن من أعرض عن ذكره فقد اغترأ كبر الغرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب، ولهذا قال تعالى متهددا لمن فعل ذلك (إنا من المجرمين منتقمون) أي سأنتقم من فعل ذلك أشد الانتقام

وروى ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا محمد بن المبارك حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ثلاث من فعلهن فقد أجرم، من عقد لواء في غير حق أو عق والدیه أو مشى مع ظالم بنصره فقد أجرم يقول الله تعالى (إنا من المجرمين منتقمون) ورواه ابن أبي حاتم من حديث اسماعيل بن عياش به وهذا حديث غريب جداً

ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في صرية من لقائه وجعله هدي لبني إسرائيل (٢٣) وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (٢٤) إن ربك

هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون (٢٥)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آناه الكتاب وهو التوراة، وقوله تعالى (فلا تكن في صرية من لقائه) قال قتادة يعني به ليلة الاسراء ثم روى عن أبي العالية الرباعي قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخاق إلى الحرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياها (فلا تكن في صرية من لقائه) أنه قد رأى موسى ولقى موسى ليلة أسري به

مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والمظالم والكلاب، وقال ابن مسعود هو القتل بالسيوف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي (دون العذاب الأكبر) يعني عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) إلى الإيمان يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط

قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين) يعني المشركين (منتقمون) ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في صرية من لقائه يعني فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المهرج. قال ابن عباس وغيره

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن علي الحلواني حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) قال جعل موسى هدى لبني إسرائيل وفي قوله (فلا تكن في مريّة من لقائه) قال من لقاء موسى ربه عز وجل ، وقوله تعالى (وجعلناه) أي الكتاب الذي آتينا (هدى لبني إسرائيل) كما قال تعالى في سورة الاسراء (وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا يتخذوا من دوني وكبلا)

وقوله تعالى [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون] أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجه وتصدق رسله وتبائعهم فيما جازهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ثم لما بدّلوا وحرفوا وأولوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلام عن مواضعه فلا عمل صالحا ولا اعتقادا صحيحا ولهذا قال تعالى [ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب] قال قتادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن بن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ، ولا ينبغي الرجل أن يكون إماما يقتدى به حتى يتحاشى عن الدنيا ، قال وكيع قال سفيان لا بد للدين من العلم كما لا بد للجسد من الخبز

وقال ابن بنت الشاذلي قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم تسمع قوله [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا] قال لما أخذوا

اسماعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر عن شعبة عن قتادة رحمهما الله قال : وقال لي خليفة أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية قل أنا ابن عم نبيكم يعني ابن عباس عن النبي ﷺ قال « رأيت ليلة أمري بي موسى رجلا آدم طوالا جعداً كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلا مربوعاً مربوع الحاق إلى الحجرة والبياض سبط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياها فلا تكن في مريّة من لقائه)

أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله المحامي أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البزار أنا محمد بن يونس أنا عمر بن حبيب القاضي أنا ساجان التميمي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أمرني بي إلى السماء رأيت موسى يصلي في قبره » وروينا في المعراج أنه رأى في السماء السادسة ومراجعتي في أمر الصلاة ، وقال السدي (فلا تكن في مريّة من لقائه) أي من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) يعني الكتاب وهو التوراة ، وقال قتادة موسى (هدى لبني إسرائيل وجعلناه منهم) يعني من بني إسرائيل (أئمة) قادة في الخير يقتدى بهم يعني الانبياء الذين كانوا فيهم ، وقال قتادة اتباع الانبياء (يهدون) يدعون (بأمرنا لما صبروا) قرأهمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أي لصبرهم ، وقرأ الباقر بفتح اللام وتشديد الميم أي حين صبروا على

برأس الامر صاروا رؤسا قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الامام في الدين ولهذا قال تعالى [ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر] الآية كما قال هنا [ان ربك هو ، يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون] أي من الاعتقادات والاعمال

أولم يهد لهم كم أهلكننا من قبلهم من القرون يمشون في مسكنهم ؟ إن في ذلك لآيت أفلا يسمعون (٢٦) أولم يروا أنا نذوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرنا تأكل منه أنعمهم وأنفسهم أفلا يبصرون ؟ (٢٧)

يقول تعالى أولم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسول ما هلك الله قبلهم من الامم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخافتهم ايام فيما جاؤهم به من قوبم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، ولهذا قال (يمشون في مسكنهم) أي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها كأن لم يغنوا فيها كما قال (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) رقال (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيرا في الارض — إلى قوله — ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) ولهذا قال هنا (إن في ذلك لآيات) أي ان في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة (أفلا يسمعون) أي أخبار من تقدم كيف كان أمرهم

وقوله تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز) يبين تعالى لطفه بخلقه واحسانه اليهم في ارساله الماء اما من السماء أو من السيج وهو ما تحمله الانهار وتتعد من الجبال إلى الاراضي المحتاجة اليه في أوقاته ، ولهذا قال تعالى (إلى الارض الجرز) وهي التي لانبات فيها كما قال تعالى [وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا] أي يلبس لانبت شيئا ، وليس المراد من قوله [إلى الارض الجرز] أرض مصر فقط بل هي بعض المقصود وان مثل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعا من هذه الآية فانها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطر ألتهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى اليها النيل بما يتحملة من لزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة

دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون * ان ربك هو يفصل) يقضي (بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * أولم يهد) لم يبين (لهم كم أهلكننا من قبلهم من القرون يمشون في مسكنهم ، إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) آيات الله وعظاته فيتعظون بها قوله (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الارض الجرز) أي اليابسة الغليظة التي لانبات فيها ، قال

وفيه طين أحمر فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة الى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ما جديد ممطر في غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً

قال ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عن حدثه قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص وكان أميراً بها حين دخل مؤونة من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لايجري الا بها . قال وما ذلك قالوا ذا كانت ثلثا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام ، ان الاسلام بهدم ما كان قبله فاقاموا مؤونة والنيل لايجري حتى هبوا بالجملا . فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر انك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت اليك بطاقة داخل كتابي هذا فاتها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيس : من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل أهل مصر . أما بعد فانك ان كنت انما تجري من قبلك فلا تجر ، وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك . قال فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم . رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب السنة له ، ولهذا قال تعالى [أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأفلا يبصرون] كما قال تعالى [فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا] الآية ولهذا قال ههنا [أفلا يبصرون] وقال ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس في قوله [الى الأرض الجرز] قال هي التي لا تنظر الا مطراً لا يغني عنها شيئاً الا ما يأتيها من السيول ، وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض باليمن ، وقال الحسن رحمه الله هي قرى فيما بين اليمن والشام

وقال عكرمة والضحاك وقناة والسدي وابن زيد الأرض الجزر التي لانبات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى [وآية لهم الأرض الميتة أحييناها] الآيتين

ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صديقين (٢٨) قل يوم الفتح لا ينفع الذين كذبوا

لإيمانهم ولا هم يَنْظُرُونَ (٢٩) فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون (٣٠)

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعاداً وتكذيباً وعناداً [ويقولون متى هذا الفتح] أي متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما نزع أن لك وقتاً تدال

ابن عباس هي أرض باليمن ، وقال مجاهد هي أرض باليمن (فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم) من العشب والتبن (وأنفسهم) من الحبوب والاقوات (أفلا يبصرون) ويقولون متى هذا الفتح إن

علينا وينتقم لك منافتي يكون هذا ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلاً قال الله تعالى [قل يوم الفتح] أي إذا حصل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة [لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون] كما قال تعالى [فلما جاءتهم رسالتهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم] الآية. ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجاة وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطفلة. وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى [قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون] وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله (فافتح بيني وبينهم فتحاً) الآية وكقوله (قل يجمع بيننا وبينكم ثم يفتح بيننا بالحق) الآية وقال تعالى [واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد] وقال تعالى [وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا] وقال تعالى [ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح]

ثم قال تعالى [فاعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون] أي أعرض عن هؤلاء المشركين وبان ما أنزل إليك من ربك كقوله تعالى [انبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو] الآية وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك أنه لا يخف الميعاد. وقوله [انهم منتظرون] أي أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر (أم يقولون شاعر تربص به ربك المنون) وسنرى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أدا رسالة الله في نصرتك وتأيدك وسيجدون غيب ما ينظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

كنتم صادقين ﴿ قبل أراد يوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد ، قال قتادة قال أصحاب النبي ﷺ للكفار إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح ويحكم بيننا وبينكم فقالوا استهزاء متى هذا الفتح ؟ أي القضاء والحكم ، وقال الكلبي يعني فتح مكة ، وقال السدي يوم بدر لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون لهم إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح

قوله ﴿ قل يوم الفتح ﴾ يوم القيامة ﴿ لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ﴾ ومن حمل الفتح على فتح مكة والقيل يوم بدر قال معناه (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا) (ولا هم ينظرون) لا يملكون ليتوبوا ويعتدروا (فاعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظار انهم منتظرون) قيل انتظروا عدي لك بالنهر انهم منتظرون لك حداث لزمان ، وقيل انتظر عذاباً فيهم فانهم منتظرون ذلك أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن سعيد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرم عن أبي هريرة أنه قال كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزل السجدة وهل أتى على الإنسان. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو نعيم أنا سفيان عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزل وتبارك الذي بيده الملك

(آخر تفسير سورة السجدة والله الحمد والمئة)

تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية

قال الامام احمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال قال لي ابي بن كعب كأيّن قرأ سورة الاحزاب أو كأيّن تعدّها ؟ قال قلت ثلاثا وسبعين آية فقال قطّعت رأيتها وانها لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجوها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن ابي النجود وهو أبو بهدلة به ، وهذا اسناد حسن وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (١) واتبع

ما يوحي إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا (٢) وتوكل على الله وكفى بالله

وكيلا (٣)

هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فانه تعالى اذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلا يأنر من دونه بذلك بطريق الاولى والاحرى ، وقد قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله .

﴿سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية مدنية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الاعور عمرو ابن سفيان السلمي وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي مروح وطعيمة ابن أبيرق فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك. فشق على النبي ﷺ قولهم فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم فقال «أني قد أعطيت الأمان» فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة فانزل الله تعالى (يا أيها النبي اتق الله) أي دم على التقوى كالرجل يقول لغيره وهو قائم (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

(٦٣)

(الجزء السادس)

قوله تعالى (ولا تطعم الكافرين والمنافقين) أي لا نسمع منهم ولا نستشعرهم (إن الله كان عليا حكيما) أي فهو أحق أن تدبّع أوامره وتطيعه فانه عليم بعواقب الامور حكيم في أقواله وأفعاله ولهذا قال تعالى (واتبع ما يوحى اليك من ربك) أي من قرآن وسنة (إن الله كان بما تعملون خبيرا) أي فلا تخفى عليه خافية . وتوكل على الله (أي في جميع أمورك وأحوالك) (وكفى بالله وكيفا) أي وكفى به وكيفا لمن توكل عليه وأتاب اليه

ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤) ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيم (٥) يقول تعالى موطنا قبل المقصود المعنوي أمراً معروفا حسياً وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظاهر منها قوله أنت علي كظهر أبي أماله، كذلك لا بصير الذي ولد لأل للرجل اذا تبناه فدعاه ابناً له فقال (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم

قم ههنا أي اثبت قائماً . وقيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الامة . وقال الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم (ولا تطعم الكافرين) من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الاعور (والمنافقين) من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعيمة (إن الله كان عليا) بخلفه قبل أن يخلفهم (حكيم) فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى اليك من ربك) إن الله كان بما تعملون خبيراً (قرأ أبو عمرو يعملون خبيراً ويعملون بصيراً باليساء فيهما وقرأ غيره بالتاء . (وتوكل على الله) ثق بالله (وكفى بالله وكيفا) حافظاً لك وقيل كفيلاً برزقك

وقوله عز وجل (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر جميل بن الغميري وكان رجلاً ليدياً حافظاً لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء إلا وله قلبان وكان يقول ان لي قلبين أعقل منهما أفضل من عقل محمد . فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله ، فقال له يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال انهزموا قال فما لك احدي نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت الا انها في رجلي فعلموا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده . وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امراته وللمتبني ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر

اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم (كقوله عز وجل [ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم] الآية قوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) هذا هو المقصود بالنفي فانها نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي ﷺ كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالحاق وهذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) كما قال تعالى في أثناء السورة [ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً] وقال ههنا [ذاكم قولكم بأفواهكم] يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون أبنا حقيقياً فانه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) قال سعيد بن جبير (يقول الحق) أي العدل ، وقال قتادة (وهو يهدي السبيل) أي الصراط المستقيم ، وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذوالقلمين وانه كان يزعم ان له قلبين كل منهما بعقل وافر فأنزله الله تعالى هذه الآية ردّاً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي ظبيان قال ان أباة حدثه قال قلت لابن عباس أرايت قول الله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ما عني بذلك ؟ قال قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي فخطر خطر فقال المناقبون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فأنزله الله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الحارثي عن عبد بن حميد وعن احمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير به . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) قال بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول ليس ابن رجل آخر ابنك

أمه حتى تكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين (وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم) قرأ أهل الشام والكوفة اللاتي ههنا وفي سورة الطلاق بياء بعد الهمزة ، وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمزة ، وقرأ الآخرون بتلوين الهمزة وكلها لغات مرفوعة (تظاهرون) قرأ عاصم بالالف وضم التاء وكسر الهاء مخففاً وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مخففاً وقرأ ابن عامر بفتحهما وتشديد الظاء والهاء من غير ألف بينهما . وصورة الظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي . يقول تعالى ما جعل نساءكم اللاتي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة نذكرها ان شاء الله تعالى في سورة المجادلة (وما جعل أدعياءكم) يعني من تبنيتموه (أبناءكم) فيه نسخ التبني وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له يدعوه الناس إليه

وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد انها نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله عز وجل (ادعوم لا بآئهم هو أقسط عند الله) هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الاسلام من جواز ادعاء الابناء الاجانب وهم الادعياء، فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم الى آباءهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط والبر

قال البخاري رحمه الله حدثنا يعلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال ان زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن (ادعوم لا بآئهم هو أقسط عند الله) وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طرق عن موسى بن عقبة به . وقد كانوا يعاملونهم معاملة الابناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ، ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة رضي الله عنه - يا رسول الله انا كنا ندعو سالما ابنا ، وإن الله قد أنزل ما أنزل وأنه كان يدخل علي وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا ، فقال ﷺ « أوضعيه تحريمي عليه » الحديث ، ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعي ، وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وقال عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا)

وقال تبارك وتعالى في آية التحريم [وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم] احترازاً عن زوجة الدعي فانه ليس من الصلب فأما الابن من الرضاعة فنزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله ﷺ في الصحيحين « حرهوا من الرضاعة من يحرم من النسب » فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتعظيم فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما رواه الامام احمد وأهل السنن الا الترمذي من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدمنا على رسول الله ﷺ أغيلة بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع فجعل يبلطخ فخذاً ويقول « أبني لا ترموا الجرة حتى تطلع الشمس » قال أبو عبيدة وغيره أبني تصغير ابني وهذا ظاهر الدلالة فان هذا كان في حجة الوداع سنة عشر

وورث ميراثه وكان النبي ﷺ أعنق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المناقبون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخ التبني (ذلكم قولكم بأفواهكم) لا حقيقة له يعني قولم : زيد ابن محمد ﷺ وادعاء نسب لا حقيقة له (والله يقول الحق) يعني قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشد إلى سبيل الحق (ادعوم لا بآئهم) الذين ولدوهم (هو أقسط) أعدل (عند الله) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله

وقوله (ادعوهم لا بائهم) في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه وقد قتل في يوم ٠ وثنة سنة ثمان وأيضاً في صحيح مسلم من حديث ابي عوانة الوضاح بن عبد الله الشكري عن الجعد ابي عثمان البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بني » ورواه أبو داود والترمذي

قوله عز وجل (فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) أمر تعالى برد أنساب الادعياء الى آبائهم إن عرفوا فان لم يعرفوا فهم اخوانهم في الدين ومواليهم أي عوضاً عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله ﷺ يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعته ابنة حمزة رضي الله عنها تنادي باعم ياعم فأخذها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها دونك ابنة عمك ، فاحتلمتها فاخصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم في أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة ، فقال علي رضي الله عنه أنا أحق بها وهي ابنة عمي ، وقال زيد ابنة أخي ، وقال جعفر بن ابي طالب ابنة عمي وخالتها نحني بعني أسماء بنت عميس ، ففضى بها النبي ﷺ لحالتها وقال « الحالة بمنزلة الام » وقال لعلي رضي الله عنه « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر رضي الله عنه « أشبهت خلقي وخلقي » وقال لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » في هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها انه ﷺ حكم بالحق وأرضى كلا من المتنازعين ، وقال لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » كما قال تعالى (فإخوانكم في الدين ومواليكم)

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال أبو بكر رضي الله عنه قال الله عز وجل (ادعوهم لا بائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) فأننا ممن لا يعرف أبوه فأننا من اخوانكم في الدين ، قال أبي والله إني لأظنه أنه لو علم ان أباه كان حماراً لآتمى اليه

وقد جاء في الحديث « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم إلا كفر » وهذا تشديد وتهديد ووعيد أيد في التبري من النسب المعلوم ولهذا قال تعالى (ادعوهم لا بائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) ثم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي اذا

النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا معلى بن أسد أنا عبد العزيز بن المختار أنا موسى ابن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر ان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ قال ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن (ادعوهم لا بائهم هو أقسط عند الله) (فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم) يعني فهم اخوانكم (في الدين ومواليكم) ان كانوا محربين وليسوا ببنسبكم أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين وقبل مواليكم أي أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) قبل النسب قد يسموه الى غير أبيه (ولكن ما تعمدت قلوبكم) من دعائهم الى غير آبائهم بعد النهي وقال قتادة فيما أخطأتم

نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسم فان الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع أئمة كما أرشد اليه في قوله تبارك وتعالى آمراً بعباده أن يقولوا (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل قد فعلت » وفي صحيح البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر » وفي الحديث الآخر « ان الله تعالى رفع عن أمتي الخطأ والنسيان والأمر الذي يكرهون عليه » وقال تبارك وتعالى ههنا [وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم (وكان الله غفوراً رحيماً) أي وإنما الائمه على من تعمد الباطل كما قل عز وجل [لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم] الآية . وفي الحديث المتقدم « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه الا كفر » وفي القرآن المنسوخ : فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه أنه قال : ان الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، ثم قال قد كنا نقرأ (ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم) وان رسول الله ﷺ قال « لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فأما انا عبد الله فقولوا عبده ورسوله » وربما قال معمر « كما أطرت النصارى ابن مريم » رواه في الحديث الآخر « ثلاث في الناس كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت والاستسقاء بالنجوم »

الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض

في كتب الله من المؤمنين والمهجرين الا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا كان ذلك في

الكتب مسطوراً (٦)

به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن انه كذلك . ومحل ما في قوله تعالى (ما تعمدت) خفض رداً على ما التي في قوله فيما أخطأتم به مجازة ولكن فيما تعمدت قلوبكم (وكان الله غفوراً رحيماً) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر أنا شعبه عن عاصم قال سمعت أبا عثمان قال سمعت سعداً وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكره وكان قد تور حصن الطائف في اناس فجاء إلى النبي ﷺ فقال لا سمعنا النبي ﷺ يقول « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام »

قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يعني من بعضهم لبعض في نفوذ حكمه فيهم

قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما] وفي الصحيح « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » وفي الصحيح أيضا أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله والله لانت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال ﷺ « لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال يا رسول الله والله لانت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي فقال ﷺ « الآن يا عمر » ولهذا قال تعالى في هذه الآية (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)

وقال البخاري عنده هذه الآية المكرمة حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا ابي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مامن مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم) النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتمني فأنا مولاه » تفرد به البخاري ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله ، ورواه احمد من حديث ابي حصين عن أبي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ كان يقول « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأما رجل مات وترك ديناً فالي ، ومن ترك مالا فهو لورثته » ورواه ابو داود عن احمد بن حنبل به نحوه

وقوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أي في الحرمة والاحترام ، والتوقير والاكرام والاعظام ،

ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس وعطاء يعني اذا دعاهم النبي ﷺ ودعاهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي ﷺ أولى بهم من طاعتهم أنفسهم . وقال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى فيهم كما أنت أولى بعبدك فيما قضيت عليه . وقيل هو أولى بهم في الحل على الجهاد وبذل النفس دونه . وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فتزلت الآية . اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا عبد الله بن محمد انا ابو عامر انا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن ابي عمرو عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم) النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتمني فأنا مولاه »

قوله عز وجل (وأزواجه أمهاتهم) وفي حرف ابي (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) وهن أمهات

ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالاجماع، وإن سمي بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر، وهو من باب إطلاق العبارة لاثبات الحكم، وهل يقال معاوية وأمثلة خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنهم. وأنص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يقال ذلك، وهل يقال لهن أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليباً؟ فيه قولان صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا يقال ذلك وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه

وقد روي عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قرآ (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) وروي نحوه هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه. حكاه البغوي وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع ابن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أكرمكم بمنزلة الوالد أكرمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب يمينه» وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة. وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن عجلان، والوجه الثاني أنه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى [ما كان محمد أباً أحد من رجالكم]

وقوله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أي في حكم الله من المؤمنين والمهاجرين أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالخلف والمؤاخاة التي كانت بينهم. كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهم رسول الله ﷺ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف

المؤمنين في تعظيم حقهم وتحريم نكاحهم على التأييد، لافي النظر اليهن والخلوة بهن فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، قال تعالى (وإذا سألتهم عن متاعاً فاسألوهم من وراء حجاب) ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لأخواتهن وأخواتهم هم أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي زوج الزبير امرأة بنت أبي بكر وهي أخت أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين. واختلفوا في أنهن هل كن أمهات النساء المؤمنات قيل كن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً وقيل كن أمهات المؤمنين دون النساء، وروى الشعبي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها يا أمه قالت لست لك بأم إنما أنا أم، جالسكم. فبان بهذا أن معنى هذه الآية تحريم نكاحهن

قوله عز وجل (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) يعني في الميراث قال قتادة وكان المسلمون يتوارثون بالهجرة. قال الكلبي آخى رسول الله ﷺ بين الناس فكان يواخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت هذه الآية (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض

وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديثاً عن الزبير بن العوام فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبى من ساكني بغداد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والانصار (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) وذلك انا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فواخيناهم وأرثناهم فأخى ابو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ، وأخى عمر رضي الله غلابا ، وأخى عثمان رضي الله عنه رجلاً من بني زريق بن سعد الزرقى ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضي الله عنه وواخيت انا كعب بن مالك فجئته فابتاعته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى فوالله يا بني لو مات بومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والانصار خاصة فرجعنا إلى موارثنا

وقوله تعالى (الا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) أي ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلوة والاحسان والوصية ، وقوله تعالى (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي هذا الحكم وهو ان أولى الارحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله بقدر مكتوب في الكتاب الاول الذي لا يبدل ولا يغير . قاله مجاهد وغير واحد وإن كان تعالى قد شرع خلافاً في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم انه سينسخه الى ما هو جار في قدره الازلي وقضائه القدري الشرعي والله أعلم

وإذا أخذنا من النبيين ميثقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثقاً غليظاً (٧) ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً (٨)

في كتاب الله في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم (والمهاجرين) يعني ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن برثوا بالايان والمهجرة نسخت هذه الآية الموارثية بالمواخاة والمهجرة وصارت بالقرابة . قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك انه لما نسخ التوارث بالخلف والمهجرة أباح ان يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه قال مجاهد اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة لحق الايمان والمهجرة وقيل اراد بالاية اثبات الميراث بالايمان والمهجرة . يعني وألو الارحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض اي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر إلا ان تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً اي لا أن توصوا ذوي قرباتكم بشيء ان كانوا من غير اهل الايمان والمهجرة وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) اي كان الذي ذكرت من ان ذوي الارحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً وقال القرظي في التوراة

قوله عز وجل (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضاً (تفسير ابن كثير والبغوي) (٦٤) (الجزء السادس)

يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة وبقية الانبياء، انه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى [وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين] فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وكذلك هذا ، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح بذكرهم أيضاً في هذه الآية وفي قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية قال النبي ﷺ « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم » سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسل وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً والله أعلم .

وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وخيرهم محمد ﷺ موقوف وحمزة فيه ضعف ، وقد قيل ان المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة النذر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : ورفع

ويشير بعضهم ببعض قل مقاتل أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضاً وينصحوهم لقومهم ﴿ ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم أصحاب الكتب والشرائع وألو العزم من الرسل ، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر لما أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الحديثي أنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ أنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي أنا هارون بن محمد بن بكر بن بلال أنا أبي أنا سعيد يعني ابن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » قال قتادة وذلك قول الله عز وجل (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) فبدأ به صلى الله عليه وسلم قبلهم

أباهم آدم فنظر اليهم يعني ذريته وان فيهم الغني والفقير وحين الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال إني أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوصا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وهذا قول مجاهد أيضاً ، وقال ابن عباس الميثاق الغليظ العهد وقوله تعالى (ليسأل الصادقين عن صدقهم) قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل

وقوله تعالى (وأعد للكافرين) أي من أمهم (عذاباً أليماً) أي موجعاً فنعن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الامم ونصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والفاستين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال كما يقول أهل الجنة (لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم رجلاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تملون بصيراً (٩) اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠)

يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه الى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم عام تألبوا عليهم ونحزبوا وذلك عام الخندق ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور ، وقال مرسى بن عقبة وغيره كان في سنة أربع وكان سبب قدوم الاحزاب أن نفرأ من

﴿ وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ يقول أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة ، والحكمة في سؤالهم مع علمهم أنهم صادقون لتبكيك من أرسلوا اليهم ، وقيل ليسأل الصادقين عن عملهم لله عز وجل . وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم ﴿ وأعد للكافرين عذاباً أليماً ﴾

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق ﴿ اذ جاءكم جنود ﴾ يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير ﴿ فأرسلنا عليهم رجلاً ﴾ وهي الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للجمال ليلة الاحزاب انطلقتي فنصر رسول الله ﷺ فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل . وكانت الرمح التي أرسلت عليهم الصبا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا آدم أنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور »

أشرف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة الى خيبر منهم سلام ابن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا الى مكة فاجتمعوا بأشرف قريش وألبوم على حرب النبي ﷺ ودعواهم من أنفسهم النصر والاعانة فأجابوهم الى ذلك ثم خرجوا الى غطفان فدعواهم فاستجابوا لهم أيضا ، وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب ، وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر ، والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق حول المدينة مما يلي الشرق ، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فعمل المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله ﷺ التراب وحزرا ، وكان في حفرة ذلك آيات يينات ودلائل واضحات ، وجاء المشركون فزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة

قوله تعالى ﴿ وجندوا لم تروها ﴾ وهم الملائكة ولم تقال الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفت النيران وأكفأت القدور وجاءت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم ، حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب . فانهمزوا من غير قتال ﴿ وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ قال محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن موالاهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك عن الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا دخل حديث بعضهم في بعض : ان نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونذر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم الي حرب رسول الله ﷺ وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأعله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منهم ، قالوا فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت - الى قوله - وكفى بجهنم سعيرا ﴾ فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعواهم اليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك ثم خرج أولئك نفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس غيلان فدعواهم الى ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ، ومسر بن ربيعة بن نوبة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على

منهم في أعالي أرض المدينة كما قال الله تعالى (اذ جاءوك من فوقك ومن أسفل منكم) وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فأسندوا ظهورهم إلى سلع وجوههم إلى نحو العدر، والخنديق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الخيالة والرجال أن تصل إليهم وجعل النساء والذراير في آطام المدينة، وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي ﷺ وذرة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حبي بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد وبالؤوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم الخطب واشتد الامر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلا شديدا) ومكثوا محاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر إلا أنهم لا يصلون إليهم ولم يقم

رسول الله ﷺ بالخنديق سلمان الفارسي، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حصرنا خندقنا علينا، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه. أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حماد الاصبهاني أنا محمد بن جعفر الطبري ثنا حماد بن الحسن ثنا محمد بن خالد بن عثمة ثنا كثير بن عبد الله عن عمرو بن عوف حدثني أبي عن أبيه قال خط رسول الله ﷺ الخندق عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا، قال فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان لنا وقال الانصار سلمان منا، فقال النبي ﷺ « سلمان منا أهل البيت » قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المربي وستة من الانصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بمنزلة ذي باب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره خبر هذه الصخرة فاما أن تعدل عنها فان المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيه بأمره فاننا لانحب أن نجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحبك فيها قليل ولا كثير ففرنا فيها بأمرك فاننا لانحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضأ، ما بين لا بتيها يعني المدينة حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبيرا فكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية وبرق منها برق أضأ، ما بين لا بتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرا فكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضأ، ما بين لا بتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرا فتبع وكبر المسلمون معه فاخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط

بينهم قتال، إلا أن عمرو بن عبد ود العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب معه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا الى ناحية المسلمين فنذب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين اليه فيقال انه لم يبرز اليه أحد، فأمر عليا رضي الله عنه فخرج اليه فتجاولا ساعة ثم قتله علي رضي الله عنه فكان علامة على النصر، ثم أرسل الله عز وجل على الاحزاب ريحا شديدة المهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء، ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا) قال مجاهد وهي الصبا، ويؤيده الحديث الآخر « نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور »

فالتفت رسول الله ﷺ الى القوم فقال « رأيتم ما يقول سلمان؟ » قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم أضأت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضأت لي منها قصور الحر من ارض الروم كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضأت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا « فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر. فقال المنافقون ألا تعجبون من محمد يهدكم ويمنكم الباطل ويخبركم أنه يهصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا قال فنزل القرآن (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) وأنزل الله في هذه القصة (قل اللهم مالك الملك) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا معاوية بن عمرو أنا أبو اسحاق عن حميد قال سمعت أنسا يقول خرج رسول الله ﷺ الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك عنهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال « اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدأ

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا شعبة عن أبي اسحاق عن البراء قال كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى غير بطنه أو اغبر صدره وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلنا سكينتنا علينا * وثبت الاقدام ان لا قينا

ان الاولى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أينا

وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود عن عكرمة قال : قالت الجنوب لشمال ليلة الاحزاب انطلقني نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لانسري بالليل قال فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الاشج عن حفص بن غياث عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره

وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله : عنهما قال ارسلني خالي عثمان بن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق في برد شديد وريح الى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال « من أتيت من أصحابي فمرهم برجعوا » قال فذهبت والريح تسفي كل شيء فجعلت لا ألقى أحدا إلا

ورفع بها صوته أينما أرينا . رجعنا الى حديث ابن اسحاق قال فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من دومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي نبع نقي الى جانب أحد . وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلم في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء والذراري فرفعوا في الآطام ، وخرج عدو الله حبي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحبي بن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه حبي فأبى أن يفتح له فناداه حبي يا كعب افتح لي فقال وبحك يا حبي انك امرؤ مشؤم وأنا قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه الا وفاً وصدقا . قال وبحك افتح لي أكلحك قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني الأعلى حشيتك إن آكل معك منها . فاحفظ الرجل ففتح له فقال : وبحك يا كعب جئتكم بعذر الدهر وبحرطام ، جئتكم بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي نبع نقي الى جانب أحد ، وقد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . قال له كعب بن أسد جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ما به برعد وبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمد وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء . فلم يزل حبي بن أخطب بكعب يقتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهداً وميثاقاً ووفاء لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده وتبرأ مما كان عليه فيما كان بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى الى رسول الله ﷺ أخبره الى المسلمين بعث رسول الله (ص) سعد بن معاذ أحد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد ابن عباد أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهم عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج

أمرته بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحد منهم عنقه ، قال وكان معي ترس لي فكانت الرمح تضربه علي وكانت فيه حديد قال فضر به الرمح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأبعدها الى الارض .

وقوله (وجنودا لم يروها) هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بني فلان الي فيجتمعون اليه فيقول النجاء النجاء لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب ، وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه يومه ؟ قال نعم يا ابن أخي قال وكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجاهد . قال الفتى والله لو أدر كنا

وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحق الى هنا أعرف ولا تفتوا في أعضاء الناس ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به جهرا للناس » فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم منهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد ، فشتائم سعد بن عباد وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشائمهم فان ما بيننا وبينهم أربى من المشامة ، ثم أقبل سعد وسعدون معهم الى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وقالوا عظل والقارة كقدر عظل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيم خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين » وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأناهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ، وحتى قال أوس بن قيثي أحد بني حارثة بن قيثي يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو وذلك على ملا من رجال قومه فائذن لنا فلنرجع الى ديارنا قائمها خراجة من المدينة . فأقام رسول الله (ص) وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمي بالنبل والحصى . فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله (ص) الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عمرو وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله (ص) وأصحابه فخرى بينه وبينهم الصلح على ذلك حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد واستشارهما فيه ، فقالا يا رسول الله أشي . أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ؟ أم أمر نحببه فنصنعه ؟ أم شيء تصنعه لنا ؟ قال « بل شيء . أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك الا اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالوكم من كل جانب فاردت أن اكسر عنكم شوكتهم » فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة

ما تركناه يمشي على الأرض ولحمناه على أعناقنا . قال قال حذيفة رضي الله عنه يا ابن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هوباً من الليل ثم التفت فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ يشترط له النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع أدخله الله الجنة قال فما قام رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوباً من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوباً من الليل ثم التفت إلينا فقال « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟ يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة » فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بدمن القيام حين دعاني فقال صلى الله عليه وسلم « يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا » قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما تفعل لانقر لهم قراراً ولا ناراً ولا بناء فقام أبو سفيان فقال:

الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطعمون أن يأخذوا مناة واحدة إلا قرى أو يباعا فحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله ﷺ « فانت وذاك » فتناول سعد الصحيفة فحماها فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قریش منهم عمرو بن عبد ود وأخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا لهم يا بني كنانة فستعملون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيد هائم يمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فاضربوا أخيو لهم فاقتمحت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلم وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تغرق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج علماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال له علي بن أبي طالب أنتك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحدهما قال أجل، فقال له علي بن أبي طالب فاني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك، قال فاني أدعوك إلى النزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي واكني والله أحب أن أقتلك . فغمي عمرو عند ذلك فاقتمحت عن فرسه فمقره وضرب وجهه ثم أقبل علي بن أبي طالب فتنازلا وتجاولا فقتله علي فخرجت خيله منهزمة حتى اقتمحت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلاً من منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

يامعشر قريش لينظر كل امرئ من جلسه. قال حذيفة رضي الله عنه فاخذت بيد الرجل الذي الى جنبي فقلت من أنت؟ فقال أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكروه، ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما نطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بنا، فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطاق عقاله الا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن لا يتحدث شيئاً حتى تأتيني لو شئت لقتلته بسهم، قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رأيته أدخلني بين رجله وطرح علي طرف المرط ثم ركم وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشروا راجعين الى بلادهم. وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل لو أدركت

الحزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يامعشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده فقال رسول الله ﷺ لا حاجة لنا في جسده ونمت فشانكم به فخلى بينهم وبينه. قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب، فرسعد بن معاذ وعليه درع مقلصة خرجت منها ذراعه كاهار في بدنة حربته وهو يقول شعرا
ليث قايلا يدرك الهيجا جل لا بأس بالموت اذا حان الاجل

فكانت له أمه الحق يا بني فقد والله أجرت قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لو ددت ان درع سعد كانت أسبغ مما هي قالت وخفت عليه حيث أصاب السهم منه قالت فرمي سعد يومئذ بسهم فقطع منه الا كحل رماه خباب بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقني لها فانه لا قوم أحب الي أن أجاهدكم من قوم هم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية. وقال محمد بن اسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه من النساء والصبيان قالت صفية فر بنا رجل من اليهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة فقطعت ما بيننا وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا رسول الله ﷺ والمسلمون في نخور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا اليئنا عنهم اذ أنا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله لم آمنه بان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت معه وأبليت، فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة ذات ریح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا رجل يأتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة» فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم «يا حذيفة قم فائقنا بخبر من القوم» فلم أجد بدا اذ دعاني باسمي ان أقوم فقال «اثنني بخبر القوم ولا تذعهم علي» قال فضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعهم علي ولو رميته لاصبته قال فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسني من فضل عباة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى الصبح فلما ان أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قم يا نومان» ورواه يونس بن بكير عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم قال : ان رجلا

رسول الله ﷺ وأصحابه فأنزل اليه فاقتله . فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عموداً ونزلت من الحصن اليه فضرته بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا احسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل ، فقال مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب، قالوا وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم واتيائهم من قههم ومن أسفل منهم . ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من بني غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي ففرني بما شئت فقال له رسول الله ﷺ «أما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة» فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاءوا الحرب محمد وقد ظاهروهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كيتسكم البلاد بل لكم فيه أموالكم وأولادكم ونسأؤكم لا تقدرين على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان أموالهم وأولادهم ونسأؤهم بعيدة ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلاتقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشراهم حتى تكون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى تنأجروه . قالوا لقد أشرت برأي ونصح

ثم خرج حتى أتى قريشا . فقال لاني سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفرقي محمداً وقد بلغني أمر رأيت أن حقا علي أن أبلغكم نصحا لكم فاكموا علي قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد

قال الحذيفة رضي الله عنه نشكوا الى الله صحتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ادر كنتموه ولم ندره ورأيتموه ولم نره، فقال حذيفة رضي الله عنه ونحن نشكوا الى الله ايمانكم به ولم نره والله لا تدري يا ابن أخي لو ادر كته كيف كنت تكون لقد رأيتمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا. وروى بلال بن محبب العباسي عن حذيفة رضي الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة لا تعلموا ذلك لقد رأيتمنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقرينة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرائعنا، وما أتت علينا قط أشد ظلمة ولا أشد رجحا في أصوات رجبها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه. فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ان يوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم فيتسللون ونحن ثلثمائة أو نحو ذلك اذا استسلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا حتى أتى علي وما على جنة من العدو ولا من البرد الامرط لا مرأى ما يجاوز ركبتي قال فأتاني صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتي فقال « من

ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلين من قريش وخطفان رجلا من أشرفهم ينعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم أن نعم، فان بعثت اليكم يهود فاتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تهمونني قالوا صدقت قال فاكنتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان ذلك مما صنع الله لرسوله ﷺ أرسل أبو سفيان وروى غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخلف والحافر فاغدوا للقتال حتى تناجزوا محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه. فقالوا لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث بعضنا فيه حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تصطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى تناجز محمداً فاننا نخشى ان ضررنا منكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد. فلما رجعت اليهم الرسل بذلك الذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا وإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا أن يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك استمروا الى

هذا؟ قلت حذيفة قال « حذيفة » فتعاصرت الارض فقلت بلى يا رسول الله كراهية ان أقوم فقامت فقال « انه كائن في القوم خبر فأتيتي بخبر القوم » قال وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدّهم قراً قال فخرجت فقال رسول الله ﷺ « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته » قال فوالله ما خاف الله تعالى فزعاً ولا قرأ في جوفي الا خرج من جوفي فما أجد فيه شيئاً قال فلما وايت قل ﷺ « يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني » قال فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر اقوم نظرت في ضوء نار لم توقد فاذا رجل ادهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أباسفيان قبل ذلك فانزعجت سهما من كنانتي أبيض الریش فأضعه في كبد قومي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله ﷺ « لا تحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني » قال فامسكت ورددت سهمي الى كنانتي ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم. واذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تفر بهم بها ثم خرجت نحو النبي ﷺ فلما انتصفت في الطريق أو نحووا من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمدين فقالوا أخبر صاحبك ان الله تعالى كفاه القوم ، فرجعت الى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة

بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا إلى قريش وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تأتونا رهناً فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم ونطرح آيتهم فلما انتهى الى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى غيره عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان بأبا عبد الله رآبتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجهد ، فقال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا ، فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الاحزاب مع رسول الله ﷺ فقال « من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة ، فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله ﷺ فقلنا هونا من الليل ثم التفت الينا فقال « هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة؟ » فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله ﷺ فقال « يا حذيفة » فلم يكن لي بد من القيام اليه حين دعاني فقلت لبيك يا رسول الله وقت حتى أتيته وان جنبي ليضطربان فمسح رأسي ووجهي ثم قال « انت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلي ثم قال « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته »

بصلي فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القم وجمعت اقرقف فأومأ الي رسول الله ﷺ بيده وهو بصلي فدنوت منه فاسبل علي شملة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حربه أمر صلى فاخبرته خبر القوم وأخبرته اني تركتهم برنحلون وأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ربما وجنودا لم تروه وكان الله بما تعملون بصيرا) وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حربه أمر صلى من حديث عكرمة بن عمار به وقوله تعالى (اذ جاءكم من فوقكم) أي الاحزاب (ومن أسفل منكم) تقدم عن حذيفة رضي الله عنه أنهم بنو قريظة (واذ زافت الابصار وبلغت القلوب الحناجر أي من شدة الخوف والغزع) (وتظنون بالله الظنونا) قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول الله ﷺ أن الدائرة على المؤمنين وان الله سيفعل ذلك ، وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى (واذ زافت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا) ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد بعدنا أن نأكل كندز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على أن يذهب الى الغائط ، وقال الحسن في قوله عز وجل (وتظنون بالله الظنونا) ظنون مختلفة ظن المنافقون أن محمداً ﷺ وأصحابه

فأخذت سهمي وشدت علي سلاحي ثم انطلقت أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء وأبو سفيان قاعد بصطي فأخذت سهماً فوضعت في كبد قوسي فأردت أن أرميه ولو رمية لأصبته فذكرت قول النبي ﷺ « لا تحدثن حديثاً حتى ترجع » فرددت سهمي في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء قام فقال : يا معشر قريش لياخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر من هو قال فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت ؟ فقال سفيان الله أما تعرفي أنا فلان بن فلان فاذا هو رجل من هوازن، فقال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلكنا وهلك الكراع والخف وأخافتنا بنو قريظة وبلغنا منهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما روي فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام إلى جملة فهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأنني أمشي في حمام فأتيته وهو قائم بصلي فلما سلم أخبرته الخبر فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل قال فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء ، فأدناني النبي ﷺ منه وأنا مني عند رجله وألقى علي طرف ثوبه وألق صدري بيطن قدمه لم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال « قم يا نومان »

قوله عز وجل (اذ جاءكم من فوقكم) أي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن عوف النضري وعيينه بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن

يتأصلون ، وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الانصاري حدثنا ابو عامر ح وحدثنا أبي حدثنا
أبو عامر العقدي حدثنا الزبير يعني ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ربيع بن
عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قلنا يوم الخندق بارسول الله هل
من شيء . نقول فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال ﷺ نعم ؟ قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا
قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح ، وكذا رواه الامام احمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي

هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلا شديدا (١١) واذا يقول المنافقون والذين في

قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا (١٢) واذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب

لا مقام لكم فارجموا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون ان يوتنا عورة وما هي بعورة ان

يريدون الا فرارا (١٣)

يقول تعالى مخبرا عن ذلك الحال حين نزات الاحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية
الجهد والضيق ورسول الله ﷺ بين أظهرهم انهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزلا شديدا فحينئذ نظر
النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم (واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض

خويلد الاسدي في بني أسد وحبي بن أخطب في يهود بني قريظة ومن أسفل منكم) يعني من بطن
الوادعي من قبل المغرب وهم قريش وكنانة عاجهم أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه ، وأبو الاعور
عمرو بن سفيان السلمي من قبل الخندق ، وكان السبب الذي جر غزوة الخندق فيما قبل اجلاء رسول الله
ﷺ بني النضير من ديارهم (واذ زاغت الابصار) مالت وشخصت من الرعب وقيل مالت عن كل
شيء فلم تنظر إلا الى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) فزالت عن أما كنها حتى بلغت الحلق من
الفرع ، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به عن شدة الخوف ، قال الفراء معناه انهم جبنوا
وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنفخ رثته فاذا انتفخت الرثة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا
يقال للجبان انتفخ سحره (وتظنون بالله الظنونا) أي اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد
صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وظن المؤمنون النصر والظفر لهم ، قرأ أهل المدينة والشام
وأبو بكر الظنونا والرسولا والسبيلا باثبات الالف وصلا ووقفا لأنها مثبتة في المصاحف بالالف . وقرأ
أهل البصرة رحمة بغير الالف في الحالين على الاصل وقرأ الآخرون بالالف في الوقف دون الوصل بما وافقة
روس الآي (هنالك ابتلي) أي عند ذلك اختبر (المؤمنون) بالحصر والقتال ليعتبر الخالص من المنافق
(وزلزلوا زلزلا شديدا) حر كوا حركة شديدة (واذا يقول المنافقون) معتب بن قشير وقيل عبد الله بن أبي

ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) أما المنافق فنجم نفاقه ، والذي في قلبه شبهة أو حسكة ضعف حاله فتتفسر بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال ، رقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى « واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب (يعني المدينة كما جاء في الصحيح » أريت في المنام دار هجرنكم أرض بين حرتين فذهب وهلى إنما هجر فاذا هي يثرب » وفي لفظ المدينة

فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا ابراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من سمى المدينة يثرب فليس مغفر الله تعالى ، إنما هي طابة هي طابة » تفرد به الامام احمد وفي اسناده ضعف والله أعلم ويقال إنما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العاليق يقال له يثرب بن عبيد بن مهـلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح قاله الهـبلي : قل وروي عن بعضهم أنه قال ان لها في التوراة أحد عشر اسما . المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجارة والحبة والمحبوبة والقاصمة والمحبورة والعذراء والمرحومة . وعن كعب الاحبار قال : إنا نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة ياطيبة وباطابة ويا مسكينة لا تقلي الكنوز أرفع أحجرك على أحاجر القرى

وقوله (لا مقام لكم) أي ههنا يعنون عند النبي ﷺ في مقام المراقبة (فارجعوا) أي إلى بيوتكم ومنازلكم (ويستأذن فريق منهم النبي)

قال العقوي عن ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا نخاف عليها السراق ، وكذا قال غير واحد ، وذكر ابن اسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيثي يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أي ليس دونها ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى (وما هي بعورة) أي ليست كما يزعمون (ان يريدون الا فرارا) أي هربا من الزحف

وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) وهو قول أهل النفاق بعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله هذا والله الغرور (واذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قيثي وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني المدينة قال أبو عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها . وفي بعض الاخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال « هي طابة » كأنه كره هذا اللفظ (لا مقام لكم) قرأ العامة بفتح الميم أي لا مكان لكم تغزلون وتقيمون فيه ، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وحفص بضم الميم أي لا اقامة لكم (فارجعوا) إلى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى مساكنكم (ويستأذن فريق منهم النبي) وهم بنو حارثة وبنو سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي خالية ضائعة وهو مما يلي العدو ونخشى عليها السراق وقرأ أبو رجاء العطاردي عورة بكسر الواو أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها فكذبهم الله فقال (وما هي بعورة ان

ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها ثم سُئِلُوا الفتنَةَ لَا تَوَّها وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤)

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لَا يُؤَلِّفُونَ الدُّبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ

يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا

الَّذِي يَعَصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)

يخبر تعالى عن هؤلاء الذين يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا انهم لو دخل عليهم الاعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر الكفروا سرعاً وهم لا يحافظون على الايمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع هكذا فسرها قتادة وعبد الرحمن بن زبد وابن جرير وهذا ذم لهم في غاية الذم ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف لا يولون الادبار ولا يفرون

يريدون الا فرارا أي ما يريدون الا الفرار ولو دخلت عليهم أي لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من أقطارها جوانبها ونواحيها جمع قطر ثم سئلوا الفتنة أي الشرك لا توها لا أعطوها وقرأ أهل الحجاز لا توها مقصوراً أي لجأوها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام وما تلبسوا بها أي ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيراً ولا سرعوا الاجابة إلى الشرك طيبة به أنفسهم هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن والفراء وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى يهلكوا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل أي من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار من عدوهم اي لا ينهزمون قال بزبد بن رومان هم بنو حارثة هوأ يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما اعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن . فساق الله اليهم ذلك ، وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي ﷺ « اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم » قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال « لكم النصر في الدنيا والآخرة » قالوا قد فعلنا ذلك فذلك عهدهم . وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا محمداً ﷺ ليلة العقبة كانوا سبعين نفرًا لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وانما (تفسير ابن كثير والبقوي) (٦٦) (الجزء السادس)

من الزحف (وكان عهد الله مسئولا) أي وان الله تعالى سيء ألهم عن ذلك العهد لا بد من ذلك ، ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا في تعجيل أخذهم غرة ، ولهذا قال تعالى (وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي بعد هربكم وفراركم (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) ثم قال تعالى (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي بمنعكم (إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) أي ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجبر ولا مغيب .

قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمّ الينا ولا يأتون بالبأس الا قليلا (١٨) أشجة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشجة على خير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩)

يخبر تعالى عن احاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لاخوانهم أي أصحابهم وعشراتهم وخلطائهم (هلم الينا) أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والتمار وهم مع ذلك (لا يأتون

الآية في قوم عاهدوا الله ان يقاتلوا ولا يفرّوا ففوضوا العهد (وكان عهد الله مسئولا) أي مسئولا عنه (قل) لهم (لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل) الذي كتب عليكم لان من حضر أجله مات أو قتل (وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي لا تمتعون بعد هذا الفرار الا مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) يمنعكم من عذابه (ان أراد بكم سوءا) هزيمة (أو أراد بكم رحمة) نصرة (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) أي قريبا ينفعهم (ولا نصيرا) أي ناصرا يمنعهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المشبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) أي ارجعوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك . قال قتادة هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يثبطون أنصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لاخوانهم ما محمد وأصحابه إلا آكلة راس ولو كانوا لحما لا تأتهمهم - أي ابتلعهم - أبو سفيان وأصحابه دعوا الرجل فانه هالك . وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود أرسلت إلى المنافقين وقالوا ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا هلموا الينا . فاقبل عبد الله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون

البأس إلا قليلا أشحة عليكم) اي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم ، وقال السدي (أشحة عليكم) اي في الغنائم (فاذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) أي من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال (فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد) أي فاذا كان الامن تكلموا كلاما بليغا فصيحاً عالياً وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذلك ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما (سلقوكم) اي استقبلوكم ، وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير اي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فهم كما قال في أمثالهم الشاعر :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك
أي في حال المسألة كأنهم الحر ، والاعيار جمع غير وهو الحمار ، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ، ولهذا قال تعالى (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) أي سهلاً هيناً عنده

يحتسبون الاحزاب لم يذهبوا وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في
الاعراب يستلون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قتلوا إلا قليلا (٢٠)

وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف (يحتسبون الاحزاب لم يذهبوا) بل

من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا إلى اخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المناققين الا ايماناً واحتساباً

قوله عز وجل (ولا يأتون البأس) الحرب (إلا قليلا) رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً (أشحة عليكم) بخلاء بالنفقة في سبيل الله وقال قتادة بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله تعالى بالبخل والجبن فقال (فاذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون اليك تدور أعينهم) في الرؤوس من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وذلك أن من قرب الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف (فاذا ذهب الخوف سلقوكم) آذوكم ورموكم في حال الامن (بالسنة حداد) ذربة جمع حديد ، يقال للخطيب الفصيح الذرب اللسان مسلوق ومصلوق وسلاق وصلاق قال ابن عباس سلقوكم أي عضهواكم وتناولوكم بالنقص والغيبة ، وقال قتادة : طوا السنهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فانا قد شهدنا معكم القتال فلستم احق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند البأس أجبن قوم (أشحة على الخير) أي عند الغنيمة يتشاحون على المؤمنين (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم) قال مقاتل أبطل الله جهادهم (وكان ذلك على الله يسيراً) يعني هؤلاء المناققين (الاحزاب) يعني

هم قريب منهم وان لهم عودة اليهم (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسألون عن أنبيائكم) أي ويودون اذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم الا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر

الله كثيرا (٢١) ولما رآه المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله

ورسوله ، وما زادهم الا إيمانا وتسليما (٢٢)

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأمي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأمي بالتأيي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجعوا وازلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشماله ﷺ ولهذا قال تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله

قربا وغطفان واليهود) لم يذهبوا) لم ينصرفوا عن قتالهم جينا وفرقا وقد انصرفوا) وإن يأت الأحزاب) أي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب) يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) أي يمتنوا لو كانوا في بادية مع الاعراب من الخوف والجبن ، يقال بدا يبدو بداوة اذا خرج الى البادية) يسألون عن أنبيائكم) أخباركم وما آل اليه أمركم وقرأ يعقوب بسألون مشددة ممدودة أي يتساءلون) ولو كانوا) يعني هؤلاء المنافقين) فيكم ما قاتلوا الا قليلا) تعذرا أي يقالون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا ، قال الكلبي الا قليلا أي رميا بالحجارة وقال مقاتل الارباء وسبعة من غير احتساب قوله عز وجل) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) قرأ عاصم أسوة حيث كانت بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان أي قدوة صالحة وهي فعلة من الانساء كالتدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر أي به اقتداء حسن أن تنصروا دين الله وتوازرروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ كسرت ربايته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته) لمن كان يرجو الله) بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين يعني أن الاسوة برسول الله ﷺ لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله) واليوم الآخر) أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الاعمال) وذكر الله كثيرا) في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين

كثيراً) ثم قال تعالى مخبراً عن عباده المؤمنين المصدقين بوعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى (وصدق الله ورسوله)

وقوله تعالى (وما زادهم الا إيماناً وتسليماً) دليل على زيادة الايمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الاثمة إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة. ومعنى قوله جلّت عظمته (وما زادهم) أي ذلك الحال والضيق والشدة (الا إيماناً وتسليماً) أي انقياداً لأوامره وطاعة لرسوله ﷺ

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر

وما بدلوا تبديلاً (٢٣) ليجزي الله الصّديقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب

عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً (٢٤)

لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الا دباراً، وصف المؤمنين أنهم استمروا على العهد والميثاق (وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) قال بعضهم أجله وقال البخاري عهده وهو يرجع الى الاول (ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) أي وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه. قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة

عند لقاء الاحزاب فقال (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا) تسليماً لا مراً الله وتصديقاً لوعده (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وعد الله إياهم ما ذكر في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم - الى قوله - ألا إن نصر الله قريب) فالآية تتضمن ان المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء، فلما رأوا الاحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم الا إيماناً وتسليماً) أي تصديقاً لله وتسليماً لأمره

قوله عز وجل (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد، والنحب النذر والنحب الموت أيضاً قال مقاتل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه، وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء. بالعهد من قول العرب نحب فلان في سيره يومه وليله أجمع اذا مدغم ينزل (ومنهم من ينتظر)

ابن زيد بن ثابت عن أبيه قال: لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم أجدها مع أحد الا مع خزيم بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) تفرد به البخاري ومسلم وأخرجه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بشار حدثنا محمد ابن عبد الله الانصاري حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الآية انفرد به البخاري من هذا الوجه، ولكن له شواهد من طرق أخرى. قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال أنس: عني أنس بن النضر رضي الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، لئن أراني الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما صنع. قال فهاب ان يقول غير ما شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له أنس رضي الله عنه يا أبا عمرو أين وإها لريح الجنة إني أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه قال فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقاتل اخته عمتي الربيع ابنة النضر فاعرفت أخي الا ببنايه قال فنزلت هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم. ورواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائي أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه بنحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال ان عمه يعني أنس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى

الشهادة. وقال محمد بن اسحاق (فمنهم من قضى نحبه) من استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الامرين اما الشهادة أو النصر (وما بدلوا تبديلا) عهدهم (تبديلا) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سعيد الخزاعي أنا عبد الأعلى عن حميد قال سألت أنساح وحدثني عمرو بن زرارة أنا زياد حدثني حميد الطويل عن أنس قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما صنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون قال اللهم أني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني أجدر ربهما من دون أحد. قال سعد فما استطعت

الله عليه وسلم المشركين لئن اشهدني الله عز وجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ما صنع . قال فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال : اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني اصحابه و ابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقية سعد يعني ابن معاذ رضي الله عنه دون احد فقال انا معك قال سعد رضي الله عنه فلم استطم ان اصنع ما صنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفي اصحابه نزلت (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) واخرجه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد والنسائي فيه أيضا عن اسحاق بن ابراهيم كلاهما عن يزيد بن هارون به وقال الترمذي حسن . وقد رواه البخاري في المغازي عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن انس رضي الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن حميد عن انس رضي الله عنه به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن الفضل العسقلاني حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة رضي الله عنه قال : لما أُرْجِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى المسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر والخير ثم قرأ هذه الآية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) الآية كلها ، فقام اليه رجل من المسلمين فقال يا رسول الله من هؤلاء ؟ فأقبلت وعلي ثوبان أخضران حضرميان فقال « أباها السائل هذا منهم » وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحي به ، وأخرجه الترمذي في التفسير والمناقب أيضاً وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما رضي الله عنه به وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس

وقال أيضاً حدثنا أحمد بن عصام الانصاري حدثنا أبو عامر — يعني العقدي — حدثني إسحاق — يعني ابن طلحة بن عبيد الله — عن موسى بن طلحة قال : دخلت على معاوية رضي الله عنه فلما خرجت

يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته بيناته ، قال انس كنا نظن أو نرى ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الى آخر الآية أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الاعمش عن سفيان عن شقيق عن خباب بن الارت قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ في بيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله ، فما من مضي لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء . يكفن فيه الأنمة ، فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه واذا وضعناها على رجله خرج رأسه ، فقال رسول الله ﷺ « ضعوهما عما يلي رأسه واجعلوا على رجله »

دعاني فقال ألا أضع عندك يا ابن أخي حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أشهد اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «طاححة من قضى نحبه» ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الخثمي عن إسحاق بن يحيى بن طاححة الطالحي عن موسى بن طاححة قال: قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال إني سمعت رسول الله (ص) يقول «طاححة من قضى نحبه» ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه) يعني عهده (ومنهم من ينتظر) قال يوماً فيه القتال فيصدق في اللقاء، وقال الحسن (فمنهم من قضى نحبه) يعني موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلاً وكذا قال قتادة وابن زيد، وقال بعضهم نحبه نذره

وقوله تعالى (وما بدلوا تبديلاً) أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالنذر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا [إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً] * ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار [وقوله تعالى (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أي إنما يختبر عباده بالخوف والزلازل ليميز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يهمله منهم كما قال تعالى (وانبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فهذا علم بالشيء قبل كونه وإن كان العلم السابق حاصلًا به قبل وجوده، وكذا قال الله تعالى (ما كان الله ليزد المؤمنين على ما أُنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطعكم على الغيب) ولهذا قال ههنا (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظةهم عليه (ويعذب المنافقين) وهم الناقضون لعهد الله الخالفون لأوامره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى التزوع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان، ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة قال (إن الله كان غفوراً رحيماً)

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً (٢٥)

شيئاً من الأذخر قال ومن آمن أينعت له ثمرة فهو يهدبها. أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد النعماني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر أنا خزيمة بن سليمان بن حيدرة الأطرا بلسي أنا محمد بن سليمان الجوهري بانطاكية أنا مسلم بن إبراهيم أنا مصلح بن دينار عن أبي نصر عن جابر بن عبد الله قال نظر النبي ﷺ إلى طاححة بن عبد الله فقال «من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض قد قضى نحبه فليتنظر إلى هذا» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن أبي شيبه أنا وكيع بن إسماعيل عن قيس قال رأيت يد طاححة سلا، وفيها النبي ﷺ يوم أحد قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء، بالهدب (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) فيهدبهم إلى الإيمان (إن الله كان غفوراً رحيماً) * ورد الله

يقول تعالى مخبراً عن الاحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الالهية ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم التي أرسلها على عاد ، ولكن قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) فسلط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم أخلاط من قبائل شتى أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم ورددهم خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم لم ينالوا خيراً لافي الدنيا مما كان في أنفسهم من الظفر والغفم ولا في الآخرة بما تحملوا من الآثام في مبارزة الرسول ﷺ بالعداوة وهمم بقتله واستئصال جيشه ، ومن هم بشي . وصدق همه بفعله فهو في الحقيقة كفاعة

وقوله تبارك وتعالى (وكفى الله المؤمنين القتال) أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ، بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول « لا إله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب رحه فلا شيء بعده » أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وفي الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب فقال « اللهم نزل السكتاب ، مريع الحساب ، اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفي قوله عز وجل (وكفى الله المؤمنين القتال) إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يفزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم . قال محمد بن اسحاق لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ « فما بلغنا ان تغزوك قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » فلم تغز قريش بعد ذلك وكان رسول الله ﷺ هو يفزهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة . وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن اسحاق حديث صحيح كما قال الامام احمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو اسحاق قال سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ يوم الاحزاب « الآن تغزوه ولا يغزونا » وهكذا رواه البخاري في صحيحه ، من حديث الثوري واسرائيل عن أبي اسحاق به

وقوله تعالى (وكان الله قوياً عزيزاً) أي بمحولة وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيراً وأعز الله الاسلام وأهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحمد والمنة

وأُنزل الذين ظهروهم من أهل الكتب من صياصيههم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا

الذين كفروا من قريش وغطفان « بغيظهم » لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا « لم ينالوا خيراً » ظفرا « وكفى الله المؤمنين القتال » بالملائكة والريح « وكان الله قوياً عزيزاً » قريش في ملكه عزيزاً في انتقامه « وأُنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب » أي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله

(تفسير ابن كثير والبقوي) (٦٧) (الجزء السادس)

تقتلون وتأسرون فريقة (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله

على كل شيء قديراً (٢٧)

قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب وزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد وكان ذلك بسفارة حيي بن أخطب النضري لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل يسيدهم ذهب بن أسد حتى نقض العهد وقال له فيما قال وبحك قد جئتكم بجز الدهر أنيتك بقريش وأحاديثها وغطافان وأنباعها ، ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه ، فقال له كعب بل والله أنيتني بذل الدهر ، وبحك يا حيي إنك مشنوم فدعنا منك فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى أجابه واشترط له حيي أن ذهب الأحزاب ولم يكن من أمرهم شيء . أن يدخل معهم في الحصن فيكون له أسوتهم ، فلما نقضت قريظة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدا فلما أبده الله تعالى ونصره وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر صفقة ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً ووضع الناس السلاح ، فبينما رسول الله ﷺ بغتسل من وعاء تلك المراطة في بيت

صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم بنو قريظة (من صبا صميم) حصونهم ومعاقلم أحدها صبيصة ومنه قبل لقرن ولشوكة الدبك والهاكة صبيصة . وذلك أن رسول الله ﷺ لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب فيها راجعين إلى بلادهم وانصرف النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحاله وعليها قطيفة من ديباج ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال « نعم » فقال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم . وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي ﷺ مسح الغبار عن وجهه وعن فرسه . فقال إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهز إليهم فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركهم في زلزال ولبال فأمر النبي ﷺ منادياً فأذن: أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إليهم وانتدروا الناس فسار علي رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء . الا خابث قال « لم ؟ ظنك سمعت لي منهم أذى » قال نعم يا رسول الله قال « لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً » فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال « يا اخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ » قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولاً ومر رسول الله ﷺ على أصحابه بالصور من قبل أن يصل إلى بني قريظة

أم سلمة رضي الله عنها إذ تبدي له جبريل عليه الصلاة والسلام معتمرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال ﷺ « نعم » قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتها ، وهذا الآن رجوعي من طلب القوم ، ثم قال : ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض الى بني قريظة ، وفي رواية فقال له عذرك من مقاتل أضعفهم السلاح ؟ قال « نعم » قال لكننا لم نضع أسلحتنا بعد ، أنهض الى هؤلاء قال ﷺ « أين ؟ » قال بني قريظة فان الله تعالى أمرني أن أزلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير الى بني قريظة وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » فصار الناس فأدر كتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تهجيل المير ، وقال آخرون لا نصليها إلا في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين . وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه

فقال « هل مريكم أحد ؟ » فقالوا نعم يا رسول الله صر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها أرحاله عليها قطيفة ديباج فقال عليه السلام « ذاك جبريل بعث الى بني قريظة بزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم » فلما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بشر من آبارها في ناحية من أموالهم فتلاحق به الناس فأناء رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله ﷺ قال وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حبي بن أخطاب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده . فلما ايقنوا أن رسول الله (ص) غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خلا لا ثلاثا فخذوا أيها شتم قالوا وما هن قال تتابع هذا الرجل ونصده فوالله انه لقد تبين لكم أن مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمّنوا على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا لا تفارق حكم التوراة أبدا ولا تبدل به غيره قال كعب فاذا أيتم هذه فلم تقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد رجلا مصاليتين بالسيوف ولا تترك من وراءنا ثقلا يهنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان هلك هلك ولم تترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان ظهر فلمعري لتتخذن النساء والأبناء ، فقالوا تقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم . قال فان أيتم هذه فان الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا فيها فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا أنفسد سببتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه

لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، واعتقدوا أنه يحسن اليهم في ذلك كما فعل عبدالله بن أبي بن سلول في مواليه بني قينقاع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء أن سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ولم يعلموا أن سعداً رضي الله عنه كان قد أصابه سهم في أكمه أيام الخندق فكواه رسول الله ﷺ في أكمه وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب ، وقال سعد رضي الله عنه فيما دعا به : اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فأنجرها ، ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة فاستجاب الله تعالى دعاءه وقدر عليهم ان زلوا على حكمه باختيارهم طلباً من تلقا أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله ﷺ من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطأ له عليه جعل الأوس يلوذون به ويقولون يا سعد انهم مواليك فاحسن فيهم وبرقونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فعرفوا أنه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ « قوموا إلى سيدكم » فقام إليه المسلمون فأنزله أعظاما وأكراما واحتراما له في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم ، فلما جلس قال له رسول

من كان قبلنا إلا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم يخف عليك فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما . قال ثم انهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ ان ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيرهم في أمرنا فأرسله رسول الله ﷺ إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أتري لنا أن نزل على حكم محمد ؟ قال نعم قالوا ماذا يفعل بنا اذا نزلنا ؟ فإشار يده إلى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من حديد وقال لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ أرض بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وابطأ عليه قال « أما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » ثم إن الله أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله (ص) يضحك فقلت مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك ؟ قال « تيب على أبي لبابة » فقلت ألا أبشره بذلك يا رسول الله ؟ قال « بلى ان شئت » قال فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليها الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فنار الناس عليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله (ص) هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه رسول الله (ص) خارجا إلى الصبح أطلقه . قال ثم إن ثعلبة بن سعید وأسيد بن سعید وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني حزيل ليسوا من بني قريظة

الله ﷺ « إن هؤلاء - وأشار اليهم - قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت » فقال رضي الله عنه وحكمي نافذ عليهم ؟ قال (ص) « نعم » قال وعلى من في هذه الخيمة قال « نعم » قال وعلى من ههنا وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله (ص) وهو معرض بوجهه عن رسول الله (ص) اجلالا واكراما واعظاما فقال له رسول الله (ص) « نعم » فقال رضي الله عنه اني احكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله (ص) « لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة »

وفي رواية « لقد حكمت بحكم الله » ثم أمر رسول الله (ص) بالأتخايد فخذت في الارض وجيء بهم مكثفين فضرب أعناقهم وكانوا مابين السبعائة إلى الثمانائة وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم ، وهذا كله مقرر مفصل بأدلة وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه موجزاً وبسيطاً والله الحمد والمنة ، ولهذا قال تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا الاحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله (ص) (من أهل الكتاب) يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط

ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد بن القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا ؟ قال عمرو بن سعد بن عمرو ، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدوهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أغدر بمحمد أبداً فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني من عنرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدرى أين ذهب من أرض الله فذكر رسول الله ﷺ شأنه فقال « ذاك رجل قد نجاه الله بوفاته » وبعض الناس يزعم أنه كان قد أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته ملقاة لا يدرى أين ذهب فقال فيه رسول الله ﷺ تلك المقالة والله أعلم

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالأوس ماقد علمت وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمهم فسأله ايام عبد الله بن أبي بن سلول فوجههم إياه فلما كلمه الأوس قال رسول الله ﷺ « ألا ترضون بامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » قالوا بلى قال « فذاك إلى سعد بن معاذ » وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها ربيعة في مسجده وكانت تدأوي الجرحى وتحتسب نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه

بني إسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز قدما طمعا في اتباع النبي الامي الذي يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا با) فعليهم لعنة الله

وقوله تعالى (من صياصيمهم) يعني حصونهم . كذا قل مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم من السلف ومنه سمي صياصي البقر وهي قرونها لانها أعلى شيء فيها (وقذف في قلوبهم الرعب) وهو الخوف لانهم كانوا ماؤا المشركين على حرب النبي (ص) وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتالهم ليعزّوهم في الدنيا فاعكس عليهم الحال ، وانقلب اليهم الحال ، انشعر المشركون ، فجازوا بصفقة المغبون ، فكأراموا العز ذلوا ، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقارة الآخرة ، فصارت الجملة ان هذه هي الصفقة الخسرة ، ولهذا قال تعالى (فريقتا تقتلونا ونأسرون فريقتا) فالذين قتلوا هم المقاتلة والامراء هم الاصاغر والنساء .

وقال الامام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال عرضت على النبي (ص) يوم قريظة فشكوا في فأمر بي النبي (ص) أن ينظروا هل أنبت بعد فنظروني فلم يجدوني أنبت فخلني غني وألحقني بالسبي ، وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن

حسين أصابه السهم بالخنديق « اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب » فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أنه قوم فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه الى رسول الله (ص) وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك ، لتحسن فيهم . فلما اكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة من قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ عن كالمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فأنزلوه فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيها ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هبنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال سعد : فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الاموال وتسبي الذراري والنساء . فقال رسول الله ﷺ لسعد « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة اربعة » ثم استنزله فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخنق بها خنذا ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم اليه ارسالا ورسالا وفيهم عدو الله حبي بن أخطب وكعب بن أسد رئيسا القوم وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين ثمانمائة الى تسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى يصنع بنا ؟

عمر به ، وقال الترمذي حسن صحيح ، ورواه النسائي أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجيج عن مجاهد عن عطية بنحوه

وقوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) أي جعلها لكم من قتلكم لهم (وأرضاً لم تطؤوها) قيل خيبر وقيل مكة رواه مالك عن زيد بن أسلم ، وقيل فارس والروم ، وقال ابن جرير يجوز أن يكون الجميع مراداً (وكان الله على كل شيء قديراً)

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال : أخبرني عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وثيد الأرض ورائي فإذا أنا بسعد بن معاذ رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلست الى الأرض فرسعد رضي الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فانا أنخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فر وهو يرتجز ويقول

ليث قايلاً بشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت اذا حان الاجل

قالت فقامت فاقتمحت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقال كعب أفي كل موطن لا تعقلون ؟ أما ترون الداعي لا ينزع ومن يذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأتى حبيبي بن أخطب عدو الله عليه حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأذلة أذلة لثلاث يسلبها مجموعة يدها الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنك من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بامر كتاب الله وقدره وملحمه كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه . وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء بني قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها عندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هانف باسمها أين فلانة قالت أنا والله هي قالت قلت وبيك مالك ؟ قالت أقتل قلت ولم ؟ قالت حدث أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقه وكانت عائشة تقول ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل ، قال الواقدي وكان اسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد رمت عليه رحي فدعا رسول الله (ص) بها فضربت عنقه بخلاد بن سويد . قال وكان علي والزبير يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله (ص) جالس هناك وروى محمد بن اسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعثت أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك ؟ قال إني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى

وفيه رجل عليه نسيعة له تعني المغفر فقال عمر رضي الله عنه ما جاء بك لعمرى والله انك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تخور قالت فما زال يلومني حتى تمتعت أن الأرض انشقت بي ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل النسيعة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال : يا عمر وبحبك انك قد أكثرت منذ اليوم ، وأبن التخور أو الفرار إلا إلى الله تعالى ؟ قالت ورمى سعداً رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقبة بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقبة فأصاب كحلها فقطعه فدعا الله تعالى سعد رضي الله عنه فقال : اللهم لا تمتني حتى تقرأ عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقاً كلمة وبعث الله تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق أبو سفيان ومن معه بهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبة من آدم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد قالت فجاءه جبريل عليه السلام وان على ثناباه لنقم الغبار فقال أو قد وضعت السلاح ؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم . قالت فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على

ثابت رسول الله (ص) فقال يا رسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله علي منة وقد أحبت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله (ص) «هو لك» فأتاه فقال له ان رسول الله (ص) قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة ؟ فأتى ثابت رسول الله (ص) فقال أهله وماله يا رسول الله قال هو لك قال فأتاه فقال ان رسول الله (ص) قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك فقال أي ثابت ما فعل الله بمن كان وجهه امرأة مضيئة تراى فيها عذارى الحي كعب بن أسد ؟ قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب ؟ قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحامينا اذا كررنا أغرال بن شموال ؟ قال قتل قال فما فعل المجلبان ؟ يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فأتى أسالك بيدي عندك يا ثابت الا ما ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً قالوا وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منهما الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان وللنارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكانت أول في وقع فيه السهمان . ثم بعث رسول الله (ص) سعد بن زيد الانصاري أخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله (ص) قد اصطفى لنفسه

بني نعيم وهم جيران المسجد فقال « من مر بكم ؟ » قالوا مر بنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله ﷺ فحصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار اليهم أنه الذبح، قالوا نزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » فقبلوا وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه فأني به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه، وحف به قومه فقالوا يا أبا عمر وحلفاؤك ومواليك وأهل الكتاب (١) ومن قد علمت قالت فلا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قالت قال أبو سعيد فلما طلع قال رسول الله ﷺ « قوموا إلى سيدكم فأزولوه » فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال « أزولوه » فأزولوه قال رسول الله ﷺ « احكم فيهم » قال سعد رضي الله عنه فأني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم فقال رسول الله ﷺ « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله » ثم دعا سعد (رض) فقال اللهم ان كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فابقني لها ، وان كنت قطعت الحرب

من نسائهم ربحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله [ص] حتى توفي عنها وهي في ملكه . وقد كان رسول الله ﷺ يحرس عليها ان ينزوها وبضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تركني في ملكك فهو أخف علي وعلى فتركا. وقد كانت حين سبها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله ﷺ ووجد في نفسه بذلك من أمرها فينا هو مع أصحابه اذ سمع وقع نعالين خلفه فقال « إن هذا ثعلبة بن شعبة يبشرني باسلام ربحانة » فجاء فقال يا رسول الله قد أسلمت ربحانة فبشره بذلك فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد ابن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال: اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم أحب الي ان أجاهدكم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بيني وبينهم فاقبضني اليك. فانفجر كله فرجعه رسول الله [ص] الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت عائشة فحضره رسول الله [ص] وأبو بكر وعمر فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكا. عمر من بكا. أبي بكر وإني إني حجرتي قالت وكانوا كما قال تعالى (رحمنا بينهم) وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا يحيى بن آدم أنا إسرائيل سمعت أبا اسحاق يقول سمعت سليمان بن صرد يقول سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الاحزاب عنه «الآن نفرزهم ولا يفزونا نحن نسير اليهم» (تفسيرا ابن كثير والبخاري) (٦٨) (الجزء السادس)

(١) في النسخة المكية
وأهل النكابة

بينه وبينهم فاقبضني اليك قال فانفجر كله وكان قد بري. منه الامثل الحرص ورجع الى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ قالت عائشة (رض) فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر (رض) قالت فوالذي نفس محمد بيده اني لأعرف بكاء أبي بكر (رض) من بكاء عمر [رض] وأنا في حجرني وكانوا كما قال الله تعالى (رحما بينهم) قال علقمة فقلت أي أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان اذا وجد قائما هو آخذ بلحيته ﷺ وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن نعيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (رض) نحو ان هذا ولكنه أخصر منه وفيه دعا سعد [رض]

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحن سراحا جميلا (٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (٢٩)

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخبر نساءه بين أن يفارقن فيذهبن الى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة أنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول « لا إله الا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده » قال الله تعالى في قصة بني قريظة وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون ﴾ وهم الرجال يقال كانوا ستمائة ﴿ وتأمرون فريقا ﴾ وهم النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال سبعمائة ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضان لم تطوها ﴾ بعد . قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر ، قال قتادة كنا نحدث أنها مكة ، وقال الحسن فارس والروم ، وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة ﴿ وكان الله على كل شيء قديرا ﴾

قوله عز وجل ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن متعة الطلاق ﴾ وأمر حكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴿ سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي ﷺ سأله شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وأذينه بغيره فبعضهن فحجرهن رسول الله ﷺ وآلى أن لا يقربهن

قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة [رض] زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يخبر أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال «إني ذا كرك لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرني أبويك» وقد علم أن أبوي لم يكونا بأمراني بفراقه قالت ثم قال - إن الله تعالى قال (يا أيها النبي قل لأزواجك إني قد علمت له فني أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة). وكذا رواه معلقاً عن الألبان حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت. وقد حكى البخاري أن معمر بن اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رضي الله عنها لما نزل الخيار قال لي رسول الله ﷺ «إني أريد أن اذكر لك أمراً فلا تنضي فيه شيئاً حتى تستأمرني أبويك» قالت قلت وما هو يا رسول الله؟ قالت فرددها عليها فقالت وما هو يا رسول الله؟ قالت فرددها عليها فقالت وما هو يا رسول الله؟ قالت فقرأ ﷺ عليها (يا أيها النبي قل لأزواجك إني قد علمت له فني أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة) قالت ففرح بذلك النبي ﷺ وحدثنا ابن وكيم حدثنا محمد بن بشير عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت آية التخيير بدأني رسول ﷺ فقال «يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تفتاني فيه بشي» حتى تعرضيه على أبويك أي بكر وأم رومان رضي الله

شهماً ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه؟ وكانوا يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه فقال عمر لأعلن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله أطلقتهن؟ قال «لا» قلت يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقتهن؟ قال «نعم إن شئت» قال فقامت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه فنزلت هذه الآية (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم) قال فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر. وأنزل الله آية التخيير. وكان تحت رسول الله ﷺ يومئذ ثمان نسوة: خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أمية، وسودة بنت زمعة، وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الحبيرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضوان الله عليهن، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار

عنهما « فقلت يا رسول الله وما هو ؟ قال ﷺ قال الله عز وجل يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعدها لحسنات منكن اجرا عظيما » قالت فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر في ذلك ابوي أبوبكر وأم رومان رضي الله عنهما . فضحك رسول الله ﷺ ثم استقرى الحجر فقال « ان عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا » فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة . رضي الله عنهن كلهن ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الاشج عن أبي اسامة عن محمد بن عمرو به

قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الاموي حدثنا أبي ثنا محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت ان رسول الله ﷺ لما نزل الى نسائه أمر أن يخبرهن فدخل على فقال « سأذكر لك أمرا فلا تعجلي حتى تستشري أبك » فقلت وما هو يا رسول الله ؟ قال « إني أمرت أن أخبركن » وتلا عليها آية التخيير الى آخر الآية قالت فقلت وما الذي تقول لانهجلي حتى تستشري أباك ؟ فاني أختار الله ورسوله . فسر ﷺ بذلك وعرض على نسائه فتناهن كلهن فاخترن الله ورسوله ﷺ وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عتيل عن الزهري أخبرني عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت عائشة رضي الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأني أول امرأة من نسائه فقال ﷺ « إني ذا كرك لك أمرا فلا عليك ان لانهجلي حتى تستأمرني أبوبك » قالت وقد علم ان أبوي لم يكونا يأمراني بغيره قالت ثم قال « ان الله تبارك وتعالى قال (يا أيها النبي قل لأزواجك) الآية قالت

الآخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعتها على ذلك ، قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن على ذلك فقال (لا يحل لك النساء من بعد)

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا روح بن عبادة أنا زكريا بن اسحاق أنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا يبابه ولم يؤذن لأحد منهم ، قال فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجبا ساكتا فقال لا قولن شيئا أضحك به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خازجة سألتني النفقة فقامت اليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « هن حولي كما ترى يسألني النفقة » فقام أبو بكر إلى عائشة بجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة بجأ عنقها كلاهما يقول لانسألي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعترلن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الآية (يا أيها النبي قل لأزواجك - حتى بلغ - له حسنات منكن اجرا عظيما) قال فبدأ بعائشة فقال « يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لانهجلي فيه

عائشة رضي الله عنها فقلت أفني هذا استأمر أبوي؟ فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن. وأخرج البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن الأيثم عن م - لم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت خيرنا رسول الله ﷺ فأخبرناه فلم يعدها علينا شيئا أخرجه من حديث الأعمش. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمر حدثنا زكريا بن اسحاق عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس يباه جلوس والنبي ﷺ جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابني بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلوا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو رايت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة أنفا فوجأت عنقها فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه وقال «هن حولي بسألني النفقة» فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي (ص) ما ليس عنده فنهاهما رسول الله ﷺ فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال وانزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال «إني أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمرني أبويك» قالت وما هو؟ قال فلا عليها أيها النبي قل لأزواجك (الآية) قالت عائشة رضي الله عنها فيك استأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت فقال

حتى تستشيرني أبويك» قالت وما هو يا رسول الله؟ فلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله استشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله وأختار الدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت، قال «لا نسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يعشني معنتا ولا متعنتا ولكن بعني معلما مبررا» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو الحسين بن بشران أنا إمامنا عبد الصمد بن محمد الصفاق أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا، قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل علي رسول الله (ص) فقلت حين بدأ بي يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت في تسع وعشرين أعدهن فقال «إن الشهر تسع وعشرون»

واختلف العلماء في هذا الخيار انه هل كان ذلك نفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على آمن إذا اخترن الدنيا فارقن لقوله تعالى (فتعالين أمتعنكم وأسرحنكم سراحا هميلا) بدليل انه لم يكن جواهن على الفور فإنه قال لعائشة «لا تعجلي حتى تستشيرني أبويك» وفي تفويض الطلاق يكون

(ص) «ان الله تعالى لم يعثني معنتا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسألني امرأة منهن عما اخترت الا اخبرتها» انفرد باخراجه مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن اسحاق المكي به وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن عثمان بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خير نساء الدنيا والآخرة ولم يخيرهن الطلاق وهذا منقطع

وقد روي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فانه قال (فتعالين أمتعن وأمرحكن سراحا جميلا) أي أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحككن ، وقد اختلف العلماء في جواز زوج غيره لمن لو طلقهن على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح والله أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ ثمة نسوة خمس من قریش عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة رضي الله عنهن ، وكانت تحته ﷺ صفية بنت حيي النضيرية^(١) وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الاسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين

(١) في البغوي الخيرية

يُنسأ النبي من يأت منكن بفحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك

على الله يسيرا (٣٠) ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صلحا نؤتها أجرها مرتين

وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١)

الجواب على الفور . وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهن كان طلاقا ، واختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها لا يقع شيء . وإن اختارت نفسها يقع طلاق واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي تقع طلاق بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية ، وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج تقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها فثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي أيضا أنها إذا اختارت زوجها تقع طلاق واحدة وإن اختارت نفسها فطلقة بائنة وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الأعمش أنا مسلم عن مسروق عن عائشة قالت أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله فلم يعد ذلك علينا شيئا

قوله عز وجل ﴿ يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة ﴾ بمصيبة ظاهرة قبل هي كقوله (ابن

يقول تعالى واعظا نساء النبي ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء. بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة. قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو النشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) وكقوله عز وجل [ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين * لو أراد الله أن يتخذ ولدا لأصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار] فلما كانت محلتهم رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى (من يأت منك بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) قال مالك عن زيد بن أسلم (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال في الدنيا والآخرة . وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله (وكان ذلك على الله يسيرا) أي سهلا هينا ، ثم ذكر عدله وفضله في قوله (ومن يفتن منكن الله ورسوله) أي تطم الله ورسوله وتستجب (نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما) أي في الجنة فأنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش

يُنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ

مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقْنِ

أشركت ليحبطن عملك) لأن منهن من أتت بفاحشة . وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) قرأ ابن كثير وابن عامر [تضعف] النون وكسر العين وتشديدها (العذاب) نصب . وقرأ الآخرون بالياء . وفتح العين (العذاب) رفع وبشدها أبو جعفر وأهل البصرة ، وشدد أبو عمرو هذه وحدها لقوله (ضعفين) وقرأ الآخرون يضاعف بالالف وفتح العين (العذاب) رفع وهما لغتان مثل بعد وباعد ، قال أبو عمرو وأبو عبيدة ضعفت الشيء . إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله (وكان ذلك على الله يسيرا) قال مقاتل كان عذابها على الله هينا ، وتضعيف عقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الأمة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين (ومن يفتن) يطعم (منكن الله ورسوله) قرأ يعقوب من تأت منكن وتفتن بالتاء . فيها ، وقرأ العامة بالياء . لأن من أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثل أجر غيرها قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة وقرأ حمزة والكسائي يعمل يؤتها بالياء فيها نسقا على قوله من يأت ويقتن وقرأ الآخرون تعمل بالتاء . نؤتها بالنون (وأعتدنا لها رزقا كريما) حسنا يعني الجنة (يانسأ النبي لستن)

الصلوات وآتين الزكوة وأطمعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا (٣٣) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيت الله والحكمة ، ان الله كان
لطيفا خبيرا (٣٤)

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ونساء الامة تبع لمن في ذلك فقال تعالى مخاطبا
لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن اذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء
ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى [فلا تخضعن بالقول] قال السدي وغيره يعني بذلك
ترقيق الكلام اذا خاطبن الرجال ولهذا قال تعالى (فيطمعن الذي في قلبه مرض) أي دغل (وقلن
قولا معروفا) قال ابن زيد قولا حسنا جميلا معروفا في الخير ، ومعنى هذا أنها مخاطبات الاجانب بكلام
ليس فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الاجانب كما تخاطب زوجها

وقوله تعالى (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ، ومن الخواص
الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله ﷺ « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وليخرجن
وهن ثلث — وفي رواية — وبيوتهن خير لمن »

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلابي روح بن المسيب ثقة
حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال : جئنا النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن يا رسول
الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فما لنا عمل نذكر به عمل المجاهدين في سبيل الله
تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قعدت — أو كلمة نحوها — منكن في بيتها فأنها تترك

كما حذرن النساء » قال ابن عباس يريد ليس قدر كن عندي مثل قدر غير كن من النساء الصالحات أتن أكرم
علي وثوابكن أعظم لدي ، ولم يقل كواحدة لان الأحد عام بصاح لواحد والاثنين والجمع والمذكر
والمؤنث قال الله تعالى (لا تفرق بين أحد من رسله) وقال (فما منكم من أحد عنه حاجزين) (ان
اتقين الله أطعننه) (فلا تخضعن بالقول) لاتنن بالقول للرجال ولا ترفقن الكلام (فيطمعن الذي
في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق ، والمعنى لا تقان قولا يحد منافق أو فاجر به سبيلا الى
الطعم فيكن ، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المبالغة إذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع معهم (وقلن
قولا معروفا) ما يوجب الدين والاسلام بتصريح وبيان من غير خضوع (وقرن في بيوتكن) قرأ
أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف وقرأ الآخرون بكسرها فنفتح القاف فمعناه اقررن أي
الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر قراراً ويقال قررت أقر وقررت أقر وهما لغتان فحذفت
الراء الاولى التي هي عين الفعل لثقل التضعيف ونقل حركتها الى القاف كقولهم في ظلت ظلت

عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى » ثم قال لا نعلم . رواه عن ثابت الارواح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور

وقال البزار أيضاً حدثنا محمد بن المني حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورك عن أبي الاحوص عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ان المرأة عورة فاذا خرجت استغرقت في الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها » ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه . وروى البزار باسناده المتقدم وأبو داود أيضاً عن النبي ﷺ قال « صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها » هذا اسناد جيد . وقوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية . وقال قتادة (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) يقول اذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتفتنج فنهى الله تعالى عن ذلك . وقال مقاتل بن حيان (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) والتبرج انها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج . وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أنحر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) قال كانت فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة ، وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ ابليس شيئا من مثل الذي يزر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فباع ذلك من حوله فانتابوهم بسمعون اليه واتخذوا عيداً يجتمعون اليه في السنة فيتبرج النساء للرجال قال وبنزين الرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى [ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى] وقوله تعالى (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) نهان أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة

قال الله تعالى (فظلمن أنفسهن - و - ظلت عليه عاكفا) ومن كسر القاف فقد قيل هو من قررت أقر معناه أقررن بكسر الراء فخذفت الاولى وتقلت حركتها الى القاف كما ذكرنا ، وقيل وهو الاصح انه أمر من الوار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي كن أهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا إذا سكن وأطمأن ﴿ ولا تبرجن ﴾ قال مجاهد وفتادة التبرج هو التكسر والتفتنج وقال ابن أبي نجيح هو التبخر وقيل هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال ﴿ تبرج الجاهلية الاولى ﴾ (تفسير ابن كثير والبعوي) (٦٩) (الجزء السادس)

الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين (وأطعن الله ورسوله) وهذا من باب عطف العام على الخاص . وقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهم سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح . وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة وهكذا روى ابن أبي حاتم قال حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قال نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة ، وقال عكرمة من شاء باهلهن أنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ فان كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أهم من ذلك

(الحديث الأول) ثنا الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول « الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن غريب

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا وكيم حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي إسحاق أخبرني أبو داود عن أبي الحراء قال رابطة المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال « الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » أبو داود الأعمى هو نعيم بن الحارث كذاب

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على وثلة بن الأسقع رضي الله عنه وعنده قوم فذكروا علياً رضي الله عنه فلما قاموا قال ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال أتيت فاطمة رضي الله

اختلافوا في الجاهلية الأولى قال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد ﷺ وقال أبو العافية هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قبضاً من الدر غير محيط من الجانبين فيرى حلقها فيه وقال الكلبي كان ذلك في زمن نمروذ الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتغشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال . وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال الجاهلية الأولى بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة ، وإن بطنيين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل

عنها أسألهما عن علي رضي الله عنه فقالت توجه الى رسول الله ﷺ فجلست انتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فآدنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم اف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق »

وقد رواه أبو جعفر ابن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الازاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال واثلة رضي الله عنه فقلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليك من أهلك؟ قال ﷺ « وأنت من أدلي » قال واثلة رضي الله عنه وانها من أرحى ما أرتجي ، ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كثوم المحاري عن شداد بن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الاسقع رضي الله عنه اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشموه فلما قاموا قال اجلس حتى اخبرك عن هذا الذي شتموه في عند رسول الله ﷺ اذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فألقى ﷺ عليهم كساء له ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلت يا رسول الله وأنا قال ﷺ « وأنت » قال فوالله انها أوثق عمل عندي (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح ثني من سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر ان النبي ﷺ كان في بيتها فأثمة فاطمة رضي الله عنها بيعة فيها خزيرة فدخلت عليها فقال ﷺ لها « ادعي زوجك وابنيك » قالت فجاء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على مناة له وكان تحتهم كساء خيري قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت رضي الله عنها فأخذ ﷺ فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال ﷺ « انك الى خبرائك الى خبر » في أسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات

(طريق أخرى) (١) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن

(١) في النسخة المكية

تقديم وتأخير لبعض

الاحاديث المسرودة

هنا وقد آثرنا هذا

الترتيب لشدة تعلق

هذا الحديث بما قبله

والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة ، وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل وأجر نفسه منه فكان يخدمه ، واتخذ شيئا مثل الذي يزمه الرعاء فجاء بصوت لم يسم الناس بمثله فباع ذلك من حولهم فأنوهم بستمه ، ون اليه فأتخذوا عيدا يجتمعون اليه فيه في السنة فتهرج النساء للرجال ويهزبن الرجال لمن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأني أصحابه فاخبرهم بذلك فتمحوا اليهم فنزلوا معهم فظهرت

زكري عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت فاطمة الى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه ﷺ فقال « ابن ابن عمك وابنك ؟ » فمات رضي الله عنها في البيت فقال ﷺ « ادعهم » فجاءت الى علي رضي الله عنه فقالت أجب رسول الله ﷺ أنت وابنك قالت أم سلمة رضي الله عنها فمات رآهم قبلين مدصلي الله عليه وسلم يده الى كساء كان على المنامة فده وبسطه واجلسهم عليه ثم اخذ بأطراف الكساء الاربعة بشما فضمه فوق رؤسهم وأوما بيده اليمنى الى ربه فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا »

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن القديس عن الاعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت فيه نزلت (انما يريد الله ليزهد عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قالت أم سلمة جاء رسول الله ﷺ الى بيتي فقال « لا تأذني لأحد » فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم استطع أن احجها عن أبيها ثم جاء الحسن رضي الله عنه فلم استطع أن أمنه أن يدخل على جده وأمه وجاء الحسين فلم استطع أن احجبه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمه رضي الله عنها ثم جاء علي رضي الله عنه فلم استطع أن احجبه فاجتمعوا فجاءهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال « هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقالت يا رسول الله وانا قالت فوالله ما انعم وقال « انك الى خير »

(١) في متن هذا الحديث اختلاف في جميع النسخ وليس في تفسير ابن جرير ذكر علي (رض)

(طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاري عن أبيه قال ان أم سلمة رضي الله عنها حدثته قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وما إذ قالت الخادم ان فاطمة وعليها رضي الله عنها بالسدة قالت فقال لي رسول الله ﷺ « قومي فتنجي عن أهل بيتي » قالت ففتمت فتنجيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعها الحسن والحسين رضي الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتق عليا رضي الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضي الله عنها باليد الاخرى وقبل فاطمة وقبل عليا وأغدق عليهم خيصة سوداء وقال « اللهم اليك لا الى النار انا وأهل بيتي » قالت فقالت وانا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم « وأنت »

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا الحسن بن عطية ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت ان هذه الآية نزلت في بيتي [انما يريد الله ليزهد عنكم

الفاحشة فيهم بذلك قوله تعالى (ولا تهرجن تبرج الجاهلية الاولى) وقال قتادة هي ما قبل الاسلام وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان . وقيل قد تذكر الاولى وان لم يكن لها أخرى كقوله تعالى (وأنه أهلك عادا الاولى) ولم يكن لها أخرى . قوله تعالى ﴿ وكن الصلوة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليزهد عنكم الرجس أهل البيت ﴾ أراد بالرجس الاثم الذي نهى الله التمسك عنه قاله مقاتل . وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس

الرجس أهل البيت وبطهركم تطهيرا) قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يا رسول الله ألسنت من أهل البيت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « انك الى خير ، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم

﴿ طريق أخرى ﴾ رواها ابن جرير أيضا عن أبي كريب عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها بنحوه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يعقوب حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرني أم سلمة رضي الله عنها قالت ان رسول الله ﷺ جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، ثم ادخلهم تحت ثوبه ثم جأ الى الله عز وجل ثم قال « هؤلاء أهل بيتي » قالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله ادخلني معهم قال ﷺ « أنت من أهلي »

﴿ طريق أخرى ﴾ رواها ابن جرير أيضا عن احمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الاصبهاني عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضي الله عنها بنحو ذلك

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة رضي الله عنها خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضي الله عنه فأدخله معه ثم قال ﷺ (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا شريح بن يونس أبو الحارث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب رضي الله عنه عن ابن عم له قال دخلت مع أبي علي عائشة رضي الله عنها فساءلتها عن علي رضي الله عنه فقالت رضي الله عنها : تسألني عن رجل كان من أحب الناس الى رسول الله ﷺ وكانت تحته ابنته وأحب الناس اليه ؟ لقد رأيت رسول الله ﷺ دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت فدنوت منهم فقلت يا رسول الله وأنا من أهل بيتك فقال ﷺ « تمنحي فانك على خير »

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن المنذر حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي حدثنا

فه فيه رضا وقال قتادة يعني السوء وقال مجاهد الرجس الشك . وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لانهم في بيته وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) وهو قول عكرمة ومقاتل ، وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقاتل وغيرهما الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين . ثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي أنا أبو محمد عبد

مندل عن الاعمش عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «نزلت هذه الآية في خمسة في علي وحسن وحسين وفاطمة» إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجم أهل البيت ويظهركم تطهيرا (قد تقدم ان فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها كما تقدم وروى ابن أبي حاتم من حديث هارون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه موقوفا والله سبحانه وتعالى أعلم

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضي الله عنه قال قال سعد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «حين نزل عليه الوحي فأخذ عليا وابنيه وفاطمة رضي الله عنهم فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال «رب هؤلاء أهل وأهل بيتي» (حديث آخر) وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد عن ابن علية قال زهير حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثني ابو حيان حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن سلمة الى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله (ص) وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا، حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله (ص) قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله (ص) فما حدثكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوا فيه، ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوما خطيبا بماء يدهي خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال «أما بعد ألا أيها الناس فالما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتب الله واستمسكوا به - فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال - وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا» فقال له حصين ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته والكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟ قال نعم. ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن ابراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نساؤه؟ قال لا، وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا

الرحمن بن محمد الانصاري أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعدي أنا أبوهمام الوليد بن شجاع أنا يحيى بن زكريا ثنا زائدة أنا أبي عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة الحميرية عن عائشة أم المؤمنين قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه رط مرجل من شعر أسود فجلس فأنث فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء حسن فأدخله فيه ثم جاء حسين فأدخله فيه ثم قال (إنما

الصدقة بعده . هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والاخذ بها أخرى . وهذه الثانية تحتل انه أراد تفسير الاهل المذكورين في الحديث الذي رواه اما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة أو انه ليس المراد بالاهل الأزواج فقط ، بل هم مع آله ، وهذا الاحتمال أرجح جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعا أيضا بين القرآن والاحاديث المتقدمة إن صحت فإن في بعض أسانيدنا نظراً والله أعلم ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فان سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله ا واذ كن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة (أي واعلمن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة . قاله قتادة وغير واحد واذ كن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ، ان الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن من هذه الرحمة العميمة ، فانه لم ينزل على رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لانه لم يزوج بكراً سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواه (ص) ورضي الله عنها فناسب أن نخصص بهذه المزية ، وأن نفردها بهذه المرتبة العالية ، ولكن اذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث « وأهل بيتي أحق » وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال « هو مسجدي هذا » فهذا من هذا القبيل فان الآية إنما نزلت في مسجد قباء كإيراد في الاحاديث الآخر ، ولكن اذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابو الوايد حدثنا ابو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن ابي جميلة قال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما استخلف حين قتل علي رضي الله عنهما قال : فينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر ، وزعم حصين انه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن رضي الله عنه ساجد ، قال فيزعمون أن الطعنة وقعت في ورثة فرض منها أشهراً ثم برأ فقعده على المنبر فقال : يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراءكم وضيغانكم ونحن أهل البيت

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (ويطهركم تطهيرا) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد الحيدري أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب أنا الحسن بن مكرم أنا عثمان بن عمر أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن شريك بن أبي نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة قالت في بيتي نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) قالت فارسل رسول الله ﷺ الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال « هؤلاء أهل بيتي » قالت فقلت يا رسول الله اما أنا من أهل البيت قال

الذي قال الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد الا وهو يحن بكاء.

وقال السدي عن أبي الديلم قال : قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت في الاحزاب (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال نعم ولا نتمم ؟ قال نعم ، وقوله تعالى (ان الله كان لطيفاً خبيراً) أي بلطفه يكن بلفتن هذه المنزلة وبخبرته يكن وانكن أهل لذلك أعطاكم ذلك وخصكن بذلك

قال ابن جرير رحمه الله واذا ذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تنلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه (ان الله كان لطيفاً خبيراً) أي ذا لطف يكن إذا جعلكن في البيوت التي تنلى فيها آيات الله . والحكمة هي السنة خبيراً يكن إذا اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة (واذا ذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) قال : متن علي بن بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفي في قوله تعالى (ان الله كان لطيفاً خبيراً) يعني لطيفاً باستخراجها خبيراً بوضعها . رواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روي عن الربيع بن أنس عن قتادة

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والصدقات والصدقات والصدقات والصدقات

والصدقات والخشمين والخشمين والمتصدقين والمتصدقات والصدقات والصدقات والخشمين

فروجهم والخشقات والذكرين الله كثير والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجر أعظما (٣٥)

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن ابن شعبة قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول قلت للنبي ﷺ مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت فلم يرعني منه ذات يوم الا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أمرح شعري فلغفت شعري ثم خرجت إلى حجرتي فجلست سمعت سمعي عند الحجر فإذا هو يقول عند

« بلى ان شاء الله » قال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . قوله تعالى « واذا ذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله » أي القرآن « والحكمة » قال قتادة يعني السنة وقال مقاتل أحكام القرآن ومواظله « ان الله كان لطيفاً خبيراً » أي لطيفاً بأوليائه خبيراً بجميع خلقه . قوله عز وجل « ان المسلمين والمسلمات » الآية وذلك ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ان الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل الله منا طاعة . فانزل الله هذه الآية قال مقاتل قالت أم سلمة بنت أبي أمية وانيسة بنت كعب الانصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه ؟ نخشى أن لا يكون فيهن خير . فنزلت هذه الآية ، وروي ان أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة

المنبر « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » الى آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله

(طريق أخرى) عنها قال النسائي أيضاً حدثنا محمد بن حاتم حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ يا نبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرون ؟ فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أذكر الرجال في كل شيء ولا تذكر ؟ فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الآية

(طريق أخرى) قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة رضي الله عنها يا رسول الله يذكر الرجال ولا تذكر فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الآية

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا سنان^(١) بن مظاهر العمري حدثنا أبو كدينة بحديث عن المطلب بن أبي قيس بن قيس عن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنون ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكر كن الله تعالى في القرآن ولم تذكر بشيء أما فينا ما يذكر ؟ فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) الآية فقلوه تعالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) دليل على أن الايمان غير الاسلام وهو أخص منه لقوله تعالى (قالت الاعراب آما قلن لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وفي الصحيحين « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » فسلية الايمان ولا يلزم من ذلك كفره باجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري وقوله تعالى والقانتين والقانتات القنوت هو الطاعة في سكون (أمن هو قانت أنا. الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) وقال تعالى (وله من في السموات والارض كل له قانتون) (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين - وقوموا لله قانتين) فلا سلام بعده مرتبة يرتقي

مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن ؟ قلن لا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيمة وخسار فقال «وم ذلك؟» قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكرون الرجال فأنزل الله هذه الآية ان المسلمين والمسلمات (المؤمنين والمؤمنات والقانتين) المطيعين (والقانتات والصادقين) في ايمانهم وفيما ساءهم وسرهم (والصادقات والصابرين) على ما أمر الله به (والصابرات والخاشعين) المتواضعين (والخاشعات)

اليها وهو الايمان ثم القنوت ناشئ، عنهما (والصادقين والصادقات) هذا في الاقوال فان الصدق خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنه لم تجرب عليه كذبة لاني الجمالية ولا في الاسلام، وهو علامة على الايمان كما أن الكذب اشارة على النفاق، ومن صدق نجا، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا. عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار. والاحاديث فيه كثيرة جداً (والصابرين والصابرات) هذه سجية الاثبات وهي الصبر على المصائب والعلم بان المقدر كائن لا محالة وتلقي ذلك بالصبر والثبات وانما الصبر عند الصدمة الاولى، أي أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها (والخاشعين والخاشعات) الخشوع السكون والطمأنينة والنوذة والوقار والتواضع والحال عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته كما في الحديث « اعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك » (والمتصدقين والمتصدقات) الصدقة هي الاحسان الى الناس المحاربين للضعفاء الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الاموال طاعة لله وإحسانا الى خلقه. وقد ثبت في الصحيحين « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شئها ما تنفق يمينه وفي الحديث الآخر « والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » والاحاديث في الحث عليها كثيرة جداً له موضع بذاته (والصائمين والصائمات) في الحديث الذي رواه ابن ماجه « والصوم زكاة البدن » أي يزكّه ويطهره وينقيه من الاخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً كما قال سعيد بن جبير من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى (والصائمين والصائمات) ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج فانه اغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ناسب ان يذكر بعده (والحافظين فروجهم والحافظات) أي عن المحارم والمأثم الا عن المباح كما قال عز وجل (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » فمن اتقى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الاقرع عن الاغر أبي مسلم عن أبي سعيد الخدري [رض]

وقيل اراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع ان لا يلتفت (والمتصدقين) مما رزقهم الله (والمتصدقات) والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم (وما لا يحل) (والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً وروبنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « قد سبق المفردون » قالوا وما المفردون يا رسول الله قال « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره الى الله عز وجل فهو داخل في قوله (ان

قال : إن رسول الله ﷺ قال « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أني مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة [رض] عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن طهية حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري [رض] أنه قال قلت يا رسول الله أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » قال قلت يا رسول الله ومن اغازي في سبيل الله تعالى ؟ قال « لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه »

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة [رض] قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فأتى على جمدان فقال « هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون » قالوا وما المفردون ؟ قال ﷺ « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » ثم قال ﷺ « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال ﷺ « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين قال « والمقصرين » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره

وقال الامام احمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة قال أنه بلغني عن معاذ بن جبل [رض] أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما عمل آدمي عملا قط أنجي له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل » وقال معاذ [رض] قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال ﷺ « ذكر الله عز وجل »

وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن طهية حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ عن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال ان رجلا سأله فقال أي المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال ﷺ « أكرمهم الله تعالى ذكرأ » قال فأي الصائمين أكثر أجراً ؟ قال ﷺ « أكرمهم الله عز وجل ذكرأ » ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله ﷺ « أكرمهم الله ذكرأ » فقال أبو بكر لعمرو [رض] ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول

المسلمين والمسلمات) ومن أقر بان الله ربه ومحمداً رسوله ولم يخاف قلبه لسانه فهو داخل في قوله (والمؤمنين والمؤمنات) ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله (والقانتين والقانتات) ومن صان نفسه عن الكذب فهو داخل في قوله (والصادقين والصادقات) ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله (والصابرين والصابرات) ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله (والخاصين والخاصات) ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل

الله ﷺ « أجل » وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الاحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الآية إن شاء الله تعالى وقوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي إن الله تعالى قد أعد لهم أي هيا لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم

ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللا مبينا (٣٦)

قال العوفي عن ابن عباس [رض] قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة [رض] فدخل على زينب بنت جحش الاسديّة [رض] فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله ﷺ « بلا فانكحيه » قالت يا رسول الله أوامر في نفسي؟ فينهاهما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله) الآية قالت قد رضيت لي يا رسول الله منكها . قال رسول الله ﷺ « نعم » قالت إذا لا أعصى رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي

وقال ابن أبي عمير عن أبي عمير عن عكرمة عن ابن عباس [رض] قال خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة [رض] فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان أنها زلت في زينب بنت جحش [رض] حين خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة [رض] فامتنعت ثم أجابت

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم زلت في أم مكتوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي ﷺ فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم بعد فراقه زينب فستخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله (ص) فزوجنا عبده قال فأنزل القرآن (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله

في قوله (والمتصدقين والمتصدقات) ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله [والصائمين والصائمات] ومن حفظ فرجا عما لا يجل فهو داخل في قوله (والحافظين فروجهم والحافظات) ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله (والذاكرين الله كثيرا) (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)

قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الآية نزلت في زينب بنت جحش الاسديّة وأخيها عبد الله بن جحش وأمه أمية بنت عبد المطلب عمّة النبي (ص) خطب النبي

أمرنا) الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا (الذي أولى بالؤمنين من أنفسهم) قال فذاك خاص وهذا اجمع وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي (ص) على جليبيب امرأة من الانصار الى أبيها فقال حتي أستأمر أمها فقال النبي (ص) «فنعمة اذا» قال فانطلق الرجل الى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاهأ الله اذن ما وجد رسول الله (ص) الا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية في سنها تسمم قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله (ص) بذلك فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله (ص) أمره إن كان قد رضي لسم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبوها وقالا صدقت فذهب أبوها الى رسول الله (ص) فقال إن كنت رضيته فقد رضيناه قال (ص) فاني قد رضيته قال فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتها وانما لمن افق بيت بالمدينة وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوي عن أبي برزة الأسلمي قال ان جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمرهن ويلعبهن فقلت لامرأتي لا تدخلن عليكن جليبيبا فانه إن دخل عليكن لا فعلن ولا فعلن قالت وكانت الانصار اذا كان لاحد من أيم لم يزوها حتى يعلم هل للنبي (ص) فيها حاجة أم لا فقال النبي (ص) لرجل من الانصار «زوجني ابتك» قال نعم وكرامة يارسول الله ونعمة عين فقال (ص) «اني لست أريدها لنفسي» قال فلن يارسول الله؟ قال (ص) «جليبيب» فقال يارسول الله أشاور أمها فأتى أمها فقال رسول الله (ص) بخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال انه ليس بخطبها لنفسه انما بخطبها جليبيب فقالت اجليبيب ابنه اجليبيب ابنه؟ لا لعمر الله لا تزوجه ، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبني اليكم؟ فاخبرتها أمها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني اليه فانه إن بضيعني فانطلق أبوها الى رسول الله (ص) فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله (ص) في غزوة له فلما أفاء الله عليه قال لاصحابه رضي الله عنهم «هل تفقدون من أحد؟» قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال (ص) «انظروا هل تفقدون من أحد» قالوا لا قال (ص) «لكنني أفقد جليبيبا» قال (ص) «فاطلبوه في القتلى»

صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله ﷺ اشترى زيداً في الجاهلية بعكظ فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيته وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد أتت وقالت أنا ابنة عمتك يارسول الله فلا أرضاه لنفسه وكانت بيضا جميلة فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك ، فأنزل الله عز وجل (وما كان لمؤمن) يعني عبد الله بن جحش (ولا مؤمنة) يعني أخته زينب (إذا قضى الله ورسوله أمراً) أي إذا أراد الله ورسوله أمراً وهو نكاح زينب لزيد أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قرأ أهل الكوفة أن يكون بالياء للعائيل بين التأنيث والفعل وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الخيرة من أمرهم والخيرة الاختيار ، والمعنى

فطلبوه فوجدوه الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يا رسول الله هاهو ذا الى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فاتاه رسول الله (ص) فقام عليه فقال « قتل سبعة وقتلوه هذا مني وأنا منته » مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله (ص) على ساعديه وحفر له بهالة سرير الا ساعد النبي (ص) ثم وضعه في قبره ولم يذكر انه غسله رضي الله عنه قال ثابت رضي الله عنه فما كان في الانصار أيم أنفق منها وحدث اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتاً هل تعلم مادعا لها رسول الله (ص) فقال قل « اللهم صب عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا » وكذا كان فما كان في الانصار أيم أنفق منها هكذا أورد الامام أحمد بطوله واخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ ابو عمر بن عبد البر في الاستيعاب أن الجارية لما قالت في خدرها أتردون على رسول الله (ص) أمره؟ نزلت هذه الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم) وقال ابن جريج أخبرني عامر بن مصعب عن طاوس قال انه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم) فهذه الآية عامة في جميع الامور، وذلك انه اذا حكم الله ورسوله بشي، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لاحد منها ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وفي الحديث «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا) كقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجنكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧)

ان يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به «ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا مبينا» أي أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعنا ذلك رضيا بذلك وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا فدخل بها وساق رسول الله ﷺ اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمرا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدأ من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله تعالى «واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك» الآية نزلت

يقول تعالى مخبراً عن نبيه ﷺ أنه قال لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو الذي أنعم الله عليه أي بالسلام ومتابعة الرسول ﷺ (وأنعمت عليه) أي بالعق من الرق وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر حبيبا الى النبي ﷺ يقال له الحب ويقال لابنه أسامة الحب بن الحب قالت عائشة رضي الله عنها ما بعث رسول الله ﷺ في سرية إلا أمره عليهم ، ولو عاش بعده لاستخلفه . رواه الامام أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهي عنها

وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقالا يا أسامة استأذن لنا على رسول الله ﷺ قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقلت علي والعباس يستأذنان فقل لهما قال ﷺ « أتدري ما حاجتهما؟ » قلت لا يا رسول الله ، قال ﷺ « لكنني أدري » قال فأذن لهما قال يا رسول الله جئناك لتخبرنا أي أهلك أحب اليك؟ قال ﷺ « أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد » قال يا رسول الله ما نألك عن فاطمة ، قال ﷺ « فأسامة بن زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه » وكان رسول الله ﷺ قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها وأمسها أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخياراً وملحفة ودرعا وخمسين مداً من طعام

في زينب وذلك ان رسول الله ﷺ لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حيناً ثم ان رسول الله ﷺ أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنهما فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت فأتى رسول الله ﷺ فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي قال « مالك أراك منهاشي؟ » قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تعظم علي أشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي (ص) « أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها » ثم طلقها زيد فذلك قوله عز وجل (واذ تقول للمذي أنعم الله عليه) بالاسلام (وأنعمت عليه) بالترقية والاعتاق وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعني زينب بنت جحش (واتق الله) فيها ولا تفارقها (ونحني في نفسك ما الله مبدية) أي تسر في نفسك ما الله مظهره أي كان في قلبه لو فارقها لتزوجها وقال ابن عباس حبها وقال قتادة ودأنه طلقها (ونحني الناس) قال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل نحني لأئمة الناس أن يقولوا أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن نحشاه) قال ابن عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله (ص) آية هي أشد عليه من هذه الآية، وروى عن مسروق قال قالت عائشة لو كنتم النبي (ص) شيئاً مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية (ونحني في نفسك ما الله مبدية) وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن

وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان . فكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول له « أمسك عليك زوجك واتق الله » قال الله تعالى (ونحفي في نفسك ما الله مبديه ونخشى الناس والله أحق أن نخشاه) ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نورد ها . وقد روى الامام احمد ههنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً

وقد روى البخاري أيضاً بعضه مختصراً فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ان هذه الآية (ونحفي في نفسك ما الله مبديه) نزلت في شأن زنب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألتني علي بن الحسين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى (ونحفي في نفسك ما الله مبديه) فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يزوجه فلما أتاه زيد رضي الله عنه يشكوها قال « اتق الله وأمسك عليك زوجك » فقال قد أخبرتك أنني مزوجتها ونحفي في نفسك ما الله مبديه . وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك

جدعان قال سألتني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله (ونحفي في نفسك ما الله مبديه ونخشى الناس والله أحق أن نخشاه) قلت يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله إني أريد أن أطلق زنب فاعجبه ذلك فقال (أمسك عليك زوجك واتق الله) فقال علي بن الحسين ليس كذلك بل كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وإن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال إني أريد أن أطلقها قال له « أمسك عليك زوجك » فعانبه الله وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك . وهذا هو الأولى والايق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله علم انه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجنا كما فلو كان الذي أضره رسول الله (ص) محبتها أو ارادة طلاقها لظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبرانه بظهوره ثم يكتمه فلا يظهره ، فدل على انه إنما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي ناحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي وان كان القول الآخر وهو انه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر . وقوله (أمسك عليك زوجك واتق الله) أمر بالمعروف وهو حسن لا أثم فيه . قوله تعالى (والله أحق أن نخشاه) لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه السلام قد قال « أنا أخشاكم لله وأنتم كنتم » ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر

وقال ابن جرير حدثني اسحاق بن شاهين حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لو كنتم محمد ﷺ شيئا مما أوحى اليه من كتاب الله تعالى لكنتم (وتحنى في نفسك ما الله مبديه وتحنى الناس والله أحق أن تخشاه) وقوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم) الوطر هو الحاجة والارب أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكم وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى اليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر

قال الامام احمد حدثنا هاشم يعني ابن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد بن حارثة « اذهب فاذكرها علي » فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجبها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيت أن أنظر اليها وأقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك ، قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجدتها وزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يقتبم حجر نسائه يسلم عليهن ويقبلن يارسول الله كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري

ان الله تعالى أحق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء

قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجة من نكاحها (زوجناكم) وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات. وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي ﷺ اني لادل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد واني أنكحنيك الله في السماء. وان السفير لجبريل عليه السلام. أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن حاتم بن ميمون أنا بهز أنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ يزيد « اذهب فاذكرها علي » قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجبها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيت أن أنظر اليها لان رسول الله ﷺ ذكرها فاوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسلني رسول الله ﷺ اليك يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي ، فقامت الى مسجدتها وزل القرآن وجاء رسول الله (ص) فدخل عليها بغير إذن قال ولقد رأيتنا وان رسول الله (ص) أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله (ص) فاتبعته فجعل يتبع (تفسير ابن كثير والبغوي) (٧١) (الجزء السادس)

أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيدي وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية كلها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به

وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك [رض] قال ان زينب بنت جحش [رض] كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قدمنا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة [رض] فقالت زينب [رض] أنا التي نزل تزويجي من السماء . وقالت عائشة [رض] أنا التي نزل عذري من السماء . فاعترفت لها زينب [رض]

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال : كانت زينب [رض] تقول لاني ﷺ اني لادل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن ان جدي وجدك واحد واني أنكحنيك الله عز وجل من السماء وان السفير جبريل عليه الصلاة والسلام

وقوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) أي انما أبخنا لك تزويجها وفعلنا ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الادعياء . وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبني زيد بن حارثة [رض] وكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) الى قوله تعالى — ادعهم لأبائهم هو أقسط عند الله (ثم زاد ذلك ليأبانا وتأكيذا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش [رض] لما طلقها زيد بن حارثة [رض] ولهذا قال تعالى في آية التحريم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ليحترز من الابن الدعي فان ذلك كان كثيرا فيهم . وقوله تعالى (وكان أمر الله

محجز نسائه يسلم عليهن ويقفن بارسول الله كيف وجدت أهلك ؟ قال فما أدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا أو أخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيدي وبينه ونزل الحجاب . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا حماد عن ثابت عن أنس قال ما أولم النبي (ص) على شيء من نسائه ما أولم عن زينب أولم بشاة أخبرنا محمد بن عبد الله الصالح أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن هشام بن ملاس النمري أنا سروان الفزاري أنا أحمد عن أنس قال أولم رسول الله (ص) حين ابنتي زينب بنت جحش فاشيع المسلمين خيرا ولما

قوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أم (في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) والادعياء جمع الدعي وهو المتبني يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فانها لا تحل للاب (وكان أمر

مفعولا) أي وكان هذا الامر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة ، كانت زينب [رض] في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر

الله قدراً مقدوراً (٣٨)

يقول تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب [رض] التي طلقها دعيه زيد بن حارثة [رض]

وقوله تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي هذا حكم الله تعالى في الانبياء قبله لم يكن لأمرهم بشي . وعليهم في ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المناهقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أي وكان أمره الذي يقدره كائناً لا محالة وواقعاً لا يحيد عنه ولا معدل فمشاء كان ومالم يشأ لم يكن

الذين يبلغون رسل الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً (٣٩)

ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل

شيء علماً (٤٠)

بمدح تبارك وتعالى (الذين يبلغون رسالات الله) أي الى خلقه ويؤدونها بأماناتها (ويخشونه) أي يخافونه ولا يخافون أحداً سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن ابلاغ رسالات الله تعالى (وكفى بالله حسيباً) أي وكفى بالله ناصرأ ومعيناً ، وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد ﷺ فانه

الله مفعولا) أي كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يزوجه رسول الله (ص) قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أي فيما أحل الله له (سنة الله) أي كسنة الله نصب بنزع الخافض وقيل نصب على الاغراء أي الزموا سنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في الانبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم قل الكلابي ومقاتل أراد داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هو بها فكذلك جمع بين محمد (ص) وبين زينب . وقيل أشار بالسنة الى النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام وقيل الى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) قضاء مقضياً كاننا ماضياً (الذين يبلغون رسالات الله) يعني سنة الله في الانبياء الذين يبلغون رسالات الله (ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله) أي لا يخشون قالة الناس

قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وأما هو ﷺ فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) ثم وردت مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضي الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وعلايته ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فينورهم يقتدي المبتدون ، وعلى منهمهم بذلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم

قال الإمام أحمد حدثنا ابن بكير أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله [ص] « لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه ، يقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنعك أن تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنأ أحق أن يخشى » ورواه أيضاً عن عبد الرزاق عن الثوري عن زيد بن عمرو بن مرة ، ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن عمر وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به

وقوله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) نهي أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه فإنه [ص] لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم فإنه [ص] ولد له القاسم والطيب والظاهر من خديجة رضي الله عنها فأنوا صفاراً ، وولد له [ص] إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيها ، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين فمات في حياته [ص] ثلاث وتأخرت فاطمة رضي الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لسته أشهر

وقوله تعالى (ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) كقوله عز وجل [الله أعلم حيث يجعل رسالته] فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول [ص] من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عجيل عن

ولا تمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم (و كفى بالله حسيباً) حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم . ثم إن رسول الله (ص) الماتزوج زينب قال الناس إن محمد أتزوج امرأة ابنه فانزل الله عز وجل (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) يعني زيد بن حارثة أي ليس أباً أحد من رجالكم الذين لم يولد لهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه أباهما ، فإن قيل أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والظاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين فإن النبي (ص) قال الحسن إن ابني هذا سيد قبل هؤلاء كانوا صفاراً لم يكونوا رجالاً والصحيح ما قلنا

الطفيل بن أبي كعب عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة » ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي به وقال حسن صحيح

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي » قال فشق ذلك على الناس فقال « ولكن المبشرات » قالوا يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » وهكذا رواه الترمذي عن الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل

(حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليم بن حبان عن سعد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ما أحسنها الا موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء عليهم الصلاة والسلام » ورواه البخاري ومسلم والترمذي من طرق عن سليم بن حبان به وقال الترمذي صحيح غريب من هذا الوجه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى داراً فأتمها الابنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة » انفرد به مسلم من رواية الاعمش به

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراسبي قال سمعت أبا الطفيل رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نبوة بعدي إلا المبشرات » قبل وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال « الرؤيا الحسنة - أو قال - الرؤيا الصالحة »

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل ابنى بيوتاً فأكملها وأحسنها وأكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل

انه أراد أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدوا ولم يولدوا رسول الله وخاتم النبيين » ختم الله به النبوة وقرأ ابن عامر وعاصم خاتم بفتح التاء على الاسم أي آخرهم وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لانه ختم به النبيين فهو خاتمهم قال ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً وروي عن عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولداً ذكراً بصير رجلاً ﴿ وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي

الناس بطوفون ، محبهم البنيان ويقولون ألا وضعت «هنا لبنة فيتم بنبائك» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكنز «البنة» أخرجاه من حديث عبد الرزاق

«حديث آخر» عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال الإمام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقيس بن علي بن حجر قالوا حدثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالعرب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون» ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث اسماعيل بن جعفر وقال الترمذي حسن صحيح

«حديث آخر» قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثلي ومثل الأنبياء من قلبي كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا موضع لبنة واحدة فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة» ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب كلاهما عن أبي معاوية به

«حديث آخر» قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرابض بن سارية رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ «إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»

«حديث آخر» قال الزهري أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن لي أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بـي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» أخرجاه في الصحيحين

وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن اسحاق حدثنا ابن لميعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال «أنا محمد النبي الأمي ثلاثاً ولانبي بعدي ، أوتيت فوائح الكلم وجوامعها وخواتمها ، وعلمت كم خزنة النار وحلة العرش ، ونجوز بي ، وعوفيت وعوفيت أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا مادمت فيكم ، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه» تفرد به الإمام أحمد

بن محمد الخدشاشي أنا أبو عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوزي يدي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال كان أبو هريرة يقول قال رسول الله (ص) «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يمتعجون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعميرون مواها فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بي النبيان وختم بي الرسل» أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزي أنا عدي بن أحمد الخزاعي أنا الحثيم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى

ورواه الامام احمد أيضا عن احمد بن اسحاق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شريح الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها فذكر مثله سواء والاحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالى بالعباد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ثم من تشریفه لهم ختم الانبياء والمرسلين به واكمل الدين الحنيف له

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده يعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفك دجال ضال مضل ، ولو مخرق وشعبذوأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات ، فكلمها محال وضلال عند أولي الالباب ، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الاسود العنسي باليمن ومسيمة الكذاب باليمامة من الاحوال الفاسدة والاقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله ، وكذلك كل مدع لذلك الى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال ، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى بخلقهم فانهم بضرورة الواقع لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر الا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد الى غيره ويكون في غاية الافك والفجور في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى (هل أنبتكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم) الآية وهذا بخلاف حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه يفعلونه ويأمرؤن به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والادلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا مادامت الارض والسموات

بأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو

الذي يصلي عليكم ومملكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب ، وجليل المآب

قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى ابن عباس عن ابي عزة

الترمذي أنا سعيد بن عبد الرحمن الخزومي وغير واحد قالوا أنا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله (ص) يقول « ان لي أمماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي » قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ذكر الله عز وجل » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبي عزة واسمه عبد الله بن قيس الراعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه به ، قال الترمذي ورواه بعضهم عنه فأرسله ، قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) في مسند الامام احمد من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بنحوه فآله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت أبا هريرة [رض] يقول دعاء سمعته من رسول الله ﷺ لا أدعه : اللهم اجعلني أعظم شكرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج ابن فضالة عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة [رض] فذكر مثله وقال غريب . وهكذا رواه الامام احمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن أبي سعيد المري عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال : سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء اعرابيان إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال ﷺ « من طال عمره وحسن عمله » وقال الآخر يا رسول الله إن شرائع الاسلام قد كثرت علينا فممن بأمر أنشئت به قال ﷺ « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » وروى الترمذي وابن ماجه منه الفصل الثاني من حديث معاوية بن صالح به ، وقال الترمذي حديث حسن غريب

وقال الامام احمد حدثنا شريح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال : ان دراجا بالسمرقند حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون »

وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا عقبة بن مكرم العمري حدثنا سعيد بن سفيان الجمحدي حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عقبة بن أبي شبيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس [رض] قال قال رسول الله ﷺ « اذكروا الله ذكرا كثيرا » يقول المنافقون يراؤون ، وقال الامام احمد

فريضة على عباده الا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الاحوال فقال (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال - اذكروا الله ذكرا كثيرا) أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو [رض] قال : قال رسول الله ﷺ « ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا زادهم حسرة يوم القيامة »

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [رض] في قوله تعالى (اذكروا الله ذكرا كبيرا) ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه فقال (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال . وقال عز وجل « وسبحوه بكرة وأصيلا » فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته ، والاحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفي هذه الآية السكينة الحث على الاكثار من ذلك ، وقد صنف الناس في الاذكار المتعلقة بآناه الليل والنهار كالتسائي والعمرى وغيرهما ، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الاذكار للشيخ محي الدين النووي رحمه الله

وقوله تعالى (وسبحوه بكرة وأصيلا) أي عند الصباح والمساء كقوله عز وجل (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والارض وحين تظهرون) وقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) هذا نهيج إلى الذكر أي ان سبحانه يذكر كم فاذا كروه انتم كقوله عز وجل (كما أرسلنا فيكم رسولا منك يتلو عليكم آياتنا بزيككم ويعلمكم الكتاب والحسكة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذا كروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وقال النبي ﷺ « يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه » والصلاة من الله تعالى ثناء على العبد عند الملائكة حكاه البخاري عن أبي العالية ورواه أبو جعفر الرازي

والسقم وفي السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا ﴿ وسبحوه ﴾ أي صلوا له ﴿ بكرة ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ وأصيلا ﴾ يعني صلاة العصر وقال الكلبي وأصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاء بن وقال مجاهد يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعبر بالتسبيح عن اخوانه . وقيل المراد من قوله ذكر كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث

قوله ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين ، قال السدي قالت بنو اسرائيل لموسى أصلي ربنا فكرر هذا الكلام على موسى فواحي الله اليه ان قل لهم إني أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد سمعت رحمتي كل شيء . وقيل الصلاة من الله على (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٧٢) (الجزء السادس)

عن الربيع بن أنس عنه، وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة. وقد يقال لا منافاة بين القولين والله أعلم، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا أدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات) الآية . وقوله تعالى (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم بخروجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين (وكان بالمؤمنين رحيما) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فانه هدام إلى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم من الطغام ، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبخارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لمحبتهم لهم ورأفته بهم

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال التوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار قال خففهم رسول الله ﷺ وقال « لا ، والله لا يلقي حبيبه في النار » استأذنه على شرط الصحيحين ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، ولكن في صحيح الامام البخاري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها فألصقته إلى صدرها وأرضعته فقال (ص) « أروني هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك ؟ » قالوا لا قال (ص) « فوالله الله أرحم بعباده من هذه بولدها »

وقوله تعالى (تحييتهم يوم يلقونه سلام) الظاهر أن المراد والله أعلم تحييتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يسلم عليهم كما قال عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) وزعم قتادة أن المراد

العبد هي اشاعة الذكر الجليل له في عبادته وقيل الثناء عليه قال أنس لما زلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشر كتنا فيه فانزل الله هذه الآية قوله (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان يعني انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور (وكان بالمؤمنين رحيما) تحييتهم (أي تحية المؤمنين) يوم يلقونه (أي يرون الله) سلام (أي يسلم الله عليهم وبسلامهم من جميع الآفات وروي عن البراء بن عازب قال (تحييتهم يوم يلقونه) يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا

أنهم يحجي بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، واختاره ابن جرير. قلت وقد يستدل له بقوله تعالى (دعواهم فيها سبْحانَكَ اللَّهُمَّ ونَحْمِيتُهُمْ فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وقوله تعالى (وأعد لهم أجراً كريماً) يعني الجنة وما فيها من المأكَل والمشرب والملابس والمساكن والمناجح والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله باذنه وسراجا

منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين

ودع أذنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)

قال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقبت عبد الله بن عمر وبن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن (يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزاً للاميين وأنت عبيدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وإن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء يقول لا اله الا الله فيفتح بها أعينا عمياء وآذانا صماء، وقلوبا غلفاء، وقد رواه البخاري في البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي به. ورواه في التفسير عن عبد الله بن عبد الله بن رجاء عن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به. ورواه ابن

أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به وقال البخاري في البيوع وقال سعيد عن هلال بن عطاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وقال وهب بن منبه ان الله تعالى أوحى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له شعياء: ان قم في قومك بني اسرائيل فاني منطلق لسانك بوحي، أبعث أميا من الأميين، أبعث ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق، لو يمر الى جنب مراح لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الحق، افتح به أعينا كرها وآذانا صماء وقلوبا غلفاء، أسدده لكل أمر جميل وأهبله كل خلق كريم، واجعل السكينة لباسه، والبر شعاعه، والتقوى ضميره، والحكمة نطقه، والصدق والوفاء طبيعته،

سلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ان ربك يقرئك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرونهم حين يخرجون من قبورهم ﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ يعني الجنة قوله عز وجل ﴿يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ أي شاهدا لمرسل بالتبليغ ومبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بآياتنا بالانذار ﴿وداعيا الى الله﴾ الى توحيده وطاعته

والعفو والمعرف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته والهدى امامه ، والاسلام ملته ، وأحمد اسماءه ، أهدي به بعد الضلال ، وألم به بعد الجهالة ، وارقم به بعد الخلة ، واعرف به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأولف به بين أئم متفرقة وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وامتنقذ به فتانا من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أئمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدون مؤمنين مخلصين ، مصدقين لما جاء به رسلي ، ألهمهم التسبيح والتحميد ، والشأن والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومشاهم ، يصلون لي قياما وقعودا ويقاثلون في سبيل الله صفوفًا وزخوفًا ، ويخرجون من ديارهم اتقاء مرضاني ألوقا ، يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب في الانصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأنا - يلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين ، والصدّيقين والشهداء والصالحين ، أئمة من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأعز من نصرهم ، وأؤيد من دعا لهم ، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم ، أوفى عليهم أو أراد أن ينزع شيئا مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم ، والداعية إلى ربهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أوتيته من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم . هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه الجاني رحمه الله . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وقد كان أمرا عليا ومعاداً رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال « انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، وبشرا ولا تعسرا ، انه قد أنزل علي (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) » ورواه الطبري عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي بإسناده مثله ، وقال في آخره « فانه قد أنزل علي يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على أمك ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار ، وداعياً إلى شهادة أن لا إله إلا الله باذنه وسراجاً منيراً بالقرآن . فقوله تعالى (شاهدا) أي لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . كقوله (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

وقوله عز وجل « ومبشرا ونذيرا » أي بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من وبل العقاب . وقوله جلت عظمتة (وداعياً إلى الله باذنه) أي داعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره

« باذنه » بأمرة « وسراجاً منيراً » سماه سراجاً لأنه يهتدى به كالسراج يستضاء به في الظلمة « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » ولا تطلع الكافرين والمنافقين « ذكرنا تفسيره في أول السورة » ودع أذا هم « قال ابن عباس وقتادة أصبر على أذاهم وقال الزجاج لا نجأزهم عليه وهذا منسوخ

لك بذلك [وسراجا منيرا] أى وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها واضاءتها لا يمحدها إلا معاند . وقوله جلا وعلا [ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاًم] أى لا تطع وتسمع منهم في الذي يقولونه [ودع أذاًم] أى اصفح ونجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)

يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لهن عابهن من عدة تمتد منها فتمتوهن وسرّحوهن سرا حاً جميلاً (٤٩)

هذه الآية السكرية فيها أحكام كثيرة منها اطلاق النكاح على العقد وحده وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيما على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن انما هو في العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فانه استعمل في العقد وحده اقوله تبارك وتعالى (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفيها دلالة لباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها

وقوله تعالى (المؤمنات) خرج مخرج الغالب اذا لفرق في الحكم بين المؤمنة والكتانية في ذلك بالاتفاق وقد استدلل ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين زين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع الا اذا تقدمه نكاح لان الله تعالى قال (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فعقب النكاح بالطلاق فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى ، وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى الى صحة الطلاق قبل النكاح فيما اذا قال ان تزوجت فلانة فهي طالق ، فعندهما متى تزوجها طلقت منه ، واختلفا فيما اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق بآية القتال ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً ﴾ حافظاً قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ﴾ فيه دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية اذا نكحتك فانت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم وبه قال الشافعي ، وروى عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امرأة يقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن مسعود ان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى (اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) ولم يقل اذا

فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة ، وقال أبو حنيفة رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعني ابن أبي إسحاق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال . إذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشيء من أجل أن الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) الآية وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن بن مسلم بن يثاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما قال الله عز وجل (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس (رض) قال قال الله تعالى (إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فلا طلاق قبل النكاح

وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب ، وهكذا روى ابن ماجه عن علي والمصور بن مخزومة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا طلاق قبل النكاح »

وقوله عز وجل (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) هذا أمر مجم عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لعدة عليها فتذهب فتزوج في فورها ^(١) من شأت ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا وإن لم يكن دخل بها بالاجماع أيضا وقوله تعالى (فتعوهن ومصرحوهن سراها عجيلا) المنة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو المنة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها . قال الله تعالى (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم)

(١) في المكية في قرنها

طلقتموهن ثم نكحتموهن أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة أنا الربيع بن سلمان أنا أيوب بن سويد أنا ابن أبي ذئب عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لا طلاق قبل النكاح

قوله عز وجل (من قبل أن تمسوهن) نكحتموهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) تخصونها بالاقراء والأشهر (فتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمى لها صداقا فلها المنة فإن كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا منة لها ، وقال قتادة هذه الآية منسوخة بقوله (فنصف ما فرضتم) وقيل هذا أمر ندب فالمنة مستحبة لها مع نصف المهر ، وذهب بعضهم

وقال عز وجل (لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين)

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أن دخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده اليها فكاها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين دارقين . قال علي بن أبي طلحة رضي الله عنهما ان كان سمي لها صداقا فليس لها الا النصف ، وإن لم يكن سمي لها صداقا أمتها على قدر عمره ويسره وهو السراح الجليل

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك التي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك ، وبنات عماتك ، وبنات خالك ، وبنات خالاتك التي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ، قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمنهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠)

يقول تعالى مخاطبا نبيه ﷺ بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الأجر ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لثلاثه اثنتي عشرة أوقية ونشز وهو نصف أوقية فالجيم خمسمائة درهم ، الا أم حبيبة بنت أبي سفيان فانه أمهرها عنه النجاشي رحمه الله تعالى أربعائة دينار ، والاصفية بنت حيي فانه اصطفاه من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها ، وكذلك جويرية بنت الحارث المصطفية أدى عنها كتابتها الى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهن أجمعين

وقوله تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) أي وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم وقد ملك صدفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما ، وملك ربحانة بنت شمعون النضرية ومارية القبطية أم ابنه ابراهيم عليهما السلام وكانتا من السراري رضي الله عنهما

الى أنها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الآية (ومزجوهن سرا حايلا) خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار

قوله تعالى (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) رد عليك من الكفار بأن نسبي فتملك مثل صدفية وجويرية وقد

وقوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك) الآية هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا ، واليهود يزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة ، وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والاخت وهذا شنيع فظيع ، وإنما قال (وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك) فوحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الاناث لتقصين كقوله [عن اليمين والشمال] — يخرجهم من الظلمات إلى النور — وجعل الظلمات والنور [وله نظائر كثيرة

وقوله تعالى (اللاتي هاجرن معك) قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار بن الحارث الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا امرئيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هاني قالت خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ، ثم أنزل الله تعالى (أنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك ، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) قالت فلم أكن أحل له لم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى به

ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عنها بنحوه . ورواه الترمذي في جامعه . وهكذا قال أبو رزین وقتادة أن المراد من هاجر معه إلى المدينة . وفي رواية عن قتادة (اللاتي هاجرن معك) أي أسلمن ، وقال الضحاك قرأ ابن مسعود (واللاتي هاجرن معك)

وقوله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي أن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك) الآية أي ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفسها لك أن تزوجها بغير مهر إن شئت ذلك . وهذه الآية توالى فيها شرطان كقوله تعالى أخبارا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وكقول موسى عليه السلام [يا قوم إن كنتم

كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له إبراهيم] وبنات عمك وبنات عماتك [يعني نساء قريش] وبنات خالك وبنات خالاتك [يعني نساء بني زهرة] (اللاتي هاجرن معك) إلى المدينة فمن لم تهاجر منهن معه لم يحز له نكاحها . وروى أبو صالح عن أم هاني أن رسول الله (ص) لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي أن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين] أي أحلنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق ، فاما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه . واختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي (ص) نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر فذهب جماعة إلى أنه كان لا يحل له ذلك لقوله (وامرأة مؤمنة) وأول بعضهم الهجرة في قوله (اللاتي هاجرن

أمنتكم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين [وقال ههنا] وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي [الآية]
وقد قال الامام احمد حدثنا اسحاق أخبرنا مالك عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا
فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل
عندك من شيء ، تصدقها إياه ؟ » فقال ما عندي إلا إزار ي هذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أعطيتها
إزارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئا » فقال لأجد شيئا ، فقال « التمس ولو خاتما من حديد » فالتمس
فلم يجد شيئا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « هل معك من القرآن شيء ؟ » قال نعم سورة كذا وسورة كذا
السور بسميها ، فقال له النبي (ص) « زوجتكها بما معك من القرآن » أخرجاه من حديث مالك

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول : كنت مع أنس جالسا وعنده
ابنة له ، فقال أنس جاءت امرأة إلى النبي (ص) فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة ؟ فقالت ابنته
ما كان أقل حياءها فقال « هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها » انفرد باخراجه البخاري
من حديث مرحوم بن عبد العزيز العطار عن ثابت البناني عن أنس به

وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي عن أنس بن
مالك ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنة لي كذا وكذا فذكرت من حسناتها وجمالها
فأثرتك بها فقال « قد قبلتها » فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشك شيئا قط فقال « لا حاجة
لي في ابنتك » لم يخرجوه ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا ابن أبي
الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
خولة بنت حكيم . وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن
أبيه ان خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم

معك على الاسلام أي أسلمن معك فيبدل ذلك على انه لا يحل له نكاح غير المسلمة ، وكان النكاح
ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر وكان ذلك من خصائصه (ص) في النكاح
لقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) كزيادة على الاربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه
لا مشاركة لاحد معه فيه . واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم
إلى أنه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء ،
وقال ربيعة وبه مالك والشافعي ، وذهب قوم إلى أنه ينعقد بلفظ الهبة والتليك وهو قول ابراهيم
النخعي وأهل الكوفة ، ومن قال لا ينعقد إلا بلفظ الانكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي (ص)
فذهب قوم إلى أنه كان ينعقد في حقه بلفظ الهبة لقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) وذهب
(تفسير ابن كثير والبقوي) (٧٣) (الجزء السادس)

وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث ان خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله ﷺ وكانت امرأة سالحة. فيحتمل ان أم سليم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة أخرى. وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة امرأة ستمائة من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة ، وثلاثا من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وزينب أم المساكين ، وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرطبات وهي التي اختارت الدنيا ، وامرأة من بني الجون وهي التي استعازت منه ، وزينب بنت جحش الاسدية ، والسبيتين صفية بنت حيي بن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ﷺ قال هي ميمونة بنت الحارث فيه انقطاع هذا امر سل ، والمشهور أن زينب التي كانت تدعى أم المساكين هي زينب بنت خزيمه الانصارية وقدمت عند النبي ﷺ في حياته قاله أعلم . والغرض من هذا ان اللاني وهبن أنفسهن للنبي ﷺ كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاني وهبن أنفسهن للنبي ﷺ وأقول أذهب المرأة نفسها فلما أنزل الله تعالى (ترجي من تشاء منهم وتؤوي اليك من تشاء . ومن ابتغيت ممن عزات فلا جناح عليك) قلت ما أرى ربك الا يسارع في هواك . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن معاذ عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي انه لم يقل واحدة ممن وهبت نفسها له وان كان ذلك مباحا له ومخصوصا به لانه مردود الى مشيئته كما قال الله تعالى (إن أراد النبي أن يستنكحها) أي ان اختار ذلك

آخرون إلى أنه لا ينعقد إلا بلفظ الانكاح أو التزويج كما في حق الامة لقوله عز وجل [ان أراد النبي أن يستنكحها] وكان اختصاصه [ص] في ترك المهر لاني لفظ النكاح

واختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ [ص] وهل كانت عنده امرأة منهم ؟ فقال عبد الله ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بهقد نكاح أو ملك يمين ، وقوله (إن وهبت نفسها) على طريق الشرط والجزاء ، وقال آخرون : بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمه الهلالية يقال لها أم المساكين . وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث ، وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد ، وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم

وقوله تعالى (خالصة لك من دون المؤمنين) قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له حتى يعطيها شيئا وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي أنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فإنه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله ﷺ في تزويج بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله ﷺ بصدق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ فاما هو عليه الصلاة والسلام فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها لان له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا قال قتادة في قوله (خالصة لك من دون المؤمنين) يقول ليس لامرأة نهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر الا لنبينا ﷺ

وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) قال أبي بن كعب ومجاهد والحسن وقتادة وابن جرير في قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) أي من حصرهم في أربع ذروة حرائر وما شأوا من الاماء واشترط الولي والمهر والشهود عليهم وهم الأمة وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه (لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما)

ترجي من تشاء منهمن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ، ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عا حليما (٥١)

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ قالت ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها

قوله تعالى ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي أوجبنا على المؤمنين ﴿في أزواجهم﴾ من الاحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ أي ما أوجبنا من الاحكام في ملك اليمين ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ وهذا يرجع إلى أول الآية أي أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ ترجي ﴿أي تؤخر﴾ من تشاء منهمن وتؤوي ﴿أي تضم﴾ اليك من تشاء ﴿اختلف المفسرون في معنى الآية فأشهر الاقوال انه في القسم بينهما وذلك ان التسوية بينهما في القسم كانت واجبة عليه فلما زلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار اليه فبين

قال أبو رزين وابن زيد زلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي [ص] وطلب بعضهم زيادة النفقة فحجروا النبي [ص] شهر حتى زلت آية التخيير فأمره الله عز وجل أن يخبرهن

بغير صداق فأنزل الله عز وجل (ترجي من تشاء منهم وتؤوي اليك من تشاء) الآية قالت إني أرى ربك يسارع لك في هواك . وقد تقدم أن البخاري رواه من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على أن المراد بقوله (ترجي) أي تؤخر (من تشاء منهم) أي من الواهبات (وتؤوي اليك من تشاء) أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ، ومن رددتها أنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأويتها ولهذا قال (ومن ابتغيت من عزات فلا جناح عليك)

قال عامر الشعبي في قوله تعالى (ترجي من تشاء منهم) الآية كن نساءاً وهن أنفسهن للنبي ﷺ فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحن بعده منهن أم شريك ، وقال آخرون بل المراد بقوله (ترجي من تشاء منهم) الآية أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لمن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت ، وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزین وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ، ومع هذا كان النبي ﷺ يقسم لمن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبا عليه ﷺ واحتجوا بهذه الآية الكريمة

وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الاحول عن معاذ عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة من بعد أن نزلت هذه الآية (ترجي

بين الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهم ويرجي من يشاء فيرضين به قسم لمن أو لم يقسم ، أو قسم لبعضهن دون بعض ، أو فضل بعضهم في النفقة والقسمة فيكون الأمر في ذلك اليه يفعل كيف يشاء ، وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واختبره على هذا الشرط ، واختلفوا في أنه هل أخرج أحداً منهم عن القسم ؟ فقال بعضهم لم يخرج أحداً بل كان رسول الله ﷺ مع ما جعله الله له من ذلك يسوي يدين في القسم إلا سودة فأنها رضى تبرك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة ، وقيل أخرج بعضهم

روى جرير عن منصور عن أبي رزین قال : لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئنا ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فأرجأ رسول الله ﷺ بعضهن وآوى اليه بعضهن وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان يقسم يهن سواء وأرجأ منهن خمساً أم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم لمن ما شاء ، وقال مجاهد (ترجي من تشاء منهم) يعني تعزل من تشاء منهم بغير طلاق وترد من تشاء بعد العزل بالانجديد . وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهم وتمسك من تشاء ، وقال الحسن : تترك نكاح من شئت

من تشاء منهم ونؤوي اليك من تشاء. ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك (فقلت لها ما كنت تقولين؟ فقالت كنت أقول ان كان ذلك إلي فاني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحداً. فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الاول يقتضي أن الآية زلت في الواهيات، ومن هنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهيات وفي النساء اللاتي عنده انه مخير فيهن ان شاء قسم وان شاء لم يقسم، وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي وفيه جمع بين الاحاديث ولهذا قال تعالى (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أي اذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، فان شئت قسمت وان شئت لم تقسم لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا إن تقسم لمن اختاراً منك لا انه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحلن جميلتك في ذلك، واعتفرن بمنتك عليهن في قسمك لمن وتسويتك يدين وانصافك لمن وعدك فيهن. وقوله تعالى (والله يعلم ما في قلوبكم) أي من الميل إلى بعضهم دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول « اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلني فيما أملك ولا أملك » ورواه أهل السنن الاربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله « فلا تلني فيما أملك ولا أملك » يعني القلب. واسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى (وكان الله عليماً) أي بضائر السرائر حليماً أي يحلم ويغفر

وتنكح من شئت من نساء أمتك. قال وكان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يترها رسول الله ﷺ وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤوبها اليك وتترك من تشاء فلا تقبلها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن سلام أنا ابن فضيل أنا هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة أما نستحي المرأة أن تهب نفسها الرجل؟ فلما زلت [ترجي من تشاء منهم] قالت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك

قوله تعالى (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت وأردت أن تؤوي اليك امرأة ممن عزأنهن عن القسم (فلا جناح عليك) لأنهم عليك فأباح الله له ترك القسم لمن حتى انه ليؤخر من يشاء منهم في نوبتها وبطأ من يشاء منهم في غير نوبتها ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلاً له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي التخيير الذي خبرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله عز وجل (ويرضين بما آتيتهن) أعطيتهن (كلهن) من تقرير وإرجاء وعزل وابواء (والله يعلم ما في قلوبكم) من أمر النساء والميل إلى بعضهم (وكان الله عليماً حليماً)

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا

ما أمسكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضا عنهم على حسن صنيعهم في اختيارهم الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهم رسول الله ﷺ كما تقدم في الآية ، فلما اخترن رسول الله ﷺ كان جزؤهن أن الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه حسنهن إلا الاماء والسراري فلا حرج عليه فيهن ، ثم انه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج ولو لم يكن لم يقع منه بعد ذلك زوج لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن

قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء ، ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ، ورواه الترمذي والنسائي في سننهما . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شذية حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزاعي عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله عن عبد الله بن وهب بن زهعة عن أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله [ص] حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ماشاء إلا ذات محرم ، وذلك قول الله تعالى (ترجي من تشاء منهن) الآية فجعلت هذه ناسخة لتي بعدها في التلاوة كما بيني عدة الوفاة في البقرة الاولى ناسخة لتي بعدها والله أعلم . وقال آخرون بل معنى الآية (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد

قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) قرأ أبو عمرو ويعقوب لا تحل بالياء ، وقرأ الآخرون بالياء (من بعد) يعني من بعد هؤلاء التسم اللاتي خيرتهن فاخترنك وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله له وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن هذا قول ابن عباس وقتادة . واختلفوا في أنه هل أبيض له النساء من بعد . قالت عائشة ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء سواهن ، وقال أنس ما مات على التحريم ، وقال عكرمة والضحاك معنى الآية لا يحل لك النساء إلا اللاتي أحلنا لك وهو قوله (أنا أحلنا لك أزواجك) الآية ثم قال (لا يحل لك النساء من بعد) إلا اللاتي أحلنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها ، وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء النبي ﷺ أ كان يحل له أن يتزوج ؟ قال وما يمنعه من ذلك ؟ قيل قوله عز وجل (لا يحل لك النساء من بعد) قال إنما أحل الله له ضربا من النساء فقال (يا أيها النبي أنا أحلنا لك أزواجك) ثم قال (لا يحل لك النساء من بعد) قال أبو صالح أمر أن

ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحلنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك ، وبنات العم والعمة والخال والخالات والواهبه وماسوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك ، وهذا مروى عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه ، وعكرمة والضحاك في رواية وأبي رزبن في رواية عنه وأبي صالح والحسن وقتادة في رواية والسدي وغيرهم

قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد عن رجل من الانصار قال قلت لابي بن كعب أرايت لو أن أزواج النبي (ص) توفين أما كان له أن يتزوج ؟ فقال وما يمنعه من ذلك ؟ قال قلت قول الله تعالى [لا يحل لك النساء من بعد] فقال إنما أحل الله له ضرباً من النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك — الى قوله تعالى — ان وهبت نفسها للنبي (ص) ثم قيل له (لا يحل لك النساء من بعد) ورواه عبد الله بن أحمد من طرق عن داود به ، وروى الترمذي عن ابن عباس قال : نهى رسول الله (ص) عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك) فأحل الله فتياتكم المؤمنات ، وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الاسلام ثم قال (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) الآية وقال تعالى (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن — الى قوله تعالى — خالصة لك من دون المؤمنين) وحرم ماسوى ذلك من أصناف النساء

وقال مجاهد (لا يحل لك النساء من بعد) أي من بعد ماسمي لك من مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ، وقال أبو صالح لا يحل لك النساء من بعد أمر أن لا يتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج بعد من نساء تهامة وما شا من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة ، وقال

لا يتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاثمائة ، وقال مجاهد معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات (ولا أن تبدل بهن) يقول ولا أن تبدل بالملمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية (الا ما ملكت يمينك) أحل له ما ملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن ، وروى عن الضحاك (ولا أن تبدل بهن) يعني ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في حياتك أزواجاً غيرهن بأن تطلقهن فتتزوج غيرهن فخرم عليه طلاق النساء الاواني كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين وحرمن على غيره حين اخترهن ، فأما نكاح غيرهن فلم يمنعه عنه

وقال ابن زيد في قوله (ولا أن تبدل بهن من أزواج) كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله (ولا أن تبدل بهن من أزواج) يعني لا يتبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك

عكرمة (لا يحل لك النساء من بعد) أي التي سمى الله ، واختار ابن جرير رحمه الله ان الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعاً ، وهذا الذي قاله جيد ولعله مراد كثير من حكينا عنه من السلف فان كثيراً منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روي أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) الآية ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج إلى ذلك فان الآية إنما دلت على أنه لا يزوج من عدا اللواتي في عصمته وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال فالله أعلم ، فأما قضية سودة ففي الصحيح عن عائشة [رض] وهي سبب نزول قوله تعالى [وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو أعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً] الآية ، وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن صالح بن صالح ابن جبي عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها وهذا اسناد قوي

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن الاعمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال . دخل عمر على حفصة وهي تبكي فقال ما يبكيك ؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك ، انه كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي ، والله لئن كان طلقك مرة أخرى لأكلمك أبداً . ورجاله على شرط

وتأخذ زوجته (الا ما ملكت يمينك) لا بأس أن تبدل بجارياتك ماشئت فأما الحرائر فلا ، وروى عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ بغير إذن وعنده عائشة فقال له النبي ﷺ « يا عيينة فأين الاستئذان ؟ » قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك ؟ قال « هذه عائشة أم المؤمنين » فقال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق وتنزل لي عن هذه ؟ فقال ﷺ « إن الله قد حرم ذلك ، فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله ؟ فقال « هذا أحق مطاع وأنه على ما بين سيد قومه »

قوله تعالى ﴿ ولو أعجبك حسنهن ﴾ يعني ليس لك أن تطلق أحداً من نسائك وتنكح بعدها أخرى ولو أعجبك جمالها ، قال ابن عباس يعني أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب ، فلما استشهد جعفر أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها فتهمي عن ذلك ﴿ إلا ما ملكت يمينك ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ملك بعد هؤلاء مارية ﴿ وكان الله على كل شيء قريبا ﴾ حافظاً وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء . روي عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل »

الصحيحين . وقوله تعالى (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها الا ما ملكت يمينه

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثا مناسبا ذكره ههنا فقال حدثنا ابراهيم بن نصر ثنا مالك بن اسماعيل ثنا عبد السلام بن حرب عن اسحاق بن عبد الله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : كان البديل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي اي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأزل الله (ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي [ص] وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله ﷺ « فأين الاستئذان ؟ » فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك ؟ فقال رسول الله [ص] « هذه عائشة أم المؤمنين » قال افلا أنزل لك عن احسن الخلق ؟ قال « يا عيينة ان الله قد حرم ذلك » فلما أن خرج قالت عائشة من هذا ؟ قال « هذا أحق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه » ثم قال البزار : اسحاق بن عبد الله لين الحديث جدا وانما ذكرناه لاننا لم نحفظه الا من هذا الوجه وبيننا العلة فيه

يأياها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير نظرين
لأنه ولكن إذا دُعيت فادخلوا فاذا طمعت فانتشروا ولا مستانسين لحديث إن ذلكم كان
يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ، واذا سألتهم عن متاع فسلوهم

أخبرنا ابو الحسن علي بن يوسف الجوزي انا محمد بن محمد بن علي بن شريك الشافعي انا عبد الله
ابن محمد بن مسلم الجورندي قال انا احمد بن حرب انا ابو معاوية عن عاصم هو ابن سليمان عن بكر
ابن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال : خطبت امرأة فقال لي النبي ﷺ « هل نظرت اليها ؟ » قالت
لا ، قال « فانظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما »

أخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي انا عبد الله بن حامد انا حامد بن محمد انا بشر
ابن موسى انا الحميدي انا سفيان بن يزيد بن كيسان عن ابي حازم عن ابي هريرة أن رجلا اراد أن
يتزوج امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « انظر اليها فان في أعين نساء الانصار
شيئا » قال الحميدي يعني الصفرة

قوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية . قال أكثر

من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهم وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً (٥٣) ان تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً (٥٤)

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية وهي ما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي ﷺ لما نزلن عليه في الغيرة (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) فنزلت كذلك وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهي قضية رابعة

وقد قال البخاري حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله (ص) زينب بنت جحش التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما وزعم أبو عبيدة معمر ابن المثنى وخليفة بن خياط أن ذلك كان في سنة ثلاث فآله أعلم

قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجاز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما تزوج رسول الله (ص) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو ينهياً للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي (ص) ليدخل فإذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فاجتفت فأخبرت النبي (ص)

المفسر بن نزلت هذه الآية في شأن ولية زينب بنت جحش حين نبي بها ﷺ

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال وكانت أم هانيء تواظفني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي النبي ﷺ وأنا ابن عشر سنين ، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل ، فكان أول ما أنزل في مبعثي رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرج وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى

انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) الآية وقد رواه أيضا في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أبوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه. ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: بنى النبي صلى الله عليه وسلم بربن بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجي قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه قال « ارفعوا أطعاكم » وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » قالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلنا يا رسول الله بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كهن يقول لمن كما يقول لهائشة ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والآخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب. انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث. ثم رواه عن اسحاق هو ابن منصور عن عبد الله بن بكير السهجي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان، انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سلمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو المظفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام وأخبره أن هذا مناله قليل قال أنس والناس يومئذ

النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجعت ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرِب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر وأنزل الحجاب، وقال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر وإني في الحجرة وهو يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم — إلى قوله — والله لا يستحيي من الحق)

وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

في جهد فجئت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل فنظر اليه ثم قال « ضعه » فوضعه في ناحية البيت ثم قال « اذهب فادع لي فلانا وفلانا » فسمى رجالا كثيرا وقال « ومن لقيت من المسلمين » فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملائي من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال كانوا زهاء ثلاثمائة قال انس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم جئ به فجئت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال « ماشاء الله - ثم قال - ليتخلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل كل انسان مما يليه » فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ارفعه » قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدري اهو حين وضعت أكرام حين أخذت قال وتختلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها الى الحائط ، فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلبث على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو ينلو هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) الآية قال انس فقرأهن علي قبل الناس فأنا أحدث الناس بهن عهدا

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن جعفر بن سليمان به ، وقال الترمذي حسن صحيح وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال : وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه ، ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الجعد به ، وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشير عن أنس بنحوه ، ورواه البخاري والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشير الاحمسي الكوفي عن أنس بنحوه ، ورواه

عليه وسلم يتأذى بهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) يقول إلا أن تدعوا (الى طعام) فيؤذن لكم فتأكلونه (غير ناظرين إناه) غير متظرين ادراكه ووقت نضجه يقال أني الحميم اذا انتهى حره وأني ان يفعل ذلك اذا حان إني بكسر المعزة مقصورة فاذا فتحنها مددت فقلت الانا وفيه لغتان أني يأتي وآن يشين مثل حان يحين (ولكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم) أكلتم الطعام (فانتشروا) تفرقوا واخرجوا من منزله (ولا مستأنسين لحديث) ولا طالبيين الانس للحديث وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فنهوا عن ذلك (ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحييكم والله لا يستحيي من الحق) أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء (واذا سألتموهن متاعا فاستلوه من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأته من وراء حجاب رسول الله

ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نصره الهادي عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ، ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك

وقال الامام أحمد حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد « اذهب فاذكرها علي » قال فانطلق زيد حتى أتاها - قال - وهي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري ، وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى [فلما قضى زيد منها وطرا] وزاد في آخره بعد قوله : ووعظ القوم بما وعظوا به ، قال هاشم في حديثه [لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الآية . وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر ابن سليمان به . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ان أزواج رسول الله ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصم - وهو صعيد أفبح - وكان عمر يقول لرسول الله ﷺ احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ ليفعل ، فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى : قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله الحجاب . هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور ان هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين ، قالت فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وأنه لبيتعشي وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت فأوحى الله اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال « انه قد أذن لكن أن نخرجن لحاجتك » لفظ البخاري فقوله تعالى [لا تدخلوا بيوت النبي] حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الاسلام حتى غار الله لهذه الامة فأمرهم بذلك

ﷺ متنبه كانت او غير متنبه ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهم ﴾ من الرب

وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله التميمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا يحيى بن بكير انا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصم وهو صعيد أفبح . وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الحجاب

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى انا ابو بكر احمد بن الحسن الحيرى انا حاجب بن احمد الطوسي

وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ولهذا قال رسول الله [ص] « إياكم والدخول على النساء » الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى [إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه] قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير متعنين نضجه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه ، وهذا دليل على تحريم التطفل وهو الذي ذم به الضيفان ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين وذكر من أخبارهم أشياء بطول إرادها ، ثم قال تعالى (ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره » وأصله في الصحيحين ، وفي الصحيح أيضا عن رسول الله ﷺ « لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدني إلى كراع لقبلت » فإذا فرغتم من الذي دعيت إليه فقفوا عن أهل المنزل وانتشروا في الأرض » ولهذا قال تعالى (ولا مستأنسين لحديث) أي كما وقع لأولئك نفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله ﷺ كما قال تعالى (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) وقيل المراد أن دخولكم منزله غير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ، ولكن كان يكره أن ينهأ عن ذلك من شدة حياته عليه السلام حتى أنزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى (والله لا يستحيي من الحق) أي ولهذا نهاكم عن ذلك وزجركم عنه ، ثم قال تعالى (وإذا سألتموه متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) أي وكأنهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكيفية ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي ﷺ حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال حس أو أوه لو أطاع فيكن ما رأيتك عينا فنزل الحجاب [ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن] أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب

أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون أنا حميد عن أنس قال : قال عمر واقفني ربي في ثلاث : قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلت يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني بعض ما آذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه فدخلت عليهن فجعلت أستقرهن واحدة واحدة قلت والله لئن تهن أو ليبدلن الله أزواجهن خيراً منكن حتى أتيت علي زينب فقالت يا عمر ما كان في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظن أنت ، قال فخرجت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن) إلى آخر الآية

قوله عز وجل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ليس لكم إذا في شيء من الأشياء (ولا

وقوله تعالى [وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً] قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى [وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله] قال نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي (ص) بعده ، قال رجل لسفيان أهي عائشة ؟ قال قد ذكروا ذلك ، وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبد الله رضي الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله [ص] من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم. واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين مأخذها هل دخلت هذه في عموم قوله [من بعده] أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نراعي الله أعلم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر أن نبي الله [ص] مات وقد ملك قبيلة ابنة الأشعث - يعني ابن قيس - فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر : يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه أنها لم يخبرها رسول الله [ص] ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع قومها ، قال فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه وسكن ، وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله (إن ذلكم كان عند الله عظيماً) ثم قال تعالى [إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً] أي معها تكنه ضمائرهم ، وتنطوي عليه سرائرهم ، فإن الله بعلمه فإنه لا يخفى عليه خافية (بعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور)

لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أبنائهن
 ان تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ﴿ نزلت في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قل ان قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكح عائشة ، قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبد الله فأخبره الله تعالى ان ذلك محرم وقال ﴿ إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾ أي ذنباً عظيماً ، وروي عن معمر عن الزهري ان الغالية بنت ظبيان التي طلقها النبي ﷺ تزوجت رجلاً وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس قوله ﴿ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب ونحن أيضاً نكلمهم من وراء الحجاب فأنزل الله عز وجل ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أبنائهن ﴾ أي

أخواتهن ولا نسائن ولا ما ملكت أيمانهن، واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)

لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الاجانب بين أن هؤلاء الاقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى [ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائنهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورة النساء] وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته هنا . وقد سأل بعض السلف فقال: لم لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنها لم تذكر لأنها قد بصفان ذلك لبنيتها . قال ابن جرير حدثني محمد بن المنثري حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى (لا جناح عليهن في آباءهن) الآية قلت ما شأن العم والخال لم يذكر ؟ قال لا لأنها ينعتانها لا بنائهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها

وقوله تعالى (ولا نسائن) يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات . وقوله تعالى (ولا ما ملكت أيمانهن) يعني به ارقاءهن من الذكور والاناث كما تقدم التنبيه عليه ، وإيراد الحديث فيه قال سعيد بن المسيب إنما يعني به الاماء فقط رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا) أي واخشينه في الخلو والعلاية فانه شهيد على كل شيء لا يخفى عليه خافية فراقبن الرقيب

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦)

قال البخاري قال أبو العالية صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء ، وقال ابن عباس يصلون يبركون هكذا علقه البخاري عنهما ، وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا ، وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء ﴿ ولا نسائن ﴾ قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للمكتاتبات الدخول عليهن ، وقيل هو عام في المسلمات والسكتاتيات ، وإنما قال ولا نسائن لأنهن من اجناسهن ﴿ ولا ما ملكت أيمانهن ﴾ واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا ، فقال قوم يكون محرما لها لقوله عز وجل (ولا ما ملكت أيمانهن) وقال قوم هو كالأجانب والمراد من الآية الاماء دون العبيد ﴿ واتقين الله ﴾ أن براكن غير هؤلاء ﴿ إن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ من أعمال العباد ﴿ شهيداً ﴾

قوله تعالى ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ قال ابن عباس أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له ، وعن ابن عباس أيضاً يصلون يبركون ، وقيل الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة

كما قاله سواء . رواهما ابن أبي حاتم ، وقال ابو عيسى الترمذي وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الاودي حدثنا وكيم عن الاعمش عن عمرو بن مرة قال الاعمش اراه عن عطاء بن أبي رباح (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال صلواته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي . والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبية عنده في الملائكة الاعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وان الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا احمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك ؟ فناداه ربه عز وجل : يا موسى سألوكم هل يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي . فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الآية وقال تعالى (وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم) الآية ، وفي الحديث « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف » ، وفي الحديث الآخر « اللهم صل على آل أبي أوفى » وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها « صلى الله عليك وعلى زوجك »

وقد جاءت الاحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالامر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله المستعان . قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد ابن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال قولوا « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلى قال

الاستغفار (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الاسلام ، وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء .

(تفسيرا ابن كثير والبقوي) (٧٥) (الجزء السادس)

عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال فسكت رسول الله ﷺ حتى تبنا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم » وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذي حسن صحيح

وروى الامام احمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدرکهم حديث محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البدري أنهم قالوا يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وذكره »

ورواه الشافعي رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة بثبته ، ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير فان تركه لم تصح صلاته ، وقد شرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يشتم على الامام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة ويزعم انه قد تفرد بذلك ، وحكى الاجماع على خلافه أبو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض عنهم ، وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعي وتكلف في دعواه الاجماع في ذلك وقال ما لم يحط به علماً فانا قد روينا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدري وجابر بن عبد الله ، ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان واليه ذهب الشافعي لاختلاف عنه في ذلك ولا بين اصحابه أيضاً ، واليه ذهب الامام احمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي وبه قال اسحاق بن راهويه والفسقيه الامام محمد بن ابراهيم المعروف بابن الموالى المالكي رحمه الله حتى إن بعض ائمة الحنابلة أوجب ان يقال في الصلاة عليه ﷺ كما علمهم ان يقولوا لما سأله وحتى ان بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله فيما حكاه البندنيجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن ابراهيم المقدسي ، ونقله امام الحرمين وصاحبه الفزالي قولاً عن الشافعي . والصحيح انه وجه ، على أن الجمهور على خلافه وحكوا الاجماع على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم .

والغرض ان الشافعي رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سلفاً وخلفاً كما تقدم والله الحمد والمنة فلا اجماع على خلافه في هذه المسئلة لا قديماً ولا حديثاً والله أعلم .

ابو سلمة انا عبد الواحد بن زياد انا أبو فروة حدثني عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن ابي ليلى سمع عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول : لقيني كعب بن عجرة فقال ألا اهديك هدية سمعتها من النبي

ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الامام احمد وابوداود والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما من رواية حيوة بن شريح المصري عن ابي هاني. حميد بن هاني. عن عمرو بن مالك ابي علي الحسيني عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجّد الله ولم يصل على النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره « اذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء » وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن بن عباس ابن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده عن رسول الله (ص) انه قال « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ، ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ، ولا صلاة لمن لم يحب الانصار » ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد رواه الطبراني من رواية أخيه أي ابن عباس ولكن في ذلك نظر وإنما يعرف من رواية عبد المهيمن والله اعلم

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون اخبرنا اسماعيل عن أبي داود الاعمى عن بريدة قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال « قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد » أبو داود الاعمى اسمه نعيم بن الحارث متروك

(حديث آخر) موقوف رويناه من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هارون وزيد بن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي أن عليا رضي الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء اللهم داحي المدحوات ، وباري المسموعات ، وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، وفضائل آلائك ، على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعان الحق بالحق ، والدامغ لجيشان الأباطيل ، كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك ، مستوفز في مرضاتك غير نكل في قدم ، ولا وهن في عزم ، واعيا لوحيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك ، حتى أوري قبسا لقابس ، آلا ، الله تصل بأهله أسبابه ، بهدایت القلوب بعد خوضات الفن والاثم ، وأبهج موضعات الاعلام ، ونائرات الاحكام ، ومنيرات الاسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك الخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعينك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة ، اللهم افسح له في عدتك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، له مهنات غير مكدرات ، من فوزنا بك المعلول ، وجزيل عطائك المحلول ، اللهم أعل على بناء الناس بناءه ، وأكرم مثواه لديك ونزله ، وأتم له نوره ، واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة ، مرضي المقالة ذاتنطق عدل ، وخطة فصل ، وحجة وبرهان عظيم . هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم

ﷺ ؟ فقلت بلى فاهدها لي فقال سألتنا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم عليك ؟ قال « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت

عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في جزء جمعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا أن في اسناده نظرا، قال شيخنا الحافظ أبو الجعاج المزي: سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا. كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد ابن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ فيقول اللهم داحي المدحوات وذكرة

(حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا زياد بن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تندرون لعل ذلك يعرض عليه قل فقالوا له علمنا، قال قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه الاولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وهذا موقوف

وقد روى اسماعيل القاضي عن عبد الله بن عمرو وأبو عمر على الشك من الراوي قريبا من هذا (حديث آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا أبو اسرائيل عن يونس بن حباب قال خطبنا بفارس فقال (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يا رسول الله علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد، وارحم محمد وآل محمد كما رحمت آل ابراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد» فيستدل بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على النبي ﷺ كما هو قول الجمهور وبعضه حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال رسول الله ﷺ «لقد حجرت واسعا» وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال وأجازه أبو محمد بن أبي زيد

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقول «من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي» فليقل عبيد من ذلك أو ليكثر ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به

على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد

(حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان أن عبد الله بن شداد أخيره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» تفرد بروايته الترمذي رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب

(حديث آخر) قال اسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال قال رسول الله ﷺ «أناني آت من ربي فقال لي مامن عبد يصلي عليك صلاة الا صلى الله عليه بها عشراً» فقام اليه رجل فقال يا رسول الله ألا أجعل نصف دعائي لك؟ قال «إن شئت» قال ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال «إن شئت» قال ألا أجعل دعائي لك كله قال «أذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة» فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان عن أسنده قال لا أدري

(حديث آخر) قال اسماعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يخرج في جوف الليل فيقول «جاءت الراحفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه» فقال أبي يا رسول الله اني أصلي من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي؟ قال رسول الله ﷺ «الشرط» قال أفأجعل لك شرط صلاتي؟ قال رسول الله ﷺ «الثلثان» قال أفأجعل لك صلاتي كلها قال - أذن يغفر الله ذنبك كله -

وقد رواه الترمذي بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال «يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله» جاءت الراحفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي قلت يا رسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال «ما شئت» قلت الربع قال - ما شئت فان زدت فهو خير لك - قلت فالنصف قال - ما شئت فان زدت فهو خير لك - قلت فالثلاثين قال - ما شئت فان زدت فهو خير لك - قلت أجعل لك صلاتي كلها - قال اذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك» ثم قال هذا حديث حسن

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه قال قال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال «أذن يكفيك الله ما أمرك من دنياك وآخرتك»

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعي ويونس هو ابن محمد قال حدثنا ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمر عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقاني انه قال أخبرني

مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه ، قال فبحثت انظر فرفعت رأسه فقال « مالك يا عبد الرحمن ؟ » قال فذكرت ذلك له فقال « ان جبريل عليه السلام قال لي ألا أبشرك ان الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه »

(طريق أخرى) قال الامام احمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال : قام رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقه فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه ثم جلست فرفعت رأسه فقال « من هذا ؟ - قلت عبد الرحمن قال - ما شأنك ؟ - قلت يا رسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قبض روحك فيها فقال - ان جبريل أتاني فبشرني ان الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكراً » ورواه امما عيل بن إسحاق القاضي في كتابه عن يحيى بن عبد الحميد عن الدراوردي عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به ، ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن

(حديث آخر) قال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن يحيى بن عبد الله بن معاوية ابن يحيى بن ريان حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن عمر عن الحكم بن عيينة عن ابراهيم النخعي عن الاسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد أحداً يتبعه ففرغ عمر فأتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي ﷺ ساجداً في مشربة فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي ﷺ رأسه فقال « أحسنت يا عمر حين وجدني ساجداً فتنحيت عني ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك من أمته واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات » وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختارة على الصحيحين ، وقد رواه امما عيل القاضي عن القعني عن سلمة بن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ، ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن المدان عن عمر بن الخطاب بنحوه (حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا نرى السرور في وجهك فقال « انه أتاني الملك فقال يا حمدا ما

أبو حميد السامدي قال قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ « قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد »

برضيك أن ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرًا قال بلي « ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به ، وقد رواه اسماعيل القاضي عن اسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة بنحوه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن اسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الانصاري قال أصبح رسول الله ﷺ يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا يارسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال « أجل انا اني آت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحام عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها » وهذا أيضا إسناد جيد ولم يخرجوه

﴿ حديث آخر ﴾ روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن عبد الرحمن ابن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وأبي طلحة وأنس وأبي بن كعب

وقال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن ليث عن كعب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « صلوا علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في أعلى الجنة ولا ينالها الا رجل ، وأرجو أن أكون أنا هو » تفرد به أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبي هريرة بنحوه فقال حدثنا محمد بن اسحاق البجلي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا داود بن علي عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « صلوا علي فانها زكاة لكم ، وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة من الجنة » فسالناه أو أخبرنا فقال « هي درجة في أعلى الجنة وهي لرجل وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل » في إسناده بعض من تكلم فيه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن بريح الخولاني سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمرو يقول: من صلى على رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فليقل عبد من ذلك أولي كنز . وسمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع فقال « أنا محمد النبي الامي — قاله ثلاث مرات — ولا نبي بعدي ، أوتيت فوائخ الكلام وخواتمه وجوامعه ، وعلمت كم خزن النار وحملت العرش وبحور ربي وعوفيت وعوفيت أمتي ، فاسمعوا واطيعوا مادمت فيكم ، فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرّموا حرامه »

أخبرنا ابو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي انا ابو بكر احمد بن الحسن الحبري انا محمد بن

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو داود الطيالسي حدثنا ابو سلمة الخراساني حدثنا ابو اسحاق عن انس قال قال رسول الله ﷺ « من ذكرت عنده فلم يصل علي ، ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابي داود الطيالسي عن ابي سلمة وهو المغيرة بن مسلم الخراساني عن ابي اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن انس به

﴿ حديث آخر ﴾ عن انس وقال الامام احمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن ابي اسحاق عن زيد بن ابي مریم عن انس قال قال رسول الله ﷺ « من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الملك بن عمرو وابوسعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن علي بن الحسين عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه ان رسول الله ﷺ قال « البخل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي » وقال ابو سعيد « فلم يصل علي » ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن صحيح ومن الرواة من جعله من مسند الحسين بن علي ومنهم من جعله من مسند علي نفسه

﴿ حديث آخر ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن هلال الغنزي حدثني رجل من اهل دمشق عن عوف بن مالك عن ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي »

﴿ حديث آخر ﴾ مرسل قال اسماعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله ﷺ « بحسب امرئ من البخل ان أذكر عنده فلا يصلي علي »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الترمذي حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبيران فلم يدخلا الجنة » ثم قال حسن غريب . قلت وقدرناه البخاري في الادب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن ابي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن ابي هريرة مرفوعا بنحوه ، وروناه من حديث محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة به

قال الترمذي وفي الباب عن جابر و انس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) وهذا الحديث والذي قبله دليل

يعقوب انا العباس بن محمد الدورقي انا خالد بن مخلد القطواني انا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبد الله ابن كيسان أخبرني عبد الله بن شداد عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة »

على وجوب الصلاة على النبي ﷺ كما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء منهم الطحاوي والخلعي وبتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن المفلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » جنادة ضعيف ولكن رواه اسماعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال قال رسول الله ﷺ « من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة » وهذا مرسل بتقوى بالذي قبله والله أعلم. وذهب آخرون الى انه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم » تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الامام أحمد عن حجاج ويزيد بن هارون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن

وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير وجه وقد رواه اسماعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد « قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي ﷺ الا كان عليهم يوم القيامة حسرة وان دخلوا الجنة يرون الثواب » وحكي عن بعضهم انه انما تجب الصلاة عليه عليه السلام في العمر مرة واحدة امثالا لامر الآية. ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعد ما حكي الاجماع على وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجنة. قال وقد حكي الطبري أن يحمل الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة وما زاد على ذلك فمندوب ومرغب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله قلت وهذا قول غريب فانه قد ورد الامر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما بينه. فنه بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حمزة حدثنا كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول انه سمع عبد الله بن عمرو ابن العاص يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني أنا عبدالله ابن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميبي أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر أنا علاء بن

﴿ طريق أخرى ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا محمد بن ابي بكر حدثنا عمر بن علي عن ابي بكر الجشمي عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو قال . قال رسول الله ﷺ « من سأل الله لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم القيامة »

﴿ حديث آخر ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ابيث عن كعب هو كعب الاحبار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صلوا عليّ فان صلاتكم عليّ زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة - قال فاما حدثنا واما لناه قال الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل وارجو أن أكون انا ذلك الرجل » ثم رواه عن محمد بن ابي بكر عن معمر عن ابيث وهو ابن ابي سليم به وكذا الحديث الآخر

قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لميعة حدثنا بكر بن سوادة عن زياد بن نعيم عن ورقاء الحضرمي عن روفيع بن ثابت الانصاري أن رسول الله ﷺ قال « من صلى علي محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » وهذا اسناد لا بأس به ولم يخرجوه ﴿ أثر حسن ﴾ قال اسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثني معمر عن ابن طاوس عن أبيه سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعتي محمد الكبرى ، وارفع درجته العليا ، وأعظم سؤله في الآخرة والاولى ، كما آتيت ابراهيم وموسى عليهما السلام . اسناد جيد قوي صحيح

ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم حدثنا ابيث بن ابي سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » ، واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » وقال اسماعيل القاضي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التميمي عن سليمان الضبي عن علي بن الحسين قال : قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : اذا مررت بالمساجد فصلوا على النبي ﷺ . وأما الصلاة عليه ﷺ في الصلاة فقد قدمنا الكلام عليها في التشهد الأخير ومن ذهب الى ذلك من العلماء منهم الشافعي رحمه الله وأكرمه وأحمد ، وأما التشهد الاول فلا تجب فيه قولاً واحداً وهل تستحب على قولين للشافعي

ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنائز فان السنة أن يقرأ في التكبيرة الاولى فاتحة الكتاب ، وفي الثانية أن يصلي على النبي ﷺ وفي الثالثة يدعو للبيت وفي الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتننا بعده

عبد الرحمن عن أبيه عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً »

قال الشافعي رحمه حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهري أخبرني أبو امامة بن سهل بن حنيف انه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنابة أن يكبر الامام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الاولى سرّاً في نفسه ثم يصلي على النبي ﷺ ويخلص الدعاء للجنابة وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ثم يسلم مرّاً في نفسه . ورواه النسائي عن أبي امامة نفسه انه قال من السنة فذكره ، وهذا من الصحابي في حكم المرفوع على الصحيح . ورواه اسماعيل القاضي عن محمد بن المثني عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن أبي امامة بن سهل عن سعيد بن المسيب انه قال السنة في الصلاة على الجنابة فذكره . وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عمر والشعبي

ومن ذلك في صلاة العيد قال اسماعيل القاضي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن علقمة أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوم قبل العيد فقال لهم إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمدر بك وتصلي على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ، ثم تقوم فقرأ وتحمدر بك وتصلي على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع . فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن اسناد صحيح ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه ﷺ قال الترمذي حدثنا أبو داود حدثنا النضر بن سهيل عن أبي قرة الاسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب . ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعاً ، وكذا رواه رزين بن معاوية في كتابه مرفوعاً عن النبي ﷺ قال « الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلي عليّ فلا تجعلوني كغير الراكب صلوا عليّ أول الدعاء وآخره وأوسطه » وهذه الزيادة إنما تروى من رواية جابر بن عبد الله في مسند الامام عبد بن حميد الكشي حيث قال : حدثنا جعفر بن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال : قال جابر قال لنا رسول الله ﷺ « لا تجعلوني كقدح الراكب اذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملاؤه من الماء فان كان له حاجة في الوضوء توضأ ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا هراق ما فيه اجعلوني في أول الدعاء وفي وسط الدعاء وفي آخر الدعاء » وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث .

ومن آكد ذلك دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن جبان والحاكم من حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر

أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك

اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك ، انه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت . وزاد النسائي في سننه بعد هذا وصلى الله على محمد

ومن ذلك أنه يستحب الاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة . قال الامام احمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الاشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي » قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ يعني وقد بليت ، قال « إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء » ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي في الاذكار

(حديث آخر) قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد البصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لم يصلي علي فيه الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها - قال قلت وبعد الموت ؟ - قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء ، فبني الله حي برزق » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فانه لم يدركه والله أعلم

وقد روى البيهقي من حديث أبي امامة وابن مسعود عن النبي (ص) في الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في إسنادهما ضعف والله أعلم . وروي مرسل عن الحسن البصري فقال اسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول : قال رسول الله (ص) « لا تأكل الارض جسدا من كلمه روح القدس » مرسل حسن والنووي في الاذكار (١) وقال القاضي وقال الشافعي أخبرنا ابراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي (ص) قال « اذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثروا الصلاة علي » هذا مرسل . وهكذا ينبغي على الخطيب أن يصلي على النبي (ص) يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين ، ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لانها عبادة ، وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول (ص) فيها كلاذان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره (ص) قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد بن المقرئ حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط

عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبيد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقال « انه جاءني جبريل

عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال « ما منكم من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » تفرد به أبو داود وصححه النووي في الاذكار

ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح قال : قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عبدا ، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حينما كنتم » تفرد به أبو داود أيضا ، وقد رواه الإمام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصائغ به وصححه النووي أيضا

وقد روي من وجه آخر متصلا ، قال القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة عن النبي ﷺ حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أخبره من أهل بيته عن علي بن الحسين بن علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي [ص] ويصلي عليه ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا ؟ قال أحب السلام على النبي ﷺ فقال له علي بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن أبي ؟ قال نعم فقال له علي بن الحسين أخبرني أبي عن جدي أنه قال قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا قبري عبدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي وسلموا حينما كنتم قبلتني صلاتكم وسلامكم » في استاده رجل مبهم لم يسم

وقد روي من وجه آخر مرسلا قال عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي قال رأى قوما عند القبر فهموا وقال : ان النبي ﷺ قال « لا تتخذوا قبري عبدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني » فلهذا رآهم يسيئون الادب برفع أصواتهم فوق الحاجة فهمهم . وقد روي أنه رأى رجلا ينتاب القبر فقال : يا هذا ما انت ورجل بالاندلس منه الاسواء . أي الجيم يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين (١) وقال الطبراني في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن رشد بن المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا

(١) هذا الحديث

محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « صلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني » ثم قال الطبراني حدثنا العباس بن حمدان الاصبهاني حدثنا شعيب بن عبد الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هارون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن علي عن أبيها قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت قول الله عز وجل (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فقال - إن هذا من المكتوم ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبركم إن الله عز وجل وكل بني ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلي على

بجملة غير موجود في النسخة المكية

فقال إن ربك يقول أما برضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا »

إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته لذيّنك الملكين آمين، ولا يصلي علي أحد إلا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جواباً لذيّنك الملكين آمين « غريب جداً واسناده به ضعف شديد

وقد قال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبدالله بن السائب عن زاذان عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام » وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الاعمش كلاهما عن عبدالله بن السائب به

فأما الحديث الآخر « من صلي على عند قبري سمعته » ومن صلي علي من بعيد بافته « في إسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن ابن اعمش عن ابى صالح عن أبي هريرة مرفوعاً قال أصحابنا وبستحب للمحرم اذا لبى وفرغ من تليّته أن يصلي على النبي ﷺ لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تليّته أن يصلي على النبي ﷺ على كل حال، وقال اسماعيل القاضي حدثنا عارم ابن الفضل حدثنا عبدالله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الاعدع قال سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعاً وصلوا عند المقام ركعتين، ثم اثنوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيراً بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي ﷺ ومسئلة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك . إسناده جيد حسن قوي

قالوا وبستحب الصلاة على النبي ﷺ مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا أذكر الا ذكرت مهى وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الاكل والدخول والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي ﷺ

« حديث آخر » قال اسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هارون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « صلوا على أنبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني » في إسناده ضعيفان وهما عمرو بن هارون وشيخه والله أعلم . وقد رواه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ،

ومن ذلك انه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن ان صح الخبر في ذلك على أن الامام أبابكر محمد بن إسحاق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال : حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو محمد عبد الرحمن بن ابى شريح القاضي أنا ابو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عاصم هو ابن عبيدة الله قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه

ابن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع قال : قال رسول الله ﷺ « اذا طنت اذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير » اسناده غريب وفي ثبوته نظر والله أعلم

﴿ مسألة ﴾ وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رجمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى علي في كتاب لم نزل الصلاة جارية له مادام اسمي في ذلك الكتاب » وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة ، وقد روي من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضا

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا احسبه موضوعا ، وقد روى نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء ، والله أعلم . وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لأدب الراوي والسامع) قال : رأيت بخط الامام احمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي ﷺ من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال : وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا

(فصل) وأما الصلاة على غير الانبياء فان كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بلا جاع وانما وقع النزاع فيما اذا أفرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) وبقوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) وبقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم) الآية . وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ اذا أتاه قوم بصدقتهم قال « اللهم صل عليهم » فأتاه أبي بصدقته فقال « اللهم صل على آل أبي أوفى » أخرجه في الصحيحين ، وبحديث جابر أن امرأته قالت يا رسول الله صل على وعلى زوجي فقال « صل الله عليك وعلى زوجك » قال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال قال أبو بكر صلى الله عليه ، وقال على صلى الله عليه ، وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل ، وان كان عزبزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ماورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ، ولهذا لم يثبت شعار الآل أبي أوفى ولا لجابر وامرأته وهذا مسلك حسن

وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صارت من شعار أهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم . ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الاولى على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووي

أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ماصلي علي فليقل العبد من ذلك أو ليكثر »

في كتاب الاذكار . ثم قال والصحيح الذي عليه الا كثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ماورد فيه نهي مقصود . قال أصحابنا والمعتد في ذلك ان الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالانبياء كما أن قولنا عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما لا يقال محمد عز وجل وان كان عززاً جليلاً لا يقال أبو بكر أو علي صلى الله عليه هذا لفظه بحروفه ، قال وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام وسواء في هذا الاحياء والاموات ، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك وسلام عليكم أو السلام عليكم وهذا مجمع عليه . انتهى ما ذكره . قلت وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه ، وهذا وان كان معناه صحيحاً ، لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين . قال اسماعيل القاضي حدثنا عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيفة عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : لا تصح الصلاة على أحد الا على النبي ﷺ ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالمغفرة

وقال أيضاً حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن جعفر بن برقان قال كتب عمر ابن عبدالعزيز رحمه الله . أما بعد : فان ناساً من الناس قد اتسموا الدنيا بعمل الآخرة ، وان ناساً من الفصحاء قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي ﷺ فاذا جاءك كتابي هذا ففرم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعائهم للمسلمين عامة ويدعوا ما سوى ذلك . أثر حسن قال اسماعيل القاضي حدثنا معاذ بن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نبي بن وهب أن كعباً دخل على عائشة رضي الله عنها فذكر وارسول الله ﷺ فقال كعب : ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتي يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي (ص) سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتي اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يزفونه .

(فرع) قال النووي اذا صلى على النبي (ص) فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط ، وهذا الذي قاله منزع من هذه الآية السكرمة وهي قوله (بأيتها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) فالأولى أن يقال صلى الله عليه وسلم تسليماً

حدثنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشمهيني أنا جناح بن يزيد المحاربي بالكوفة أنا أبو جعفر محمد ابن علي بن دحيم الشبستاني أنا احمد بن حازم أنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن عبد الله ابن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من أمتي السلام »

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(٧٧)

(الجزء السادس)

ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً (٥٧)

والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتناً وإثماً مبيناً (٥٨)
يقول تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره واصراره على ذلك وإيذاء رسوله بعب أو بنقص عباداً بالله من ذلك . قال عكرمة في قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت في المصورين . وفي الصحاحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر أقلب قلبه ونهاره » ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فنهي عن ذلك . هكذا قررہ الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في زواجه صفية بنت حيي بن أخطب . والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشي . ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا ابراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبي رائطة الخذاء المجاشعي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل المزني قال : قال رسول الله ﷺ « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك

قوله تعالى ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ﴾ قال ابن عباس : هم اليهود والنصارى والمشركون ، فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مقولة وقالوا إن الله فقير ، وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة ، وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وروينا أن النبي ﷺ قال « يقول الله سبحانه وتعالى شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولداً وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد » وروينا عن النبي ﷺ قال « قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الامر أقلب الليل والنهار » وقيل معنى (يؤذون الله) أي يلحدون في أمثاله وصفاته وقال عكرمة هم أصحاب النصارى أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن العلاء أنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال سمعت النبي (ص) يقول « قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة » وقال بعضهم (يؤذون الله) أي يؤذون أولياء الله . بقوله تعالى (واسئل القرية) أي أهل القرية وروينا عن النبي (ص) قال « قال الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وقال . من أهان لي ولياً فقد بارزني

أن يأخذه » وقد رواه الترمذي من حديث عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله ابن المغفل به ، ثم قال وهذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

وقوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أي ينسبون اليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه (فقد احتملوا بهتاناً وألماً مبيناً) وهذا هو البهتان الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد رآهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم فإن الله عز وجل قد أخبر انه قد رضي عن المهاجرين والانصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الاغبياء يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين

وقال ابو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن ابي هريرة أنه قيل لرسول الله ما الغيبة ؟ قال « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » وهكذا رواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به ثم قال حسن صحيح

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سلمة حدثنا أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن عمار ابن أنس عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه « أي الربا أربي عند الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « أربي الربا عند الله استحلل عرض امرئ مسلم » ثم قرأ (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وألماً مبيناً)

بالمحاربة » ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب ومعاصيه وذكره على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزّه عن أن يلحقه أذى من أحد . وإبداء الرسول قال ابن عباس هو انه شج في وجهه وكسرت ربايته وقيل شاعر ساحر معلم مجنون ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴾ من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقال مجاهد يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم ﴿ فقد احتملوا بهتاناً وألماً مبيناً ﴾ وقال مقاتل نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقال الضحاك والكسبي نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم فيغمزون المرأة فان سكنت اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الاما . ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان زي الكمل كان واحداً يخرج في درع وخمار الحرة والامة كذلك فشكون ذلك الى أزواجهم فذكروا ذلك لرسول الله (ص) فنزلت هذه الآية (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) الآية

يأيتها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩) أن لم ينته المنسفقوز والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢)

يقول تعالى أمراً رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً أن يأمر النساء المسلمات أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليمتدعن عن سيات نساء الجاهلية وسيات الاماء والجلباب هو الرداء فوق الخمار . قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة الازار اليوم . قال الجوهرى الجلابب الملحفة ، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلا لها

تمشي النور اليه وهي لاهية مشي العذارى عليهن الجلايب

قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلايب ويدين عينا واحدة ، وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل (يدنين عليهن من جلابيبهن) فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطي ثغرة نحرها بجلابيها تدينه عليها

ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالاماء فقال جل ذكره ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ جمع الجلابب وهو الملاة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار قال ابن عباس وأبو عبيدة أمر نساء المؤمنين أن يغطين رءوسهن وجوههن بالجلايب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر ﴿ ذلك أدنى أن يعرفن ﴾ أنهن حرائر ﴿ فلا يؤذين ﴾ فلا يتعرض لهن ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ قال أنس مرت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال : يا لكاع أنتشبهين بالحرائر ؟ ألقى القناع

قوله عز وجل ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾ فجور يعني الزنا ﴿ والمرجفون في المدينة ﴾ بالكذب ، وذلك ان نساء منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقعون في الناس الرعب ، وإذا التحم القتال ولوا وانهمزوا ويقولون قد آتاكم العدو ونحوها ، وقال السكبي : كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الاخبار ﴿ لنغرينك بهم ﴾ لنحرسنك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني فيما كتب إلي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية (يدين عليهن من جلايينهن) خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني الليث حدثنا يونس بن يزيد قال وسأله عن يعني الزهري هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال عليها الخمار إن كانت متزوجة وتنتهي عن الجلباب لأنه يكره لمن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى (يأيتها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلايينهن)

وروي عن سفیان الثوري أنه قال : لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة وإنما نهى عن ذلك لحوف الفتنة لحرمتهم واستدل بقوله تعالى (ونساء المؤمنين) وقوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أي إذا فعلن ذلك عرفن أنهم حرائر ، لسن باماء ولا عواهر ، قال السدي في قوله تعالى (يأيتها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلايينهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يخنط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكانوا إذا رأوا الفساق يتغفون ذلك منهم فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها ، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها ، وقال مجاهد يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا رية

قوله (وكان الله غوراً رحيماً) أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهم علم بذلك ، ثم قال تعالى متوعداً المنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر (والذين في قلوبهم مرض) قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا (والمرجفون في المدينة) يعني الذين يقولون جاء الاعداء وجاءت الحروب وهو كذب واقتراء ، لكن لم ينتهوا عن ذلك وبرجعوا إلى الحق (لنغرينك بهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لنسلطنك عليهم ، وقال قتادة لنحرسنك بهم ، وقال السدي لنعلمنك بهم (ثم لا يجاورونك فيها) أي في المدينة (إلا قليلاً ملعونين) حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبغدين (أينما تقفوا) أي وجدوا (أخذوا) لذاتهم وقتلهم (وقتلوا قتيلاً) ثم قال تعالى (سنة الله في الدين خلوا من قبل) أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم

هم ولنسلطنك عليهم ﴿ ثم لا يجاورونك فيها ﴾ لا يساكنونك في المدينة ﴿ إلا قليلاً ﴾ حتى يخرجوا منها . وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتحلي منهم المدينة ﴿ ملعونين ﴾ مطرودين نصب على الحال ﴿ أينما تقفوا ﴾ وجدوا وأدركوا ﴿ أخذوا وقتلوا قتيلاً ﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الامر به ﴿ سنة الله ﴾ أي كسنة الله ﴿ في الدين خلوا من قبل ﴾ من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء

ولم يرجعوا عما هم فيه ان أهل الايمان يسلطون عليهم ويقهرونهم (وان تجد لسنة الله تبديلاً) أي
وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير

يستللك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون
قريباً (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً (٦٤) خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً
ولا نصيراً (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول (٦٦)
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من
العذاب والعنهم لعناً كبيراً (٦٨)

يقول تعالى مخبراً لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك
وأرشده أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الاعراف وهي مكية وهذه مدنية
فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمهها لكن أخبره أنها قريبة بقوله [وما يدريك لعل الساعة تكون
قريباً] كما قال تعالى [اقتربت الساعة وانشق القمر] وقال [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون] وقال [أنى أمر الله فلا تستعجلوه] ثم قال (إن الله لعن الكافرين) أي أبعدهم من رحمته
(وأعد لهم سعيراً) أي في الدار الآخرة [خالدين فيها أبداً] أي ما كثرين مستمرين فلا خروج لهم منها
ولا زوال لهم عنها [لا يجدون ولياً ولا نصيراً] أي وليس لهم مغيب ولا معين يتقدم عنهم فيه ثم
قال [يوم تقلب وجوههم في النار يقولون] وهم كذلك (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) أي يسحبون
في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا
من أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله [ويوم بعض الظالم على يديه
يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد
إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً]

﴿ وان تجد لسنة الله تبديلاً ﴾

قوله تعالى ﴿ يستللك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك ﴾ أي أي شيء يعلمك
أمر الساعة ومتى يكون قيامها أي أنت لا تعرفه ﴿ لعل الساعة تكون قريباً ﴾ ان الله لعن الكافرين
وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً * يوم تقلب وجوههم في النار ﴿ ظهر آ
ليطن حين يسحبون عليها ﴾ يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ﴿ في الدنيا ﴾ وقالوا ربنا إنا
أطعنا ساداتنا ﴿ قرأ ابن عباس ويعقوب (ساداتنا) بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع ، وقرأ الآخرون

وقال تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا [وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا] وقال طاوس: سادتنا يعني الاشراف، وكبراءنا يعني العلماء. رواه ابن أبي حاتم أي اتبعنا السادة وهم الاسماء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شيء. فإذا هم ليسوا على شيء. [ربنا آتهم ضعفين من العذاب] أي بكفرهم واغواهم إيانا (والعنهم لعنا كبيرا) قرأ بعض القراء بالباء الموحدة، وقرأ آخرون بالثاء المثناة وهما قريباً المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي قال «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم» أخرجه في الصحيحين، يروى كثيراً وكبيراً وكلاهما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه وفي ذلك نظر، بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كأن القاري يخبر بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما والله أعلم

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضرار بن مرد حدثنا علي بن هاشم عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه الحجاج بن عمرو ابن غزية وهو الذي كان يقول عند اللقاء يا معشر الانصار أتريدون أن تقولوا الربنا اذا لقينا (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)

يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها (٦٩) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا روح بن عباد حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان موسى كان رجلاً حبيباً وذلك قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) هكذا ورد هذا الحديث هنا مختصراً جداً. وقد رواه في أحاديث الانبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) «ان موسى عليه السلام كان رجلاً حبيباً مستيراً لا يرى من جلده شيء. استحياء منه فإذا من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستر هذا التستر الا من عيب في جلده اما برص واما أدرة واما آفة. وان الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام

بفتح التاء بلا الف قبلها (وكبراءنا فأضلونا السبيلا) ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي ضعف في عذاب غيرهم قوله تعالى (والعنهم لعنا كبيرا) قرأ عاصم كبيراً بالباء، قال الكلبي أي عذاباً كبيراً، وقرأ آخرون بالثاء. كقوله تعالى (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وهذا يشهد للكثرة، أي مرة بعد مرة قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فطهره الله مما قالوا (وكان عند الله وجهها) أي كرماء إذا جاء، يقال وجه الرجل يوجه وجهه وجهاً فهو وجهه إذا كان

فخلاً يوماً وحده فخلع ثيابه على حجز ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني اسرائيل فأرأوه عرباناً أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأ مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوأنه ان بالحجر لندباً من أثر ضربته ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً - قال - فذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا عوف عن الحسن عن النبي (ص) وخلاس ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه » ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولاً ورواه عنه في تفسيره عن روح عن عوف به . ورواه ابن جرير من حديث الثوري عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو هذا . وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعشى عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس في قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال قال قومه له إنك آدر فخرج ذات يوم يفتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عرباناً حتى انتهت به مجالس بني اسرائيل قال فأرأوه ليس بأدر فذلك قوله (فبرأه الله مما قالوا) وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الآدمي قال حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي ﷺ قال « كان موسى عليه السلام رجلاً حياً وأنه أتى - أحسبه قال الماء - ليفتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبذعورنه فقال بنو اسرائيل ان موسى آدر أوبه آفة - يعنون انه لا يضم ثيابه - فاحتملت الصخرة ثيابه حتى صارت بجذاء مجلس بني اسرائيل فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال أو كما قال فذلك قوله (فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)

ذا جاء وقدر ، قال ابن عباس : كان حقيقاً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه . وقال الحسن : كان مستجاب الدعوة ، وقيل كان محبباً مقبولاً

واختلفوا فيما أودى به موسى فأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا إسحاق بن ابراهيم أنا روح بن عبادة أنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء فأذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما تستر موسى هذا التستر إلا من عيب يجلده إما برص أو أدره ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا ، فخلاً يوماً وحده ليفتسل فوضع

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قوله (فبرأه الله مما قالوا) قال سعد موسى وهارون الجبل فأت هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلتهم كان ألين لنا منك وأشد حياء فأذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل فتكلمت بوته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وإن الله جعله أصم أبكم وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن يكون هذا هو المراد بالاذى وجائز أن يكون الأول هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل قلت (يحتمل أن يكون الكل مراداً وأن يكون معه غيره والله أعلم قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم قوماً فقال رجل من الأنصار إن هذا لقسم ما أريد بها وجه الله قال فقلت يا عدو الله أما لا أخبرن رسول الله ﷺ بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فآمر وجهه ثم قال «رحمة الله على موسى فقد أودى بأكثر من هذا فصبر» أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به. طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا حجاج سمعت إسرائيل بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فأنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مال فقسمه قال فررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قالاً ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله قلت لنا لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً «وإني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فآمر وجه رسول الله ﷺ وشق عليه ثم قال «دعنا منك لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر» وقد رواه أبو داود في الأدب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن إسرائيل عن الوليد بن أبي هشام به مختصراً «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً فأنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» وكذا رواه الترمذي في المناقب عن الذهلي سواء إلا ثوبه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله أن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) وقال قديم أدام إياه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا

أنه قال زيد بن زائدة ، ورواه أيضا عن محمد بن اسماعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن اسرائيل عن السدي عن الوليد بن ابي هشام به مختصراً أيضا فزاد في إسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى (وكان عند الله وجيباً) أي له وجهة وجاء عند ربه عز وجل . قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل . وقال بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يرمد له الله معه فأجاب الله سؤاله فقال (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر

لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً (٧١)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وإن يقولوا (قولاً سديداً) أي مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة وإن يغفر لهم الذنوب الماضية ، وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم انوبة منها ثم قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) وذلك أنه يجاز من نار الجحيم وبصير إلى النعيم المقيم .

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف حدثنا خالد عن ليث عن أبي بريدة عن أبي موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أومأ إلينا بيده فجلسنا فقال ان الله تعالى أمرني أن آمركم أن تقوا الله وتقولوا قولاً سديداً ، ثم أتى النساء فقال ان الله أمرني أن آمركن أن تقين الله وتقلن قولاً سديداً » وقال ابن أبي الدنيا في كتاب اتقوا الله حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهري حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر إلا سمعته يقول (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) الآية غريب جداً ، وروى عبد الرحيم

وقال أبو العالية هو أن قارون استأجر مومسة لتفد موسى بنفسها على رأس الملائكة ثم سمع الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الله بن أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا أبو الوليد أنا شعبة عن الأعمش قال سمعت ابا وائل قال سمعت عبد الله قال قسم النبي ﷺ قسماً فقال رجل ان هذه لقمة ما يريد بها وجه الله فأنيث النبي ﷺ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال « رحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر »

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) قال ابن عباس صواباً وقال

(سورة الاحزاب ٣٣ جز ٢٢) تكليف الانسان بالامانة التي اشفق منها السموات والارض والجبال ٦١٩

ابن زيد العمي عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفاً : من سره ان يكون أكرم الناس فليتق الله قال عكرمة القول السديد لا إله الا الله وقال غيره السديد الصدق وقال جاعد هو السداد وقوله " غيره هو الصواب والكل حق

إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها

وحملها الناس إنه كان ظلوماً جهولاً (٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنفقات والمشركين

والمشركت ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً (٧٣)

قال العوفي عن ابن عباس يعني بالامانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لا آدم : اني قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال يارب وما فيها؟ قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحمّلها فذلك قوله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض والجبال إن أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم ففكروا ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيماً للدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً) يعني غراً بأمر الله

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها) قال عرضت على آدم فقال أخذها بما فيها فان أظمت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلت فما كان الا مقدار ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة ، وقدروى الضحك

قتادة عدلاً وقال الحسن صدقاً وقيل مستقبلاً وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل برك أعمالكم ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطعم الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ أي ظفر بالخير كله

قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال﴾ الآية أراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على أنهم ان أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم وهذا قول ابن عباس، وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في التكاليف والميزان وأشد من هذا كله الودائع، وقال مجاهد الامانة الفرائض وحدود الدين، وقال أبو العالمة ما أسروا به ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم هو الصوم والفعل من الجنبات وما يخفى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتمكم. فالفرج والاذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة

عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر وانقطاع بين الضحك وبينه والله أعلم . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصري وغير واحد إن الامانة هي الفرائض وقال آخرون هي الطاعة ، وقال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبي بن كعب من الامانة ان المرأة أوتمت على فرجها، وقال قتادة الامانة الدين والفرائض والحدود، وقال بعضهم الغسل من الجنابة، وقال مالك عن زيد بن أسلم قال الامانة ثلاثة الصلاة والصوم والاعتسال من الجنابة وكل هذه الاقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة الى أنها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها وهو أنه ان قام بذلك أثيب وان تركها عوقب فقلها الانسان على ضعفه وجهله وظلمه الا من وفق الله وبالله المستعان

قل ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري حدثنا حماد بن واقد يعني أبا عمر الصغار سمعت أبا معمر يعني عوز بن معمر يحدث عن الحسن يعني البصري أنه تلا هذه الآية (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) قال عرضها على السبع الطبايق الطرائق التي زينت بالنجوم، وحملت العرش العظيم، فقيل لها هل تحمّلين الامانة وما فيها؟ قالت وما فيها قال قيل لها ان أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا ، ثم عرضها على الارضين السبع الشداد، التي شدت بالانوداد ، وذلك بالامداد ، قال فقيل لها هل تحمّلين الامانة وما فيها؟ قالت وما فيها؟ قال قيل لها ان أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا ، ثم عرضها على الجبال الشامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحمّلين الامانة وما فيها؟ قالت وما فيها قال لها ان أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا . وقال مقاتل بن حيان ان الله تعالى حين خالق خلقه جمع بين الانس والجن والسموات والارض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الامانة وهي الطاعة فقال لهن : أنحمّلن هذه الامانة ولكن علي الفضل والكرامة والثواب في الحنة ؟ فقلن يارب انا لا نستطيع هذا الامر وليس بنا قوة ولكننا لك مطيعين ، ثم عرض

والرجل امانة، ولا ايمان لمن لا امانة له . وقال بعضهم هي امانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاودا في شيء . قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس فعرض الله هذه الامانة على أعيان السموات والارض والجبال هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن أنحمّلن هذه الامانة بما فيها ؟ قلن وما فيها ؟ قال ان أحسنتن جزويتن وان عصيتن عوقبتن فقلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله أن لا يعمن به لامعصية ولا مخالفة، وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة مساجدة له كما قال جل ذكره للسموات والارض (انثيا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين) وقال للحجارة (وان منها لما يهبط من خشية الله) وقال تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) الآية وقال بعض أهل العلم ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض الامانة عليهن حتى عقان الخطاب وأجبن

الامانة على الارضين فقال لمن: انحملن هذه الامانة وتقبلنها مني وأعطين الفضل والكرامة في الدنيا؟ فقالن لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطبق واكننا لك ساهمين مطيعين لا نعصيك في شيء أمرتنا به ثم قرب آدم فقال له انحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها؟ فقال عند ذلك آدم مالي عندك؟ قال يا آدم ان أحسنت وأطعت ورعيت الامانة فلك عندي الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة، وان عصيت ولم ترعها حق رعايتها وأت فاني معذبك ومعاقبك وأزلك النار. قال رضيت يا رب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك قد حملتكما فذلك قوله تعالى (وحملها الانسان) رواه ابن أبي حاتم. وعن مجاهد أنه قال عرضها على السموات فقالت يا رب حملتني الكواكب وسكان السماء وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة، قال وعرضها على الارض فقالت يا رب غرست في الاشجار وأجريت في الانهار وسكان الارض وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة، وقالت الجبال مثل ذلك قال الله تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) في عاقبة أمره وهكذا قال ابن جرير عن ابن أشوع أنه قال لما عرض الله عليهن حمل الامانة ضججن الى الله ثلاثة أيام ولياليهن وقلن ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب. ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي حدثنا أبي حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم في هذه الآية (انا عرضنا الامانة على السموات والارض) الآية قال الانسان بين اذني وعاتقي فقال الله عز وجل: اني معينك عليها اني معينك على عينيك بطبقتين فاذا نازعك الى ما أكره فأطبق، ومعينك على لسانك بطبقتين فاذا نازعك الى ما أكره فأطبق ومعينك على فرجك لباس فلا تكشفه الى ما أكره. ثم روى عن أبي حازم نحو هذا. وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) الآية قال ان الله تعالى عرض عليهن الامانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لمن ثوابا وعقابا ويستأنهن على الدين فقلن لانهن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال وعرضها الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين اذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله تعالى له: اما اذا تحملت هذا فسا عينك أجعل لبصرك حجبا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل لك فأرخ عليه حجابه

بما أجب، وقال بعضهم المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على أهل السموات والارض عرضها على من فيها من الملائكة وقيل على أهلها كلها دون أعيانها كقوله تعالى (واستل القرية) أي أهل القرية والاول أصح وهو قول العلماء (فأبين أن يحملنها وأشققن منها) أي خفن من الامانة ان لا يؤدنها فيلحقهن العقاب (وحملها الانسان) يعني آدم عليه السلام فقال الله لا آدم انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطعها فهل أنت اخذها بما فيها؟ قال يا رب وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فتحملها آدم وقال بين اذني وعاتقي قال الله تعالى اما اذا تحملت فسا عينك أجعل لبصرك حجبا فاذا خشيت ان تنظر الى مالا يحل لك فأرخ

وأجعل لسانك بابا وغلقا فاذا خشيت فاغلق، واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما أحلت لك.
 وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية حدثنا عيسى بن ابراهيم عن موسى بن
 أبي حبيب عن الحكم بن عمير رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ
 « ان الامانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا به، فمنهم رسول الله ومنهم نبي رسول
 ونزل القرآن وهو كلام الله وأنزلت العجمية والعربية فعملوا أمر القرآن وعلموا أمر النبي ﷺ ولم يدع
 الله تعالى شيئا من أمره مما يأتون وما يحتجبون وهي الحجج عليهم الا بينه لهم، فليس أهل لسان الا وهم
 يعرفون الحسن والقبیح، ثم الامانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس، ثم يرفع الوفاء
 والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها حتى وصل الي والى أممي
 ولا يهلك على الله الا هالك، ولا يفعل الا تارك، فالحذر أيها الناس، واياكم والوسواس الخناس، فانما يلوكم
 أيكم أحسن عملا » هذا حديث غريب جدا وله شواهد من وجوه أخرى. ثم قال ابن جرير حدثنا محمد
 ابن خلف العسقلاني حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي حدثنا أبو العوام العطار حدثنا قتادة وأبان
 ابن أبي عياش عن خليفه المصري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « خمس من
 جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة من حانظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن
 وسجودهن ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها - وكان يقول - وإيم الله لا يفعل ذلك الا
 مؤمن وادى الامانة » قالوا يا أبا الدرداء وما الامانة؟ قال رضي الله عنه الغسل من الجنابة فان
 الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبيد الرحمن
 العنبري عن عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن أبي العوام عمران بن داود القطان به

وقال ابن جرير أيضا حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا اسحاق عن شريك عن الاعمش عن عبد الله
 ابن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « القتل في
 سبيل الله يكفر الذنوب كلها - أو قال - يكفر كل شيء - الا الامانة يؤتى بصاحب الامانة فيقال له
 أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له أد أمانتك فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا؟
 فيقال له أد أمانتك، فيقول أنى يارب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول اذهبوا به الى أمه الهاوية فيذهب

عليه حجاب، وأجعل لسانك لحين وغلقا فاذا خشيت فاغلق، وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على
 ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن خرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر
 والعصر. وحكى النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال: مثلت الامانة كصخرة ملقاة ودعيت السموات
 والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطبق حملها وجاء آدم من غير أن دعي وحرك الصخرة
 وقال لو أمرت بحملها لخلتها فقليل له حملها فحملها الى ركبته ثم وضعها وقال والله لو أردت أن ازداد
 لزدت قليل له حمل فحملها الى حقوه ثم وضعها وقال والله لو أردت أن ازداد لزدت قليل له حمل فحملها حتى وضعها

به الى الهاوية فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هنالك كبيتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها الى شفير جهنم حتى اذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهوى في أثرها أبد الآبدين » قال والامانة في الصلاة والامانة في الصوم والامانة في الوضوء والامانة في الحديث ، وأشد ذلك الودائم . فلقيت البراء . فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك عبدالله ؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه ولم يذكر الامانة في الصلاة وفي كل شيء . إسناده جيد ولم يخرجوه

ومما يتعلق بالامانة الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الامانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الحجل كجمر دحرجته على رجله تراه منتبرا وليس فيه شيء . - قال ثم أخذ حصي فدحرجه على رجله قال - فيصيح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا أميناء حتى يقال للرجل ما أجمله وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بابت ان كان ملما ليردنه علي دينه ، وان كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه فاما اليوم فما كنت أبابع منكم الا فلانا وفلانا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة ، وصدق حديث وحسن خليفة وعفة طعمة » . هكذا رواه الامام احمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وقد قال الطبراني في مسنده عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . حدثنا يحيى بن أبوب العلاف المقرئ حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا ابن لميعة عن الحارث بن زيد عن ابن حبيزة عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله (ص) « أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليفة وعفة طعمة » فزاد في

على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فانها في عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيامة (إنه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا لاسر الله وما احتمل من الامانة وقال الكلبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الامانة . وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما يحمل وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني في قوله (وحملها الانسان) قولا فقالوا ان الله اثمن آدم واولاده على شيء . واثمن السموات والارض والجبال على شيء . فالامانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقيل قوله

الاسناد ابن حجرية وجعله في مسند ابن عمر رضي الله عنهما . وقد ورد النهي عن الخلف بالامانة قال عبدالله بن المبارك في كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي اسحق الشيباني عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا والامانة فجعل زياد يبكي ويبكي فظننت اني أتيت أمرا عظيما فقلت له أكان يكره هذا ؟ قال نعم : كان عمر بن الخطاب ينهى عن الخلف بالامانة أشد النهي

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا احمد بن عبدالله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « من حلف بالامانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله

وقوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي انما حمل بني آدم الامانة وهي التكليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون لايمان خوفا من أهله ويطنون الكفر متابعة لأهله (والمشركين والمشركات) وهم الذين ظاهرا وباطنا على الشرك بالله ومخالفة رسله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي ويرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته (وكان الله غفورا رحيما)

(آخر تفسير سورة الاحزاب ولله الحمد والمنة)

(فأين ان يحملنها) أي أدين الامانة يقال فلان لم يحتمل الامانة أي لم يحن فيها (وحملها الانسان) أي خان فيها يقال فلان حمل الامانة أي آثم فيها بالحياة قل الله تعالى (وليحملن أثما لهن) (إنه كان ظلوما جهولا) حكي عن الحسن على هذا التأويل أنه قال (وحملها الانسان) يعني الكافر والمنافق حملا لامانة أي خانها وقول السلف ما ذكرنا

قوله عز وجل (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) قال مقاتل ليعذبهم بما خانوا الامانة وتقصوا الميثاق (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة وقال ابن قتيبة أي عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرک فيعذبهما الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والغفرة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات

تم الجزء السادس من تفسير الحافظ ابن كثير والامام البغوي

وباية الجزء السابع إن شاء الله تعالى

وأوله سورة سبا

سنة

محب

نظام

طاب

هـ

من

آدم

أهل

بالق

منوا

ن

وما

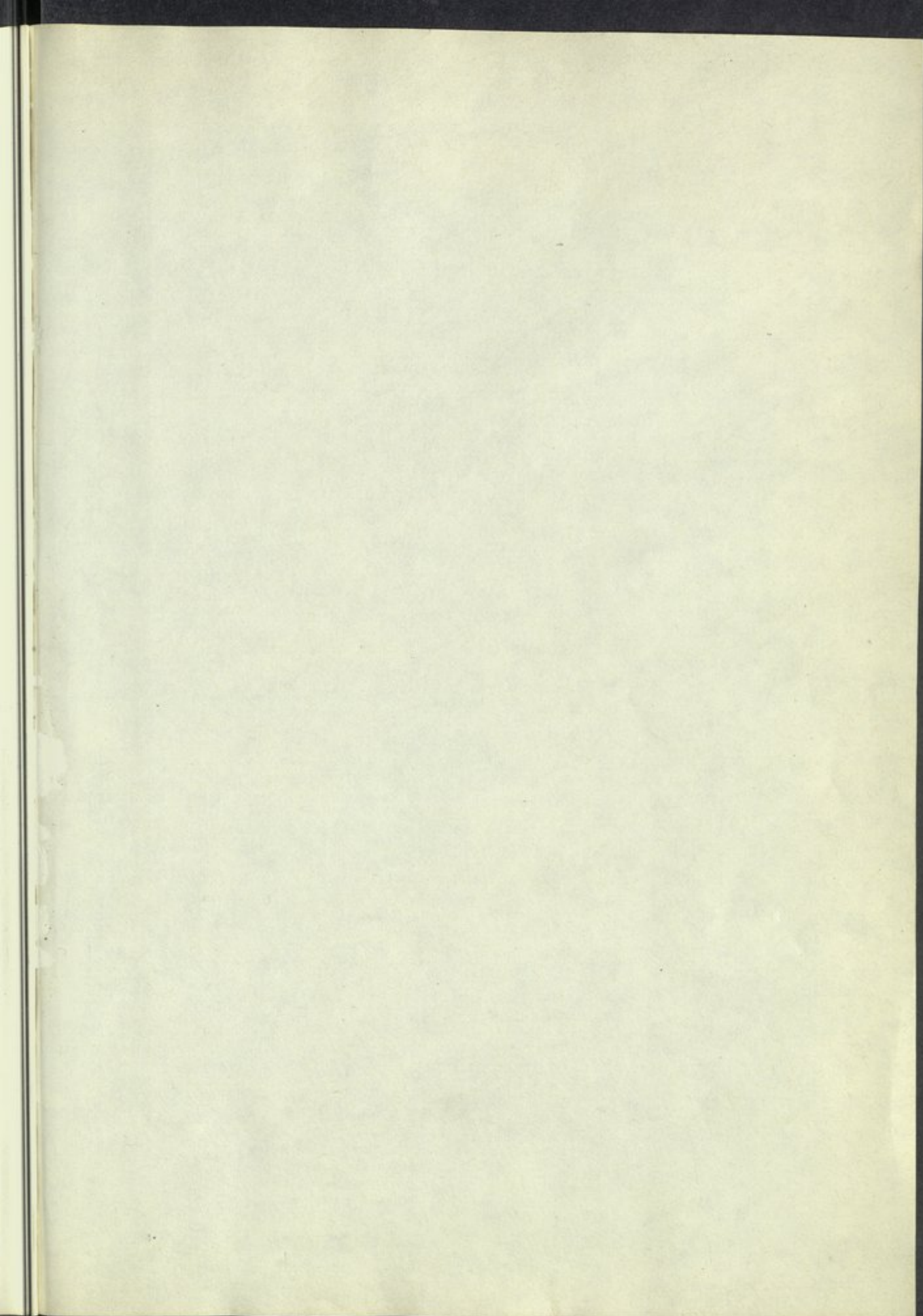
سنة

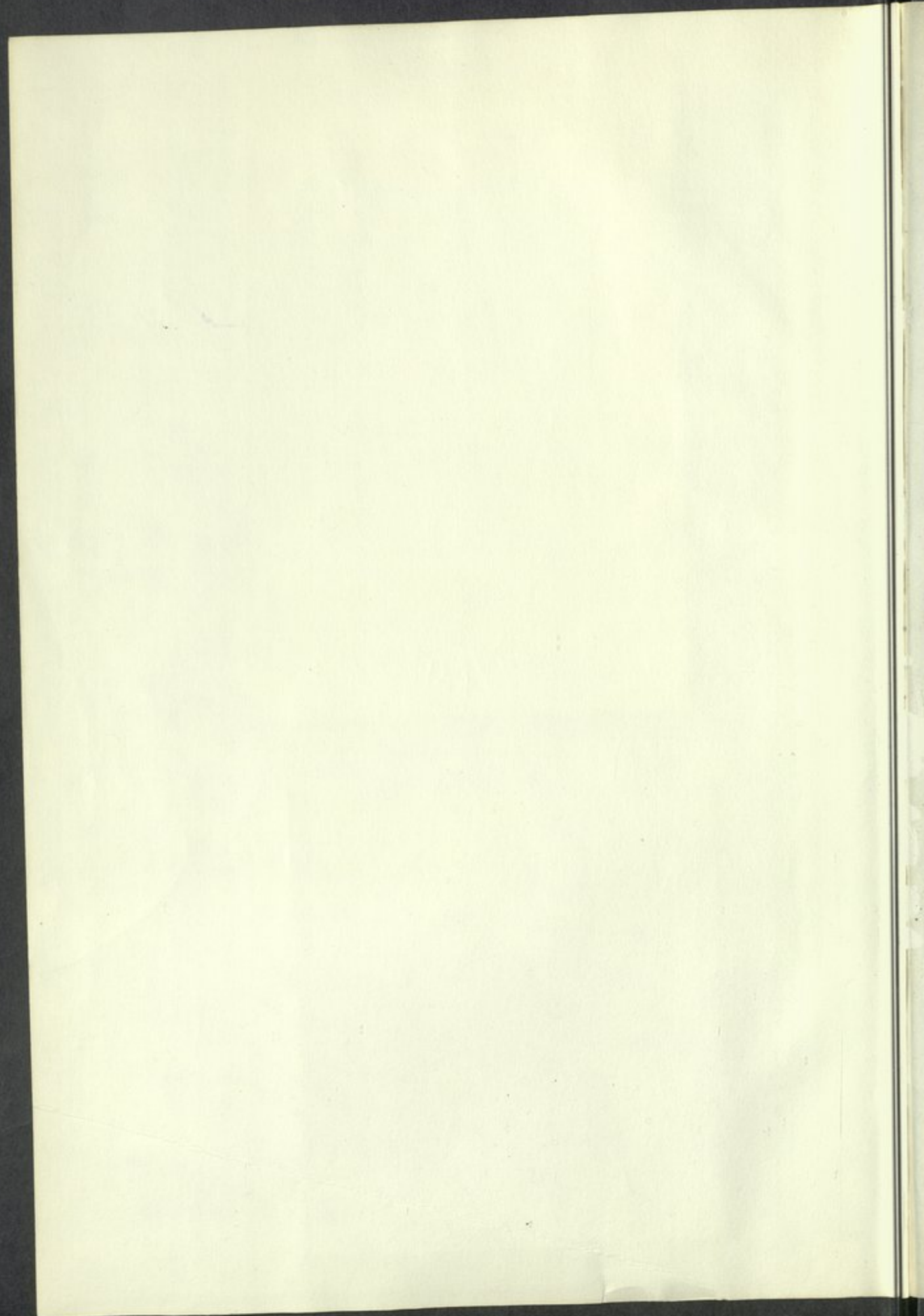
م

م

ك

منه





DATE DUE

29 FEB 2000

Dept.

30 SEP 2009

ation Dept.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويليه معا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01005247

217.20
T.13H

V. 6

